



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(١٩)

دار النهضة العربية
بيبي الباني الجليلي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٧	شرح نهج البلاغه المجلد ٨
٧	اشاره
٩	اشاره
١١	اشاره
١١	تممه الخطب و الأوامر
١١	اشاره
١١	١٢٤ و من كلام له ع فى حث أصحابه على القتال
١١	اشاره
١٧	عود إلى أخبار صفين
١١٣	١٢٥ و من كلام له ع فى الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال و يذم فيه أصحابه فى التحكيم
١١٩	١٢٦ و من كلام له ع لما عوقب على التسويه فى العطاء و تصييره الناس أسوه فى العطاء من غير تفضيل أولى السابقات و الشرف
١٢٢	١٢٧ و من كلام له ع قاله للخوارج أيضا
١٢٢	اشاره
١٢٣	مذهب الخوارج فى تكفير أهل الكبائر
١٢٩	فصل فى ذكر الغلاه من الشيعة و النصيريه و غيرهم
١٣٦	١٢٨ و من كلام له ع فيما يخبر به عن الملاحم بالبصره
١٣٦	اشاره
١٣٧	أخبار صاحب الزنج و فتنته و ما انتحله من عقائد
٢٢٩	فصل فى ذكر جنكزخان و فتنه التتر
٢٥٥	١٢٩ و من خطبه له ع فى ذكر المكابيل و الموازين
٢٥٥	اشاره
٢٥٧	نبذ من أقوال الحكماء و الصالحين
٢٦٣	١٣٠ و من كلام له ع لأبى ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذه

٢٤٣	اشاره
٢٤٣	أخبار أبي ذر الغفاري حين خروجه إلى الربذه
٢٧٤	١٣١ و من كلام له ع
٢٧٩	١٣٢ و من خطبه له ع
٢٨٣	١٣٣ و من كلام له ع
٢٨٣	اشاره
٢٨٧	فصل في الجناس و أنواعه
٣٠٧	١٣٤ و من كلام له ع و قد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم
٣٠٧	اشاره
٣٠٩	غزوه فلسطين و فتح بيت المقدس
٣١٢	١٣٥ و من كلام له ع و قد وقعت بينه و بين عثمان مشاجره
٣١٢	اشاره
٣١٥	فصل في نسب ثقيف و طرف من أخبارهم
٣١٩	فهرس الخطب
٣٢٠	فهرس الموضوعات
٣٢١	تعريف مركز

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ

گرداورنده: شریف الرضی، محمد بن حسین

نویسنده: علی بن ابی طالب (علیه السلام)، امام اول

شماره بازیابی: ۷۶۹۲-۵

پدید آور: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادی: نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پدید آور: شرح نهج البلاغه [نسخه خطی] ابن ابی الحدید

وضیعت کتابت: محمد طاهر ابن شیخ حسن علی ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاہری: ۳۴۵ گ [عکس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازہ سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ رادہ گذاری؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابی الحدید علی نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفیق التتمیم.

باب المختار من كتب امیر المومنین علی علیه السلم و رسائله الی ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التي بنی هذا الشرح علی قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله علی

زیادات تخلو عنها اکثر النسخ... و یکف عنی عادیه الظالمین انه سمیع مجیب و حسبنا الله وحده و صلواته علی سیدنا محمد

النبی و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسویده فی ظهر یوم الثلاثاء غره شهر جمدی الاول سنه اربع و ثمانین و الف کتبه الفقیر الحقیق... ابن شیخ

حسن علی محمد طاهر غفرالله تعالی له و لوالدیه تمت.

یادداشت کلی: زبان: عربی

تاریخ تالیف: اول رجب ۶۴۴- صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص : ۱

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الواحد العدل

١٢٤ و من كلام له ع في حث أصحابه على القتال

فَقَدَّمُوا الدَّرَاعَ وَ أَخْرَجُوا الحَاسِرَ وَ عَضُّوا عَلَى الأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الهَامِ وَ التَّوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمُورٌ لِلأَسِنَّةِ وَ غُضُّوا الأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبِطٌ لِلجِأْسِ وَ أَسِيكُنُ لِلقُلُوبِ وَ أَمِيتُوا المَأْصُوتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلفَسْطَلِ وَ رَايتِكُمْ فَلَا- تُمِيلُوهَا وَ لَا تُخْلُوهَا وَ لَا تَجْعَلُوهَا إِلا- بِأَيْدِي سُجْعَانِكُمْ وَ المَانِعِينَ الدِّمَارَ مِنْكُمْ فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَايَاتِهِمْ وَ يَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَتِهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيَسْلِمُوهَا وَ لَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا .

لابس الدرع و الحاسر الذي لا درع عليه و لا مغفر أمرهم ع بتقديم المستلثم على غير المستلثم لأن سوره الحرب و شدتها تلقى و تصادف الأول فالأول فواجب أن يكون أول القوم مستلثما و أن يعضوا على الأضراس و قد تقدم شرح هذا و قلنا إنه يجوز أن يبدءوهم بالحنق و الجد و يجوز أن يريد أن العض على الأضراس يشد شئون الدماغ و رباطاته فلا يبلغ السيف منه مبلغه لو صادفه رخوا و أمرهم بأن يلتوا إذا طعنوا

لأنهم إذا فعلوا ذلك فبالحرى أن يمور السنان أى يتحرك عن موضع الطعنه فيخرج زالفا و إذا لم يلتوا لم يمر السنان و لم يتحرك عن موضعه فيحرق و ينفذ فيقتل .

و أمرهم بغض الأبصار فى الحرب فإنه أربط للجأش أى أثبت للقلب لأن الغاض بصره فى الحرب أحرى ألا يدهش و لا يرتاع لهول ما ينظر .

و أمرهم بإماتة الأصوات و إخفائها فإنه أطرده للفشل و هو الجبن و الخوف و ذلك لأن الجبان يردد و يبرق و الشجاع صامت .

و أمرهم بحفظ رايتهم ألا- يميلوها فإنها إذا مالت انكسر العسكر لأنهم إنمما ينظرون إليها و إلا- يخلوها من محام عنها و إلا يجعلوها بأيدي الجبناء و ذوى الهلع منهم كى لا يخيموا و يجبنوا عن إمساكها .

و الذمار ما وراء الرجل ممّا يحق عليه أن يحميه و سمي ذمارا لأنه يجب على أهله التذمر له أى الغضب .

و الحقائق جمع حاقه و هى الأمر الصعب الشديد و منه قول الله تعالى الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ يعنى الساعة .

و يكتنفونها

يحيطون بها و حفافاها جانبها و منه قول طرفه كان جناحى مضر حى تكنفا حفافيه شكا فى العسيب بمسرد (1) أَجْزَأَ امْرُؤٌ قَوْمَهُ وَ
آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَ لَمْ يَكِلْ قَوْمَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ

ص: ٤

١-١) المعلقات- بشرح التبريزى ٦٤.المضر حى: العتيق من النسور؛ يضرب إلى البياض. و حفافاه: جانباه. و العسيب: عظم الذنب. و المسرد: المخصف.

عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَ قِرْنُ أَخِيهِ وَ اِيْمُ اللّٰهِ لِيْنُ فَرَزْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلِ لَا تَسْلَمُوا [تَسْلَمُونَ]

مِنْ سَيْفِ الْاٰخِرِهِ وَ اَنْتُمْ لَهَا مِيْمُ الْعَرَبِ وَ السَّنَامُ الْاَعْظَمُ اِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَهُ اللّٰهِ وَ الذَّلَّ الْاَلَزَمُ وَ الْعَارَ الْبَاقِيَّ وَ اِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيْدٍ فِي عُمْرِهِ وَ لَا مَحْجُوْزٍ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ يَوْمِهِ [مَنْ رَآئِحُ]

مِيْنِ الرَّايْحِ اِلَى اللّٰهِ كَالظَّمِيَانِ يَرِدُ الْمِيَاءَ الْجَنَّةُ تَحْتَ اطْرَافِ الْعِيْوَالِي الْيَوْمَ تُبَلَى الْاٰخِيَارُ وَ اللّٰهُ لَآنَا اَشْوَقُ اِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ اِلَى دِيَارِهِمْ اللّٰهُمَّ فَاِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَاْفْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ وَ شَتَّ كَلِمَتَهُمْ وَ اَبْسِلْهُمْ بِحَطَايَاهُمْ .

من الناس من يجعل هذه الصيغة و هي صيغه الإخبار بالفعل الماضي فى قوله أجزأ امرؤ قرنه فى معنى الأمر كأنه قال ليجزئ كل امرئ قرنه لأنه إذا جاز الأمر بصيغه الإخبار فى المستقبل جاز الأمر بصيغه الماضي و قد جاز الأول نحو قوله تعالى وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضَيْنَ مِنْ أَوْلَادِهِنَّ (١) فوجب أن يجوز الثانى و من الناس من قال معنى ذلك هلا- أجزأ امرؤ قرنه فيكون تحضيضا محذوف الصيغة للعلم بها و أجزأ بالهمزة أى كفى و قرنك مقارنك فى القتال أو نحوه .

و آسى أخاه بنفسه

مؤاساه بالهمز أى جعله أسوه نفسه و يجوز واسيت زيدا بالواو و هى لغة ضعيفه .

و لم يكل قرنه إلى أخيه

أى لم يدع قرنه ينضم إلى قرن أخيه فيصيرا معا فى

ص: ٥

مقاومه الأخ المذكور و ذلك قبيح محرم مثاله زيد و عمرو مسلمان و لهما قرنان كافران فى الحرب لا يجوز لزيد أن ينكل عن قرنه فيجتمع قرنه و قرن عمرو على عمرو .

ثم أقسم ع أنهم إن سلموا من الألم النازل بهم لو قتلوا بالسيف فى الدنيا فإنهم لم يسلموا من عقاب الله تعالى فى الآخرة على فرارهم و تخاذلهم و سمي ذلك سيفا على وجه الاستعارة و صناعه الكلام لأنه قد ذكر سيف الدنيا فجعل ذلك فى مقابلته .

و اللهاميم السادات الأجواد من الناس و الجياد من الخيل الواحد لهموم و السنم الأعظم يريد شرفهم و علو أنسابهم لأن السنم أعلى أعضاء البعير .

و موجهه الله غضبه و سخطه .

و يروى و الذل اللازم بالذال المعجمه و هو بمعنى اللازم أيضا لذمت المكان بالكسر أى لزمته .

ثم ذكر أن الفرار لا يزيد فى العمر و قال الراجز قد علمت حسناء دعجاء المقل أن الفرار لا يزيد فى الأجل .

ثم قال لهم أيكم يروح إلى الله فيكون كالظمان يرد الماء .

ثم قال الجنة تحت أطراف العوالى و هذا من

١٦٩٢

قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص

الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ .

و

١٦٩٣

١٤- سَمِعَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ وَ فِي يَدِهِ تُمَيْرَاتٌ يُلُوكُهَا فَقَالَ بِيحُ بِيحُ لَيْسَ بَيْنِي وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا هَذِهِ التُّمَيْرَاتُ ثُمَّ قَدَفَهَا مِنْ يَدِهِ وَ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ وَ حَمَلَ عَلَى قُرَيْشٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

ثم قال اليوم تبلى الأخبار هذا من قول الله تعالى وَ نَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ (١) أى نختبر أفعالكم.

ص: ٦

ثم دعا على أهل الشام إن ردوا الحق بأن يفض الله جماعتهم أى يهزمهم و يشتت أى يفرق كلمتهم و أن يسلمهم بخطاياهم أى يسلمهم لأجل خطاياهم التى اقترفوها و لا ينصرهم أبسلت فلانا إذا أسلمته إلى الهلكه فهو مبسل قال تعالى أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ (١) أى تسلم و قال أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا (٢) أى أسلموا للهلاك لأجل ما اكتسبوه من الإثم و هذه الألفاظ كلها لا يتلو بعضها بعضا و إنما هى منتزعه من كلام طويل انتزعها الرضى رحمه الله و اطرح ما عداها إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه]

منهم النسيم و ضرب يفلق الهام و يطيح العظام و يندر السواعد و الأفدام و حتى يزمو بالمناسر تتبعها المناسر و يزجموا بالكتائب تقفوها الحلائب و حتى يجز ببلادهم الخميس يتلوه الخميس و حتى تدعق الخيول فى نواحر أرضهم و بأعنان مساريهم و مساريهم.

[قال الشريف الرضى رحمه الله تعالى الدعق الدق أى تدق الخيول بحوافرها أرضهم و نواحر أرضهم متقابلاتها و يقال منازل بنى فلان تتناحر أى تتقابل]

طعن دراك

أى متتابع يتلو بعضه بعضا و يخرج منه النسيم أى لسعته و من هذا النحو قول الشاعر

ص: ٧

١-١) سورة الأنعام ٧٠.

٢-٢) سورة الأنعام ٧٠.

فهذا وصف الطعنه بأنها لاتساعها يرى الإنسان المقابل لها ببصره ما وراءها و أنه لو لا شعاع الدم و هو ما تفرق منه لبان منها الضوء و أمير المؤمنين ع أراد من أصحابه طعنات يخرج النسيم و هو الريح اللينه منهن .

و فلقت الشيء أفلقه بكسر اللام فلما أى شققته و يطيح العظام يسقطها طاح الشيء أى سقط أو هلك أو تاه فى الأرض و أطاحه غيره و طوحه .

و يندر السواعد

يسقطها أيضا ندر الشيء يندر ندرا أى سقط و منه النوادر و أندره غيره و الساعد من الكوع إلى المرفق و هو الذراع .

و المناسر جمع منسر و هو قطعه من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم بكسر السين و فتح الميم و يجوز منسر بكسر الميم و فتح السين و قيل إنها اللغه الفصحى .

و يرجموا

أى يغزوا بالكثائب جمع كتيبه و هى طائفه من الجيش .

تقفوها الحلائب

أى تتبعها طوائف لنصرها و المحاماه عنها يقال قد أحلبوا إذا جاءوا من كل أوب للنصره و رجل محلب أى ناصر و حالبت الرجل إذا نصرته و أعتته و قال الشاعر (١) أ لهفا بقرى سحبل حين أحلبت علينا الولايا و العدو المباسل (٢)

ص: ٨

١ - ١) لقيس بن الخطيم، ديوانه ٧، و ديوان الحماسه - بشرح التبريزى ١: ١٧٨. الشعاع المتفرق، و منه: تطاير القوم شعاعا، و النفذ: الخرق؛ يقول: لو لا انتشار الشمس لأضاءها.

٢ - ٢) ملكت، من قولهم: ملكت العجين و أملكته؛ إذا بالغت فى عجنه؛ أى شددت بهذه الطعنه كفى و وسعت خرقها حتى يرى القائم من دونها الشيء الذى وراءها.

أى أعانت و نصرت و الخميس الجيش و الدعق قد فسر الرضى رحمه الله و يجوز أن يفسر بأمر آخر و هو الهيج و التنفير دعق القوم يدعقهم دعقا أى هاج منهم و نفرهم.

و نواحر أرضهم قد فسرهم رحمه الله أيضا و يمكن أن يفسر بأمر آخر و هو أن يراد به أقصى أرضهم و آخرها من قولهم لآخر ليله فى الشهر ناحره .

و أعنان مساربهم و مسارحهم جوانبها و المسارب ما يسرب فيه المال الراعى و المسارح ما يسرح فيه و الفرق بين سرح و سرب أن السروح إنما يكون فى أول النهار و ليس ذلك بشرط فى السروب

عود إلى أخبار صفين

و اعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين ع لأصحابه فى صفين يحرضهم به و قد ذكرنا من حديث صفين فيما تقدم أكثره و نحن نذكر هاهنا تتمه القصة ليكون من وقف على ما تقدم و على هذا المذكور آنفا هنا قد وقف على قصة صفين بأسرها.

اتفق الناس كلهم أن عمارا رضى الله عنه أصيب مع على ع بصفين و قال كثير منهم بل الأكثر أن أويسا القرنى (1) أصيب أيضا مع على ع بصفين . و ذكر ذلك نصر بن مزاحم فى كتاب صفين رواه عن حفص بن عمران البرجمى عن عطاء بن السائب عن أبى البخترى و قد قال رسول الله ص فى أويس ما قال و

١٦٩٤

قَالَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَيَّ

ص: ٩

١- ١) هو أويس بن عامر القرنى (بفتح القاف و الراء) سيد التابعين؛ ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب.

عَمَّارٍ .

و

١٦٩٥

١٤- رَوَوْا عَنْهُ ص أَنَّ عَمَّارًا جَاءَ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ فَقَالَ ائذِنُوا لَهُ مَرَجِبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ

(١)

و

١٦٩٦

١٤- رَوَى سَلَمَةُ بْنُ كَهَيْلٍ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ص رَأَى عَمَّارًا وَهُوَ يَحْمِلُ أَحْجَارَ الْمَسِيحِ جِدِّ فَقَالَ مَا لَهُمْ وَ لِعَمَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ .

و

١٦٩٧

رَوَى النَّاسُ كَافَّةً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لَهُ تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ (٢) .

١٦٩٨

١- وَ رَوَى نَصْرُ بْنُ مُزَاحِمٍ فِي كِتَابِ صِفِّينَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شِهَابٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبِ الْجُهَنِيِّ أَنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ نَادَى (٣) فِي صِفِّينَ يَوْمًا قَبْلَ مَقْتَلِهِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَيْنَ مَنْ يَنْغِي رِضْوَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَا يَتُوبُ إِلَى مَالٍ وَ لَا وَلَدٍ فَآتَتْهُ عِصَابَةٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اقْصِدُوا بِنَا قَصِيدًا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ دَمَ عُثْمَانَ وَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قُتِلَ مَظْلُومًا وَ اللَّهُ إِنْ كَانَ إِلَّا ظَالِمًا لِنَفْسِهِ الْحَاكِمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ]

(٤) وَ دَفَعَ عَلِيُّ ع الرَّايَةَ إِلَى هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَ كَانَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ دِرْعَانٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ ع كَهَيْتِهِ الْمَارِحِ أَبَا هَاشِمٍ أَمَا تَحْشَى عَلَى نَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ أَعْوَرَ جَبَانًا قَالَ سَتَعَلِّمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ اللَّهُ لَأَلْفَنَّ بَيْنَ جَمَاجِمِ الْعَرَبِ لَفَّ رَجُلٍ يَنْوِي الْآخِرَةَ فَأَخَذَ رُمْحًا فَهَزَّهُ فَأَنْكَسَرَ ثُمَّ أَخَذَ آخَرَ فَوَجَدَهُ جَاسِيًا فَأَلْقَاهُ ثُمَّ دَعَا بِرُمُوحٍ لَيْنٍ فَشَدَّ بِهِ اللُّوَاءَ

١- قَالَ نَضْرُو وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو قَالَ لَمَّا دَفَع عَلِيٌّ ع الرَّايَةَ إِلَى هَاشِمِ بْنِ عُبَيْهِ قَالَ

ص: ١٠

١-١ صفين ٣٦٧.

٢-٢ صفين ٣٦٦.

٣-٣ صفين: «نادى يومئذ».

٤-٤ تكمله من صفين.

٥-٥ صفين ٣٦٩-٣٧٠.

لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ أَقْدِمَ هَاشِمٌ يُكْرِرُهَا ثُمَّ قَالَ مَا لَكَ يَا هَاشِمُ (١) قَدْ انْتَفَخَ سَيْحُرُكَ أَعَوْرًا وَجُبْنًا قَالَ مَنْ هَذَا قَالُوا فَلَانَ قَالَ أَهْلُهَا وَخَيْرٌ مِنْهَا إِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ صِيرَعْتُ فَخُذْهَا ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ شُدُّوا شُسُوعَ نِعَالِكُمْ وَشُدُّوا أُرْكَكُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي قَدْ هَزَزْتُ الرَّايَةَ ثَلَاثًا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَا يَسْبِقُنِي إِلَى الْحَمَلِ (٢) ثُمَّ نَظَرَ إِلَى عَسِ كَرِ مُعَاوِيَةَ فَرَأَى جَمْعًا عَظِيمًا فَقَالَ مَنْ أَوْلَيْكَ قِيلَ أَصْحَابُ ذِي الْكَلَاعِ ثُمَّ نَظَرَ فَرَأَى جُنْدًا فَقَالَ مَنْ أَوْلَيْكَ قِيلَ قُرَيْشٌ وَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ قَوْمِي لَا حَاجَةَ لِي فِي قِتَالِهِمْ مِنْ عِنْدِ هَذِهِ الْقُبَّةِ الْبَيْضَاءِ قِيلَ مُعَاوِيَةُ وَ جُنْدُهُ قَالَ فَإِنِّي أَرَى دُونَهُمْ أَسْوَدَةً (٣) قِيلَ ذَاكَ (٤) عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَ ابْنَاهُ وَ مَوَالِيهِ فَأَخَذَ الرَّايَةَ فَهَزَّهَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ الْبَثُ (٥) قَلِيلًا- وَ لَا تَعْجَلْ فَقَالَ هَاشِمٌ قَدْ أَكْثَرَ لَوْمِي وَ مَا أَقَلَّا (٦)

ص: ١١

١-١) تكمله من صفين.

٢-٢) صفين: «إليها».

٣-٣) أسوده: جمع سواد، وهو الشخص.

٤-١) تكمله من صفين.

٥-٥) مروج الذهب ٣٩٢:٢: «قد أكثر القوم».

٦-٦) الفل: الهزيمة.

مَعَ ابْنِ عَمِّ أَحْمَدَ الْمُعَلِّي (١)

أَوَّلِ مَنْ صَدَّقَهُ وَ صَلَّى

(٢)

١٧٠٠

قَالَ نَصْرٌ وَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سَيَّاهٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ لَمَّا تَنَاوَلَ هَاشِمُ الرَّايَةَ جَعَلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ يُحَرِّضُهُ عَلَى الْحَرْبِ وَ يُقَرِّعُهُ (٣) بِالرُّمْحِ وَ يَقُولُ أَقْدِمْ يَا أَعْوَرُ لَا خَيْرَ فِي أَعْوَرَ لَا يَأْتِي الْفَرْعَ.

فَيَسِي تَحِييَ مِنْ عَمَّارٍ وَ يَتَقَدَّمُ وَ يَزُكُّ الرَّايَةَ فَإِذَا رَكَزَهَا عَاوَدَهُ عَمَّارٌ بِالْقَوْلِ فَيَتَقَدَّمُ أَيْضاً فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِنِّي لَأَرَى لِصَاحِبِ الرَّايَةِ السَّوْدَاءِ عَمَلًا- لَكِنَّ دَامَ عَلَى هَذَا لَتَفْتِنَنَّ الْعَرَبَ الْيَوْمَ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَ عَمَّارٌ يُنَادِي (٤) صَبْرًا وَ اللَّهُ إِنَّ الْجَنَّةَ (٥) تَحْتَ ظِلِّهِ الْبَيْضِ فَكَانَ بِإِزَاءِ هَاشِمٍ وَ عَمَّارٍ أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ وَ لَمْ يَزَلْ عَمَّارٌ بِهَاشِمٍ يَنْخُسُهُ وَ هُوَ يَزْحَفُ بِالرَّايَةِ حَتَّى اشْتَدَّ الْقِتَالُ وَ عَظُمَ وَ التَّقَى الرَّحْفَانِ وَ اقْتَتَلَا قِتَالًا لَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ بِمِثْلِهِ وَ كَثُرَتِ الْقَتْلَى فِي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا (٦).

١٧٠١

١- وَ رَوَى نَصْرٌ عَنْ عَمْرُو بْنِ شِمْرِ قَالَ حَدَّثَنِي (٧) مَنْ أَثِقَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ

ص: ١٢

١- (١) بعده في صفين: *فيه الرسول بالهدى استهلاً*

٢- (٢) بعده في صفين: *فجاهد الكفار حتى أبلت* و الخبر في صفين ٣٧١، ٣٧٠، و بعده هناك: «قال: و قد كان على قال له: أ تخاف أن يكون أعور جبايا أبا هاشم المرقال؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ لتعلمني- إن شاء الله- ألف اليوم بين جماجم القوم؛ فحمل يومئذ يرقل إرقالا».

٣- (٣) صفين: «يتناوله».

٤- (٤) صفين: «صبرا عباد الله، الجنة». و البيض: السيف.

٥- (٤) صفين: «صبرا عباد الله، الجنة». و البيض: السيف.

٦- (٦) في صفين «عن عمرو بن شمر، عن أبي إسحاق، عن أبي السفر».

-٧

قَالَ لَمَّا التَّقِينَا بِالْقَوْمِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَحَدَانَاهُمْ خَمْسَةَ صُفُوفٍ قَدْ قَيَّدُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعَمَائِمِ (١) فَقَتَلْنَا صَيْفًا ثُمَّ صَفًّا ثُمَّ خَلَصْنَا إِلَى الرَّابِعِ مَا عَلَى الْأَرْضِ شَامِيٌّ وَلَا عِرَاقِيٌّ يُؤَلَّى دُبْرَهُ وَ أَبُو الْأَعْوَرِ يَقُولُ إِذَا مَا فَرَزْنَا كَانَ أَسْوَأَ فِرَارُنَا

قَالَ نَضِيرٌ وَ التَّقْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ هَمْدَانُ الْعِرَاقِ بِعُكِّ الشَّامِ فَقَالَ قَانِلُهُمْ هَمْدَانُ هَمْدَانُ وَ عُكُّ عُكُّ سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ مِنَ الْأَرْكَ (٢) وَ كَانَتْ عَلَى عُكِّ الدُّرُوعُ وَ لَيْسَ عَلَيْهِمْ رَايَاتٌ (٣) فَتَعَالَتْ هَمْدَانُ حَمِدُوا الْقَوْمَ أَيْ اضْرَبُوا سُوقَهُمْ فَتَعَالَتْ عُكُّ ابْرِكُوا بَرَكَ الْكَمَلِ (٤) فَبَرَكُوا كَمَا يَبْرِكُ (٥) الْجَمَلُ ثُمَّ رَمَوْا الْحَجَرَ وَ قَالُوا لَا نَفِرُ حَتَّى يَفِرَّ الْحَكْرُ (٦) .

قَالَ نَضِيرٌ وَ اقْتَتَلَ النَّاسُ مِنْ لَدُنِ اغْتِدَالِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ مَا كَانَ صَلَاةُ الْقَوْمِ إِلَّا التَّكْبِيرَ عِنْدَ مَوَاقِبِ الصَّلَاةِ.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ (٧) الْعِرَاقِ كَشَفُوا مَيْمَنَةَ أَهْلِ الشَّامِ فَطَارُوا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَ كَشَفَ أَهْلُ الشَّامِ مَيْسِرَةَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَاخْتَلَطُوا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَ تَبَدَّلَتِ الرَّاياتُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ وَجَدَ أَهْلُ الشَّامِ لِيَاءَهُمْ وَ لَيْسَ حَوْلَهُ إِلَّا أَلْفٌ رَجُلٍ فَاقْتَلَعُوهُ وَ رَكَزُوهُ مِنْ

ص: ١٣

١-١) من صفين.

٢-٢) لقبس بن الحطيم؛ ديوانه ١٠.

٣-٣) الأرك: الضعيف.

٤-٤) صفين: «رانات»، و الرانات: جمع ران؛ و هو كالخف إلا أنه لا قدم له.

٥-٥) يريد «الجمال» و عك تقبل الجيم كافا. و انظر صفين ٢٥٦.

٦-٦) صفين: «كما برك».

٧-٧) أي الحجر، بلغه عك.

وَرَأَى مَوْضِعَهُ الْأَوَّلَ وَ أَحَاطُوا بِهِ وَ وَجَدَ أَهْلَ الْعِرَاقِ لَوَاءَهُمْ مَرْكُوزًا وَ لَيْسَ حَوْلَهُ إِلَّا رِبِيعَهُ وَ عَلِيٌّ عَ بَيْنَهَا وَ هُمْ مُحِيطُونَ بِهِ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ مَنْ هُمْ وَ يَظُنُّهُمْ غَيْرَهُمْ فَلَمَّا أَدْنَى مُؤَدُّنَ عَلِيٍّ عَ الْفَجْرَ قَالَ عَلِيٌّ عَ يَا مَرْحَبًا بِالْقَائِلِينَ عَدْلًا وَ بِالصَّلَاةِ مَرْحَبًا وَ أَهْلًا.

ثُمَّ وَقَفَ وَ صَامَى الْفَجْرَ فَلَمَّا انْفَتَلَ أَبْصَرَ وَجُوهًا لَيْسَتْ بِوُجُوهِ أَصْحَابِهِ بِالْأَمْسِ وَ إِذَا مَكَائِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مَا بَيْنَ الْمَيْسَرَةِ إِلَى الْقَلْبِ فَقَالَ مِنَ الْقَوْمِ قَالُوا رِبِيعَهُ وَ إِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَعِنْدَنَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ (١) فَقَالَ فَخْرٌ طَوِيلٌ لَكَ يَا رِبِيعَهُ .

ثُمَّ قَالَ لِهَاشِمِ بْنِ عُبَيْهِ خُذِ اللَّوَاءَ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَخَرَجَ هَاشِمٌ بِاللَّوَاءِ حَتَّى رَكَرَهُ فِي الْقَلْبِ

(٢)

١٧٠٢

١٤، ١- قَالَ نَصِيرٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ عَبَّيْ مُعَاوِيَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ فَارِسٍ وَ رَاجِلٍ مُعَلِّمِينَ (٣) بِالْخُضْرَةِ وَ أَمْرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا عَلِيًّا عَ مِنْ وَرَائِهِ فَفَطِنَتْ لَهُمْ هَمْدَانُ فَوَاجَهُوهُمْ وَ صَيَّمَدُوا إِلَيْهِمْ فَيَأْتُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَتَحَارِسُونَ وَ عَلِيٌّ عَ قَدْ أَفْضَى بِهِ ذَهَابَهُ وَ مَجِيئُهُ إِلَى رَايَاتِ رِبِيعَةَ فَوْقَ بَيْنَهَا وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ وَ يَظُنُّ أَنَّهُ فِي عَسَاكِرِ الْأَشْعَثِ فَلَمَّا أَصْبَحَ لَمْ يَرَ الْأَشْعَثَ وَ لَا أَصْحَابَهُ وَ رَأَى سَيِّعِدَ بْنَ قَيْسِ الْهَمْدَانِيَّ عَلَى مَرْكَزِهِ فَجَاءَ إِلَى سَعِيدِ رَجُلٍ مِنْ رِبِيعَةَ يُقَالُ لَهُ زُفْرٌ (٤) فَقَالَ لَهُ (٥) أَلَسْتَ الْقَائِلَ بِالْأَمْسِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ رِبِيعَهُ لَتَكُونَنَّ رِبِيعَهُ رِبِيعَهُ وَ هَمْدَانُ هَمْدَانُ فَمَا أَغْنَتْ هَمْدَانُ

ص: ١٤

١- ١) صفين: «و قد بت فيهم تلك الليلة».

٢- ٢) صفين ٣٧٤، ٣٧٣.

٣- ٣) يقال رجل معلم، بكسر اللام؛ إذا علم مكانه في الحرب بعلامه أعلمها؛ و منه قول الشاعر: فتعزفوني إنني أنا ذاكم شاك
سلاحى فى الحوادث معلم.

٤- ٤) صفين: «نفر».

٥- ٥) من صفين.

الْبَارِحَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَ نَظَرَ مُنْكَرٍ وَ نَادَى مُنَادِي عَلِيٍّ عَ أَنْ اتَّعَدُوا لِلْقِتَالِ وَ اغْدُوا عَلَيَّ وَ انْهَدُوا إِلَى عِدْوِكُمْ فَكَلَّمَهُمْ تَحَرَّكَ إِلَّا رِبْعِيَّةَ لَمْ تَتَحَرَّكَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَ أَنْ انْهَدُوا إِلَى عِدْوِكُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَبِيَا تَزْوَانَ فَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ يُقَرِّئُكُمْ السَّلَامَ وَ يَقُولُ لَكُمْ يَا مَعْشَرَ رِبْعِيَّةَ مَا لَكُمْ لَا تَنْهَدُونَ إِلَى عِدْوِكُمْ وَ قَدْ نَهَدَ النَّاسُ قَالُوا كَيْفَ نَنْهَدُ وَ هَذِهِ الْخَيْلُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِنَا قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلْيَأْمُرْ هَمِدَانَ أَوْ غَيْرَهَا بِمَنْجَزَتِهِمْ لِنَنْهَدَ فَرَجَعَ أَبُو تَزْوَانَ إِلَى عَلِيٍّ عَ فَأَخْبَرَهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ الْأَشْتَرُ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ رِبْعِيَّةَ مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَنْهَدُوا وَ قَدْ نَهَدَ النَّاسُ وَ كَانَ جِهِيرَ الصَّوْتِ وَ أَنْتُمْ أَصِيحَابُ كَذَا وَ أَصِيحَابُ كَذَا فَجَعَلَ يُعَدِّدُ أَيَّامَهُمْ فَقَالُوا لَسْنَا نَفْعَلُ حَتَّى نَنْظُرَ مَا تَصْنَعُ هَذِهِ الْخَيْلُ الَّتِي خَلْفَ ظَهْرِنَا وَ هِيَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلْيَبْعَثْ إِلَيْهِمْ مَنْ يَكْفِيهِ أَمْرَهُمْ.

وَ رَأِيَهُ رِبْعِيَّةَ يَوْمَئِذٍ مَعَ الْحُضَيْنِ (١) بِنِ الْمُنْذِرِ فَقَالَ لَهُمُ الْأَشْتَرُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكُمْ اكْفُونِيهَا إِنَّكُمْ لَوْ بَعَثْتُمْ إِلَيْهِمْ طَائِفَةً مِنْكُمْ لَتَرْكُوكُمْ فِي هَذِهِ الْفَلَاهِ وَ فَرُّوا كَالْيَعَافِيرِ (٢) فَوَجَّهَتْ حَيْثُ رِبْعِيَّةَ إِلَيْهِمْ تَبِمَ اللَّهُ وَ النَّمِرَ بْنَ قَاسِطٍ وَ عَنَزَةَ قَالُوا فَمَشَيْنَا إِلَيْهِمْ مُسْتَتَلِمِينَ مُتَّقِعِينَ فِي الْحَدِيدِ وَ كَمَا أَنَّ عَامَهُ قِتَالِ صَفِينِ مَشِيًا قَالَ فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ هَرَبُوا وَ انْتَشَرُوا انْتِشَارَ الْجَرَادِ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ وَ فَرُّوا كَالْيَعَافِيرِ ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَصِيحَابِنَا وَ قَدْ نَسِبَ الْقِتَالِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ وَ قَدْ اقْتَطَعَ أَهْلُ الشَّامِ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ بَعْضُهَا مِنْ رِبْعِيَّةَ فَأَحْبَطُوا بِهَا فَلَمْ نَصِلْ إِلَيْهَا حَتَّى حَمَلْنَا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَعَلَوْنَاهُمْ بِالْأَسْ-يَافِ حَتَّى أَنْفَرَجُوا لَنَا فَأَفْضَيْنَا إِلَى أَصِيحَابِنَا فَاسْتَفْتَدْنَاهُمْ وَ عَرَفْنَاهُمْ تَحْتَ النَّقْعِ بِسَيِّمَاهُمْ وَ عَلَامَتِهِمْ وَ كَانَتْ عَلَامَةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ بِصَفِينِ الصُّوفِ الْمَأْبُيُصِ قَدْ جَعَلُوهُ فِي رُءُوسِهِمْ وَ عَلَى

ص: ١٥

١ - (١) في الأصول: حصين، بالصاد المهملة؛ تصحيف، و هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن و عله الرقاشي، كان من كبار التابعين، و انظر المؤلف ٨٧.

٢ - (٢) اليعافير: جمع يعفور؛ و هو الطيبي.

أَكْتَفِيهِمْ وَشِعَارُهُمْ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ يَا رَحْمَانَ يَا رَحِيمَ وَكَانَتْ عَلَامَةُ أَهْلِ الشَّامِ خِرْقًا صُفْرًا قَدْ جَعَلُوهَا عَلَى رُءُوسِهِمْ وَ أَكْتَفِيهِمْ وَ شِعَارُهُمْ نَحْنُ عِبَادُ اللَّهِ حَقًّا يَا لَثَارَاتِ عُثْمَانَ قَالَ نَضِيرٌ فَاجْتَلَدُوا بِالسُّيُوفِ وَ عُمِدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَتَحَاجَرُوا حَتَّى حَجَرَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ وَ مَا يُرَى رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَ مِنْ هَؤُلَاءِ مُؤَلِّيًّا (١) .

قَالَ نَضِيرٌ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ (٢) قَالَ كَانُوا عَرَبًا يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ إِنَّهُمْ لَحَدِيثُو عَهْدٍ بِهَا فَالْتَقَوْا فِي الْإِسْلَامِ وَ فِيهِمْ بَقَايَا تِلْكَ الْحَمِيَّةِ وَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ بَصِيرَةُ الدِّينِ وَ الْإِسْلَامِ فَتَضَارَبُوا وَ اسْتَحْيَوْا مِنَ الْفِرَارِ حَتَّى كَادَتِ الْحَرْبُ تُبِيدُهُمْ وَ كَانُوا إِذَا تَحَاجَرُوا دَخَلَ هَؤُلَاءِ عَسْكَرَ هَؤُلَاءِ فَيَسْتَخْرِجُونَ قَتْلَاهُمْ فَيَدْفِنُونَهُمْ (٣) .

قَالَ نَضِيرٌ فَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ فَبَيْنَا عَلِيُّ ع وَاقِفًا بَيْنَ جَمَاعَةٍ مِنْ هَمْدَانَ وَ حَمِيرٍ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَفْنَاءِ (٤) قَحْطَانَ إِذْ نَادَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مَنْ دَلَّ عَلَيَّ أَبِي نُوحَ الْحَمِيرِيِّ فَقِيلَ لَهُ قَدْ وَجَدْتَهُ فَمَاذَا تُرِيدُ قَالَ فَحَسِرَ عَنْ لِيَامِهِ فَإِذَا هُوَ ذُو الْكَلَاعِ الْحَمِيرِيُّ وَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَ رَهْطُهُ فَقَالَ لِأَبِي نُوحٍ سِرْ مَعِيَ قَالَ إِلَى أَيْنَ قَالَ إِلَى أَنْ نَخْرُجَ عَنِ الصَّفِّ قَالَ وَ مَا شَأْنُكَ قَالَ إِنَّ لِي إِلَيْكَ لِحَاجَةً فَقَالَ أَبُو نُوحٍ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُسِيرَ إِلَيْكَ إِلَّا فِي كِتَابِهِ قَالَ ذُو الْكَلَاعِ بَلَى فَسِرْ فَلكَ ذِمَّةُ اللَّهِ وَ ذِمَّةُ رَسُولِهِ

ص: ١٦

(١ - ١) صفين ٢٧٤-٢٧٦.

(٢ - ٢) في صفين: «نصر؛ عمر، حدثنى صديق أبي عن الإفريقي بن أنعم قال».

(٣ - ٣) الخبر في صفين ٣٧٧ موصول بما بعده؛ و هناك: «فيدفونهم، فلما أصبحوا - و ذلك يوم الثلاثاء - خرج الناس إلى مصافهم، فقال أبو نوح: فكنتم في الخيل يوم صفين، في خيل علي عليه السلام، و هو واقف بين جماعه من همدان و حمير و غيرهم من أفناء قحطان...».

(٤ - ٤) أفناء الناس: أخلاطهم.

وَذِمُّهُ ذِي الْكَلَّاعِ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى خَيْلِكَ فَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَمْرِ فِيكُمْ تَمَارَيْنَا فِيهِ فَسَارَ أَبُو نُوحٍ وَ سَارَ ذُو الْكَلَّاعِ فَقَالَ لَهُ
 إِنَّمَا دَعَوْتُكَ أَحَدًا نَكَ حَدِيثًا حَدَّثَنَا عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَدِيمًا فِي خِلَافِهِ (١) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ أَذْكَرْنَا الْآنَ بِهِ فَأَعَادَهُ إِنَّهُ يَزْعُمُ
 أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ يَلْتَقِي أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ وَ فِي إِحْدَى الْكُتَيْبَتَيْنِ الْحَقُّ وَ إِمَامُ الْهُدَى وَ مَعَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَقَالَ
 أَبُو نُوحٍ نَعَمْ وَ اللَّهُ (٢) إِنَّهُ لَفِينَا قَالَ نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَجَادٌ هُوَ عَلَيَّ قِتَالِنَا (٣) قَالَ أَبُو نُوحٍ نَعَمْ وَ رَبُّ الْكَعْبَةِ لَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ قِتَالِكُمْ مِنِّي
 وَ لَوِ دِدْتُ أَنَّكُمْ خَلَقْتُمْ وَاحِدًا فَدَبَّحْتُهُ وَ بَدَأْتُ بِكُمْ قَبْلَهُمْ وَ أَنْتَ ابْنُ عَمِّي (٤) قَالَ ذُو الْكَلَّاعِ وَ يَلِكُ عَلَامَ تَمَنَّى ذَلِكَ مِنَّا فَوَ اللَّهُ مَا
 قَطَعْتُكَ فِيمَا بَيْنِي وَ بَيْنَكَ قَطُ وَ إِنَّ رَحِمَكَ لَقَرِيبَهُ وَ مَا يَسُرُّنِي أَنْ أَقْتَلَكَ قَالَ أَبُو نُوحٍ إِنَّ اللَّهَ قَطَعَ بِالْإِسْلَامِ أَرْحَامًا قَرِيبَةً وَ وَصَلَ
 بِهِ أَرْحَامًا مُتَّبَاعِيَّةً وَ إِنِّي قَاتِلُكَ وَ أَصِحَابُكَ لِأَنَا عَلَى الْحَقِّ وَ أَنْتُمْ عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ ذُو الْكَلَّاعِ فَهَلْ تَسِيَّتَطِيعُ أَنْ تَأْتِيَ مَعِيَ صَيْفٌ
 أَهْلِي الشَّامِ فَأَنَا لِمَكَ حَيَارٌ مِنْهُمْ حَتَّى تَلْقَى عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ فَتُخْبِرَهُ بِحَالِ عَمَّارٍ وَ جِدِّهِ فِي قِتَالِنَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ صِلَاحَ بَيْنَ هَيْدَيْنِ
 الْجُنْدَيْنِ

قُلْتُ وَ أَعَجَبِيَاهُ مِنْ قَوْمٍ يَعْتَرِيهِمُ الشُّكُّ فِي أَمْرِهِمْ لِمَكَانِ عَمَّارٍ وَ لَا- يَعْتَرِيهِمُ الشُّكُّ لِمَكَانِ عَلِيِّ ع وَ يَسِيَّتَطِيعُونَ عَلِيَّ أَنْ الْحَقُّ مَعَ
 أَهْلِ الْعِرَاقِ بِكَوْنِ عَمَّارٍ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَ لَا يَعْبُثُونَ بِمَكَانِ عَلِيِّ ع وَ يَحْدَرُونَ مِنْ

١٧٠٣

قَوْلِ النَّبِيِّ ص تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاطِنِيَّةُ.

وَ يَزْتَاغُونَ لِذَلِكَ وَ لَا يَزْتَاغُونَ

١٧٠٤

لِقَوْلِهِ ص فِي عَلِيِّ ع اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ.

وَ لَا

١٧٠٥

لِقَوْلِهِ لَا يُجِبُكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ

ص: ١٧

(١-١) صفين: «إماره».

(٢-٢) صفين: «لعمركم الله».

(٣-٣) صفين: «في قتالنا».

٤-٤) كذا في د، وفي ب: «أنت و ابن عمي».

و هذا يدللك على أن عليا ع اجتهدت قريش كلها من مبدإ الأمر فى إخمال ذكره و ستر فضائله و تغطيه خصائصه حتى محى فضله و مرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلا منهم.

١٧٠٦

١٤١- قَالَ نَضِيرٌ فَقَالَ لَهُ أَبُو نُوحٍ إِنَّكَ رَجُلٌ غَادِرٌ وَأَنْتَ فِي قَوْمٍ غُدِرٍ وَإِنْ لَمْ يُرِدِ الْعُدْرَ أَعْدُرُوكَ وَإِنِّي أَنْ أَمُوتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْخَلَ مَعَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ ذُو الْكَلَّاعِ أَنَا جَارٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَلَّا تُقْتَلَ وَلَا تُسَلَبَ وَلَا تُكْرَهَ عَلَيَّ بِعِيهِ وَلَا تُحْبَسَ عَنْ جُنْدِكَ وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ تُبَلِّغُهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُضِيحَ بِذَلِكَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْجُنْدَيْنِ وَيَضَعَ عَنْهُمُ الْحَرْبَ فَقَالَ أَبُو نُوحٍ إِنِّي أَخَافُ غَدْرَاتِكَ وَغَدْرَاتِ أَصْحَابِكَ قَالَ ذُو الْكَلَّاعِ أَنَا لَكَ بِمَا قُلْتَ زَعِيمٌ قَالَ أَبُو نُوحٍ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى مَا أَعْطَانِي ذُو الْكَلَّاعِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي فَأَعْصِمْنِي وَاخْتَرِ لِي وَانصُرْنِي وَادْفَعْ عَنِّي ثُمَّ سَارَ مَعَ ذِي الْكَلَّاعِ حَتَّى أَتَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ وَحَوْلَهُ النَّاسُ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الْحَرْبِ فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى الْقَوْمِ قَالَ ذُو الْكَلَّاعِ لِعَمْرُو يَا أَبَا عَبِيدِ اللَّهُ هَلْ لَكَ فِي رَجُلٍ نَاصِحٍ لَيْسَ مُشْفِقٍ يُخْبِرُكَ عَنْ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ فَلَا- يُكَذِّبُكَ قَالَا وَمَنْ هُوَ قَالَ هُوَ ابْنُ عَمِّي هَذَا وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَالَ عَمْرُو أَرَى عَلَيْكَ سَيِّمًا أَبِي تُرَابٍ فَقَالَ أَبُو نُوحٍ عَلَيَّ سَيِّمًا مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَعَلَيْكَ سَيِّمًا أَبِي جَهْلٍ وَسَيِّمًا فِرْعَوْنَ فَقَامَ أَبُو الْأَعْوَرِ فَسَلَّ سَيْفَهُ وَقَالَ لَا أَرَى هَذَا الْكُذَّابَ اللَّئِيمَ يَسُبُّنَا بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَعَلَيْهِ سَيِّمًا أَبِي تُرَابٍ فَقَالَ ذُو الْكَلَّاعِ أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ بَسَّطْتَ يَدَكَ إِلَيْهِ لَأَخْطِمَنَّ أَنْفَكَ بِالسَّيْفِ ابْنُ عَمِّي وَجَارِي عَقَدْتُ لَهُ ذِمَّتِي وَجِئْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ لِيُخْبِرَكُمْ عَمَّا تَمَارَيْتُمْ فِيهِ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَا أَبَا نُوحٍ أَذْكَرُكَ بِاللَّهِ إِلَّا مَا صَدَقْتَنَا وَ لَمْ تَكْذِبْنَا أَيْكُمْ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ قَالَ أَبُو نُوحٍ مَا أَنَا بِمُخْبِرِكَ حَتَّى تُخْبِرَ لِمَ تَسْأَلُ عَنْهُ وَمَعَنَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صِ عِدَّةٌ غَيْرُهُ وَكُلُّهُمْ جَادٌّ عَلَى قِتَالِكُمْ فَقَالَ عَمْرُو سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِنَّ

ص: ١٨

عَمَّاراً تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ وَإِنَّهُ لَيْسَ لِعَمَّارٍ أَنْ يُفَارِقَ الْحَقَّ وَلَنْ تَأْكَلَ النَّارُ مِنْ عَمَّارٍ شَيْئاً فَقَالَ أَبُو نُوحٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ إِلَهُ لَفِينَا حَرَّادٌ عَلَى قِتَالِكُمْ فَقَالَ عَمْرُو اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهُ لَحَرَّادٌ عَلَى قِتَالِنَا قَالَ نَعَمْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ لَقَدْ حَدَّثَنِي يَوْمَ الْجَمَلِ أَنَا سَيَظْهَرُ عَلَى أَهْلِ الْبُضَيْرَةِ وَ لَقَدْ قَالَ لِي أُمِّسِ إِيَّاكُمْ لَوْ ضَرَبْتُمُونَا حَتَّى تَبْلُغُوا بِنَا سَعَفَاتِ (١) هَجَرَ لَعَلَّمْنَا أَنَا عَلَى الْحَقِّ وَ أَنْكُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَ لَكَانَتْ قِتَالِنَا فِي الْجَنَّةِ وَ قِتَالِكُمْ فِي النَّارِ قَالَ عَمْرُو فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ قَالَ نَعَمْ فَرَكِبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَ ابْنَاهُ وَ عَثْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَ ذُو الْكَلَّاعِ وَ أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ وَ حَوْشَبُ وَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَ انْطَلَقُوا وَ سَارَ أَبُو نُوحٍ وَ مَعَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ ذِي الْكَلَّاعِ يَحْمِيهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَصْحَابِهِ فَذَهَبَ أَبُو نُوحٍ إِلَى عَمَّارٍ فَوَجَدَهُ قَاعِداً مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ مِنْهُمْ الْأَشْتَرُ وَ هَاشِمٌ وَ ابْنَا بَدَيْلٍ وَ خَالِدُ بْنُ مَعْمَرٍ وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَجَلٍ وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ .فَقَالَ لَهُمْ (٢) أَبُو نُوحٍ إِنَّهُ دَعَانِي ذُو الْكَلَّاعِ وَ هُوَ ذُو رَحِمٍ فَقَالَ أَخْبِرْنِي عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَمْ فِيكُمْ هُوَ فَقُلْتُ لِمَ تَسْأَلُ فَقَالَ أَخْبِرْنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي إِمْرِهِ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يَلْتَقِي أَهْلُ الشَّامِ وَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَ عَمَّارٌ مَعَ أَهْلِ الْحَقِّ وَ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَقُلْتُ نَعَمْ إِنَّ عَمَّاراً فِينَا فَسَأَلَنِي أَجَادُ هُوَ عَلَى قِتَالِنَا فَقُلْتُ نَعَمْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَجْدُ مِنِّي فِي ذَلِكَ وَ لَوِ دِدْتُ أَنْكُمْ خَلَقُ وَاحِداً فَذَبَحْتُهُ وَ بَدَأْتُ بِكَ يَا ذَا الْكَلَّاعِ فَضَحِكَ عَمَّارٌ وَ قَالَ أَيْسُرُكَ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ ثُمَّ قَالَ أَبُو نُوحٍ أَخْبِرْنِي السَّاعَةَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ تَقْتُلُ عَمَّاراً الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ قَالَ عَمَّارٌ أَ قَرَّرْتَهُ بِذَلِكَ قَالَ نَعَمْ لَقَدْ قَرَّرْتَهُ بِذَلِكَ فَأَقَرَّ

ص: ١٩

- ١-١) الحديث في النهاية ١٦٢:٢؛ قال في شرحه: «السعفات: جمع سعفه، بالتحريك؛ و هي أغصان النخيل؛ و قيل: إذا يبست سميت سعفه؛ و إذا كانت رطبه؛ فهي شطبه؛ و إنما حض هجر للمباعده في المسافه؛ و لأنها موصوفه بكثرة النخيل».
- ٢-٢) صفين: «و قال أبو نوح».

فَقَالَ عَمَّارٌ صِدْقٌ وَ لَيْضُ رَنَّهُ مَا سَمِعَ وَ لَا يَنْفَعُهُ قَالَ أَبُو نُوحٍ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَلْقَاكَ فَقَالَ عَمَّارٌ لِأَصْحَابِهِ ازْكَبُوا فَرَكَبُوا وَ سَارُوا قَالَ فَبَعَثْنَا إِلَيْهِمْ فَارِسًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ يُسَمَّى عَوْفَ بْنَ بَشِيرٍ فَذَهَبَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ نَادَى أَيْنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَالُوا هَاهُنَا فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ عَمَّارٍ وَ خَيْلِهِ قَالَ عَمْرُو قُلْ لَهُ فَلْيَسِرْ إِلَيْنَا قَالَ عَوْفٌ إِنَّهُ يَخَافُ عَمْدَرَاتِكَ وَ فَجَرَاتِكَ قَالَ عَمْرُو مَا أَجْرَأَكَ عَلَيَّ وَ أَنْتَ عَلَى هَيْذِهِ الْحِيَالِ قَالَ عَوْفٌ جَزَأَنِي عَلَيْكَ بَصِيرِي فِيكَ وَ فِي أَصْحَابِكَ وَ إِنْ شِئْتَ نَأْيِدُتَكَ الْآنَ عَلَى سَوَاءٍ وَ إِنْ شِئْتَ التَّقَيْتَ أَنْتَ وَ خُصْمَاؤُكَ وَ أَنْتَ كُنْتَ غَادِرًا (١) فَقَالَ عَمْرُو إِنَّكَ لَسَفِيهٌ وَ إِنِّي بَاعَثُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي يُوَافِقُكَ (٢) قَالَ ابْعَثْ مَنْ شِئْتَ فَلَسْتُ بِالْمُسْتَوْحِشِ وَ إِنَّكَ لَا تَبْعَثُ إِلَّا شَقِيًّا فَرَجَعَ عَمْرُو وَ أَنْفَذَ إِلَيْهِ أَبَا الْأَعْوَرِ فَلَمَّا تَوَافَقَا تَعَارَفَا فَقَالَ عَوْفٌ إِنِّي لَمَأْرُفُ الْجَسِيدِ وَ أَنْكِرُ الْقَلْبَ وَ إِنِّي لَا أَرَاكَ مُؤْمِنًا وَ لَا أَرَاكَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَالَ أَبُو الْأَعْوَرِ يَا هَذَا لَقَدْ أُعْطِيتَ لِسَانًا يُكَبِّكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى وَجْهِكَ فِي النَّارِ قَالَ عَوْفٌ كَلَّا وَ اللَّهُ إِنِّي لَأَتَكَلَّمُ بِالْحَقِّ وَ تَتَكَلَّمُ بِالْبَاطِلِ وَ إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى وَ أَقَاتِلُكَ عَلَى الضَّلَالِ (٣) وَ أَفْرُ مِنَ النَّارِ وَ أَنْتَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ ضَالٌّ تَنْطِقُ بِالْكَذِبِ وَ تُقَاتِلُ عَلَى ضَلَالَةٍ وَ تَشْتَرِي الْعِقَابَ بِالْمَغْفِرَةِ وَ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى انْظُرْ (٤) إِلَى وُجُوهِنَا وَ وُجُوهِكُمْ وَ سَيْمَانَا وَ سَيْمَانَكُمْ وَ اسْمَعْ دَعْوَتَنَا وَ دَعْوَتَكُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا إِلَّا وَ هُوَ أَوْلَى بِالْحَقِّ وَ بِمُحَمَّدٍ وَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ فَقَالَ أَبُو الْأَعْوَرِ لَقَدْ أَكْثَرْتَ الْكَلَامَ وَ ذَهَبَ النَّهَارُ وَ يَحْكُ اذْغُ أَصْحَابَكَ وَ اذْغُو أَصْحَابِي وَ لِيَأْتِ أَصْحَابُكَ فِي قَلْبِهِ إِنْ شَاءُوا أَوْ كَثَرَهُ فَإِنِّي أَجِيءُ مِنْ أَصْحَابِي بَعْدَتِهِمْ (٥) فَإِنْ شَاءَ أَصْحَابُكَ فَلْيَقْلُوا

ص: ٢٠

١-١) تكمله من كتاب صفين.

٢-٢) كذا في د، و في ب: «يوافقك».

٣-٣) صفين: «و أقاتل أهل الضلال».

٤-٤) صفين: «انظروا... و اسمعوا...».

٥-٥) صفين: «بعددهم». و في ب: «بعده».

وَإِنْ شَاءُوا فَلْيُكْفَرُوا (١) فَسَارَ (٢) عَمَّارٌ فِي اثْنِي عَشَرَ فَارِسًا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْمَنْصَفِ سَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي اثْنِي عَشَرَ فَارِسًا حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ الْخَيْلِ (٣) خَيْلِ عَمَّارٍ وَخَيْلِ عَمْرٍو وَنَزَلَ الْقَوْمُ وَاحْتَبُوا بِحَمَائِلِ سُيُوفِهِمْ فَشَهِدَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ اسْيُكْتُ فَلَقَدْ تَرَكْتَهَا وَ أَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ فَإِنْ شِئْتُمْ كَانَتْ خُصُومَهُ فَيُدْفَعُ حَقُّنَا بِاطْلَاقِكُمْ وَ إِنِ شِئْتُمْ كَانَتْ خُطْبَهُ فَنُحْنُ أَعْلَمُ بِفَضْلِ الْخِطَابِ مِنْكَ وَ إِنِ شِئْتُمْ أَخْبِرْتُكَ بِكَلِمَةٍ تَفْصِلُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ وَ تُكْفِرُكَ قَبْلَ الْقِيَامِ وَ تَشْهَدُ بِهَا عَلَيَّ نَفْسِكَ وَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُكَذِّبَنِي فِيهَا فَقَالَ عَمْرُو يَا أَبَا الْيَقْظَانَ لَيْسَ لِهَذَا جُنْتُ إِنَّمَا جُنْتُ لِأَنِّي رَأَيْتُكَ أَطْوَعَ أَهْلَ هَذَا الْعَسِيكِ فِيهِمْ أَذْكَرُكَ اللَّهُ إِلَّا كَفَفْتَ سِلَاحَهُمْ وَ حَقَنْتَ دِمَاءَهُمْ وَ حَرَضْتَ (٤) عَلَيَّ ذَلِكَ فَعَلَامَ تُفَاتِلُونَنَا أَوْ لَسَيْنَا نَعْبُدُ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نُصَلِّيُ إِلَى قِبَلَتِكُمْ وَ نَدْعُو دَعْوَتَكُمْ وَ نَقْرَأُ كِتَابَكُمْ وَ نُؤْمِنُ بِنَبِيِّكُمْ فَقَالَ عَمَّارُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَهَا مِنْ فَيْكِكَ أَنَّهُ لِي وَ لِأَصِيحَابِي الْقِبْلَةَ وَ الدِّينَ وَ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ وَ النَّبِيِّ وَ الْكِتَابِ مِنْ دُونِكَ وَ دُونَ أَصِيحَابِكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَرَزَكَ لَنَا بِهَذَا وَ جَعَلَكَ ضَالًّا مُضِيًّا لَأَعْمَى وَ سَأُخْبِرُكَ عَلَيَّ مَا أَقَاتِلُكَ عَلَيْهِ وَ أَصِيحَابِكَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَ أَمَرَنِي أَنْ أَقَاتِلَ النَّاكِثِينَ فَقَدْ فَعَلْتُ وَ أَمَرَنِي أَنْ أَقَاتِلَ الْقَاسِيَةَ طِينَ وَ أَنْتُمْ هُمْ وَ أَمَا أَلِمَ إِرْقُونَ فَلَا أَدْرِي أَذْرِكُهُمْ أَوْ لَا أَيُّهَا الْأَبْتَرُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ قَالَ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ فَأَنَا مَوْلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ عَلِيٌّ مَوْلَايَ بَعْدَهُمَا قَالَ عَمْرُو لِمَ تَشْتَمِينِي يَا أَبَا الْيَقْظَانَ وَ لَسْتُ أَشْتَمُكَ قَالَ عَمَّارٌ وَ بِمِ تَشْتَمِينِي أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ إِنِّي عَصَيْتُ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَوْمًا قَطُّ قَالَ عَمْرُو إِنَّ فَيْكِكَ لَمَسَابِ (٥) سِوَى ذَلِكَ قَالَ عَمَّارٌ إِنَّ الْكِرِيمَ مِنْ أَكْرَمِهِ

ص: ٢١

(١-١) تكمله من كتاب صفين.

٢-٢-٢) صفين: «فسار أبو الأعور في مائه فارس حتى إذا كان حيث كنا بالمره الأولى وقفوا و سار في عشرة بعمر، و سار عمار في اثني عشر فارسا حتى اختلفت أعناق الخيل...».

٢-٢-٣) صفين: «فسار أبو الأعور في مائه فارس حتى إذا كان حيث كنا بالمره الأولى وقفوا و سار في عشرة بعمر، و سار عمار في اثني عشر فارسا حتى اختلفت أعناق الخيل...».

٤-٤) صفين: «لمسابات».

-٥

اللَّهُ كُنْتُ وَضِيْعًا فَرَفَعَنِي اللَّهُ وَ مَمْلُوكًا فَأَعْتَقَنِي اللَّهُ وَ ضَعِيفًا فَقَوَّانِي اللَّهُ وَ فَقِيرًا فَأَعْنَانِي اللَّهُ قَالَ عَمْرُو فَمَا تَرَى فِي قَتْلِ عَثْمَانَ قَالَ فَتَرِيحَ لَكُمْ يَابَ كُلِّ سُوءٍ قَالَ عَمْرُو فَعَلَيْ قَتْلَهُ قَالَ عَمَّارُ بَلِ اللَّهُ رَبُّ عَلِيٍّ قَتَلَهُ وَ عَلِيٌّ مَعَهُ قَالَ عَمْرُو فَكُنْتَ (١) فِيمَنْ قَتَلَهُ قَالَ كُنْتُ مَعَ مَنْ قَتَلَهُ وَ أَنَا الْيَوْمَ أُقَاتِلُ مَعَهُمْ قَالَ عَمْرُو فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُ قَالَ عَمَّارُ إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَيِّرَ دِينَنَا فَقَتَلْنَاهُ فَقَالَ عَمْرُو أَلَا تَسْمَعُونَ قَدْ اعْتَرَفَ بِقَتْلِ إِمَامِكُمْ فَقَالَ عَمَّارُ قَدْ قَالَهَا فِرْعَوْنُ قَبْلَكَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَسْمَعُونَ (٢) فَقَامَ أَهْلُ الشَّامِ وَ لَهُمْ زَجَلٌ فَرَكِبُوا خِيُولَهُمْ وَ رَجَعُوا وَ قَامَ عَمَّارُ وَ أَصْحَابُهُ فَرَكِبُوا خِيُولَهُمْ وَ رَجَعُوا وَ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ فَقَالَ هَلَكْتَ الْعَرَبُ أَنْ حَرَّكَتَهُمْ خِفَةُ الْعَبْدِ الْأَسْوَدِ يَعْنِي عَمَّارًا (٣) . قَالَ نَضِيرٌ فَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ قَالَ فَخَرَجَتْ (٤) الْخِيُولُ إِلَى الْقِتَالِ وَ اضِيْطَفَتْ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَ تَرَاخَفَ النَّاسُ وَ عَلَى عَمَّارٍ دِرْعٌ بِيضَاءُ وَ هُوَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ الرَّوَاحِ إِلَى الْجَنَّةِ .

فَقَاتَلَ الْقَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا لَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ بِمِثْلِهِ وَ كَثُرَتِ الْقَتْلَى حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَشُدُّ طَنْبَ فُسِيْطَاطِهِ بِيَدِ الرَّجُلِ أَوْ بِرِجْلِهِ وَ حَكَى الْأَشْعَثُ بَعِيدٌ ذَلِكَ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ أَحَبِّيهِ صَفِيْنٍ وَ أَرْوَقْتَهَا وَ مَا فِيهَا خِبَاءٌ وَ لَا رِوَاقٌ وَ لَا فُسِيْطَاطٌ إِلَّا مَرْبُوطًا بِيَدِ إِنْسَانٍ أَوْ بِرِجْلِهِ .

فَقَالَ نَضِيرٌ وَ جَعَلَ أَبُو السَّمَاكِ الْأَسَدِيُّ يَأْخُذُ إِدَاوَهُ مِنْ مَاءٍ وَ شُفْرَهُ حَدِيدَهُ فَيَطُوفُ فِي الْقَتْلَى فَإِذَا رَأَى رَجُلًا جَرِيحًا وَ بِهِ رَمَقٌ أَفْعَدَهُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا قَالَ

ص: ٢٢

١-١ (١) صفين: «أ كنت».

٢-٢ (٢) من الآية ٢٥ في سورة الشعراء.

٣-٣ (٣) صفين ٣٧٧-٣٨٤.

٤-٤ (٤) صفين: «و خرج للقتال» أي عمار.

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْفُفُ بْنُ قَيْسٍ وَ اللَّهُ إِنِّي إِلَى جَانِبِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الشَّعِيرَاءِ (٢) .

فَتَمَدَّمْنَا حَتَّى دَنَوْنَا مِنْ هَاشِمِ بْنِ عُبْتَةَ فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ احْمِلْ فِدَاكَ أَبِي وَ أُمِّي فَقَالَ لَهُ هَاشِمٌ يَزْحُمُكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْيَقْظَانِ إِنَّكَ رَجُلٌ تَأْخُذُكَ خِيفَةٌ فِي الْحَرْبِ وَ إِنِّي إِنَّمَا أَزْحَفُ بِاللُّوَاءِ زَحْفًا أَرْجُو أَنْ أَنَالَ بِذَلِكَ حَاجَتِي وَ إِن خَفَفْتُ لَمْ آمِنْ الْهَلَكَةَ وَ قَدْ كَانَ قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرُو وَ يَحِيكَ إِنَّ اللُّوَاءَ الْيَوْمَ مَعَ هَاشِمِ بْنِ عُبْتَةَ وَ قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ يُرْقَلُ بِهِ إِذْ قَالُوا- وَ إِن زَحَفَ بِهِ الْيَوْمَ زَحْفًا إِنَّهُ لَلْيَوْمَ الْأَطْوَلُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَإِنْ زَحَفَ فِي عُنُقِ (٣) مِنْ أَصْحَابِهِ إِنِّي لَمَاطَمِعٌ أَنْ تَقْتَطِعَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ عَمَّارٌ حَتَّى حَمَلَ فَبَصُرَ بِهِ مُعَاوِيَةُ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ حُمَاهُ أَصْحَابِهِ وَ مَنْ يَزُنُّ (٤) بِالْبِئَاسِ وَ النَّجْدَةِ مِنْهُمْ فِي نَاحِيهِ وَ كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَمْعِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ سَيْفَانٌ قَدْ تَقَلَّدَ بِأَحَدِهِمَا وَ هُوَ يَضْرِبُ بِالْآخَرِ فَاطَافَتْ بِهِ خَيُْولُ عَلِيٍّ ع وَ جَعَلَ عَمْرُو يَقُولُ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَانَ ابْنِي ابْنِي فَيَقُولُ مُعَاوِيَةُ أَصْبِرْ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ فَقَالَ عَمْرُو لَوْ كَانَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَصْبَرْتُ (٥) فَلَمْ يَزَلْ حُمَاهُ أَهْلُ الشَّامِ تَذُبُّ عَنْ (٦) عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى نَجَا هَارِبًا عَلَى فَرَسِهِ (٧) وَ مَنْ مَعَهُ وَ أُصِيبَ هَاشِمٌ فِي الْمَعْرَكَةِ (٨) .

ص: ٢٣

١-١ (١) صفين ٣٨٥.

٢-٢ (٢) من صفين.

٣-٣ (٣) عنق، أي جماعه.

٤-٤ (٤) يزن، أي يتهم.

٥-٥ (٥) صفين: «إذا لصبرت».

٦-٦ (٦) صفين: «يذبون عنه».

٧-٧ (٧) صفين ٣٨٥، ٣٨٦.

٨-٨ (٨) من صفين.

قَالَ نَصِيرٌ وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ وَفِي هَذَا الْيَوْمِ قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُصِيبَ فِي الْمَعْرَكَةِ وَ قَدْ كَانَ قَالَ حِينَ نَظَرَ إِلَى رَأْيِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَرَأْيُهُ قَدْ قَاتَلْتَهَا ثَلَاثَ عَرَكَاتٍ وَ مَا هَيْدُهُ بِأَرْشِدِهِنَّ ثُمَّ قَالَ نَحْنُ ضَرْبَانُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ ثُمَّ اسْتَسْقَى وَ قَدْ اشْتَدَّ عَطَشُهُ فَاتَّهَتْهُ امْرَأَةٌ طَوِيلُهُ الْيَدَيْنِ مَا أَذْرَى أَعْسُ مَعَهَا أَمْ إِذَا وَهَتْ فِيهَا ضَيْاحٌ (١) مِنْ لَبَنِ فَقَالَ حِينَ شَرِبَ الْجَنَّةَ تَحْتَ الْأَسِنَّةِ الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَحِبَّةَ مُحَمَّداً وَ حِزْبَهُ وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يُبْلِغُونَا سَعَفَاتِ هَجَرَ لَعَلِمْنَا أَنَا عَلَى الْحَقِّ وَ أَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ثُمَّ حَمَلٌ عَلَيْهِ ابْنُ حَوَى السَّكْسَكِيُّ (٢) وَ أَبُو الْعِيَادِيهِ فَأَمَّا أَبُو الْعِيَادِيهِ فَطَعَنَهُ وَ أَمَّا ابْنُ حَوَى فَسَاحَتَرَ رَأْسَهُ وَ قَدْ كَانَ ذُو الْكَلَّاعِ يَسْمَعُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَقُولُ إِنَّ النَّبِيَّ ص يَقُولُ لِعَمَّارٍ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ وَ آخِرُ شَرْبِكَ ضَيْاحٌ مِنْ لَبَنِ فَقَالَ ذُو الْكَلَّاعِ لِعَمْرُو وَيَحْكُ مَا هَذَا قَالَ عَمْرُو إِنَّهُ سَيَرْجِعُ إِلَيْنَا وَ يُفَارِقُ أَبَا تَرَابٍ وَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ عَمَّارٌ فَلَمَّا أُصِيبَ عَمَّارٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ أُصِيبَ ذُو الْكَلَّاعِ فَقَالَ عَمْرُو لِمَعَاوِيَةَ وَاللَّهِ مَا أَذْرَى بِقَتْلِ أَيُّهُمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحاً وَاللَّهِ لَوْ بَقِيَ ذُو الْكَلَّاعِ حَتَّى يُقْتَلَ عَمَّارٌ لَمَالَ بِعَامِهِ قَوْمِهِ إِلَى عَلِيٍّ وَ لَأَفْسَدَ عَلَيْنَا أَمْرَنَا (٣) .

قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ كَانَ لَا يَزَالُ رَجُلٌ يَجِيءُ فَيَقُولُ لِمَعَاوِيَةَ وَ عَمْرُو أَنَا قَتَلْتُ عَمَّاراً فَيَقُولُ لَهُ عَمْرُو فَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ فَيَخْلُطُ حَتَّى أَقْبَلَ ابْنَ حَوَى (٤)

ص: ٢٤

١- ١) الضياع بالفتح: اللبن الرقيق الكثير الماء.

٢- ٢) صفين: «ابن جونا السكوني»، و في مروج الذهب ٢: ٢١: «أبو حواء السكسكي».

٣- ٣) صفين: «جندنا» ٣٨٧، ٣٨٦.

٤- ٤) صفين: «ابن جونا».

فَقَالَ أَنَا قَتَلْتُهُ فَقَالَ عَمْرُو فَمَا كَانَ آخِرُ مَنْطِقِهِ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَجِبَةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ فَقَالَ صَدَقْتَ أَنْتَ صَاحِبُهُ أَمَا وَاللَّهِ مَا ظَفَرْتُ يَدَاكَ وَ لَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبِّيكَ (١)

١٧٠٨

قَالَ نَصِيرُ بْنُ حَيْدَثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ السُّدِّيُّ عَنْ عَبْدِ خَيْرِ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ نَظَرْتُ إِلَى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ صِفِّينَ قَدْ رُمِيَ رُمِيَهُ فَمَا غَمِي عَلَيْهِ فَلَمْ يُصِلْ الظُّهْرَ وَلَا الْعَصِيرَ وَلَا الْمَغْرِبَ وَلَا الْعِشَاءَ وَلَا الْفَجْرَ ثُمَّ أَفَاقَ فَفَضَّاهُنَّ جَمِيعًا يَبْدَأُ بِأَوَّلِ شَيْءٍ فَاتَهُ ثُمَّ بِالَّتِي تَلِيهَا (٢).

١٧٠٩

١٤- قَالَ نَصِيرُ بْنُ حَيْدَثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ عَنِ السُّدِّيِّ عَنْ أَبِي حُرَيْثٍ قَالَ أَقْبَلَ غُلَامٌ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ اسْمُهُ رَاشِدٌ يَحْمِلُ إِلَيْهِ يَوْمَ قُتِلَ بِشَرِيهِ مِنْ لَبْنٍ فَقَالَ عَمَّارٌ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ خَلِيلِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ آخِرَ زَادِكَ مِنَ الدُّنْيَا شَرِبُهُ لَبْنٌ

(٣)

١٧١٠

١٤- قَالَ نَصِيرُ بْنُ حَيْدَثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ عَنِ السُّدِّيِّ أَنَّ رَجُلَيْنِ بَصَّفَيْنِ اخْتَصِمَا فِي سَلْبِ عَمَّارٍ وَ فِي قَتْلِهِ فَأَتِيَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرُو بْنِ الْعِاصِ فَقَالَ وَيْحَكُمَا اخْرُجَا عَنِّي فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا لِقَرِيشٍ (٤) وَ لِعَمَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ قَاتِلُهُ وَ سَائِبُهُ فِي النَّارِ .

ص: ٢٥

١-١) صفين: ٣٨٨، ٣٨٧.

٢-٢) صفين: ٣٨٨.

٣-٣) صفين: ٣٨٨.

٤-٤) العبارة في صفين: «ولعت قريش بعمار، ما لهم و لعمار..».

قَالَ السُّدِّيُّ فَبَلَغَنِي أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ إِنَّمَا قَتَلَهُ مَنْ أَخْرَجَهُ يَخْدَعُ بِذَلِكَ طَغَامَ أَهْلِ الشَّامِ

(١)

١٧١١

١٤- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قَالَ أَتَى حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رَهْطٌ مِنْ جُهَيْنَةَ فَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص اسْتَجَارَ مِنْ أَنْ تُصْطَلَمَ أُمَّتُهُ (٢) فَأَجِيرَ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَجَارَ مِنْ أَنْ يُدَيْقَ (٣) أُمَّتَهُ بَعْضُهَا بِأَسْ بَعْضٍ فَمَنْعَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِنَّ ابْنَ سُمَيَّةَ لَمْ يُخَيَّرْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَشَدَّهُمَا يَعْنِي عَمَّارًا فَالزُّمُوا سَمْتَهُ

(٤)

١٧١٢

١٤,١- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ قَالَ حَمَلَ عَمَّارٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى صَفِّ أَهْلِ الشَّامِ وَهُوَ يَزْتَجِرُ كَلًّا وَرَبَّ الْبَيْتِ لَا أَبْرُحُ أَجِي

قَالَ فَضْرَبَ أَهْلَ الشَّامِ حَتَّى اضْطَرَّ هُمْ إِلَى الْفِرَارِ (٥).

ص: ٢٦

١-١) صفين ٣٨٨، ٣٨٩.

٢-٢) تصطلم: تستأصل.

٣-٣) صفين: «و استجار من أن يذوق بعضها بأس بعض».

٤-٤) صفين ٣٨٩.

٥-٥) صفين: «أنا مع الحق أحامى عن علي».

قَالَ نَضِيرٌ وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُوَيْدٍ الْحَمِيرِيُّ مِنْ آلِ ذِي الْكَلَاعِ قَالَ لِيذِي الْكَلَاعِ مَا حَدِيثٌ سَمِعْتَهُ مِنْ ابْنِ الْعَاصِ فِي عَمَّارٍ فَأَخْبَرَهُ فَلَمَّا قُتِلَ عَمَّارٌ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ لَيْلًا يَمْشِي فَأَصْبَحَ فِي عَسْكَرِ عَلِيٍّ عَ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِنَ عَبَادِ اللَّهِ زَمَانَهُ وَكَادَ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ يَضْطَرُّوا لَوْلَا- أَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُمْ إِنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عَمَّارًا لِأَنَّهُ أَخْرَجَهُ إِلَى الْفِتْنَةِ ثُمَّ أَرْسَلَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرٍو لَقَدْ أَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ أَكْبَلُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص تَقُولُهُ فَقَالَ عَمْرٍو قُلْتُمَا وَ لَسْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَذْرِي أَنْ صَفَّيْنِ تَكُونُ قُلَّتَهَا وَ عَمَّارٌ يَوْمَئِذٍ لَكَ وَلِيٌّ وَقَدْ رَوَيْتَ أَنْتَ فِيهِ مِثْلَ مَا رَوَيْتَ فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ وَ تَنَمَّرَ لِعَمْرٍو وَ عَزَمَ عَلَى مَنْعِهِ خَيْرُهُ فَقَالَ عَمْرٍو لِإِنَّهُ وَ أَصْحَابِهِ لَا خَيْرَ فِي جِوَارِ مُعَاوِيَةَ إِنْ تَجَلَّتْ هَذِهِ الْحَزْبُ عَنْهُ لِأَفَارِقَنَّهُ وَ كَانَ عَمْرٍو حَمِيَّ الْأَنْفِ قَالَ (١) تُعَاتِبُنِي أَنْ قُلْتُ شَيْئًا سَمِعْتَهُ

ص: ٢٧

(١-١) صفين: فقال في ذلك».

وَ أَتْرُكُ لَكَ الشَّامَ الَّتِي ضَاقَ رُحْبُهَا

عَلَيْكَ وَ لَمْ يَهْنِكْ بِهَا الْعَيْشُ مِنْ أَجْلِ

فَأَجَابَهُ مُعَاوِيَةُ أَلَا لَنْ لَمَّا أَلْقَتِ الْحَرْبُ بِرُكْحَهَا

قَالَ فَلَمَّا أَتَى عَمْرًا شِعْرُ مُعَاوِيَةَ أَتَاهُ فَأَعْتَبَهُ (١) وَ صَارَ أَمْرُهُمَا وَاحِدًا.

قَالَ نَصِيرٌ ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا عَدَا فِي هَذَا الْيَوْمِ هَاشِمَ بْنَ عُبَيْدِ بْنِ مَعْتَبَةَ وَ مَعَهُ لِرِوَاؤُهُ وَ كَانَ أَعْوَرَ (٢) فَقَالَ لَهُ يَا هَاشِمُ (٣) حَتَّى مَتَى فَقَالَ هَاشِمٌ
لَأَجْهَدَنَّ أَلَّا أَرْجِعَ إِلَيْكَ أَبَدًا فَقَالَ عَلِيٌّ عَ إِنَّ يَارِثَكَ ذَا الْكَلَاعِ وَ عِنْدَهُ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ فَتَقَدَّمَ هَاشِمٌ

ص: ٢٨

١-١ (١) صفين: «فغانيتي».

٢-٢ (٢) أعتبه: أرضاه.

٣-٣ (٣) من صفين.

فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَنْ هَذَا الْمُقْبِلُ فَقِيلَ هَاشِمٌ الْمَرْقَالُ فَقَالَ أَعُورُ بِنَى زُهْرَةَ قَاتَلَهُ اللَّهُ فَأَقْبَلَ هَاشِمٌ وَهُوَ يَقُولُ أَعُورُ يَبْغِي نَفْسَهُ
خَلَاصًا فَحَمَلَ صَاحِبُ لُؤَاءِ ذِي الْكَلَاعِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ عُذْرَةَ فَقَالَ يَا أَعُورَ الْعَيْنِ وَمَا بِي مِنْ عَوْرٍ فَاخْتَلَفَا طَعْنَتَيْنِ فَطَعَنَهُ هَاشِمٌ
فَقَتَلَهُ وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى حَوْلَ هَاشِمٍ وَحَمَلَ ذُو الْكَلَاعِ وَاخْتَلَطَ النَّاسُ وَاجْتَلَدُوا فَقَتِلَ هَاشِمٌ وَذُو الْكَلَاعِ جَمِيعًا وَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
هَاشِمٍ اللَّوَاءَ وَارْتَجَزَ فَقَالَ يَا هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ بْنَ مَالِكٍ

١٧١٣

١- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ بْنُ عُتْبَةَ رَأْيَهُ أَبِيهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَاشِمًا كَانَ
عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِي قَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ

ص: ٢٩

وَكَتَبَ آثَارَهُمْ وَأَخْصَى أَعْمَالَهُمْ وَقَضَى آجَالَهُمْ فَدَعَاَهُ اللَّهُ رَبُّهُ فَاسْتَجَابَ لِأَمْرِهِ (١) وَ سَلَّمَ لِأَمْرِهِ وَ جَاهِدَ فِي طَاعَةِ ابْنِ عَمِّ رَسُولِهِ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ أَفْقَهُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ الشَّدِيدُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمُسِيءِ تَحْلِينَ حَرَّمَ اللَّهُ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي الْبِلَادِ بِالْجَوْرِ وَ الْفَسَادِ وَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الْإِثْمَ وَ الْعُدْوَانَ فَحَقَّ عَلَيْكُمْ جِهَادٌ مِنْ خَالَفَ اللَّهَ وَ عَطَلَ حُدُودَهُ وَ نَابَذَ أَوْلِيَاءَهُ جُودُوا بِمَهْجِكُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَصَبَّوْا الْآخِرَةَ وَ الْمَنْزِلَ الْأَعْلَى وَ الْأَبَدَ الَّذِي لَا يَفْنَى فَوَ اللَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ ثَوَابٌ وَ لَا عِقَابٌ وَ لَا جَنَّةٌ وَ لَا نَارٌ لَكَانَ الْقِتَالُ مَعَ عَلِيٍّ أَفْضَلَ مِنَ الْقِتَالِ مَعَ مُعَاوِيَةَ فَكَيْفَ وَ أَنْتُمْ تَرْجُونَ مَا تَرْجُونَ

١٧١٤

٢- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ قَالَ لَمَّا انْقَضَى أَمْرُ صَفِيِّنَ وَ سَلَّمَ الْحَسَنُ عِ الْاَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ وَفَدَتْ عَلَيْهِ الْوُفُودُ أُشْخِصَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ إِلَيْهِ أَسِيرًا فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ عِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْمُخْتَالُ ابْنُ الْمِرْقَالِ فَذُونَكَ الضَّبُّ الْمُضِبُّ (٢) الْمَعْرَ الْمَفْتُونُ فَاقْتَلَهُ فَإِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصْبِيَّةِ وَ إِنَّمَا تَلِدُ الْحَيَّةُ حَيَّةً وَ جَزَاءُ السَّيِّئَةِ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ إِنْ تَقْتُلْنِي فَمَا أَنَا بِأَوَّلِ رَجُلٍ خَذَلَهُ قَوْمُهُ وَ أَسْلَمَهُ يَوْمَهُ فَقَالَ عَمْرُو يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْكِنِّي مِنْهُ أُشْخِبَ أَوْ دَاجَهُ عَلَى أَتْبَاجِهِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَهَلَّا كَانَتْ هَذِهِ الشُّجَاعَةُ مِنْكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ فِي أَيَّامِ صَفِيِّنَ وَ نَحْنُ نَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ وَ قَدْ ابْتَلَتْ أَقْدَامُ الرَّجَالِ مِنْ نَقِيعِ الْجُرِيَالِ (٣) وَ قَدْ تَصَّايَقَتْ بِحُكِّ الْمَسَالِكِ وَ أَشْرَفَتْ مِنْهَا عَلَى الْمَهَالِكِ وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَوْ لَا مَكَانُكَ مِنْهُ لَرَمَيْتُكَ بِأَحَدٍ مِنْ وَقَعِ الْأَشَافِي (٤) فَإِنَّكَ لَا تَزَالُ تُكْتَبِرُ فِي

ص: ٣٠

(١ - ١) د«له».

(٢ - ٢) المضب: الملازم.

(٣ - ٣) الجريال: صبغ أحمر، و يريد به هنا الدم.

(٤ - ٤) الأشافي: جمع إشفى، و هو مخصف الإسكاف.

هَوَسَكَ وَ تَخِيْطُ فِي دَهْسِكَ وَ تَنْشُبُ فِي مَرْسِكَ تَخِيْطُ الْعَشْوَاءَ فِي اللَّيْلَةِ الْحَنِيْدَسِ (١) الظَّلْمَاءِ فَأَمَرَ (٢) مُعَاوِيَةَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ فَكَتَبَ عَمْرُو إِلَى مُعَاوِيَةَ (٣) أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ بِالشُّعْرِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَاشِمٍ فَكَتَبَ فِي جَوَابِهِ مِنَ السَّجْنِ مُعَاوِيَ إِنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ هَذِهِ رِوَايَةٌ نَضْرٍ بْنِ مُزَاحِمٍ (٤)

ص: ٣١

١-١ من صفين.

٢-٢-٢ صفين: «قال فأعجب معاوية ما سمع من كلام ابن هاشم فأمر به إلى السجن و كف عن قتله؛ فبعث إليه عمرو بأبيات يقول له».

٢-٢-٣ صفين: «قال فأعجب معاوية ما سمع من كلام ابن هاشم فأمر به إلى السجن و كف عن قتله؛ فبعث إليه عمرو بأبيات يقول له».

٤-٤ (٣٩٥،٣٦٠).

فَمَاتَهُمْ أَهْلُ فِتْنَةٍ وَنِفَاقٍ وَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ هَوَى يُزِدِيهِ وَ بَطَانَةٌ تُغَوِيهِ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَقَلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ لِيَجْهَزَنَّ إِلَيْكَ جَيْشًا تَكْثُرُ صَوَاهِلُهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَكَ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَ هُوَ فِي الْقَيْدِ يَا ابْنَ الْأَثَرِ هَلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْحِمَاسَةُ عِنْدَكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَ نَحْنُ نَدْعُوكَ إِلَى الْبِرَازِ وَ تَلُوذُ بِشِمَائِلِ الْخَيْلِ كَالَأَمَةِ السُّودَاءِ وَ النَّعْجَةِ الْقَوْدَاءِ (١) أَمَا إِنَّهُ إِنْ قَتَلَنِي قَتَلَ رَجُلًا كَرِيمَ الْمُخْتَبَرِ حَمِيدَ الْمَقْدَرِ (٢) لَيْسَ بِالْجَنَسِ الْمُنْكَوسِ وَ لَا الثُّلُبِ (٣) الْمُرْكَوسِ فَقَالَ عَمْرُو دَعِ كَيْتَ وَ كَيْتَ فَقَدْ وَقَعْتَ بَيْنَ لَحْيَيْ لَهْزَمِ فَرُوسٍ لِلْأَعْدَاءِ يُسْبِعُكَ إِسْبَاعَ الْكُودِنِ (٤) الْمُلْجَمِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَكْثَرَ إِكْتَارِكَ فَإِنِّي أَعْلَمُكَ بَطْرًا فِي الرَّحَاءِ جَبَانًا فِي اللَّقَاءِ هَيَّابَةً عِنْدَ كَفَاحِ الْأَعْدَاءِ تَرَى أَنْ تَقِي مُهْجَتَكَ بِأَنْ تُبْدِيَ سَوْءَ تَكِ أُنْسِيَّتِ يَوْمَ صِفِّينَ وَ أَنْتَ تُدْعَى إِلَى النَّزَالِ فَتَحِيدُ عَنِ الْقِتَالِ خَوْفًا أَنْ يَغْمِرُكَ رِجَالٌ لَهُمْ أَبْدَانُ شِدَادٍ وَ أَسِنَّةٌ حِدَادٌ يَنْهَبُونَ السَّرْحَ وَ يَذْلُونَ الْعَرِيزَ.

قَالَ عَمْرُو لَقَدْ عَلِمَ مُعَاوِيَةَ أَنِّي شَهِدْتُ تَلْمَعَكَ الْمَوَاطِنَ فَكُنْتُ فِيهَا كَمِدْرِهِ الشُّوكِ وَ لَقَدْ رَأَيْتُ أَبَاكَ فِي بَعْضِ تَلْمَعِ الْمَوَاطِنِ تَخْفِقُ أَحْشَاؤُهُ وَ تَنْقُ أَمْعَاؤُهُ قَالَ أَمَا وَ اللَّهُ لَوْ لَقِيكَ أَبِي فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ لَارْتَعِدَتْ مِنْهُ فَرَائِصُكَ وَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْهُ مُهْجَتَكَ وَ لَكِنَّهُ قَاتَلَ غَيْرَكَ فَقَتَلَ دُونَكَ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَلَا تَشْكُتُ لَا أُمَّ لَكَ فَقَالَ يَا ابْنَ هِنْدٍ أَتَقُولُ لِي هَذَا وَ اللَّهُ لَئِنْ شِئْتُ لَأَعْرِقَنَّ جَيْسِكَ وَ لَأَقِيمَنَّكَ وَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَ سَمِّ يَلِينُ لَهُ أَحْدَعَاكَ أَبَا كَثْرٍ مِنَ الْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَوْ تَكْفُ يَا ابْنَ أَخِي وَ أَمْرٌ بِهِ إِلَى السَّجَنِ.

فَقَالَ عَمْرُو وَ ذَكَرَ الْأَبْيَاتَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَ ذَكَرَ الْأَبْيَاتَ أَيْضًا وَ زَادَ فَاطَرُقَ مُعَاوِيَةَ طَوِيلًا حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَتَكَلَّمَ ثُمَّ قَالَ

١-١) القوداء: الذليله المنقاده.

٢-٢) المقدره، مثلته الدال: القوه و اليسار.

٣-٣) الثلب: المعيب.

٤-٤) الكودن: البرزون يوكف و يشبه به البليد.

ثُمَّ قَالَ لَهُ أَ تَرَاكَ فَاعِلًا مَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْخُرُوجِ عَلَيْنَا قَالَ لَا تَسَلْ عَنْ عَقِيدَاتِ الضَّمَائِرِ لَا سِيَّمَا إِذَا أَرَادَتْ جِهَادًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ قَالَ إِذَنْ يَقْتُلُكَ اللَّهُ كَمَا قَتَلَ أَبَاكَ قَالَ وَمَنْ لِي بِالشَّهَادَةِ قَالَ فَأَحْسَنَ مُعَاوِيَةُ جَائِزَتَهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِ مَوْثِقًا أَلَّا يُسَاكِنَهُ بِالشَّامِ فَيُفْسِدَ عَلَيْهِ أَهْلَهُ.

١٧١٦

١- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنِ السُّدِّيِّ عَنْ عَبْدِ خَيْرِ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ قَالَ هَاشِمُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَقْتَلِهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَجُلٌ ضَخْمٌ فَلَا يَهْوَلُنَّكُمْ مَسِيْقَتِي إِذَا سَقَطْتُ فَبِأَنَّهُ لَا يَفْرُغُ مِنِّي أَقْلٌ مِنْ نَحْرِ جَزُورٍ حَتَّى يَفْرُغَ الْجَزَارُ مِنْ جَزْرِهَا ثُمَّ حَمَلَ فَصْرِعَ فَمَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ وَهُوَ صَيْرِيْعٌ بَيْنَ الْقَتْلَى فَنَادَاهُ أَقْرَأْ عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ بَرَكَاتُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ عَلَيْكَ (١) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَّا أَصِيْبِحْتَ وَقَدْ رَبَطْتَ مَقَاوِدَ خَيْلِكَ بِأَرْجُلِ الْقَتْلَى فَإِنَّ الدَّبْرَةَ تُصِيْبُحُ عَدَا لِمَنْ غَلَبَ عَلَى الْقَتْلَى فَأَخْبَرَ الرَّجُلُ عَلِيًّا عَ بِمَا قَالَهُ فَسَارَ فِي اللَّيْلِ بِكَتَائِبِهِ حَتَّى جَعَلَ الْقَتْلَى خَلْفَ ظَهْرِهِ فَأَصْبَحَ وَالدَّبْرَةُ لَهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ

(٢)

١٧١٧

١- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنِ السُّدِّيِّ عَنْ عَبْدِ خَيْرِ قَالَ قَاتِلُ هَاشِمِ الْحَارِثُ بْنُ الْمُنْدِرِ التَّنُوخِيُّ حَمَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أُعْيَا وَكَلَّ وَقَتَلَ بِيَدِهِ فَطَعَنَهُ بِالرَّمْحِ فَشَقَّ بَطْنَهُ فَسَقَطَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيُّ ع وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَقْدِمَ بِلَوَائِكَ فَقَالَ لِلرَّسُولِ انظُرْ

ص: ٣٤

١- (١) ساقطه من ب.

٢- (٢) صفين ٤٠١.

إِلَى بَطْنِي فَإِذَا هُوَ قَدْ انشَقَّ فَجَاءَ عَلِيٌّ عَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ وَ حَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَسْلَمَ قَدْ صُرِعُوا مَعَهُ وَ قَوْمٌ مِنَ الْقُرَاءِ فَجَزَعَ عَلَيْهِ وَ قَالَ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عُصْبَةً أَسْلَمِيَّةً

(١)

١٧١٨

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ (٢) أَنَّ هَاشِمَ بْنَ عُبَيْدَةَ اسْتَضِيرَخَ النَّاسَ عِنْدَ الْمَسَاءِ (٣) أَلَا مَنْ كَانَ
لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْآخِرَةَ فَلْيُقْبَلْ (٤) فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ سَدَّ بِهِمْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَرَارًا لَيْسَ مِنْ وَجْهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ
إِلَّا صَبَرُوا لَهُ فَفَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ لِأَصِيحَابِهِ لَا يَهْوِلَنَّكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ صَبْرِهِمْ فَوَاللَّهِ مَا تَرَوْنَ مِنْهُمْ إِلَّا حِمِيَةَ الْعَرَبِ وَ صَبْرَهَا
تَحْتَ رَايَاتِهَا وَ عِنْدَ مَرَكَزِهَا وَ إِنَّهُمْ لَعَلَى الضَّلَالِ وَ إِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ يَا قَوْمِ اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ اجْتَمِعُوا وَ امشُوا بِنَا إِلَى عِيدُونَا
عَلَى تُوْدِهِ رُوَيْدًا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ وَ لَا يَسِلْمَنَّ رَجُلٌ أَخَاهُ وَ لَا تَكْثُرُوا الْإِلْتِفَاتَ وَ اصْمُدُوا صَمْدَهُمْ وَ جَالِدُوهُمْ مُحْتَسِبِينَ حَتَّى يَحْكُمَ
اللَّهُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَبَيْنَا هُوَ وَ عِصَابَةٌ مِنَ الْقُرَاءِ يُجَالِدُونَ أَهْلَ الشَّامِ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ فَتَى شَابٌّ وَ هُوَ يَقُولُ أَنَا ابْنُ أَرْبَابِ مُلُوكِ غَسَّانَ وَ
الدَّائِنِ الْيَوْمَ بِدِينِ عُثْمَانَ (٥)

ص: ٣٥

(١-١) نثاه: خبره.

(٢-٢) اخترطت: سلت، والخبر في صفين ٤٠٤، ٤٠٥.

(٣-٣) صفين: «عن عمرو بن شمر، عن رجل».

(٣-٤) صفين: «عن عمرو بن شمر، عن رجل».

(٥-٥) صفين: «غسان».

أَنْبَأَنَا قُرَاؤُنَا بِمَا كَانَ (١)

أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ ابْنَ عَفَّانَ .

ثُمَّ شَدَّ لَا يَنْشَى حَتَّى يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ ثُمَّ جَعَلَ يَلْعَنُ عَلِيًّا وَيَسْتِئْهُ وَيُسَيِّبُ فِي ذِمَّةِ فَقَالَ لَهُ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ يَا هَذَا إِنَّ الْكَلَامَ بَعْدَهُ الْخِصَامُ وَإِنَّ لَعْنَكَ سَيِّدَ الْأَبْرَارِ بَعْدَهُ عِقَابُ النَّارِ فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّكَ رَاجِعٌ إِلَى رَبِّكَ فَيَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْمُؤَقِفِ وَعَنْ هَذَا الْمَقَالِ (٢)

قَالَ الْفَتَى إِذَا سَأَلَنِي رَبِّي قُلْتُ قَاتَلْتُ أَهْلَ الْعِرَاقِ لِأَنَّ صَاحِبَهُمْ لَا يُصَيِّمُنِي كَمَا ذَكَرَ لِي وَإِنَّهُمْ لَا يُصَيِّمُونَ وَصَاحِبُهُمْ قَتَلَ خَلِيفَتَنَا وَهُمْ آزَرُوهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَالَ لَهُ هَاشِمُ يَا بُنَيَّ وَمَا أَنْتَ وَعُثْمَانُ إِنَّمَا قَتَلَهُ أَصِيحَابُ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّ صَاحِبَنَا كَانَ أَبْعَدَ الْقَوْمِ عَنْ دَمِهِ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّهُ لَا يُصَيِّمُنِي فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ أَصِيحَابَهُ لَا يُصَلُّونَ فَكُلُّ مَنْ تَرَى مَعَهُ قُرَاءَ الْكِتَابِ لَا يَنَامُونَ اللَّيْلَ تَهْجُدًا فَاتَّقِ اللَّهَ وَاخْشَ عِقَابَهُ وَلَا يَغُرَّكَ مِنْ نَفْسِكَ الْأَشْقِيَاءُ الضَّالُّونَ.

فَقَالَ الْفَتَى يَا عَبْدَ اللَّهِ لَقَدْ دَخَلَ قَلْبِي وَجَلُّ مِنْ كَلَامِكَ وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ صَادِقًا صَالِحًا وَأُظَنُّنِي مُخْطِئًا آثِمًا فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ نَعَمْ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ وَتُبْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ ... وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فَارْجِعْ الْفَتَى إِلَى صِدْقِهِ مُنْكَسِرًا نَادِمًا فَقَالَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ خَدَعَكَ الْعِرَاقِيُّ قَالَ لَا وَ لَكِنْ نَصَحَنِي الْعِرَاقِيُّ (٣) .

قَالَ نَصْرٌ وَفِي قَتْلِ هَاشِمٍ وَعَمَّارٍ تَقُولُ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لَا تَعْدَمُوا قَوْمًا أَذَقُوا ابْنَ يَاسِرٍ شَعُوبًا وَلَمْ يُعْطَوْكُمْ بِالْخِزَائِمِ

ص: ٣٦

١-١) صفين: «أنبأنا أقوامنا».

٢-٢) صفين: «وما أردت به».

٣-٣) صفين ٤٠٣، ٤٠٤.

فَنَحْنُ قَتَلْنَا الْيَثْرِيَّ ابْنَ مِحْصَنِ

خَطِيْبِكُمْ وَابْنِي بُدَيْلٍ وَهَاشِمٍ (١)

قَالَ نَضْرُ أَمَّا الْيَثْرِيُّ فَهُوَ عَمْرُو بْنُ مِحْصَنِ الْأَنْصَارِيِّ وَقَدْ رثَاهُ النَّجَاشِيُّ شَاعِرُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَالَ لِنَعْمَ فَتَى الْحَيِّينِ عَمْرُو بْنُ مِحْصَنِ

ص: ٣٧

(١-١) صفين ٤٠٥.

وَإِنْ يَقْتُلُوا ابْنِي بُدَيْلٍ وَهَاشِمًا

قَالَ نَصْرٌ وَكَانَ ابْنُ مِحْصَنٍ مِنْ أَعْلَامِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ع قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ وَجَزَعَ عَلِيٌّ ع لِقَتْلِهِ.

قَالَ وَفِي قَتْلِ هَاشِمِ بْنِ عْتَبَةَ يَقُولُ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ الْكِنَانِيُّ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَقِيلَ إِنَّهُ آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنْ صِيْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَشَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ صَفِيْنًا وَكَانَ مِنْ مُخْلِصِي الشِّيْعَةِ يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ جَزِيَتَ الْجَنَّةَ

ص: ٣٨

قَالَ نَصْرٌ وَ الْحَوْبَةُ (١) الْقَرَابَةُ يُقَالُ لِي فِي بَنِي فُلَانٍ حَوْبَةٌ أَيْ قُرْبَى (٢).

قَالَ نَصْرٌ وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عُذْرَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لَقَدْ رَأَيْتُ أُمُورًا كُلُّهَا عَجَبٌ

قَالَ نَصْرٌ وَقَالَ رَجُلٌ (٣) لِعَيْدِي بْنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ وَ كَانَ مِنْ جُمْلِهِ أَضِيحَابِ عَلِيٍّ ع يَا أَبَا طَرِيفٍ أَلَمْ أَشِمْعَكَ تَقُولُ يَوْمَ الدَّارِ وَ
اللَّهِ لَا تَحْبِقُ فِيهَا عَنَاقُ حَوْبِيَّةٍ (٤) وَ قَدْ رَأَيْتُ مَا كَانَ فِيهَا وَ قَدْ كَانَ فُقِّمَتْ عَيْنُ عَدِيٍّ وَ قُتِلَ بَنُوهُ فَقَالَ أَمَا وَ اللَّهُ لَقَدْ حَبَقْتُ فِي قَتْلِهِ
الْعَنَاقُ وَ التَّيْسُ الْأَعْظَمُ (٥)

١٧١٩

١- قَالَ نَصْرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ قَالَ بَعَثَ عَلِيٌّ ع خَيْلًا لِيَحْبِسُوا عَنْ مُعَاوِيَةَ مَا دَتَهُ فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ فِي
خَيْلٍ إِلَى تِلْكَ الْخَيْلِ فَأَزَالُوهَا

ص: ٣٩

١- ١) و في اللسان عن أبي عبيد: «و هي عندي كل حرمة تضيع إن تركتها، من أم أو أخت أو ابنه أو غيرها».

٢- ٢) صفين ٤٠٨، ٤٠٧.

٣- ٣) صفين ٤٠٦، ٤٠٥.

٤- ٤) صفين: «نصر عن عمرو بن شمر بإسناده».

٥- ٥) الحبق: ضراط المعز، و العناق: الأنثى من ولد المعز صفين.

وَ جَاءَتْ عُيُونُ عَلِيٍّ ع فَأَخْبَرُوهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ لِأَصِيحَابِهِ مَا تَرَوْنَ فِيمَا هَاهُنَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَرَى كَذًا وَقَالَ بَعْضُهُمْ نَرَى كَذًا فَلَمَّا زَادَ
الِإِخْتِلَافُ قَالَ عَلِيٌّ ع ائْمَدُوا إِلَى الْقِتَالِ فَعَادَاهُمْ إِلَى الْقِتَالِ فَانْهَزَمَتْ صِيْفُوفُ الشَّامِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى فَرَّ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي
سُفْيَانَ عِشْرِينَ فَوْسَخًا عَنْ مَوْضِعِ الْمَعْرَكَةِ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ فِيهِ مِنْ قَصِيدِهِ أَوْلَهَا لَقَدْ أَمَعَنْتَ يَا عُتْبُ الْفِرَارَا

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ وَهُوَ شَاعِرُ أَهْلِ الشَّامِ بَعْدَ رَفْعِ الْمَصَاحِفِ يَذْكُرُ أَيَّامَ صِفِّينَ وَ يُحَرِّضُ مُعَاوِيَةَ مُعَاوِيَةَ لَا تَنْهَضْ بِغَيْرِ وَثِيْقِهِ

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ بِزِيَادِهِ عَلَيَّ مَا ذَكَرْنَاهُ الْآنَ (١).

قَالَ نَضِيرٌ وَهَجَا كَعْبُ بْنُ جَعِيلٍ عُنْبَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَعَيَّرَهُ بِالْفِرَارِ وَكَانَ كَعْبٌ مِنْ شِيعَةِ مُعَاوِيَةَ لَكِنَّهُ هَجَا عُنْبَةَ تَحْرِيسًا لَهُ فَهَجَاهُ عُنْبَةُ جَوَابًا فَقَالَ لَهُ وَ سُمِّيتَ كَعْبًا بِشَرِّ الْعِظَامِ

١٧٢٠

١- قَالَ نَضِيرٌ ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ الْوُقُوعَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِوُقُوعِ الْخَمِيسِ . حَدَّثَنَا بِهَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَقْعَاءُ بْنُ الْأَبْرَدِ الطُّهَوِيُّ قَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَوَاقِفٌ قَرِيبًا مِنْ عَلِيٍّ عِ بَصَّةٍ فَمِنْ يَوْمٍ وَقَعَهُ الْخَمِيسُ وَقَدْ التَفَّتْ مَذْحِجٌ وَ كَانُوا فِي مَيْمَنَةِ عَلِيٍّ عِ وَ عَكَ لَحْمٌ وَ جِيدَامٌ وَ الْأَشْعَرِيُّونَ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ فِي قِتَالِ عَلِيٍّ عِ فَلَقَدْ وَ اللَّهُ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ قِتَالِهِمْ وَ سَمِعْتُ مِنْ وَقَعِ السُّيُوفِ عَلَى الرُّءُوسِ وَ خَبِطِ الْخُيُولِ بِحَوَافِرِهَا فِي الْأَرْضِ وَ فِي الْقَتْلِ مَا الْجَبَالُ تَهْدُ (٢) وَ لَا الصَّوَاعِقُ تَصِيَعُ بِأَعْظَمَ مِنْ هَوْلَاءِ فِي الصُّدُورِ مِنْ تِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَ نَظَرْتُ إِلَى عَلِيٍّ عِ وَ هُوَ قَائِمٌ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ اللَّهُمَّ إِلَيْكَ الشُّكْوَى وَ أَنْتَ الْمُسْتَتَعَانُ ثُمَّ نَهَضَ حِينَ قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَ هُوَ يَقُولُ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ وَ حَمَلَّ عَلَى النَّاسِ بِنَفْسِهِ وَ سَيْفُهُ مُجَرَّدٌ بِيَدِهِ فَلَا وَ اللَّهُ مَا حَجَزَ بَيْنَ النَّاسِ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي قَرِيبٍ مِنْ ثَلَاثِ اللَّيْلِ

ص: ٤١

١-١) صفين ٤١١، ٤١٠.

٢-٢) صفين: «سمى الجعل».

الأولِ وَقُتِلَتْ يَوْمَئِذٍ أَعْلَامُ الْعَرَبِ وَكَانَ فِي رَأْسِ عَلِيٍّ ع ثَلَاثُ ضَرْبَاتٍ وَفِي وَجْهِهِ ضَرْبَتَانِ.

قَالَ نَصْرٌ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ عَلِيًّا ع لَمْ يَخْرُجْ قَطُّ وَقُتِلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي
الْكَلَاعِ الْحَمِيرِيُّ فَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ نَهِيكَ بْنِ يَسَافِ الْأَنْصَارِيِّ يَا لَهْفَ نَفْسِي وَمَنْ يَشْفِي حَزَارَتَهَا

وَقَالَ مَا لِكُ الْمَاشْتَرِ نَحْنُ قَتَلْنَا حَوْشَبًا وَقَالَتْ صُبَيْعَةُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ بِنْتِ ثَابِتِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ تَرْتِي أَبَاهَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَيْنُ جُودِي عَلَى
خُزَيْمَةَ بِالْدَّمِ

١- قَالَ نَضْرُ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ صَاحِبِ مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ كَانَ سَيِّدًا مُعَظَّمًا مِنْ سَيَادَاتِ الْأَنْصَارِ وَ كَانَ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ ع كَتَبَ إِلَى زِيَادِ بْنِ سَمِيَّةَ وَ كَانَ عَامِلًا لِعَلِيِّ ع عَلَى بَعْضِ فَارِسَ كِتَابًا ثَانِيًا فَأَمَّا كِتَابُهُ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ فَكَانَ سَيِّطْرًا وَاحِدًا حَاجِئِكَ لَا تَنْسَى الشَّيْبَاءَ أَبَا عُذْرَهَا وَ لَا قَاتِلَ بَكْرَهَا فَلَمْ يَدْرِ أَبُو أَيُّوبَ مَا هُوَ قَالَ فَآتَى بِهِ عَلِيًّا ع فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَهَفَ الْمُنَافِقِينَ كَتَبَ إِلَيَّ بِكِتَابٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ قَالَ عَلِيٌّ ع فَأَيَّنَ الْكِتَابَ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَقَرَأَهُ وَ قَالَ نَعَمْ هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ لَكَ يَقُولُ لَا تَنْسَى الشَّيْبَاءَ أَبَا عُذْرَهَا وَ الشَّيْبَاءَ الْمَرْأَةَ الْبِكْرَ لَيْلَهُ افْتِضَاضَهَا لَا تَنْسَى بَعْلَهَا الَّذِي افْتَرَعَهَا أَبَدًا وَ لَا تَنْسَى قَاتِلَ بَكْرَهَا وَ هُوَ أَوَّلُ وَلَدِهَا كَذَلِكَ لَا أَنْسَى أَنَا قَتْلَ عُثْمَانَ .

وَ أَمَّا الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ إِلَى زِيَادٍ فَإِنَّهُ كَانَ وَعِيدًا وَ تَهْدِيدًا فَقَالَ زِيَادٌ وَبِئْسَ عَلَى مُعَاوِيَةَ كَهَفَ الْمُنَافِقِينَ وَ بَقِيَّةَ الْأَخْرَابِ يَتَهَدَّدُنِي وَ يَتَوَعَّدُنِي وَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ ابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا سُبُوفُهُمْ عَلَى عَوَانِقِهِمْ يُطِيعُونَهُ (٢) فِي جَمِيعِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ لَا يَلْتَفِتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَرَاءَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَمَا وَ اللَّهُ لَوْ ظَفِرْتُ ثُمَّ خَلَصْتُ إِلَيَّ لَيَجِدَنِي أَحْمَرَ ضَرَابًا بِالسَّيْفِ .

قَالَ نَضْرُ أَحْمَرُ أَيْ مَوْلَى فَلَمَّا ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ عَادَ عَرِيًّا مَنَافِيًّا (٣)

١-١ (١) صفين ٤١٣-٤١٦.

٢-٢ (٢) صفين: «و معه سبعون ألفا طوائع، سيوفهم عند أذقانهم».

٣-٣ (٣) منافيا: منسوب إلى عبد مناف.

١- قَالَ نَصِيرٌ وَرَوَى عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ أُنْبِغْ لَدَيْكَ أبا أَيُّوبَ مَا لَكَ فَلَمَّا قُرِئَ الْكِتَابُ عَلَى عَلِيٍّ ع قَالَ لَشَدَّ مَا شَحَذَكُمْ مُعَاوِيَةُ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَجِيبُوا الرَّجُلَ فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي مَا أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ شَيْئًا مِنْ الشُّعْرِ يَعْنِي بِهِ الرَّجَالُ إِلَّا قُلْتُهُ فَقَالَ فَأَنْتِ إِذَا أَنْتِ - .

فَكَتَبَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ كَتَبْتَ لَا تَنْسِي الشَّيْبَاءُ أبا عُدْرَهَا وَ لَا قَاتِلَ بِكُرْهَا فَضَرَبْتَهَا مَثَلًا بِقَتْلِ عُثْمَانَ وَ مَا نَحْنُ وَ قَتَلَ عُثْمَانَ إِنَّ الَّذِي تَرَبَّصَ بِعُثْمَانَ

وَبَطَّ يَزِيدَ بَنُ أَسِيدٍ وَ أَهْلَ الشَّامِ عَنْ نُصَيْرَتِهِ لَأَنْتَ وَإِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوهُ لَغَيْرِ الْأَنْصَارِ وَ كَتَبَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ لَا تُوعِدْنَا إِبْنَ حَرْبٍ إِنَّا نَفَرٌ

قَالَ فَلَمَّا أَتَى مُعَاوِيَةَ كِتَابُ أَبِي أَيُّوبَ كَسَرَهُ

(١)

١٧٢٣

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُجَالِدٌ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ قَالَ شَهِدْتُ مَعَ عَلِيِّ عِ صَفِينِ فَاقْتُلْنَا مَرَّةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى تَكَسَّرَتِ الرَّمَاحُ وَ نَفَدَتِ السَّهَامُ ثُمَّ صِرْنَا إِلَى الْمُسَايِفِ فَاجْتَلَدْنَا بِهَا إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ حَتَّى صِرْنَا نَحْنُ وَ أَهْلُ الشَّامِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يُعَانِقُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَ لَقَدْ قَاتَلْتُ لَيْلَتِنِ بِجَمِيعِ السَّلَاحِ فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ السَّلَاحِ إِلَّا قَاتَلْتُ بِهِ حَتَّى تَحَاثَيْنَا

ص: ٤٥

(١ - ١) صفين: «إنا بشر».

بِالْتَرَابِ وَتَكَادَمْنَا بِالْأَفْوَاهِ حَتَّى صَدَرْنَا قِيَامًا يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَنْهَضَ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَا يُقَاتِلَ
فَلَمَّا كَانَ نِصْفَ اللَّيْلِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ انْحَارَ مُعَاوِيَةُ وَخَيْلُهُ مِنَ الصَّفِّ وَغَلَبَ عَلِيٌّ عَلَى الْقَتْلَى فَلَمَّا أَضِيحَ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ
يَدْفِنُهُمْ وَقَدْ قُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ أَكْثَرُ وَقُتِلَ فِيهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ شِمْرُ بْنُ أَبِرْهَةَ

(١)

١٧٢٤

١٤، ١- قَالَ نَضْرٌ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو عَنْ جَابِنٍ [جَابِرٍ]

عَنْ تَمِيمٍ قَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَمَعَ عَلِيٌّ عِذَا أَنَا عُلِقْمَةُ بْنُ زُهَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ يَزْتَجِرُ فِي الصَّفِّ
بِشَعْرٍ فَأَسْمِعْكَه قَالَ نَعَمْ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِذَا تَخَارَزْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ (٢) فَقَالَ عَلِيٌّ اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ فَإِنَّ رَسُولَكَ لَعَنَهُ قَالَ عُلِقْمَةُ وَإِنَّهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزْتَجِرُ بِرَجْزٍ آخَرَ فَأَنْشُدْكَ قَالَ قُلْ فَقَالَ أَنَا الْعَلَامُ الْقَرَشِيُّ الْمُؤْتَمَنُ

ص: ٤٤

١- ١) صفين ٤٢٠.

٢- ٢) التخازر: تصنع الخزر؛ وهو ضيق العين.

أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَىٰ أَبًا حَسَنٍ (١)

كَفَىٰ بِهَذَا حَزَنًا مِّنَ الْحَزَنِ

فَضَّحَكَ عَلِيٌّ عَ وَ قَالَ إِنَّهُ لَكَاذِبٌ وَ إِنَّهُ بِمَكَانِي لِعَالِمٍ كَمَا قَالَ الْعَرَبِيُّ غَيْرَ الْوَهِيِّ تَرْقِعِينَ وَ أَنْتِ مُبْصِرَةٌ وَ يَحْكُمُ أَرُونِي مَكَانَهُ لِلَّهِ
أَبُوكُمْ وَ خَلَائِكُمْ ذُمَّ وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ لَوْ شَهِدْتُ جُمْلَ مَقَامِي وَ مَشْهَدِي (٢)

ص: ٤٧

١- ١) بعده في صفين: *أعنى عليًا و ابن عمّ المؤمن*

٢- ٢) صفين: «و موقفي».

وَقَالَ النَّجَاشِيُّ يَذُكُرُ عَلِيًّا عَ وَجِدَّهُ فِي الْأَمْرِ إِنِّي إِخَالُ عَلِيًّا غَيْرَ مُرْتَدِّعٍ

١٧٢٥

قَالَ نَصْرٌ وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ بَلَغَ النَّجَاشِيُّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ تَهْدِدُهُ فَقَالَ (١) يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُبْدِي عِدَاوَتَهُ

ص: ٤٨

١-١) في صفين: «نقع القبائل في عرينه شمم».

وَلَا إِخَالِكَ إِلَّا لَسْتُ مُتَّهِياً

قَالَ فَلَمَّا بَلَغَ مُعَاوِيَةَ هَذَا الشُّعْرُ قَالَ مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ قَارَبَ (١).

١٧٢٦

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَحْمِلُ عَلَى الْخَيْلِ يَوْمًا فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ هَيْلٌ مِنْ فَرَسٍ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحِينَ قَالَ تِلْكَ الْخَيْلُ فَخُذْ أَيَّتَهَا شِئْتَ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ إِنْ تُصِبَ أَفْضَلَ الْخَيْلِ تُقْتَلُ فَمَا عَتَمَ أَنْ أَخَذَ أَفْضَلَ الْخَيْلِ فَرَكِبَهُ ثُمَّ حَمَلَ عَلَى فَارِسٍ قَدْ كَانَ دَعَاهُ إِلَى الْبِرَازِ فَقَتَلَهُ الشَّامِيُّ وَ حَمَلَ غُلَامَانِ آخِرَانِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى سِيرَادِ مُعَاوِيَةَ فَقَتِلَا عِنْدَهُ وَ أَقْبَلَتِ الْكُتَّابُ بَعْضُهَا نَحْوَ بَعْضٍ فَاقْتَتَلَتْ قِيَامًا فِي الرَّكْبِ لَا يَسْمَعُ السَّمْعُ إِلَّا وَقَعَ السُّيُوفِ عَلَى الْبَيْضِ وَ الدَّرَقِ.

وَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَ جِئْتُمْ إِلَيْنَا تَشْفِكُونَ دِمَاءَنَا

ص: ٤٩

١- ١) يقال: ضم فلان جراميزه؛ إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى؛ يريد أنه أجمع أمره و مضى، و يريد بالقافية، الشعر بقوله في الهجاء، و في صفيين: «جمعت صبرا».

إِذَا مَا اتَّقَوْا يَوْمًا تَدَارِكُ بَيْنَهُمْ

طِعَانٌ وَ مَوْتُ فِي الْمَعَارِكِ أَحْمَرٌ.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ مَعَ مُعَاوِيَةَ يَهْجُو أَهْلَ الْعِرَاقِ وَ يُؤَبِّخُهُمْ لَقَدْ ضَلَّتْ مَعَاشِرُ مِنْ نِزَارٍ وَ قَالَ أَبُو حَيَّةَ بْنُ غَزِيَّةَ الْأَنْصَارِيُّ وَ هُوَ
الَّذِي عَقَرَ الْجَمَلَ يَوْمَ الْبُضْرَةِ وَ اسْمُهُ عَمْرُو سَائِلٌ حَلِيلَةٌ مَعْبُدٌ عَنْ بَعْلِهَا

ص: ٥٠

إِنْ يَصْدُقُوكَ يُحِبُّوكَ بِأَنَّنَا

وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِيُّ أَقُولُ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْمَعْمَعَةَ (١) وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ جَعْلَانَ [عَجَلَانَ]

الْأَنْصَارِيُّ سَائِلُ بَصْفَيْنَ عَنَّا عِنْدَ غُدْوَتِنَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيُّ

ص: ٥١

(١-١) المصاع: المجالده و القتال. و في صفين: «عند كل مصاع».

تَقُولُ عِزِي لَمَّا أَنْ رَأَتْ أَرْقِي

وَ قَالَ حُجْرُ بْنُ عَدِي الْكِنْدِيُّ يَا رَبَّنَا سَلِّمْ لَنَا عَلَيْنَا

١٧٢٧

قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَيْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي صِفِّينَ لِأَصِيحَابِهِ هَلَكْتَ الْعَرَبُ قَالُوا لَهُ وَ إِنَّ عَلَيْنَا يَا أَبَا بَحْرٍ قَالَ نَعَمْ قَالُوا وَ إِنَّ عَلَيْنَا قَالَ نَعَمْ قَالُوا وَ اللَّهُ مَا جَعَلْتَ لَنَا مَخْرَجًا فَقَالَ الْأَخْنَفُ إِنَّا إِنِ عَلَيْنَاهُمْ لَمْ نَتْرُكْ بِالشَّامِ رَئِيسًا إِلَّا ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَ إِنِ عَلَيْنَا لَمْ يَعْزُجْ بَعْدَهَا رَئِيسٌ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَبَدًا (١).

١٧٢٨

١,٢- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَيْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ ذَكَرَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا صِفِّينَ بَعْدَ عَامِ الْجَمَاعَةِ وَ تَسْلِيمِ الْحَسَنِ عِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ فَقَالَ لِلْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ أَيُّ بَنِي عَمِّكَ

ص: ٥٢

كَانَ أَفْضَلَ يَوْمَ صِفِّينَ يَا وَلِيدُ (١) عِنْدَ وَقْدَانِ الْحَرْبِ وَاسْتِشَاطَهُ لُظَاهَا حِينَ قَاتَلَتِ الرِّجَالُ عَلَى الْأَحْسَابِ قَالَ كَلَّهْمُ قَدْ وَصَلَ كَفَيْهَا عِنْدَ انْتِشَارِ وَقَعَتِهَا حَتَّى ابْتَلَّتْ أَتْبَاجَ الرِّجَالِ مِنَ الْجِرْيَالِ بِكُلِّ لَمَدِنٍ عَسَالٍ وَبِكُلِّ عَضْبٍ قَصَالٍ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَقَدْ غَشَيْنَا نُعْبَانَ فِي مِثْلِ الطُّودِ الْأَرْعَنِ قَدْ أَثَارَ قَسِيلاً حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْأُفُقِ وَهُوَ عَلَى أَدْهَمِ سَائِلِ الْغُرِّ يَعْنِي عَلِيًّا عَ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْأَيْلِ كَاشِدِرًا عَنْ نَابِهِ كَشَرَ الْمُخْدِرِ الْحَرْبِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ نَعَمْ إِنَّهُ كَانَ يُقَاتِلُ عَنْ تَرِهِ لَهُ وَعَلَيْهِ

(٢)

١٧٢٩

١- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ أُرْسِلَ عَلِيٌّ عَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ ابْرُزْ إِلَيَّ وَ أَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ فَأَيْتَنَا قَتَلَ صِيَاحِبَهُ كَمَا أَنَّ الْمَأْمُرَ لَهُ فَقَالَ عَمْرُو لَقَدْ أَنْصَيْتُكَ الرَّجُلُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَنَا أَبَارِزُ الشُّجَاعَ الْأَخْرَقَ أَطْنُكَ يَا عَمْرُو طِمَعَتَ فِيهَا فَلَمَّا لَمْ يُجِبْ قَالَ عَلِيٌّ عَ وَانْفَسِيَاهُ أَيْطَاعُ مُعَاوِيَةَ وَ أَعْصِي مَا قَاتَلَتْ أُمُّهُ قَطُّ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّهَا وَ هِيَ مُقَرَّةٌ بِنَبِيِّهَا غَيْرَ هَذِهِ الْأُمِّهِ ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا عَ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَحَمَلُوا فَتَقَضُّوا صِفُوفَ الشَّامِ فَقَالَ عَمْرُو عَلَى مَنْ هَذَا الرَّهْجُ السَّاطِعُ قَالُوا عَلَى ابْنَيْكَ عَبْدَ اللَّهِ وَ مُحَمَّدٍ فَقَالَ عَمْرُو يَا وَرْدَانَ قَدِّمَ لَوَانِي فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى ابْنَيْكَ بَأْسٌ فَلَا تَنْقُضِ الصِّفَّ وَ الزِّمَّ مَوْفَكَ فَقَالَ عَمْرُو هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ.

الَلَيْثُ يَحْمِي شِبْلِيهِ

مَا خَيْرُهُ بَعْدَ ابْنَيْهِ

ثُمَّ تَقَدَّمَ بِاللَّوَاءِ فَأَدْرَكَهُ رَسُولُ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ (٣) إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى ابْنَيْكَ بَأْسٌ فَلَا تَحْمِلَنَّ

ص: ٥٣

١- (١) من صفين.

٢- (٢) صفين ٤٤١، ٤٤٠.

٣- (٣) من د و صفين.

وَأَهْلِهِ مُتَخَوِّفِينَ أَصِيبُوا وَقَدْ خَدَعُوا شَطْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ وَاسْتَمَالُوا أَهْوَاءَهُمْ بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ وَ نَصَبُوا لَنَا الْحَزْبَ وَ جَدُّوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ اللَّهُمَّ فَإِنَّهُمْ قَدْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمْعَهُمْ وَ شَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَ أَيْلِسْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ فَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَ لَا يَعْزُّ مَنْ عَادَيْتَ (١).

قَالَ نَصِيرٌ وَ كَانَ عَلِيٌّ ع إِذَا أَرَادَ الْحَمْلَةَ هَلَّلَ وَ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ مِنْ أَيِّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَأُ يَوْمَ لَمْ يُقَمِّدْزْ أَوْ يَوْمَ قَمِدَرَ فَجَعَلَ مُعَاوِيَةَ لَوَاءَهُ الْأَعْظَمَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَأَمَرَ عَلِيٌّ ع جَارِيَةَ بِنْتِ قَدَامَةَ السَّعْدِيَّ أَنْ يَلْقَاهُ بِأَصْحَابِهِ وَ أَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بَعِيدَهُ فِي خَيْلٍ وَ مَعَهُ لَوَاءٌ ثَانٍ فَتَقَدَّمَ حَتَّى خَالَطَ صُيُوفَ الْعِرَاقِ فَقَالَ عَلِيٌّ ع لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ ائْمَشْ نَحْوَ هَذَا اللَّوَاءِ رُوَيْدًا حَتَّى إِذَا أَشْرَعْتَ الرِّمَاحَ فِي صَيْدُورِهِمْ فَأَمْسِكْ يَدَكَ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي فَفَعَلَ وَ قَدْ كَانَ أَعَدَّ عَلِيٌّ ع مِثْلَهُمْ مَعَ الْأَشْتَرِ فَلَمَّا أَشْرَعَ مُحَمَّدٌ الرِّمَاحَ فِي صَيْدُورِ الْقَوْمِ أَمَرَ عَلِيٌّ ع الْأَشْتَرَ أَنْ يَحْمِلَ فَحَمَلَ فَأَزَالَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ وَ أَصَابَ مِنْهُمْ رِجَالًا وَ اقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا فَمَا صَلَّى مَنْ أَرَادَ الصَّلَاةَ إِلَّا إِيمَاءً فَقَالَ النَّجَاشِيُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَذْكَرُ الْأَشْتَرَ وَ لَمَّا رَأَيْنَا اللَّوَاءَ الْعُقَابَ (٢)

ص: ٥٥

١-١) صفين ٤٤٤، ٤٤٥.

٢-٢) صفين: «رأيت اللواء لواء العقاب».

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْهِ الْكِنْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ عَ صَفِيْنٍ قَالَ كَانَ مِنَّا رَجُلٌ يُعْرَفُ بِهَانِي بْنِ فَهَيْدٍ (٢) وَ كَانَ سُجَاعًا فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ فَقَالَ هَانِيُّ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْكُمْ رَجُلٌ إِلَى هَذَا فَوَ اللَّهُ لَوْ لَا أَنِّي مَوْعُوكَ وَ أَنِّي أَجِدُ ضَمْعًا شَدِيدًا لَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَمَا رَدَّ أَحَدٌ عَلَيْهِ فَقَامَ وَ شَدَّ عَلَيْهِ سِلاَحَهُ لِيَخْرُجَ فَقَالَ لَهُ أَصِيْحَابُهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْتَ مَوْعُوكَ وَ عَكَهَ شَدِيدَةً فَكَيْفَ تَخْرُجُ قَالَ وَ اللَّهُ لَأَخْرُجَنَّ وَ لَوْ قَتَلَنِي فَخَرَجَ فَلَمَّا رَأَاهُ عَرَفَهُ وَ إِذَا الرَّجُلُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ يُقَالُ لَهُ يَعْمُرُ بْنُ أَسَدِ الْحَضْرَمِيِّ فَقَالَ يَا هَانِيُّ ارْجِعْ فَإِنَّهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى رَجُلٍ غَيْرِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا أُحِبُّ قَتْلَكَ قَالَ هَانِيُّ سُبْحَانَ اللَّهِ ارْجِعْ وَ قَدْ خَرَجْتُ لَا وَ اللَّهُ لَأُقَاتِلَنَّ الْيَوْمَ حَتَّى أُقْتَلَ وَ لَا أُبَالِي قَتَلْتَنِي أَنْتَ أَوْ غَيْرُكَ ثُمَّ مَشَى نَحْوَهُ وَ قَالَ اللَّهُمَّ فِي سَبِيلِكَ وَ نَضِيرًا لِابْنِ عَمِّ رَسُولِكَ وَ اخْتَلَفَا ضَرْبَيْنِ فَقَتَلَهُ هَانِيُّ وَ شَدَّ أَصِيْحَابُ يَعْمُرِ بْنِ أَسَدٍ عَلَى هَانِيٍّ فَشَدَّ أَصِيْحَابُ هَانِيٍّ عَلَيْهِمْ فَاقْتَتَلُوا وَ انْفَرَجُوا عَنِ اثْنَيْنِ وَ ثَلَاثِينَ قَتِيلًا ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا عَ أَرْسَلَ إِلَى جَمِيعِ الْعَسْكَرِ أَنْ أَحْمِلُوا فَحَمَلَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَى رَايَاتِهِمْ كُلِّ مِنْهُمْ

ص: ٥٦

١- (١) الفقع: الكماه الرخوه، و القرقر: الأرض اللينه المظمنه. و الشعر في صفين ٤٥١-٤٥٢.

٢- (٢) صفين: «ابن نمر».

يَحْمِلُ عَلَى مَنْ يَأْزَاهُ (١) فَتَجَالِدُوا بِالسُّيُوفِ وَ عُمِدِ الْحَدِيدِ لَا يَسْمَعُ إِلَّا صَوْتُ ضَرْبِ الْهَامَاتِ كَوَقْعِ الْمَطَارِقِ عَلَى السِّنَادِينَ وَ مَرَّتِ الصَّلَوَاتُ كُلُّهَا فَلَمْ يُصَلِّ أَحَدٌ إِلَّا تَكْبِيرًا عِنْدَ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَفَانُوا وَ رَقَّ النَّاسُ وَ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ الصَّفَيْنِ لَا يُعْلَمُ مَنْ هُوَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَخْرَجَ فِيكُمْ الْمُحَلَّقُونَ فِقِيلَ لَا فَقَالَ إِنَّهُمْ سَيَخْرُجُونَ أَلَسْتُمْ أَهْلِي مِنَ الْعَسَلِ وَ قُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ لَهُمْ حُمَةٌ كَحُمَةِ الْحَيَاتِ ثُمَّ غَابَ الرَّجُلُ فَلَمْ يُعْلَمَ مَنْ هُوَ

(٢)

١٧٣٢

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنِ السُّدِّيِّ قَالَ اخْتَلَطَ أَمْرُ النَّاسِ تَلَسَكَ اللَّيْلَةُ وَ زَالَ أَهْلُ الرَّايَاتِ عَنْ مَرَائِكِرِهِمْ وَ تَفَرَّقَ أَصِيحَابُ عَلِيٍّ ع عَنْهُ فَأَتَى رَبِيعَةَ لَيْلًا فَكَانَ فِيهِمْ وَ تَعَاظَمَ الْأَمْرُ جَدًّا وَ أَقْبَلَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ يَطْلُبُ عَلِيًّا ع فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي تَرَكَهُ فِيهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَطَافَ يَطْلُبُهُ فَأَصَابَهُ بَيْنَ رِمَاحِ رَبِيعَةَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا إِذْ كُنْتَ حَيًّا فَأَلَأَمُّ أُمَّمَ مَا مَشَيْتُ إِلَيْكَ إِلَّا عَلَى قَتِيلٍ وَ مَا أَبَقْتُ هَذِهِ الْوَقْعَةَ لَهُمْ عَمِيدًا فَقَاتِلْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ فِي النَّاسِ بَقِيَّةَ بَعْدُ وَ أَقْبَلَ الْأَشْعَثُ يَلْهَثُ جَزَعًا فَلَمَّا رَأَى عَلِيًّا ع هَلَّلَ فَكَبَّرَ وَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْلٌ كَخَيْلِ وَ رِجَالٌ كَرِجَالِ وَ لَنَا الْفَضْلُ عَلَيْهِمْ إِلَى سَاعَتِنَا هَذِهِ فَعُدَّ إِلَى مَكَانِكَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَطُؤُونَكَ حَيْثُ تَرُكُوكَ وَ أَرْسَلَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيُّ إِلَى عَلِيٍّ ع إِنَّا مُسْتَعِلُونَ بِأَمْرِنَا مَعَ الْقَوْمِ وَ فِينَا فَضْلٌ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ نَمِدَّ أَحَدًا أَمَدَدْنَاهُ فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ ع عَلَى رَبِيعَةَ فَقَالَ أَنْتُمْ دَرَعِي وَ رُمْحِي قَالَ فَرَبِيعَةَ تَفَخَّرُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى الْيَوْمِ فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ قَوْمًا أَنْسَتْ بِهِمْ وَ كُنْتُ فِي هَذِهِ الْجَوْلَةِ

ص: ٥٧

١-١) صفين: «فحمل الناس على راياتهم كل قوم بحيالهم».

٢-٢) صفين ٤٤٧، ٤٤٨.

فِيهِمْ لِعَظِيمِ حَقِّهِمْ وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَصَبْرٌ عِنْدَ الْمَوْتِ أَشَدَّاءُ عِنْدَ الْقِتَالِ فَدَعَا عَلِيُّ ع بِفَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ص الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ الْمُرْتَجِرُ فَرَكِبَهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ أَمَامَ الصُّفُوفِ ثُمَّ قَالَ بِلِ الْبُغْلَةِ بِلِ الْبُغْلَةِ فَقَدَّمَتْ لَهُ بَغْلَهُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَكَانَتْ الشَّهْبَاءُ فَرَكِبَهَا ثُمَّ تَعَصَّبَ بِعِمَامَتِهِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَكَانَتْ سَوْدَاءَ ثُمَّ نَادَى أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ يَشِرْ نَفْسَهُ لِلَّهِ يَزِيحُ إِنَّ هَذَا لَيَوْمٌ (١) لَهُ مَا بَعْدَهُ إِنَّ عَدُوَّكُمْ قَدْ مَسَّهُ الْقَرْحُ كَمَا مَسَّكُمْ فَاتْتَدِبُوا لِنُصْرِهِ دِينَ اللَّهِ فَاتْتَدَبْ لَهُ مَا بَيْنَ عَشْرَةِ آلَافٍ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا قَدْ وَضَعُوا سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ فَشَدَّ بِهِمْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَهُوَ يَقُولُ دَبُّوا دَيْبَ النَّمْلِ لَا تَفُوتُوا .

وَ تَبِعَهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ بِلِوَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ أَبَعَدَ عَمَّارٍ وَبَعَدَ هَاشِمٍ

وَ حَمَلَ وَ حَمَلَ الْأَشْتَرُ بَعْدَهُمَا فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ كَافَّةً فَلَمْ يَبْقَ لِأَهْلِ الشَّامِ صَفٌّ إِلَّا انْتَقَصَ وَ أَهْمَدَ أَهْلُ (٢) الْعِرَاقِ مَا أَتُوا عَلَيْهِ حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى مِضْرَبِ مُعَاوِيَةَ وَ عَلِيُّ ع يَضْرِبُ النَّاسَ بِسَيْفِهِ قُدَمَا قُدَمَا وَ يَقُولُ

ص: ٥٨

١- ١) ج، د: «إن هذا اليوم».

٢- ٢) صفين: «و أهدوا ما أتوا عليه».

أَضْرِبُهُمْ وَلَا أَرَى مُعَاوِيَةَ

الْأَخْزَرَ الْعَيْنِ الْعَظِيمِ الْحَاوِيَةَ هَوَتْ بِهِ النَّارَ أُمَّ هَاوِيَةَ

فَدَعَا مُعَاوِيَةَ بِفَرَسِهِ لِيُنْجُو عَلَيْهِ فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرَّكَابِ تَوَقَّفَ وَتَلَوَّمَ قَلِيلًا ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَ عَمْرِو بْنِ الْإِطْنَابِيِّ أَبِي عَفْتَى وَ
أَبِي بَلَاءِ ثُمَّ قَالَ يَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْيَوْمَ صَبِرٌ وَغَدًا فَخْرٌ قَالَ صَدَقْتَ إِنَّكَ وَمَا أَنْتَ فِيهِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ (١) مَا عَلَّتِي وَأَنَا جِلْدُ
نَابِلِ (٢) فَتَنَى مُعَاوِيَةَ رِجْلَهُ مِنَ الرَّكَابِ وَنَزَلَ وَاسْتَصْرَخَ بِعُكٍّ وَالْأَشْعَرِيِّينَ فَوَقَفُوا دُونَهُ وَجَالَدُوا عَنْهُ حَتَّى كَرِهَ كُلُّ مَنْ الْفَرِيقَيْنِ
صَاحِبَهُ وَتَحَاجَزَ النَّاسُ (٣).

ص: ٥٩

١-١) صفين: «ابن أبي الأفلح»؛ وهو عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح؛ صحابي، ذكره ابن حجر في الإصابة ٢:٢٣٥. و الرجز في اللسان
١٣:٥٠٦.

٢-٢) في اللسان: «طب خاتل».

٣-٣) العنابل: الوتر الغليظ.

قَالَ نَصِيرٌ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ بَعْدَ انْقِضَاءِ صَفِينٍ وَ خُلُوصِ الْأَمْرِ لَهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِي عَلَيْكَ حَقًّا قَالَ وَ مَا هُوَ قَالَ حَقُّ عَظِيمٍ قَالَ وَيُحَكُّ مَا هُوَ قَالَ أَ تَذْكُرُ يَوْمًا قَدِمْتَ فَرَسَكَ لِتَفِرَّ وَ قَدْ عَشَيْتُكَ أَبُو تُرَابٍ وَ الْأَشْتَرُ فَلَمَّا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَتِيبَهُ وَ أَنْتَ عَلَى ظَهْرِهِ أَمْسَيْتُ بِعَيْنَيْكَ وَ قُلْتُ لَكَ أَيْنَ تَذْهَبُ إِنَّهُ لِلْوَمِّ بِكَ أَنْ تَسْمَحَ الْعَرَبُ بِنُفُوسِهَا لَكَ شَهْرَيْنِ وَ لَا تَسْمَحَ لَهَا بِنَفْسِكَ سَاعَةً وَ أَنْتَ ابْنُ سِتِّينَ وَ كَمْ عَسَى أَنْ تَعِيشَ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ هَذِهِ السَّنِّ إِذَا نَجَّوْتَ فَتَلَوَّمْتَ فِي نَفْسِكَ سَاعَةً ثُمَّ أَنْشَدْتَ شِعْرًا لَا أَحْفَظُهُ ثُمَّ نَزَلْتَ فَقَالَ وَيُحَكُّ فَإِنَّكَ لَأَنْتَ هُوَ وَ اللَّهُ مَا أَحَلَّنِي هَذَا الْمَحَلَّ إِلَّا أَنْتَ وَ أَمْرٌ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ

١٧٣٣

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ عَنِ النَّخَعِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تَعَرَّضَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِعَلِيِّ ع يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ صَفِينٍ وَ ظَنَّ أَنَّهُ يَطْمَعُ مِنْهُ فِي غَزَاهُ فَيَصِبُ بِيَهُ فَحَمَلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ ع فَلَمَّا كَادَ أَنْ يُخَالِطَهُ أَذْرَى نَفْسَهُ عَنْ فَرَسِهِ وَ رَفَعَ ثَوْبَهُ وَ شَعَرَ بِرِجْلِهِ فَيَدَّتْ عَوْرَتَهُ فَصَيَّرَفَ ع وَجْهَهُ عَنْهُ وَ ارْتَثَ (١) وَ قَامَ مُعَفَّرًا بِالتُّرَابِ هَارِبًا عَلَى رِجْلَيْهِ مُعْتَصِمًا بِمَا بَصُرَ مُوفِهِ فَقَالَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَلَتَ الرَّجُلُ فَقَالَ أَ تَدْرُونَ مَنْ هُوَ قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ تَلَقَانِي بِسُوءِ تَهٍ فَصَيَّرَفْتُ وَجْهِي عَنْهُ وَ رَجَعَ عَمْرُو إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ مَا صَيَّرَفْتُ يَا أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ فَقَالَ لَقِينِي عَلِيُّ فَصَيَّرَفْتَنِي قَالَ أَحْمَدُ اللَّهِ وَ عَوْرَتَكَ وَ اللَّهُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ لَوْ عَرَفْتَهُ لَمَا أَقْحَمْتَ عَلَيْهِ وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ فِي ذَلِكَ أَلَا لِلَّهِ مِنْ هَفَوَاتِ عَمْرٍو يُعَاتِبُنِي عَلَى تَرْكِي بِرَازِي

ص: ٦٠

(١-١) من صفين.

فَغَضِبَ عَمْرُو وَ قَالَ مَا أَشَدَّ تَعْظِيمَكَ عَلِيًّا (١) أَبَا تُرَابٍ فِي أَمْرِي هَلْ (٢) أَنَا إِلَّا رَجُلٌ لَقِيَهُ ابْنُ عَمِّهِ فَصَرَعه أَ فَتَرَى السَّمَاءَ لِذَلِكَ دَمَا قَالَ لَا وَ لَكِنَّهَا مُعْتَبَهُ لَكَ خَزِيًّا

(٣)

١٧٣٤

١٧- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ لَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَ عَظُمَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ قَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَخِيهِ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَلَا أَشَعْتَ فَإِنَّهُ إِنْ رَضِيَ رَضِيَيتَ الْعَامَّةُ وَ كَانَ عُثْبَةُ فَصِيحًا فَخَرَجَ فَنَادَى الْأَشَعْتَ فَقَالَ الْأَشَعْتُ سَلُوا مَنْ هُوَ الْمُنَادِي قَالُوا عُثْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ غُلَامٌ مُتْرَفٌ وَ لَا بُدَّ مِنْ لِقَائِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا عُثْبَةُ فَقَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنْ مُعَاوِيَةَ لَوْ كَانَ لَاقِيًا رَجُلًا غَيْرَ عَلِيٍّ لَلْقَيْكَ إِنْكَ رَأْسُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَنِ وَ قَدْ سَلَفَ مِنْ عُثْمَانَ إِلَيْكَ مَا سَلَفَ مِنَ الصُّهْرِ وَ الْعَمَلِ وَ لَسْتَ كَأَصْحَابِكَ أَمَّا الْمَأْشُورُ فَقَتِيلُ عُثْمَانَ وَ أَمَّا عِدِيٌّ فَحَرَضٌ عَلَيْهِ وَ أَمَّا سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ فَقَلْدٌ عَلِيًّا دَيْتَهُ وَ أَمَّا شُرَيْحٌ وَ زَحْرُ بْنُ قَيْسٍ فَلَا يَعْرِفَانِ غَيْرَ الْهَوَى وَ إِنْكَ حِيَامِيَّتَ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ تَكْرُمًا وَ حَارَبْتَ أَهْلَ الشَّامِ حَمِيَّةً وَ قَدْ بَلَّغْنَا مِنْكَ وَ بَلَّغْتَ مِنَّا مَا أَرَدْتَ وَ إِنَّا لَا نَدْعُوكَ إِلَى تَرْكِ عَلِيٍّ وَ نَصِيرِهِ مُعَاوِيَةَ وَ لَكِنَّا نَدْعُوكَ إِلَى الْبَقِيَّةِ الَّتِي فِيهَا صَلَاحُكَ وَ صَلَاحُنَا فَتَكَلَّمْ الْأَشَعْتُ فَقَالَ يَا عُثْبَةُ أَمَّا قَوْلُكَ إِنْ مُعَاوِيَةَ لَا يَلْقَى إِلَّا عَلِيًّا

ص: ٦١

١-١) صفين: «به ليشا يذلل كل نازي».

٢-٢) صفين.

٣-٣) صفين: «هو».

فَلَوْ لَقِينِي وَاللَّهِ لَمَّا عَظَّم عَنِّي وَلَا صِيغَرْتُ عَنْهُ وَإِنْ أَحَبَّ أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيٍّ فَعَلْتُ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّي رَأْسُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ
سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَنِ فَإِنَّ الرَّأْسَ الْمُتَّعَّ وَالسَّيِّدَ الْمُطَاعَ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا مَا سَلَفَ مِنْ عُثْمَانَ إِلَيَّ فَوَاللَّهِ مَا زَادَنِي صَهْرُهُ
شَرَفًا وَلَا عَمَلُهُ عِزًّا وَأَمَّا عَيْبُكَ أَصْحَابِي فَإِنَّهُ لَا يُقَرَّبُكَ مِنِّي وَلَا يُبَاعِدُنِي عَنْهُمْ وَأَمَّا مُحَامَاتِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَمَنْ نَزَلَ بَيْتًا
حَمَاهُ وَأَمَّا الْبَقِيَّةُ فَلَسْتُمْ بِأَحْوَجَ إِلَيْهَا مِنَّا وَسَتَرَى رَأْيَنَا فِيهَا.

فَلَمَّا عَادَ عُتْبَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَابْلَغَهُ قَوْلَهُ قَالَ لَهُ لَا تَلْقَهُ بَعْدَهَا فَإِنَّ الرَّجُلَ عَظِيمٌ عِنْدَ نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ جَنَحَ لِلسَّلَامِ وَشَاعَ فِي أَهْلِ
الْعِرَاقِ مَا قَالَهُ عُتْبَةُ لِلأَشْعَثِ وَمَا رَدَّهُ الأَشْعَثُ عَلَيْهِ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ يَمْدُحُهُ يَا ابْنَ قَيْسٍ وَحَارِثٍ وَيَزِيدَ

قَالَ نَضِيرٌ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَمَّا يَبْسُ مِنْ جِهَةِ الْأَشْعَثِ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِنَّ رَأْسَ النَّاسِ بَعْدَ عَلِيٍّ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ فَلَوْ كَتَبْتَ إِلَيْهِ كِتَابًا لَعَلَّكَ تُرَقِّقُهُ وَ لَعَلَّهُ لَوْ قَالَ شَيْئًا لَمْ يَخْرُجَ عَلَيٌّ مِنْهُ وَقَدْ أَكَلْنَا الْحَرْبُ وَ لَا أَرَانَا نَصِلُ إِلَى الْعِرَاقِ إِلَّا بِهَلَاكِ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ عَمْرٍو إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَا يُخَدِّعُ وَ لَوْ طَمِعْتُ فِيهِ لَطَمَعْتُ فِي عَلِيٍّ قَالَ مُعَاوِيَةُ عَلَى ذَلِكَ فَكَتَبْتُ فَكَتَبَ عَمْرٍو إِلَيْهِ أَمَّا بَعِيدُ فَإِنَّ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ وَ أَنْتُمْ لَيْسَ بِأَوَّلِ أَمْرِ قَادَهُ الْبَلَاءُ وَ أَنْتَ رَأْسُ هَذَا الْجَمْعِ بَعِيدُ عَلَيٌّ فَانظُرْ فِيَمَا بَقِيَ وَ دَعْ مَا مَضَى فَوَاللَّهِ مَا أَبَقْتُ هَذِهِ الْحَرْبُ لَنَا وَ لَا لَكُمْ حَيَاةً وَ لَا صَبْرًا فَاعْلَمْ أَنَّ الشَّامَ لَا تَهْلِكُ إِلَّا بِهَلَاكِ الْعِرَاقِ وَ أَنَّ الْعِرَاقَ لَا تَهْلِكُ إِلَّا بِهَلَاكِ الشَّامِ فَمَا خَيْرُنَا بَعِيدَ هَلَاكِ أَغْيَادِنَا مِنْكُمْ وَ مَا خَيْرُكُمْ بَعْدَ هَلَاكِ أَغْيَادِكُمْ مِنَّا وَ لَسْنَا نَقُولُ لَيْتَ الْحَرْبُ عَادَتْ وَ لَكِنَّا نَقُولُ لَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ وَ إِنَّ فِيْنَا مَنْ يَكْرَهُ اللَّقَاءَ كَمَا أَنَّ فِيكُمْ مَنْ يَكْرَهُهُ وَ إِنَّمَا هُوَ أَمِيرٌ مُطَاعٌ وَ مَيَامُورٌ مُطِيعٌ أَوْ مُؤْتَمَنٌ مُشَاوِرٌ وَ هُوَ أَنْتَ فَأَمَّا الْأَشْتَرُ الْغَلِيظُ الطَّبَعِ الْقَاسِي الْقَلْبِ فَلَيْسَ بِأَهْلِيلٍ أَنْ يُدْعَى فِي الشُّورَى وَ لَا فِي خَوَاصِّ أَهْلِ النَّجْوَى وَ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ طَالَ الْبَلَاءُ وَ مَا يُرْجَى لَهُ آسَى

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَرَضَهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكَ وَقَالَ قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الْعَاصِ مَا أَغْرَاهُ بِكَ يَا عَدِيْدَ اللَّهِ أَجِبْهُ
وَ لِيُرِدَّ إِلَيْهِ شِعْرَهُ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ فَإِنَّهُ شَاعِرٌ فَكَتَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى عَمْرٍو أَمَا بَعِيدٌ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ أَقَلَّ حَيَاءً مِنْكَ
إِنَّهُ مَا لَكَ بِكَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْهَوَى فَيَعْتَهُ دِينَكَ بِالْثَمَنِ الْبَسِيْرِ ثُمَّ خَبَطَتِ النَّاسَ فِي عَشْوِهِ طَمَعًا فِي الدُّنْيَا فَأَعْظَمَتْهَا إِعْظَامَ أَهْلِ الدُّنْيَا
ثُمَّ تَزَعُمُ أَنَّكَ تَنْزَهُ عَنْهَا تَنْزَهُ أَهْلِ الْوَرَعِ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَارْجِعْ إِلَى بَيْتِكَ وَ دَعِ الطَّمَعَ فِي مِصْرٍ وَ الرُّكُونَ إِلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ وَ
أَعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْحِزْبَ مِمَّا مُعَاوِيَةَ فِيهَا كَعَلِيٍّ بِيَدِهَا عَلِيٌّ بِالْحَقِّ وَ انْتَهَى فِيهَا إِلَى الْعِيْذِ وَ بِيَدِهَا مُعَاوِيَةَ بِالْبَغْيِ وَ انْتَهَى فِيهَا إِلَى
السَّرْفِ وَ لَيْسَ أَهْلُ الْعِرَاقِ فِيهَا كَأَهْلِ الشَّامِ بَايَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلِيًّا وَ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَ بَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ مُعَاوِيَةَ وَ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُ وَ لَسِيْتُ
أَنَا وَ أَنْتَ فِيهَا سَوَاءٌ أَرَدْتَ اللَّهَ وَ أَرَدْتَ مِصْرَ وَ قَدْ عَرَفْتَ الشَّيْءَ الَّذِي بَاعَوكَ مِنِّي وَ لَا أَعْرِفُ الشَّيْءَ الَّذِي قَرَّبَكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ
فَإِنْ تُرِدُ شَرًّا لَا نَسِيْقَكَ بِهِ وَ إِنْ تُرِدُ خَيْرًا لَا تَسْبِقُنَا إِلَيْهِ وَ السَّلَامُ.

ثُمَّ دَعَا أَحَاهُ الْفَضْلُ فَقَالَ يَا ابْنَ أُمَّ أَجِبْ عَمْرًا فَقَالَ الْفَضْلُ يَا عَمْرٍو حَسْبُكَ مِنْ مَكْرٍ وَ سُوَاسٍ

قَتَلَى الْعِرَاقِ بِقَتْلِ الشَّامِ ذَاهِبَهُ

هَذَا بِهِذَا وَ مَا بِالْحَقِّ مِنْ بَأْسٍ (١).

ثُمَّ عَرَضَ الشُّعْرَ وَ الْكِتَابَ عَلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ لَا أَرَاهُ يُجِيبُكَ بِعِيدِهَا أَيْدَاءَ بَشَىءٍ إِنْ كَانَ يَغْفِلُ وَ إِنْ عَادَ عُدَّتْ (٢) عَلَيْهِ فَلَمَّا انْتَهَى الْكِتَابَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عَرَضَهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ إِنْ قَلْبَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَلْبَ عَلِيٍّ قَلْبٌ وَاحِدٌ وَ كِلَاهُمَا وُلْدُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ إِنْ كَانَ قَدْ حَشِنَ فَلَقَدْ لَانَ وَ إِنْ كَانَ قَدْ تَعَظَّمَ أَوْ عَظَّمَ صَاحِبُهُ فَلَقَدْ قَارَبَ وَ جَنَحَ إِلَى السَّلْمِ.

قَالَ نَصِيرٌ وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ لَمَّا كُتِبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ كِتَابًا أَسِيءَ تَعْرِضُ فِيهِ عَقْلَهُ وَ أَنْظُرْ مَا فِي نَفْسِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعِيدٌ فَإِنَّكُمْ مَعَشَرَ بَنِي هَاشِمٍ لَسْتُمْ إِلَى أَحَدٍ أَسِيرَعٍ بِالْمَسَاءَةِ مِنْكُمْ إِلَى أَنْصَارِ ابْنِ عَفَّانٍ حَتَّى أَنْتُمْ قَتَلْتُمْ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ لَطْلِبَهُمَا دَمَهُ وَ اسْتِعْظَمَهُمَا مَا نِيلَ مِنْهُ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُنَافَسَةً لِبَنِي أُمِّيَّةٍ فِي السُّلْطَانِ فَقَدْ وَلِيَهَا عَيْدِي وَ تَيْمٌ فَلِمَ تَنَافَسُوهُمْ وَ أَظْهَرْتُمْ لَهُمُ الطَّاعَةَ وَ قَعَدْتُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَى وَ أَكَلْتُمْ هَذِهِ الْحُرُوبُ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى اسْتَوَيْنَا فِيهَا فَمَا يُطْمَعُكُمْ فِينَا يُطْمَعُنَا فِيكُمْ وَ مَا يُؤْيِسُنَا مِنْكُمْ يُؤْيِسُكُمْ مِنَّا وَ لَقَدْ رَجَوْنَا غَيْرَ مَا كَانَ وَ خَشِينَا دُونَ مَا وَقَعَ وَ لَسْتَ مُلَاقِينَا الْيَوْمَ بِأَحَدٍ مِنْ حَيْدٍ أَمْسٍ وَ لَا غَدًا بِأَحَدٍ مِنْ حَيْدٍ الْيَوْمِ وَ قَدْ قِنَعْنَا بِمَا فِي أَيْدِينَا مِنْ مُلْكِ الشَّامِ فَاقْنَعُوا بِمَا فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ وَ أَبْقُوا عَلَى قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْ رِجَالِهَا سِتَّةٌ رِجَالَانِ بِالشَّامِ وَ رِجَالَانِ بِالْعِرَاقِ وَ رِجَالَانِ بِالْحِجَازِ فَأَمَّا اللَّذَانِ بِالشَّامِ فَأَنَا وَ عَمْرٍو وَ أَمَّا اللَّذَانِ بِالْعِرَاقِ فَأَنْتَ

ص: ٦٥

١ - ١) بعده في صفين: لا- بارك الله في مصر لقد جلبت شرًا و حظك منها حسوه الكاس يا عمرو إنك عار من مغارمها -
الراقصات -و من يوم الجزا كاس.

٢ - ٢) صفين: «فتعود إليه».

وَعَلِيٌّ وَ أَمَّا اللَّذَانِ بِالْحِجَازِ فَسِعْدٌ وَ ابْنُ عُمَرَ فَابْنَانِ مِنَ السُّتَّةِ نَاصِبَانِ لَكَ وَ ابْنَانِ وَاقِفَانِ فِيكَ وَ أَنْتَ رَأْسُ هَذَا الْجَمْعِ وَ لَوْ بَاعَ لَكَ النَّاسُ بَعْدَ عُثْمَانَ كُنَّا إِلَيْكَ أَسِيرًا مَنَا إِلَى عَلِيٍّ (١). فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَسِيخَطَهُ وَ قَالَ حَتَّى مَتَى يَخْطُبُ ابْنُ هِنْدٍ إِلَى عَقْلِي وَ حَتَّى مَتَى أَجْمَعُ عَلَى مَا فِي نَفْسِي وَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ (٢) أَتَانِي كِتَابُكَ وَ قَرَأْتُهُ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ سُرْعَتِنَا إِلَيْكَ بِالْمَسَاءِ إِلَى أَنْصَارِ ابْنِ عَفَّانٍ وَ كَرَاهَتِنَا لِسُلْطَانِ بِنِي أُمِّيهِ فَلَعَمْرِي لَقَدْ أَدْرَكْتَ فِي عُثْمَانَ حَاجَتَكَ حِينَ اسْتَنْصَرَكَ فَلَمْ تَنْصُرْهُ حَتَّى صَرَفْتَ إِلَى مَا صَرَفْتَ إِلَيْهِ وَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ فِي ذَلِكَ ابْنُ عَمِّكَ وَ أَخُو عُثْمَانَ وَ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَ أَمَّا طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ فَإِنَّهُمَا أَجَلِيَا عَلَيْهِ وَ ضَمِيمَا خِنَافُهُ ثُمَّ خَرَجَا يَنْقُضَانِ الْبَيْعَةَ وَ يَطْلُبَانِ الْمُلْكَ فَقَاتَلْنَاهُمَا عَلَى النَّكْثِ كَمَا قَاتَلْنَاكَ عَلَى الْبَغْيِ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ قُرَيْشٍ غَيْرُ سِتِّهِ فَمَا أَكْثَرَ رِجَالَهَا وَ أَحْسَنَ بَقِيَّتِهَا وَ قَدْ قَاتَلَكَ مِنْ خِيَارِهَا مَنْ قَاتَلَكَ وَ لَمْ يَخْذُلْنَا إِلَّا مَنْ خَذَلَكَ وَ أَمَّا إِغْرَاؤُكَ إِيَّانَا بَعْدِي وَ تَيْمُّ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ خَيْرٌ مِنْ عُثْمَانَ كَمَا أَنَّ عُثْمَانَ خَيْرٌ مِنْكَ وَ قَدْ بَقِيَ لَكَ مِنَّا مَا يُسِيكَ مَا قَبْلَهُ وَ تَخَافُ مَا بَعْدَهُ وَ أَمَّا قَوْلُكَ لَوْ بَاعَ النَّاسُ لِي لَأَسْتَقَامُوا فَقَدْ بَاعَ النَّاسُ عَلِيًّا وَ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي فَلَمْ يَسْتَقِيمُوا لَهُ وَ مَا أَنْتَ وَ الْخِلَافَةَ يَا مُعَاوِيَةَ وَ إِنَّمَا أَنْتَ طَلِيقٌ وَ ابْنُ طَلِيقٍ وَ الْخِلَافَةُ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَ لَيْسَ الطُّلُقَاءُ مِنْهَا فِي شَيْءٍ وَ السَّلَامُ.

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ هَذَا عَمَلِي بِنَفْسِي لَا أَكْتُبُ وَ اللَّهُ إِلَيْهِ كِتَابًا سَنَّهُ كَامِلَةً وَ قَالَ

ص: ٦٦

١-١) بعدها في صفين: «في كلام كثير كتب إليه».

٢-٢) من صفين.

١,٢,٣- قَالَ نَصْرُ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ عَقَدَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ صِفِّينَ الرَّئِاسَةَ عَلَى الْيَمَنِ مِنْ قُرَيْشٍ قَصَدَ بِذَلِكَ إِكْرَامَهُمْ وَ رَفَعَ مَنَازِلَهُمْ مِنْهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ بِنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَ مُحَمَّدٌ وَ عُتْبَةُ ابْنَا أَبِي سُفْيَانَ وَ بُسَيْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاهَ وَ عَبِيدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَ ذَلِكَ فِي الْوَقْعَاتِ الْأُولَى مِنْ صِفِّينَ فَغَمَّ ذَلِكَ أَهْلَ الْيَمَنِ وَ أَرَادُوا أَلَّا يَتَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَّا مِنْهُمْ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ السَّكُونِيُّ فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي قَدْ قُلْتُ شَيْئًا فَاسْمَعُهُ وَ ضَعُهُ مِنِّي عَلَى النَّصِيحَةِ قَالَ هَاتِ فَأَنشَدَهُ مُعَاوِيَ أَحْيَيْتَ فِينَا الْإِخْنَ

قَالَ فَبَكَى لَهَا مُعَاوِيَةَ وَ نَظَرَ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ أَعَنْ رِضَاكُمْ يَقُولُ مَا قَالَ قَالُوا لَا مَرْحَبًا بِمَا قَالَ إِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَيْكَ فَاصْبِرْ مَا أَحْبَبْتَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّمَا خَلَطْتُ بِكُمْ أَهْلَ ثِقَتِي وَ مَنْ كَانَ لِي فَهُوَ لَكُمْ وَ مَنْ كَانَ لَكُمْ فَهُوَ لِي فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَ سَكَتُوا فَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَقَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ لِمُعَاوِيَةَ فِيمَنْ عَقَدَ لَهُ مِنْ رُءُوسِ أَهْلِ الشَّامِ (١) قَامَ الْأَعْوَرُ الشَّيْئِيُّ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا لَا نَقُولُ لِمَكَ كَيْمَا قَالَ صَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ لِمُعَاوِيَةَ وَ لَكِنْ نَقُولُ زَادَ اللَّهُ فِي سِرُّورِكَ (٢) وَ هِدَاكَ نَظَرَتْ بِنُورِ اللَّهِ فَقَدِمَتْ رِجَالًا وَ أَخْرَجَتْ رِجَالًا عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ وَ عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ أَنْتَ الْإِمَامُ فَإِنْ هَلَكْتَ فَهَذَا مِنْ بَعْدِكَ يَعْنِي حَسِينًا وَ حُسَيْنًا ع وَ قَدْ قُلْتُ شَيْئًا فَاسْمَعُهُ قَالَ هَاتِ فَأَنْشَدَهُ أَبَا حَسَنِ أَنْتَ شَمْسُ النَّهَارِ

ص: ٦٨

١-١) من صفين.

٢-٢) صفين: «زاد الله في سرورك و هداك».

قَالَ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ إِلَّا وَ أَهْدَى إِلَيَّ الشَّنِيَّ أَوْ أَتَحَفَهُ

١٧٣٦

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ لَمَّا تَعَاظَمَتِ الْأُمُورُ عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ قَبْلَ قَتْلِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَعَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَ بُشَيْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاهُ وَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ قَدْ عَمَّنِي مَقَامَ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيُّ فِي قَوْمِهِ وَ الْأَشْثَرُ فِي قَوْمِهِ وَ الْمَرْقَالُ وَ عَيْدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ وَ قَيْسُ بْنُ سَعِيدٍ فِي الْأَنْصَارِ وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ يَمَانِيَّتِكُمْ وَ قَتُّكُمْ بِأَنْفُسِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً حَتَّى لَقِدَ اسْتَحْيَيْتُمْ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ عِدُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَ أَنَا أُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكُمْ أَهْلُ عَنَاءٍ وَ قَدْ عَبَّاتُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ فَاجْعَلُوا ذَلِكَ إِلَيَّ قَالُوا ذَاكَ إِلَيْكَ قَالَ فَأَنَا أَكْفِيكُمْ عِدًّا سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَ قَوْمُهُ وَ أَنْتَ يَا عَمْرُو لِلْمَرْقَالِ أَعُورِ بِنَى زُهْرَةَ وَ أَنْتَ يَا بُشَيْرُ لِقَيْسِ بْنِ سَعِيدٍ وَ أَنْتَ يَا عُبَيْدَ اللَّهِ لِلْأَشْثَرِ وَ أَنْتَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ لِأَعُورِ طِيٍّ يَعْنِي عَيْدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ وَ قَدْ جَعَلْتَهَا نَوْبًا فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ يَوْمَ فَكُونُوا عَلَيَّ أَعِنَّةَ الْخَيْلِ قَالُوا نَعَمْ فَأَصْرَبِحَ مُعَاوِيَةَ فِي غَدِهِ فَلَمْ يَدْعُ فَارِسًا إِلَّا حَشَدَهُ ثُمَّ قَصَدَ لَهُمْدَانَ بِنَفْسِهِ وَ ارْتَجَزَ فَقَالَ لَنْ تَمْنَعَ الْخُرْمَةَ بَعْدَ الْعَامِ

ص: ٦٩

فَطَعَنَ فِي أَعْرَاضِ الْخَيْلِ مَلِيًّا ثُمَّ إِنَّ هَمِدَانَ تَنَادَتْ بِشِعَارِهَا وَأَقْحَمَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ فَرَسَهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ حَتَّى حَجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَهَمِدَانَ تَذَكَّرُ أَنَّ سَعِيدًا كَادَ يَقْتَنِضُهُ إِلَّا أَنَّهُ فَاتَهُ رَكْضًا وَقَالَ سَعِيدُ فِي ذَلِكَ يَا لَهْفَ نَفْسِي فَاتَنِي مُعَاوِيَةُ فَوْقَ طِمْرٍ كَالْعَقَابِ هَاوِيَةٍ وَالرَّاقِصَاتِ لَا يَعُودُ ثَانِيَةً (١) قَالَ نَصِيرٌ وَانصيرَ فَمُعَاوِيَةُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا وَغَدَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فِي حِمَاةِ الْخَيْلِ فَقَصَّيْدَ الْمَرْقَالَ وَمَعَ الْمَرْقَالَ لِيُؤَاءَ عَلِيٌّ عَ الْأَعْظَمُ فِي حِمَاهِ النَّاسِ وَكَانَ عَمْرُو مِنْ فُرْسَانَ قُرَيْشٍ (٢) فَارْتَجَزَ عَمْرُو فَقَالَ لَا عَيْشَ إِنْ لَمْ أَلْقَ يَوْمًا هَاشِمًا فَطَعَنَ فِي أَعْرَاضِ الْخَيْلِ مُزِيدًا وَحَمَلَ الْمَرْقَالَ عَلَيْهِ وَارْتَجَزَ فَقَالَ لَا عَيْشَ إِنْ لَمْ أَلْقَ يَوْمًا عَمْرًا

ص: ٧٠

١- ١) و الرقص: ضرب من سير الإبل، و بعده في صفين: إلا على ذات خصيل طاويه إن يعد اليوم فكفى عاليه.

٢- ٢) من صفين.

فَطَاعَنَ عَمْرًا حَتَّى رَجَعَ وَانصَرَفَ الْفَرِيقَانِ بَعْدَ شِدَّةِ الْقِتَالِ وَ لَمْ يَسِرَّ مُعَاوِيَةَ ذَلِكَ وَ غَدَا بُسَيْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاهَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فِي حُمَاهِ الْخَيْلِ فَلَقِيَ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي كُمَاهِ الْأَنْصَارِ فَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا وَ بَرَزَ قَيْسٌ كَأَنَّهُ فَنِيْقٌ مُقْرِمٌ وَ هُوَ يَقُولُ أَنَا ابْنُ سَعْدٍ زَانَهُ عُبَادَةَ

وَ طَاعَنَ خَيْلَ بُسَيْرٍ وَ بَرَزَ بُسَيْرٌ فَارْتَجَزَ وَ قَالَ أَنَا ابْنُ أَرْطَاهِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ وَ يَطْعُنُ بُسَيْرٌ قَيْسًا وَ يَضْرِبُهُ قَيْسٌ بِالسَّيْفِ فَرَدَّهُ عَلَى عَقْبِيهِ وَ رَجَعَ الْقَوْمُ جَمِيعًا وَ لِقَيْسِ الْفَضْلِ وَ تَقَدَّمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ لَمْ يَشْرِكْ فَارِسًا مِذْكَورًا إِلَّا جَمَعَهُ وَ اسْتَكْتَرَ مَا اسْتَطَاعَ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ إِنَّكَ الْيَوْمَ تَلْقَى أَهْلَ الْعِرَاقِ فَارْفُقْ وَ اتَّيَدَ فَلَقِيَهُ الْأَشْتَرُ أَمَامَ الْخَيْلِ مُزِيدًا وَ كَانَ الْأَشْتَرُ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ أَرْبَدَ وَ هُوَ يَقُولُ يَا رَبِّ قَيْضُ لِي سُيُوفَ الْكُفْرَةِ

وَسَدَّ عَلَى الْخَيْلِ خَيْلِ الشَّامِ فَرَدَّهَا فَاسْتَحْيَا عَبْدُ اللَّهِ وَبَرَزَ أَمَامَ الْخَيْلِ وَكَانَ فَارِسًا شَجَاعًا وَقَالَ أَنْعَى ابْنَ عَفَّانَ وَارْجُوا رَبِّي
فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ وَطَعَنَهُ وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ وَلِلْأَشْتَرِ الْفَضْلُ فَغَمَّ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ وَغَدَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ فِي الْيَوْمِ
الْخَامِسِ وَكَانَ رَحِيَاءَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَبَالَ حِرَاجَتَهُ فَقَوَّاهُ بِالْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ وَكَانَ مُعَاوِيَةَ يَعِدُّهُ وَلَعْدًا فَلَقِيَهُ عِدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فِي كُمَاهِ
مَذْحِجٍ وَقُضَاعَةَ فَبَرَزَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَمَامَ الْخَيْلِ وَقَالَ قُلْ لِعِدِيِّ ذَهَبَ الْوَعِيدُ ثُمَّ حَمَلَ فَطَعَنَ النَّاسَ فَقَصَدَهُ عِدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ وَسَدَّدَ
إِلَيْهِ الرُّمَحَ وَقَالَ ارْجُوا إِلَهِي وَانْخَافُوا ذُنُوبِي

فَلَمَّا كَادَ أَنْ يُخَالِطَهُ بِالرُّمَحِ تَوَارَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْعَجَاجِ وَاسْتَتَرَ بِأَسْنِهِ أَصْحَابِهِ وَاخْتَلَطَ الْقَوْمُ ثُمَّ تَحَاجَرُوا وَرَجَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
مَقْهُورًا وَانْكَسَرَ مُعَاوِيَةَ وَبَلَغَ أَيْمَنُ بْنُ خَزِيمٍ مِمَّا لَقِيَ مُعَاوِيَةَ وَأَصِيحَابُهُ فَشَمِتَ بِهِمْ وَكَانَ نَاسِكًا مِنْ أُنْسِكِ أَهْلِ الشَّامِ وَكَانَ
مُعْتَرِلًا لِلْحَرْبِ فِي نَاحِيَةِهَا فَقَالَ

مُعَاوِيَ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ

قَالَ وَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ أَظْهَرَ لِعَمْرٍو شِمَاتَهُ وَ جَعَلَ يُقَرِّعُهُ وَ يُوبِّخُهُ وَ قَالَ لَقَدْ أَنْصَيْتُكُمْ إِذْ لَقِيتُ سَعِيدَ بْنَ قَيْسٍ فِي هَمِيدَانَ وَ فَوَزْتُكُمْ وَ
إِنَّكَ لَجَبَانٌ يَا عَمْرُو فَغَضِبَ عَمْرُو وَ قَالَ فَهَلَّا بَرَزْتَ إِلَيَّ إِذْ دَعَاكَ إِنْ كُنْتَ شَجَاعاً كَمَا تَزْعُمُ وَ قَالَ تَسِيرُ إِلَيَّ ابْنِ ذِي يَزَنَ
سَعِيدِ

ص: ٧٣

قَالَ وَ إِنَّ الْقُرَشِيِّينَ اسْتَحْيَوْا مَا صَنَعُوا وَ شَمِتَ بِهِمُ الْيَمَانِيَّةُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَ اللَّهُ لَقَدْ قَرَّبَكُمْ لِقَاءَ الْقَوْمِ إِلَى الْفَتْحِ وَ لَكِنَّ لَأَمْرَ اللَّهِ وَ مِمَّ تَسْتَحْيُونَ إِنَّمَا لَقَيْتُمْ كِبَاشَ الْعِرَاقِ فَقَتَلْتُمْ مِنْهُمْ وَ قَتَلُوا مِنْكُمْ وَ مَا لَكُمْ عَلَيَّ مِنْ حُجَّةٍ لَقَدْ عَيَّأْتُ نَفْسِي لِسَيْدِهِمْ وَ شَجَاعِهِمْ سَيِّعِيدِ بْنِ قَيْسٍ فَانْقَطَعُوا عَنْ مُعَاوِيَةَ أَيَّامًا فَقَالَ مُعَاوِيَةُ فِي ذَلِكَ (١) لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْصَيْتُ وَ النَّصْفُ عَادَتِي

فَلَمَّا سَمِعَ الْقَوْمُ مَا قَالَهُ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ فَاغْتَدَرُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَقَامُوا إِلَيْهِ عَلَى مَا يُحِبُّ (٢)

١٧٣٧

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ قَالَ لَمَّا اشْتَدَّ الْفِتْيَالُ وَ عَظُمَ الْخَطْبُ أَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعِيَّاصِ أَنْ قَدِّمَ عَكَا وَ الْأَشْعَرِيِّينَ إِلَى مَنْ يَبِازِيهِمْ فَبَعَثَ عَمْرُو إِلَيْهِ أَنْ يَبِازِيَ عَكَ هَمْدَانَ (٣) فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ أَنْ قَدِّمَ عَكَا فَآتَاهُمْ عَمْرُو فَقَالَ يَا مَعْشَرَ عَكَا إِنَّ عَلَيَّا قَدْ عَرَفَ أَنَّكُمْ حَيٌّ أَهْلُ الشَّامِ فَعَبَأَ لَكُمْ حَيٌّ أَهْلُ الْعِرَاقِ هَمْدَانَ

ص: ٧٤

١- ١) من صفين.

٢- ٢) صفين: «أن تبوءوا».

٣- ٣) أصحرتها: أبرزتها. والعرائن: جمع عرين؛ مسكن الأسد.

فَاصْبِرُوا وَهَبُوا إِلَيَّ جَمَاعَتَكُمْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ فَقَالَ ابْنُ مَسْرُوقٍ الْعَكِّيُّ أُمِّهِلْنِي حَتَّى آتِي مُعَاوِيَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ
يَا مُعَاوِيَةُ اجْعَلْ لَنَا فَرِيضَةً أَلْفِي رَجُلٍ فِي أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ وَمَنْ هَلَكَ فَأَبْنُ عَمِّهِ مَكَانَهُ لِنَقِرَّ الْيَوْمَ عَيْنَكَ فَقَالَ لَكَ ذَلِكَ فَرَجَعَ ابْنُ
مَسْرُوقٍ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ فَقَالَتْ عَكٌّ نَحْنُ لِهَمْدَانَ ثُمَّ تَقَدَّمَتْ عَكٌّ وَ نَادَى سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ يَا هَمْدَانُ أَنْ تَقَدَّمُوا (١)
فَشَدَّتْ هَمْدَانُ عَلَى عَيْكٍ رَجَالَهُ فَأَخَذَتِ السُّيُوفُ أَرْجُلَ عَيْكٍ فَنَادَى ابْنُ مَسْرُوقٍ يَا لَعَكُ بَزْكَ كَبْرُكَ الْكُمَّلِ فَبَرَكُوا تَحْتَ
الْحَجَفِ فَشَجَرَتْهُمْ (٢) هَمْدَانُ بِالرَّمَاكِ وَ تَقَدَّمَ شَيْخٌ مِنْ هَمْدَانَ وَ هُوَ يَقُولُ يَا لَبِكِيلَ لَحْمَهَا وَ حَاشِدٌ (٣)

وَ قَامَ رَجُلٌ مِنْ عَيْكٍ فَارْتَجَزَ فَقَالَ تَدْعُونَ هَمْدَانَ وَ نَدْعُو عَكًّا

ص: ٧٥

١-١) صفين: «خدموا».

٢-٢) صفين: «و شجروهم بالرماح»، و شجروهم: طعنوهم.

٣-٣) بكيل و حاشد: من بطون همدان.

قَالَ فَالْتَقَى الْقَوْمُ جَمِيعًا بِالرِّمَاحِ وَصَارُوا إِلَى السُّيُوفِ وَتَجَالَدُوا حَتَّى أَدْرَكَهُمْ اللَّيْلُ فَقَالَتْ هَمْدَانُ يَا مَعْشَرَ عَكٍّ نَحْنُ نُقَسِمُ بِاللَّهِ
أَنَّا لَا نَنْصَرِفُ حَتَّى تَنْصَرِفُوا وَقَالَتْ عَكٌّ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَكٍّ أَنْ أَبْرُوا قَسَمَ (١) إِخْوَتِكُمْ وَهَلُّمُوا فَانْصَرَفَتْ عَكٌّ
فَلَمَّا انْصَرَفَتْ انْصَرَفَتْ هَمْدَانُ فَقَالَ عَمْرُو يَا مُعَاوِيَةَ وَاللَّهِ لَقَدْ لَقَيْتُ أُسْدًا أُسْدًا لَمْ أَرَ وَاللَّهِ كَهَذَا الْيَوْمِ قَطُّ لَوْ أَنَّ مَعَكَ حَيًّا كَعَكِّ
أَوْ مَعَ عَلِيٍّ حَتَّى كَهَمِيدَانَ لَكَانَ الْفَنَاءُ وَقَالَ عَمْرُو فِي ذَلِكَ إِنَّ عَكًّا وَحَاشِدًا وَبَكِيلاً قَالَ وَلَمَّا اشْتَرَطَتْ عَكٌّ وَالْأَشْجَرِيُّونَ عَلَى
مُعَاوِيَةَ مَا اشْتَرَطُوا مِنَ الْفَرِيضَةِ وَالْعَطَاءِ فَأَعْطَاهُمْ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ إِلَّا طَمِعَ فِي مُعَاوِيَةَ وَشَخِصَ (٢)
بِبَصَرِهِ إِلَيْهِ حَتَّى فَشَا ذَلِكَ فِي النَّاسِ وَبَلَغَ عَلِيًّا عَ فَسَاءَهُ (٣) .

ص: ٧٤

١-١) صفين: أبروا قسم القوم.

٢-٢) صفين: «و شخص بصره إليه».

٣-٣) صفين ٤٩٤، ٤٨٥.

قَالَ نَضِيرٌ وَجَاءَ عَيْدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ يَلْتَمِسُ عَلِيًّا مَا يَطَأُ إِلَّا عَلَى قَيْلٍ أَوْ قَدَمٍ أَوْ سَاعِدٍ فَوَجَدَهُ تَحْتَ رَايَاتِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَقُومُ حَتَّى نُقَاتِلَ إِلَى أَنْ نَمُوتَ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عِزُّنَا حَتَّى وَضَعَ أُذُنَهُ عِنْدَ أَنْفِهِ فَقَالَ وَيَحْكُ إِنَّ عَامَّةَ مَنْ مَعِيَ الْيَوْمَ يَعْصِيَنِي وَإِنْ مُعَاوِيَةَ فِيمَنْ يُطِيعُهُ وَلَا يَعْصِيهِ .

قَالَ نَضِيرٌ وَجَاءَ الْمُنْدَرُ بْنُ أَبِي حَمِيصَةَ الْوَادِعِيُّ وَكَانَ شَاعِرَ هَمْدَانَ وَفَارِسِيَّهَا عَلِيًّا فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَكَأَ وَالْأَشْعَرِيَّيْنِ طَلَبُوا إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ الْفَرَائِضَ وَالْعَطَاءَ فَأَعْطَاهُمْ فَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَإِنَّا قَدْ رَضِينَا بِالْآخِرَةِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْبِعْرَاقِ مِنَ الشَّامِ وَبِكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَاللَّهِ لَأَخِرْتُنَا خَيْرٌ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَلِعِرَاقُنَا خَيْرٌ مِنْ شَامِهِمْ وَلِإِمَامِنَا أَهْدَى مِنْ إِمَامِهِمْ فَاسْتَفْتَحْنَا بِالْحَرْبِ وَثِقْنَا مِنَ النَّضِيرِ وَاحْمَلْنَا عَلَى الْمَوْتِ وَأَنْشَدَهُ إِنَّ عَكَأَ سَأَلُوا الْفَرَائِضَ وَالْأَشْعَرَ فَقَالَ عَلِيٌّ عِزُّنَا حَتَّى وَاللَّهِ يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَأَنْتَى عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ خَيْرًا وَانْتَهَى شِعْرُهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَأَسْتَمِلَنَّ بِالْدُّنْيَا ثِقَاتَ عَلِيٍّ وَلَأَقْسِمَنَّ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ حَتَّى تَعْلَبَ دُنْيَايَ آخِرَتَهُ .

قَالَ نَضِيرٌ فَلَمَّا أَضْيَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى مَصَافِهِمْ وَأَضْيَحَ مُعَاوِيَةُ يَدُورُ فِي أَحْيَاءِ الْيَمَنِ وَقَالَ عُبُودًا إِلَى كُلِّ فَارِسٍ مِمَّنْ ذَكَرُوا فِيكُمْ أَتَقْوَى بِهِ عَلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَمْدَانَ

فَخَرَجَتْ خَيْلٌ عَظِيمَةٌ فَلَمَّا رَأَاهَا عَلِيُّ عَ وَ عَرَفَ أَنَّهَا عُيُونُ الرِّجَالِ فَنَادَى يَا لَهْمِ دَانَ فَأَجَابَهُ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَ إِحْمِلْ
فَحَمَلَ حَتَّى خَالَطَ الْخَيْلَ بِالْخَيْلِ وَ اشْتَدَّ الْقِتَالُ وَ حَطَّمْتُهُمْ هَمْدَانُ حَتَّى أَلْحَقْتُهُمْ بِمُعَاوِيَةَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَا لَقَيْتُ مِنْ هَمْدَانَ وَ جَزَعَ
جَزَعًا شَدِيدًا وَ أَسْرَعَ الْقَتْلُ فِي فُرْسِيَانِ الشَّامِ وَ جَمَعَ عَلِيُّ عَ هَمْدَانَ فَقَالَ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ هَمْدَانَ أَنْتُمْ دِرْعِي وَ رُمْحِي وَ مِجْنِي يَا
هَمْدَانُ مَا نَصَيْرْتُمْ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا أَجَبْتُمْ غَيْرَهُ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ أَجَبْنَا اللَّهَ وَ أَجَبْنَاكَ وَ نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي قَبْرِهِ وَ قَاتَلْنَا مَعَكَ مَنْ
لَيْسَ مِثْلَكَ فَارْمِنَا حَيْثُ شِئْتَ.

قَالَ نَصَيْرٌ وَ فِي هَذَا الْيَوْمِ قَالَ عَلِيُّ عَ وَ لَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهُمْ دَانَ ادْخُلِي بِسَلَامٍ فَقَالَ عَلِيُّ عَ لِصَاحِبِ لِيَاءِ هَمْدَانَ
إِكْفِنِي أَهْلَ حِمَصٍ فَإِنِّي لَمْ أَلْقِ مِنْ أَحَدٍ مَا لَقَيْتُ مِنْهُمْ فَتَقَدَّمَ وَ تَقَدَّمَتْ هَمْدَانُ وَ شَدُّوا شِدَّةً وَاحِدَةً عَلَى أَهْلِ حِمَصٍ فَضَرَبُوهُمْ
ضَرْبًا شَدِيدًا مُتَدَارِكًا بِالسُّيُوفِ وَ عُمِدِ الْحَدِيدِ حَتَّى أَلْجَأُوهُمْ إِلَى قُبَّةِ مُعَاوِيَةَ وَ ارْتَجَزَ مِنْ هَمْدَانَ رَجُلٌ عِدَادَهُ فِي أَرْحَبٍ فَقَالَ قَدْ
قَتَلَ اللَّهُ رِجَالَ حِمَصٍ قَالَ نَصَيْرٌ فَحَدَّثْنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ لَمَّا رُدَّتْ خُيُولُ مُعَاوِيَةَ أَسْفَ فَجَرَّدَ سَيْفَهُ وَ حَمَلَ فِي كُمَاهِ أَصْحَابِهِ
فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ فَوَارِسُ هَمْدَانَ فَفَازَ مِنْهَا رَكُضًا وَ انْكَسِرَتْ كُمَاتُهُ وَ رَجَعَتْ هَمْدَانُ إِلَى مَرَكَزِهَا فَقَالَ حُجْرُ بْنُ قَحْطَانَ الْهَمْدَانِيُّ
يُخَاطَبُ سَعِيدَ بْنَ قَيْسٍ

قَالَ نَصِيرٌ وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ رَجَالِهِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ دَعَا يَوْمًا بَصْرًا فَمِنَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْأَشْتَرَ قَدْ غَمَّنِي وَ أَفْلَقَنِي فَاخْرُجْ بِهَذِهِ الْخَيْلِ فِي يَحْضَبٍ وَ الْكَلَاعِيِّينَ فَالْقَهُ فَقَالَ مَرْوَانُ ادْعَا [أُدْعُ]

لَهُمَا عَمراً فَإِنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا قَالَ فَانْتِ نَفْسِي دُونَ وَرِيدِي قَالَ لَوْ كُنْتُ كَذَلِكَ أَلْحَقْتَنِي بِهِ فِي الْعَطَاءِ وَ أَلْحَقْتُهُ بِي فِي الْحَرْمَيْنِ وَ لَكِنَّكَ أَعْطَيْتَهُ مِثْلَ مَا فِي يَدِكَ وَ مَنَيْتَهُ مِثْلَ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ فَإِنْ غَلَبَتْ طَابَ لَهُ الْمَقَامُ وَ إِنْ غَلَبَتْ خَفَّ عَلَيْهِ الْهَرَبُ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ سَيُعِينِي اللَّهُ عَنكَ قَالَ أَمَا إِلَى الْيَوْمِ فَلَمْ يُعِنْ فَدَعَا مَعَاوِيَةَ عَمراً فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْأَشْتَرِ فَقَالَ أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ لَكَ مَا قَالَ مَرْوَانُ قَالَ وَ كَيْفَ تَقُولُهُ وَ قَدْ قَدَّمْتُكَ وَ أَخْرَجْتُهُ وَ أَدْخَلْتِكَ وَ أَخْرَجْتُهُ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ لَقَدْ قَدَّمْتَنِي كَافِياً وَ أَدْخَلْتَنِي نَاصِحاً وَ قَدْ أَكْثَرَ الْقَوْمُ عَلَيْكَ فِي أَمْرِ مِصْرَ وَ إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيهِمْ

إِلَّا- رُجُوعِكَ فِيمَا وَثَقْتَ لِي بِهِ مِنْهَا فَارْجِعْ فِيهِ ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ فِي تِلْكَ الْخَيْلِ فَلَقِيَهُ الْأَشْتَرُ أَمَامَ الْقَوْمِ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَلْقَاهُ وَهُوَ
يَزْتَجِرُ وَيَقُولُ يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ لِي بِعَمْرٍو فَلَمَّا سَمِعَ عَمْرُو هَذَا الرَّجَرَ فَشَلَّ (١) وَجَبَنَ وَاسْتَحْيَا أَنْ يَرْجِعَ وَأَقْبَلَ نَحْوَ الصَّوْتِ
وَقَالَ يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ لِي بِمَالِكِ

فَعَشِيهِ الْأَشْتَرُ بِالرُّمِيحِ فَرَاغَ عَمْرُو عَنْهُ فَلَمْ يَصْنِعِ الرُّمِيحَ شَيْئاً وَلَوَى عَمْرُو عِنَانَ فَرَسِهِ وَجَعَلَ يَدُهُ عَلَى وَجْهِهِ وَجَعَلَ يَرْجِعُ رَاكِضاً
نَحْوَ عَسِيكَرِهِ فَنَادَى غُلامٌ مِنْ يَحْضَبٍ يَا عَمْرُو عَلَيْكَ الْعَفَاءُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا يَا آلَ حَمِيرٍ إِنَّا لَكُمْ مَا كَانَ مَعَكُمْ (٢) هَاتُوا اللِّوَاءَ (٣)
فَأَخَذَهُ وَتَقَدَّمَ وَكَانَ غُلاماً حَدَثاً فَقَالَ

ص: ٨٠

١-١) صفتين: «و فشل حبله و جبن».

٢-٢) حبيته: قطعته، و الحار ك أعلى الكامل.

٣-٣) بعده في صفتين: * و نابل فتكته و باتك*.

إِنْ يَكْ عَمْرُو فَدَّ عَلَاهُ الْأَشْتَرُ

فَنَادَى الْمَاشِرُ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ خُذِ اللِّوَاءَ فَعَلَامٌ لِّغَلَامٍ وَ تَقَدَّمَ فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ اللِّوَاءَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي لَا تَرُعْ وَ يَحْمِلُ عَلَيَّ
الْحَمِيرِيَّ فَالْتَقَاهُ الْحَمِيرِيُّ بِلِوَانِهِ وَ رُمِحَهُ فَلَمْ يَبْرَحَا يَطْعُنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى سَقَطَ الْحَمِيرِيُّ قَتِيلًا وَ شِمَتَ مَرْوَانَ بِعَمْرُو
وَ غَضِبَ الْقَحْطَانِيُّونَ عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ وَ قَالُوا تَوَلَّى عَلَيْنَا مَنْ لَا يُقَاتِلُ مَعَنَا وَ لَ رَجُلًا مِنَّا وَ إِلَّا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ وَ قَالَ شَاعِرُهُمْ مُعَاوِيَّ
إِمَّا تَدْعُنَا لِعَظِيمِهِ

فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ وَ اللَّهُ لَا أَوْلَى عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَّا رَجُلًا مِنْكُمْ (١).

ص: ٨١

١- (١) الغرض: حزام الرجل. و الحقب: جبل يشد به الرحل في بطن البعير.

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ لَمَّا أُسِيرَ أَهْلُ الْعِرَاقِ فِي أَهْلِ الشَّامِ قَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ هَذَا يَوْمٌ تَمْحِصُ وَإِنَّ لِهَذَا الْيَوْمَ مَا بَعْدَهُ وَقَدْ أُسِيرَ عُنْتُمْ فِي الْقَوْمِ كَمَا أُسِيرَ عُوا فِيكُمْ فَاصْبِرُوا وَ مُوتُوا كِرَامًا وَ حَرَّضَ عَلِيٌّ عَ أَصْحَابَهُ فَقَامَ إِلَيْهِ الْأَصْبَغُ بْنُ نُبَاتَةَ وَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدَّمَنِي فِي الْبَقِيَّةِ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّكَ لَا تَفْقِدُنِي الْيَوْمَ صَبْرًا وَ لَا نَصِيرًا أَمَا أَهْلُ الشَّامِ فَقَدْ أَصَابَنَا وَ أَمَا نَحْنُ فَفِينَا بَعْضُ الْبَقِيَّةِ أَنْدُنْ لِي فَأَتَقَدَّمَ فَقَالَ لَهُ تَقَدَّمَ عَلَيَّ اسْمُ اللَّهِ وَ الْبَرَكَهَ فَتَقَدَّمَ وَ أَخَذَ الرَّايَةَ وَ مَضَى بِهَا وَ هُوَ يَقُولُ إِنَّ الرَّجَاءَ بِالْقُنُوطِ يُدْمَعُ

فَمَا رَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ عَ حَتَّى خَضَبَ سَيْفَهُ دَمًا وَ رُمَحَهُ وَ كَانَ شَيْخًا نَاسِيًا كَأَبَدًا وَ كَانَ إِذَا لَقِيَ الْقَوْمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَعْمِدُ سَيْفَهُ وَ كَانَ مِنْ ذَخَائِرِ عَلِيٍّ عَ مِمَّنْ قَدْ بَايَعَهُ عَلَى الْمَوْتِ وَ كَانَ عَلِيٌّ عَ يَضُنُّ بِهِ عَنِ الْحَرْبِ وَ الْفِتَالِ

(١)

قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ نَادَى الْأَشْهُرُ يَوْمًا أَصْحَابَهُ فَقَالَ أَمَا مِنْ رَجُلٍ يَشْرِي نَفْسَهُ لِلَّهِ فَخَرَجَ أُتَالُ بْنُ حَجَلٍ بْنُ عَامِرِ الْمَذْحِجِيِّ فَنَادَى بَيْنَ الْعَسَاكِرِينَ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ فَدَعَا مُعَاوِيَةَ وَ هُوَ لَا يَعْرِفُهُ أَبَاهُ حَجَلُ بْنُ عَامِرِ الْمَذْحِجِيِّ فَقَالَ دُونَكَ الرَّجُلُ قَالَ وَ كَانَ [كَانًا]

مُسْتَبْصِرِينَ فِي رَأْيِهِمَا فَبَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَبَدَرَهُ بِطَعْنِهِ وَ طَعَنَهُ الْغُلَامُ وَ انْتَسَبَا فَإِذَا هُوَ ابْنُهُ فَنَزَلَا فَاعْتَقَ كُلُّ

وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ وَبَكِيًّا فَقَالَ لَهُ الْأَبُ يَا بُنَيَّ هَلُمَّ إِلَى الدُّنْيَا فَقَالَ لَهُ الْغَلَامُ يَا أَبِي هَلُمَّ إِلَى الْآخِرَةِ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَتِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ رَأْيِي الْإِنْصِرَافُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ لَوَجِبَ عَلَيْكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَأْيِكَ لِي أَنْ تَنْهَانِي وَاسْوَأَتَاهُ فَمَاذَا أَقُولُ لِعَلِّيَّ وَاللِّمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ كُنْ عَلَيَّ مَيًّا أَنْتَ عَلَيْهِ وَأَنَا عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ فَانصيرَ حَجَلٌ إِلَى صَفِّ الشَّامِ وَانصيرَ ابْنُهُ أُثَالٌ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ فَخَبَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصِيحَابَهُ وَقَالَ فِي ذَلِكَ حَجَلٌ إِنَّ حَجَلَ بْنَ عَامِرٍ وَأُثَالًا فَلَمَّا انْتَهَى شِعْرُهُ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالَ أُثَالُ ابْنُهُ مُجِيبًا لَهُ (١) إِنَّ طَعْنِي وَسَطَ الْعَجَاجِ حَجَلًا

ص: ٨٣

١-١ (١) البجال: الكبير.

١- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ بِالْإِسْنَادِ الْمَذْكُورِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَعَا النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ بْنَ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ وَمَسْلَمَةَ بْنَ مَخْلَدِ الْأَنْصَارِيِّ وَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ غَيْرُهُمَا فَقَالَ يَا هَذَانِ لَقَدْ عَمَّنِي مَا لَقِيتُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَاضْعِي سُيُوفِهِمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ يَدْعُونَ إِلَى النَّزَالِ حَتَّى لَقَدْ جَبَّنُوا أَصْحَابِي الشُّجَاعَ مِنْهُمْ وَالْجَبَانَ وَ حَتَّى وَاللَّهِ مَا أُسْأَلُ عَنْ

فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا قِيلَ قَتَلَهُ الْأَنْصَارُ أَمَا وَاللَّهِ لَأَلْقَيْنَهُمْ بِحِدْيٍ وَحَدِيدٍ وَلَأَعْيَيْنَنَّ لِكُلِّ فَارِسٍ مِنْهُمْ فَارِسًا يُنْشِبُ فِي حَلْقِهِ وَ لَأَرْمِينَهُمْ بِأَعْيَادِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ رِجَالٍ لَمْ يُغْذِهِمُ التَّمْرُ وَ الطَّفَيْشَلُ (١) يَقُولُونَ نَحْنُ الْأَنْصَارُ قَدْ وَاللَّهِ آوُوا وَ نَصَرُوا وَ لَكِنْ أَفْسَدُوا حَقَّهُمْ بِإِطْلِهِمْ فَعَضَبَ النُّعْمَانُ وَ قَالَ يَا مُعَاوِيَةَ لَا تَلُومَنَّ الْأَنْصَارَ فِي حُبِّ الْحَرْبِ وَ الشَّرْعِ (٢) نَحْوَهَا فَإِنَّهُمْ كَذَلِكَ كَانُوا فِي الْحَيَاهِلِيِّهِ وَ أَمَا دَعَاؤُهُمْ إِلَى النَّزَالِ (٣) فَقَدْ رَأَيْتُهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص يَفْعَلُونَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَ أَمَا لِقَاؤُكَ إِيَّاهُمْ فِي أَعْيَادِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَقَيْتَ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ قَدِيمًا فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَرَى فِيهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ آتِنَا فافْعَلْ وَ أَمَا التَّمْرُ وَ الطَّفَيْشَلُ فَإِنَّ التَّمْرَ كَانَ لَنَا فَلَمَّا (٤) ذُقْتُمُوهُ شَارَكْتُمُونَا فِيهِ وَ أَمَا الطَّفَيْشَلُ فَكَانَ لِلْيَهُودِ فَلَمَّا أَكَلْنَاهُ غَلَبْنَاهُمْ عَلَيْهِ كَمَا غَلَبَتْ قُرَيْشٌ عَلَى السَّخِينَةِ (٥).

ثُمَّ تَكَلَّمَ مَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ فَقَالَ يَا مُعَاوِيَةَ إِنَّ الْأَنْصَارَ لَا تُعَابُ أَحْسَابُهَا وَ لَا نَجْدَانُهَا وَ أَمَا غَمُّهُمْ إِيَّاكَ فَقَدْ وَاللَّهِ غَمُّونَا وَ لَوْ رَضِينَا مَا فَارَقُونَا وَ لَا فَارَقْنَا جَمَاعَتَهُمْ وَ إِنَّ فِي ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ مُبَايَنَةِ الْعَشِيرَةِ وَ لَكِنَّا حَمَلْنَا ذَلِكَ لَكَ وَ رَجَوْنَا مِنْكَ عِوَضَهُ وَ أَمَا التَّمْرُ وَ الطَّفَيْشَلُ فَإِنَّهُمَا يَجْرَانِ عَلَيْكَ السَّخِينَةَ وَ الْخُرُوبَ.

قَالَ وَ انْتَهَى هَذَا الْكَلَامُ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارَ ثُمَّ قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا فَقَالَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ مَا بَلَغَكُمْ وَ أَجَابَهُ عَنْكُمْ صَاحِبَاكُمْ وَ لَعَمْرِي إِنَّ غِظْتُمْ

ص: ٨٥

١- (١) الطفَيْشَل، بوزن سميدع؛ ذكره صاحب القاموس و قال: إنه نوع من المرق.

٢- (٢) صفين: «بسرعتهم في الحرب».

٣- (٣) صفين: «فأما دعاؤهم الله».

٤- (٤) صفين: «فلما أن ذقتموه».

٥- (٥) في اللسان: «السخينة: دقيق يلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو يحسى، وهو الحساء... و في حديث معاوية أنه مازح الأحنف بن قيس فقال: ما الشيء الملفف في البجاد؟ قال: هو السخينة يا أمير المؤمنين. و الملفف في البجاد وطب اللبن يلف فيه ليحمى و يدرك، و كانت تميم تعير به، و السخينة: الحساء المذكور يؤكل في الجذب؛ و كانت قريش تعير بها».

مُعَاوِيَةَ الْيَوْمَ لَقَدْ غَطَّمُوهُ أَمْسٍ وَإِنْ وَتَرْتُمُوهُ فِي الْأَسِيْلَامِ فَلَقَدْ وَتَرْتُمُوهُ فِي الشَّرِكِ وَمَا لَكُمْ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْ نَصِيرِ هَذَا
الَّذِينَ فَجِدُوا الْيَوْمَ جِدًّا تُنْسُونَهُ بِهِ مَا كَانَ أَمْسٍ وَجِدُّوا غَدًا جِدًّا تُنْسُونَهُ بِهِ مَا كَانَ الْيَوْمَ فَانْتُمْ مَعَ هَذَا اللِّوَاءِ الَّذِي كَانَ يُقَاتِلُ عَنْ
يَمِينِهِ جَبْرِيلُ وَعَنْ يَسَارِهِ مِيكَائِيلُ وَالْقَوْمُ مَعَ لِيْوَاءِ أَبِي جَهْلٍ وَالْأَحْزَابِ فَأَمَّا التَّمْرُ فَإِنَّا لَمْ نَعْرِسْهُ وَ لَكِنْ غَلَبْنَا عَلَيْهِ مَنْ عَرَسَهُ وَ أَمَّا
الطَّفَيْشَلُ فَلَوْ كَانَ طَعَامَنَا لَسَمِينَا بِهِ كَمَا سَمَيْتَ قُرَيْشٌ بِسَخِينِهِ ثُمَّ قَالَ سَعْدُ فِي ذَلِكَ يَا ابْنَ هِنْدٍ دَعِ التَّوْتُبَ فِي الْحَرْبِ

فَلَمَّا أَتَى شِعْرُهُ وَ كَلَامُهُ مُعَاوِيَةَ دَعَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَقَالَ مَا تَرَى فِي شَتْمِ الْأَنْصَارِ قَالَ أَرَى أَنْ تُوعِدَهُمْ وَ لَا تَشْتِمَهُمْ (١) مَا عَسَى
أَنْ تَقُولَ لَهُمْ إِذَا أَرَدْتَ ذَمَّهُمْ فَذَمَّ أَيْدَانَهُمْ وَ لَا تَذُمَّ أَحْسَابَهُمْ (٢) فَقَالَ إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ خَطِيبًا (٣) وَ أَطْنَهُ وَ اللَّهُ
يُفْنِينَا غَدًا إِنْ لَمْ يَحْبِسْهُ عَنَّا حَابِسُ الْفِيلِ فَمَا الرَّأْيُ قَالَ الصَّبْرُ وَ التَّوَكُّلُ وَ أَرْسَلَ

ص: ٨٦

١-١) صفين: «في البلاد نأينا».

٢-٢) بعده في صفين: إن برزنا بالجمع نلتك في الجمع، و إن شئت محضه أسرينا فالقنا في اللّيف نلتك في الحز رج ندعو
في حربنا أبوينا.

٢-٣) بعده في صفين: إن برزنا بالجمع نلتك في الجمع، و إن شئت محضه أسرينا فالقنا في اللّيف نلتك في الحز رج ندعو
في حربنا أبوينا.

إِلَى رُءُوسِ الْأَنْصَارِ مَعَ عَلِيِّ فَعَاتَبَهُمْ وَ أَمَرَهُمْ أَنْ يُعَاتِبُوهُ فَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةَ إِلَى أَبِي مَسْعُودٍ (١) وَ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ وَ الْحَجَّاجَ بْنَ غَزِيَّةَ وَ أَبِي أَيُّوبَ فَعَاتَبَهُمْ فَمَشَوْا إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَ قَالُوا لَهُ إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَا يُحِبُّ الشُّتْمَ فَكُفَّ عَنْ شَتْمِهِ فَقَالَ إِنَّ مِثْلِي لَا يَشْتِمُ وَ لَكِنِّي لَا أَكْفُ عَنْ حَرْبِهِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ قَالَ وَ تَحَرَّكَتِ الْخَيْلُ غَدْوَةً فَظَنَّ قَيْسٌ أَنَّ فِيهَا مُعَاوِيَةَ فَحَمَلَ عَلَى رَجُلٍ يُشَبِّهُهُ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِهِ ثُمَّ حَمَلَ عَلَى آخَرَ يُشَبِّهُهُ أَيْضًا فَفَنَعَهُ بِالسَّيْفِ (٢) .

فَلَمَّا تَخَايَزَ الْفَرِيقَانِ شَتَمَهُ مُعَاوِيَةُ شَتْمًا قَبِيحًا وَ شَتَمَ الْأَنْصَارَ فَغَضِبَ النُّعْمَانُ وَ مَسَلَمَهُ فَأَرْضَاهُمَا بَعِيدَ أَنْ هَمَّا أَنْ يَنْصَرِفَا إِلَى قَوْمِهِمَا .

ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ النُّعْمَانَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى قَيْسِ فَيْعَاتِبَهُ وَ يَسْأَلَهُ السَّلَامَ فَخَرَجَ النُّعْمَانُ فَوَقَفَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَ نَادَى يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ أَنَا النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَ قَالَ هَيْه يَا نُعْمَانُ مَا حَاجَتُكَ قَالَ يَا قَيْسُ إِنَّهُ قَدْ أَنْصَبَ فُكُومًا مِنْ دَعَاكُمْ إِلَيَّ مَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ فِي خَدَلِ عُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ وَ قَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ وَ أَفْحَمْتُمْ خِيُولَكُمْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِصَةِ فَيَنْ فَلَوْ كُنْتُمْ إِذْ خَدَلْتُمْ عُثْمَانَ خَدَلْتُمْ عَلِيًّا لَكَانَتْ وَاحِدَةً بَوَاحِدَةٍ وَ لَكِنَّا لَكُنَّا (٣) لَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا كَالنَّاسِ حَتَّى أَعْلَمْتُمْ فِي الْحَرْبِ وَ دَعَوْتُمْ

ص: ٨٧

١- (١) صفين: «فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار، فعاتبهم؛ فيهم عقبه بن عمر و أبو مسعود...».

٢- (٢) في صفين: ثم انصرف و هو يقول: قولوا لهذا الشامي معاوية إن كل ما أوعدت ربح هاوية خوفتنا أكلب قوم عاوية إلى يا بن الخاطئين الماضيه ترقل إرقال العجوز الجارية في أثر الساري ليالي الشاتيه.

٣- (٣) صفين: «و لكنكم خدلتكم حقا، و نصرتم باطلا، ثم لم ترضوا...».

إِلَى الْبِرَازِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بِعَلِيِّ حَطَبٍ قَطٍّ إِلَّا - هَوَّنتُمْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَةَ وَوَعَدْتُمُوهُ الظَّفَرَ وَ قَدْ أَخَذَتِ الْحَرْبُ مِنَّا وَ مِنْكُمْ مِمَّا قَدْ رَأَيْتُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَقِيَّةِ.

فَضَحِكَ قَيْسٌ وَقَالَ مِمَّا كُنْتُ أَظُنُّكَ يَا نُعْمَانُ مُحْتَوِيًا عَلَى هَيْدِهِ الْمَقَالَةَ إِنَّهُ لَا يَنْصِيحُ أَخَاهُ مِنْ غَشٍّ نَفْسُهُ وَ أَنْتَ الْغَاشُّ الضَّالُّ الْمُضِلُّ أَمَا ذَكَرَكَ عُثْمَانُ فَإِنْ كَانَتْ الْأَخْبَارُ تَكْفِيكَ فَخُذْ مِنِّي وَاحِدَةً قَتَلَ عُثْمَانُ مَنْ لَسْتُ خَيْرًا مِنْهُ وَ خَذَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ وَ أَمَا أَصِيحَابُ الْجَمَلِ فَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَى النَّكْثِ وَ أَمَا مُعَاوِيَةُ فَوَاللَّهِ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ قَاطِبَةً لَقَاتَلْتُهُ الْأَنْصَارُ وَ أَمَا قَوْلُكَ إِنَّا لَسَيِّئَاتُنَا كَمَا النَّاسِ فَنَحْنُ فِي هَيْدِهِ الْحَرْبِ كَمَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ تَتَقَى السُّيُوفَ بِوُجُوهِنَا وَ الرِّمَاحَ بِنُحُورِنَا حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كَارِهُونَ وَ لَكِنْ انْظُرْ يَا نُعْمَانُ هَلْ تَرَى مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَّا طَلِيقًا أَوْ أَعْرَابِيًا أَوْ يَمَانِيًا مُسِيئَةً تَدْرَجًا بِعُرُورٍ انْظُرْ أَيَّنَ الْمُهَاجِرُونَ وَ الْأَنْصَارُ وَ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ثُمَّ انْظُرْ هَلْ تَرَى مَعَ مُعَاوِيَةَ أَنْصَارِيًا غَيْرَكَ وَ غَيْرَ صُويحِبِكَ وَ لَسِيَّتُمَا وَ اللَّهُ بِبَدْرَيْنِ وَ لَا عَقَبَيْنِ وَ لَا أَحْدَيْنِ وَ لَا لَكُمْ سَابِقَةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَ لَا آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَ لَعَمْرِي لَسُنَّ شَعَبَتِ عَلَيْنَا لَقَدْ شَعَبَ عَلَيْنَا أَبُوكَ (١)

١٧٤٢

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ كَانَ فَارِسُ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِي لَا يُنَازِعُ عَوْفَ بْنَ مَجْرَاهَةَ الْمُرَادِيَّ الْمَكْنَى أَبَا أَحْمَرَ وَ كَانَ فَارِسُ أَهْلِ الْكُوفَةِ الْعُكْبَرِيُّ بْنُ جَدِيرِ الْأَسَدِيِّ فَقَامَ الْعُكْبَرِيُّ إِلَى عَلِيٍّ ع وَ كَانَ

ص: ٨٨

١- ١) الخبر في صفين ٥٠٧-٥١٢، وبعده، وقال قيس في ذلك: و الرّاقصات بكلّ أشعث أغبر خوص العيون تحثّها الرّكبان ما ابن المخلد ناسيا أسيافنا فيمن نحاربه و لا التّعمان تركا البيان و في العيان كفايه لو كان ينفع صاحبيه عيان..

مَنْطِقًا فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي أَيْدِينَا عَهْدًا مِنَ اللَّهِ لَا نَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى النَّاسِ قَدْ ظَنَّنَّا بِأَهْلِ الشَّامِ الصَّبْرَ (١) وَظَنُّوا بِنَا فَصَبَرْنَا وَ صَبَرُوا وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ صَبْرِ أَهْلِ الدُّنْيَا لِأَهْلِ الْآخِرَةِ وَ صَبْرِ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ وَ رَغْبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا (٢) ثُمَّ قَرَأْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ مَفْتُونُونَ (٣) أَلَمْ أَحْسَبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٤) فَقَالَ لَهُ ع خَيْرًا وَ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى مَصَيْفِهِمْ وَ خَرَجَ عَوْفُ بْنُ مَجْزَاهُ الْمُرَادِيُّ نَادِرًا مِنَ النَّاسِ وَ كَذَا كَانَ يَصْنَعُ وَ قَدْ كَانَ قَتِيلَ نَفْرًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مُبَارِزَهُ فَنَادَى يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ مِنْ رَجُلٍ عَصَاهُ سَيِّفُهُ يُبَارِزُنِي وَ لَا أَعْرُكُمُ مِنْ نَفْسِي أَنَا عَوْفُ بْنُ مَجْزَاهُ (٥) فَنَادَى النَّاسُ بِالْعَكْبَرِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُنْقَطِعًا عَنْ أَصْحَابِهِ لِيُبَارِزَهُ فَقَالَ عَوْفُ بِالشَّامِ أَمَّنْ لَيْسَ فِيهِ خَوْفٌ

فَقَالَ لَهُ الْعَكْبَرُ الشَّامُ مَحَلٌّ وَ الْعِرَاقُ مِمَطْرٌ (٦)

ص: ٨٩

١-١) صفين: «و ظنوه».

٢-٢) من صفين.

٣-٣-٣) صفين: «ثم نظرت فإذا أعجب ما يعجبني جهله بآيه من كتاب الله».

٤-٤) سورة العنكبوت ١-٣.

٥-٥) صفين: «فأنا فارس زوف»، و زوف أبو قبيله.

٦-٦) صفين: «تمطر».

فَاطَعْنَا فَصِيرَهُ الْعَكْبَرُ وَ قَتَلَهُ وَ مُعَاوِيَةَ عَلَى التَّلِّ فِي وُجُوهِ قُرَيْشٍ وَ نَفَرَ قَلِيلٍ مِنَ النَّاسِ فَوَجَّهَ الْعَكْبَرُ فَرَسَهُ يَمْلَأُ (٢) فُرُوجَهُ رَكُضًا وَ يَضْرِبُهُ بِالسُّوْطِ مُسِيرَةً نَحْوَ التَّلِّ فَنَظَرَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ فَقَالَ هَذَا الرَّجُلُ مَغْلُوبٌ عَلَى عَقْلِهِ أَوْ مُسْتَأْمَنٌ فَاسْأَلُوهُ فَآتَاهُ رَجُلٌ وَ هُوَ فِي حَمْوِ فَرَسِهِ فَمَادَاهُ فَلَمَّ يُجِبُهُ وَ مَضَى مُبَادِرًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُعَاوِيَةَ فَجَعَلَ يَطْعُنُ فِي أَعْرَاضِ الْخَيْلِ وَ رَجَا أَنْ يَنْفِرَ بِمُعَاوِيَةَ فَيَقْتُلَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ رِجَالٌ قَتَلُوا مِنْهُمْ قَوْمًا وَ حَالَ الْبَاقُونَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ بِسُيُوفِهِمْ وَ رِمَاحِهِمْ فَلَمَّا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ قَالَ أَوْلَى لَكَ يَا ابْنَ هِنْدٍ (٣) أَنَا الْغُلَامُ الْأَسِيدِيُّ وَ رَجَعَ إِلَى صَفِّ الْعِرَاقِ وَ لَمْ يُكَلِّمْ لَهُ عَلِيٌّ عَ مَا دَعَاكَ إِلَى مَا صَيَّرْنَا لَكَ نَفْسَكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَدْتُ غِرَّةَ ابْنِ هِنْدٍ فَحِيلَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ وَ كَانَ الْعَكْبَرُ شَاعِرًا فَقَالَ قَتَلْتُ الْمُرَادِيَّ الَّذِي كَانَ بَاغِيًا

١-١) صفين: «فإني للكمي مصحر»، و المصحر: المنكشف لقرنه.

٢-٢) صفين: «فملاً فروجه»؛ يقال: ملأ الفرس فرجه و فروجه؛ إذا أسرع، و الفرج: ما بين فخذى الفرس و رجليها.

٣-٣) أولى لك، كلمه تهدد و وعيد، معناه قد وليك، أى قاربك الشر فاحذر. و قيل: أولاك الله ما تكرهه، و قيل: معناه أولى لك العقاب و الهلاك.

فَعَادَرْتُهُ يَكْبُو صَرِيحاً لَوَجْهِهِ

قَالَ فَانْكَسَرَ أَهْلُ الشَّامِ لِقَتْلِ عَوْفِ الْمُرَادِيِّ وَ هَدَرَ مُعَاوِيَةَ دَمَ الْعَكْبَرِ فَقَالَ الْعَكْبَرُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ يَدِهِ فَأَيْنَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَ دِفَاعُهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ (١)

١٧٤٣

قَالَ نَضْرُ وَ رَوَى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حُصَيْنٍ عَنْ أَبِي الْكَنْدُودِ قَالَ جَزِعَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى قَتْلِهِمْ جَزَعاً شَدِيداً وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ قَبَّحَ اللَّهُ مُلْكَاً يَمْلِكُهُ الْمَرْءُ بَعِيدَ حَوْشَبٍ وَ ذِي الْكَلَاعِ وَ اللَّهُ لَوْ ظَفَرْنَا بِأَهْلِ الدُّنْيَا بَعِيدَ قَتْلِهِمَا بَغَيْرِ مَثُونِهِ مَا كَانَ ظَفِراً وَ قَالَ يَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ لِمُعَاوِيَةَ لَا خَيْرَ فِي أَمْرٍ لَا يُشْبِهُهُ آخِرُهُ أَوْلَهُ لَا يُدَمَى جَرِيحٌ وَ لَا يُنْكَى قَتِيلٌ حَتَّى تَنْجَلِيَ هَذِهِ الْفِتْنَةُ فَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ لَكَ أَدْمَيْتُ

ص: ٩١

١- (١) صفين: «ينادى مرارا».

وَبَكَيْتُ عَلَى قَرَارٍ وَإِنْ يَكُنْ لَغَيْرِكَ فَمَا أَصِيبْتُ بِهِ أَعْظَمُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَا أَهْلَ الشَّامِ مَا جَعَلَكُمْ أَحَقَّ بِالْجَزَعِ عَلَى قَتْلَاكُمْ مِنْ أَهْلِ
 الْعِرَاقِ عَلَى قَتْلَاهُمْ وَاللَّهِ مَا ذُو الْكَلَاعِ فِيكُمْ بِأَعْظَمٍ مِنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فِيهِمْ وَلَا حَوْشَبُ فِيكُمْ بِأَعْظَمٍ مِنْ هَاشِمٍ فِيهِمْ وَمَا عُيَيْدُ
 اللَّهِ بِنُ عُمَرَ فِيكُمْ بِأَعْظَمٍ مِنْ إِبْنِ بُدَيْلٍ فِيهِمْ وَمَا الرَّجَالُ إِلَّا أَشْبَاهُ وَمَا التَّمْحِيصُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَأَبْشُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ مِنَ الْقَوْمِ
 ثَلَاثَةَ قَتِيلٍ عَمَّارًا وَكَانَ فَتَاهُمْ وَقَتَلَ هَاشِمًا وَكَانَ حَمَزَتَهُمْ وَقَتَلَ إِبْنَ بُدَيْلٍ وَهُوَ الَّذِي فَعَلَ الْأَفَاعِيلَ وَبَقِيَ الْأَشْتَرُ وَالْأَشْعَثُ وَ
 عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَأَمَّا الْأَشْعَثُ فَإِنَّمَا حَمَى عَنْهُ (١) مَضِيرُهُ وَأَمَّا الْأَشْتَرُ وَعَدِيُّ فَغَضِبَا وَاللَّهُ لِلْفِتْنَةِ (٢) أَقَاتِلُهُمَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
 فَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ إِنْ يَكُنِ الرَّجَالُ عِنْدَكَ أَشْبَاهًا فَلَيْسَتْ عِنْدَنَا كَذَلِكَ وَغَضِبَ وَقَالَ شَاعِرُ الْيَمَنِ يَزِيهِ ذَا الْكَلَاعِ وَحَوْشَبًا
 (٣) مُعَاوِيَ قَدْ نَلْنَا وَنَيْلَتْ سِرَاتِنَا

١٧٤٤

١- وَ رَوَى نَضِيرٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عُيَيْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ يَوْمَ صِفِّينَ مَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ طَهْمَانَ
 الْخَزَاعِيُّ وَهُوَ بِأَخْرِ رَمَقٍ فَقَالَ لَهُ عَزَّ عَلَيَّ وَاللَّهِ مَضِيرُكَ أَمِيًّا وَاللَّهِ لَوْ شَهِدْتُكَ لَأَسِيْتُكَ وَ لَمَدَّافَعْتُ عَنْكَ وَ لَوْ رَأَيْتُ الَّذِي
 أَشْعَرَكَ (٤)

ص: ٩٢

١-١ (١) صفين: «فحماه مصره».

٢-٢ (٢) من صفين.

٣-٣ (٣) صفين: «وقال الحضرمي في ذلك شعرا».

٤-٤ (٤) صفين ٥١٩، ٥١٨.

لَأُحْبِبْتُ أَلَا- أَزَايِلَهُ وَلَا- يُزَايِلُنِي حَتَّى أَقْتَلَهُ أَوْ يُلْحِقَنِي بِمَكَ تُمْ نَزَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَاللَّهِ (١) إِنْ كَانَ جَارِكَ لِيَأْمَنُ بِوَأَيْتِكَ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّادِكِينَ اللَّهُ كَثِيرًا أَوْصِيَنِي رَحِمَكَ اللَّهُ قَالَ أَوْصِيَكِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَنْ تُنَاصِحَ حَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ تُقَاتِلَ مَعَهُ حَتَّى يَظْهَرَ الْحَقُّ أَوْ تَلْحَقَ بِاللَّهِ وَ أبلغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِّي السَّلَامَ وَ قُلْ لَهُ قَاتِلْ عَلَيَّ الْمَعْرَكَةِ حَتَّى تَجْعَلَهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ فَإِنَّهُ مَنْ أَصْبَحَ وَ الْمَعْرَكَةَ خَلْفَ ظَهْرِهِ كَانَ الْغَالِبَ.

تُمْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فَأَقْبَلَ أَبُو الْأَسْوَدُ إِلَيَّ عَلِيٌّ ع فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ جَاهِدَ مَعَنَا عَدُوَّنَا فِي الْحَيَاةِ وَ نَصَحَ لَنَا فِي الْوَفَاةِ (٢)

١٧٤٥

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ قَدْ رَوَى نَحْوُ هَذَا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَلْدَةَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَحْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حِاطِبٍ قَالَ خَرَجْتُ أَلْتَمِسُ أَخِي سُؤَيْدًا فِي قَتْلَى صِفِّينَ فَإِذَا رَجُلٌ صَرِيحٌ فِي الْقَتْلِ قَدْ أَخَذَ بِنُؤُوبِي فَالْتَمْتُ فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ كَلْدَةَ فَقُلْتُ إِذَا لِلَّهِ وَ إِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ هَلْ لَكَ فِي الْمَاءِ وَ مَعِيَ (٣) إِدَاوَةٌ فَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ قَدْ أَنْفَذَ فِي السَّلَاحِ وَ خَرَفَتِي فَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الشَّرَابِ هَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ عَنِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَهُ أُرْسِلُكَ بِهَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ إِذَا رَأَيْتَهُ فَافْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَ قُلْ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ احْمِلْ جِرْحَاكَ إِلَى عَسِيكَرِكَ حَتَّى تَجْعَلَهُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ فَإِنَّ الْعَلْبَةَ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ تُمْ لَمْ أَبْرَحْ حَتَّى مَاتَ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ كَلْدَةَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ قَالَ وَ أَيْنَ هُوَ قُلْتُ وَجَدْتُهُ وَ قَدْ أَنْفَذَهُ السَّلَاحِ وَ خَرَفَهُ فَلَمْ يَسِيَطِعْ شُرْبَ الْمَاءِ وَ لَمْ أَبْرَحْ حَتَّى مَاتَ فَاسْتَرْجَعْتُ فَقُلْتُ قَدْ أُرْسِلُنِي إِلَيْكَ بِرِسَالِهِ قَالَ وَ مَا هِيَ قُلْتُ إِنَّهُ يَقُولُ احْمِلْ جِرْحَاكَ

ص: ٩٣

١- (١) من صفين.

٢- (٢) صفين ٥٢١، ٥٢٠.

٣- (٣) الإِدَاوَةُ: إِيَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ؛ وَيَجْمَعُ عَلَى إِدَاوَى.

إِلَى عَسْكَرِكَ وَاجْعَلْهُمْ وَرَاءَ ظَهْرِكَ فَإِنَّ الْعَلْبَةَ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَالَ صَدَقَ فَنَادَى مُنَادِيهِ فِي الْعَسْكَرِ أَنْ احْمِلُوا جَزَاحَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى إِلَى مُعَسْكَرِكُمْ فَفَعَلُوا

(١)

١٧٤٤

١- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ عَامِرٍ عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ أَنَّ أَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ الْحَمِيرِيَّ قَامَ بِصَفِينٍ فَقَالَ وَيْحَكُمْ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْيَمَنِ إِنِّي لَأَظُنُّ اللَّهَ قَدْ أَدِنَ بِفَنَائِكُمْ وَيْحَكُمْ خَلُّوا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فَلَيْقَتَيْتَلَا فَأَيُّهُمَا قَتَلَ صَاحِبَهُ مِلْنَا مَعَهُ جَمِيعًا وَكَانَ أَبْرَهَةُ مِنْ رُؤْسَاءِ أَصِيْحَابِ مُعَاوِيَةَ فَبَلَغَ قَوْلُهُ عَلِيًّا ع فَقَالَ صَدَقَ أَبْرَهَةُ وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ بِخُطْبِهِ مُنْذُ وَرَدْتُ الشَّامَ أَنَا بِهَا أَشَدُّ سُورًا مِنِّي بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ قَالَ وَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ كَلَامَ أَبْرَهَةَ فَتَأَخَّرَ آخِرَ الصُّفُوفِ وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ إِنِّي لَأَظُنُّ أَبْرَهَةَ مُصَابًا فِي عَقْلِهِ فَأَقْبَلَ أَهْلُ الشَّامِ يَقُولُونَ وَاللَّهِ إِنَّ أَبْرَهَةَ لَأَكْمَلُنَا دِينًا وَعَقْلًا وَرَأْيًا وَبَأْسًا وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ (٢) كَرِهَ مُبَارَزَةَ عَلِيٍّ وَسَمِعَ مَا دَارَ مِنَ الْكَلَامِ أَبُو دَاوُدَ عَزَّوَهُ بْنُ دَاوُدَ الْعِمَامِيُّ وَكَانَ مِنْ فُرْسِيَانِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ إِنْ كَانَ مُعَاوِيَةُ كَرِهَ مُبَارَزَةَ أَبِي حَسَنِ فَأَنَا أَبَارِزُهُ ثُمَّ خَرَجَ بَيْنَ الصَّفِينِ فَنَادَى أَنَا أَبُو دَاوُدَ فَابْرُزْ إِلَيَّ يَا أَبَا حَسَنِ فَتَقَدَّمَ عَلِيٌّ ع نَحْوَهُ فَنَادَاهُ النَّاسُ ارْجِعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ هَذَا الْكَلْبِ فَلَيْسَ لَكَ بِخَطَرٍ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةَ الْيَوْمَ بِأَعْيَظَ لِي مِنْهُ دَعُونِي وَإِيَّاهُ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ فَضْرَبَهُ فَطَعَنَهُ قِطْعَتَيْنِ سَقَطَتْ إِحْدَاهُمَا يَمِينَهُ وَالْأُخْرَى شَامِيَهُ فَارْتَجَّ الْعَسِيدُ كِرَانِ لِهَوْلِ الضَّرْبِ وَصَرَخَ ابْنُ عَمِّ لَأَبِي دَاوُدَ وَاسُوءَ صِيْبَاحَاهُ وَقَبَّحَ اللَّهُ الْبَقَاءَ بَعِيدَ أَبِي دَاوُدَ وَحَمَلَ عَلِيٌّ ع فَطَعَنَهُ فَضْرَبَ الرُّمَحَ فَبَرَّأَهُ ثُمَّ قَعَّعَهُ ضَرْبَهُ فَأَلْحَقَهُ بِأَبِي دَاوُدَ وَ مُعَاوِيَةَ

ص: ٩٤

١-١) صفين ٤٤٨، ٤٤٩.

٢-٢) صفين: «معاويه».

وَاقِفٌ عَلَى التَّلِّ يُبْصِرُ وَيُشَاهِدُ فَقَالَ تَبًّا لِهَذِهِ الرِّجَالِ وَقُبْحًا أَمَا فِيهِمْ مَنْ يَقْتُلُ هَذَا مُبَارَزَةً أَوْ غِيْلَةً أَوْ فِي اخْتِلَاطِ الْفَيْلِقِ وَتَوْرَانِ النَّقْعِ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ ابْرُؤُ إِلَيْهِ أَنْتَ فَإِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِمُبَارَزَتِهِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ دَعَانِي إِلَى الْبِرَازِ حَتَّى لَقَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَبْرُؤُ إِلَيْهِ مَا جَعَلَ الْعَسِيكَرُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّئِيسِ إِلَّا وَقَايَهُ لَهُ فَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سَيْفِيَانَ الْهُوَا عَنْ هَذَا كَأَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا زَيْدَاءَهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ قَتَلَ حُرَيْثًا وَفَضَحَ عَمْرًا وَلَا أَرَى أَحَدًا يَتَحَكَّكُ بِهِ إِلَّا قَتَلَهُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِبُسَيْرِ بْنِ أَرْطَاهُ أَتَقُومُ لِمُبَارَزَتِهِ فَقَالَ مَا أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ أَمَا إِذْ بَيْتُمُوهُ فَأَنَا لَهُ قَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّكَ سَتَلْقَاهُ غَدًا فِي أَوَّلِ الْخَيْلِ وَكَانَ عِنْدَ بُسَيْرِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ قَدِمَ مِنَ الْحِجَازِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ فَأَتَى بُسَيْرًا فَقَالَ لَهُ إِنِّي سَمِعْتُ أَنَّكَ وَعِدْتِ مِنْ نَفْسِكَ أَنْ تُبَارِزَ عَلِيًّا أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْوَالِيَّ مِنْ بَعْدِ مُعَاوِيَةَ عُتْبَةُ ثُمَّ بَعْدَهُ مُحَمَّدٌ أَخُوهُ وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ قِرْنٌ عَلَيَّ فَمَا يَدْعُوكَ إِلَى مَا أَرَى قَالَ الْحَيَاءُ خَرَجَ مِنِّي كَلَامٌ فَأَنَا أَسْتَحْيِي أَنْ أَرْجِعَ عَنْهُ فَضَحِكَ الْغُلَامُ وَقَالَ تُنَازِلُهُ يَا بُسَيْرُ إِنْ كُنْتَ مِثْلَهُ

فَقَالَ بُسَيْرٌ هَلْ هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ لَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ فَعَدَا عَلِيٌّ عَ مُنْقَطِعًا مِنْ خَيْلِهِ وَيَدُهُ فِي يَدِ الْأَشْتَرِ وَهُمَا يَتَسَايِرَانِ رُوَيْدًا يَطْلُبَانِ التَّلَّ لِيَقِفَا عَلَيْهِ إِذْ بَرَزَ لَهُ بُسَيْرٌ مُقْتَعًا فِي الْحَدِيدِ لَا يُعْرِفُ فَنَادَاهُ ابْرُؤْ إِلَيَّ أَبَا حَسَنِ فَأُنْحَدَرَ إِلَيْهِ عَلَى تُوْدِهِ غَيْرَ مُكْتَرِبٍ بِهِ

حَتَّى إِذَا قَارَبَهُ طَعْنَهُ وَهُوَ دَارِعٌ فَأَلْقَاهُ إِلَى الْأَرْضِ وَمَعَ الدَّرْعُ السِّنَانَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ فَاتَّقَاهُ بُسَيْرٌ بِعَوْرَتِهِ وَقَصَدَ أَنْ يَكْشِفَهَا يَسْتَدْفِعُ
بِأَسِّهِ فَأَنْصَرَفَ عَنْهُ عَ مُسِيئَةً تَدْبِيرًا لَهُ فَعَرَفَهُ الْأَشْتَرُ حِينَ سَقَطَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا بُسَيْرُ بْنُ أَرْطَاهَ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكَ فَقَالَ
دَعُهُ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ أَبْعِدْ أَنْ فَعَلَهَا فَحَمَلَ ابْنُ عَمِّ بُسَيْرٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ شَابًّا عَلَى عَلِيٍّ عَ وَقَالَ أَرَدَيْتَ بُسَيْرًا وَالْغُلَامُ نَائِزُهُ أَرَدَيْتَ
شَيْخًا غَابَ عَنْهُ نَاصِرُهُ وَكُنَّا حَامِ لِبُسَيْرٍ وَاتْرُهُ.

فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَ وَتَلَقَّاهُ الْأَشْتَرُ فَقَالَ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ رَجُلٌ شَيْخٍ شَاغِرُهُ

فَطَعْنَهُ الْأَشْتَرُ فَكَسَّرَ صَلْبَهُ وَقَامَ بُسَيْرٌ مِنْ طَعْنِهِ عَلِيٌّ عَ مُؤَلِيًّا وَفَرَّتْ حَيْلُهُ وَنَادَاهُ عَلِيٌّ عَ يَا بُسَيْرُ مُعَاوِيَةُ كَانَ أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ فَارْجِعْ بُسَيْرٌ
إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ ارْزُقْ طَرْفَكَ فَقَدْ أَدَالَ اللَّهُ عَمْرًا مِنْكَ قَالَ الشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ أ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَارِسٌ تَنْدُبُونَهُ

قَالَ فَكَانَ بُسْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ الَّتِي فِيهَا عَلِيٌّ يَنْتَحِي نَاحِيَهُ وَتَحَامِي فُوسَانُ الشَّامِ بَعْدَهَا عَلِيًّا ع

(١)

١٧٤٧

١،٢،٣- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الْأَجْلَحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيِّ عَنْ أَبِي جَحِيْفَه قَالَ جَمَعَ مُعَاوِيَةَ كُلَّ قُرَشِيٍّ بِالشَّامِ وَقَالَ لَهُمُ الْعَجَبُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ فَعَالٌ (٢) يَطُولُ بِهَا لِسَانُهُ عَدَاً مَا عَدَا عَمراً فَمَا بِالْكُمْ أَيْنَ حَمِيَّتُهُ قُرَيْشٍ فَغَضِبَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَقَالَ أَيُّ فَعَالٍ تُرِيدُ وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ فِي أَكْفَانِنَا مِنْ قُرَيْشِ الْعِرَاقِ مَنْ يُغْنِي عَنَّا بِاللِّسَانِ وَلَا بِالْيَدِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَى إِنَّ أَوْلَكَ وَقَوْلاً عَلِيًّا بِأَنْفُسِهِمْ قَالَ الْوَلِيدُ كَلَّا بَلْ وَقَاهُمْ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ قَالَ وَيُحْكُمُ أَمَّا فِيكُمْ مَنْ يَقُومُ لِقِرْنِهِ مِنْهُمْ مُبَارَزَةً وَمُفَاخَرَةً فَقَالَ مَرْوَانَ أَمَّا الْبِرَازُ فَإِنَّ عَلِيًّا لَا يَأْذُنُ لِحَسَنِ وَلَا لِحَسَيْنٍ وَلَا لِمُحَمَّدٍ بَيْنَهُ فِيهِ وَلَا لِابْنِ عَبَّاسٍ وَإِخْوَتِهِ وَيَصْلِي بِالْحَرْبِ دُونَهُمْ فَلَا يَهْمُ نُبَارِزُ وَأَمَّا الْمُفَاخَرَةُ فَبِمَا ذَا نَفَاخَرَهُمْ بِالْإِسْلَامِ أَمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَإِنْ كَانَ بِالْإِسْلَامِ فَالْفَخْرُ لَهُمْ بِالتَّبَوُّهِ وَإِنْ كَانَ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَالْمُلْكُ فِيهِ لِلْيَمَنِ فَإِنْ قُلْنَا قُرَيْشٌ قَالُوا لَنَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ .

ص: ٩٧

(١-١) صفين: «الخيال المشيحه».

(٢-٢) صفين: «وحمى الوغى».

فَقَالَ عُثْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْهُوَا عَنْ هَذَا فَإِنِّي لَأَقِ بِالْغَدَاةِ جَعِيدَةَ بِنِ هُبَيْرَةَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ بَخِ بَخِ قَوْمُهُ بَنُو مَخْزُومٍ وَ أُمُّهُ أُمُّ هَانِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ كُفَاءٌ كَرِيمٌ وَ كَثُرَ الْعِتَابُ وَ الْخِصَامُ بَيْنَ الْقَوْمِ حَتَّى أَغْلَظُوا لِمَرْوَانَ وَ أَغْلَظَ لَهُمْ فَقَالَ مَرْوَانُ أَمِيًّا وَ اللَّهُ لَوْ لَا مَا كَانَ مِنِّي إِلَى عَلِيٍّ ع فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ وَ مَشْهَدِي بِالْبُصْرَةِ لَكَانَ لِي فِي عَلِيٍّ رَأْيٌ يَكْفِي أَمْرًا ذَا حَسَبٍ وَ دِينَ وَ لَكِنِّ وَ لَعَلَّ وَ نَابَذَ مُعَاوِيَةَ الْوَلِيدَ بِنَ عُقْبَةَ دُونَ الْقَوْمِ (١) فَأَغْلَظَ لَهُ الْوَلِيدُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّكَ إِنَّمَا تَجْتَرِي عَلِيَّ بِنَسَبِكَ مِنْ عُثْمَانَ وَ لَقَدْ ضَرَبَكَ الْحَيْدُ وَ عَزَلَكَ عَنِ الْكُوفَةِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ مَا أَمْسَوْا حَتَّى اضْطَلَحُوا وَ أَرْضَاهُمْ مُعَاوِيَةُ مِنْ نَفْسِهِ وَ وَصَلَهُمْ بِأَمْوَالٍ جَلِيلَةٍ وَ بَعَثَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عُثْبَةَ فَقَالَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فِي جَعِيدَةَ قَالَ أَلْقَاهُ الْيَوْمَ وَ أَقَاتِلُهُ غَدًا وَ كَانَ لِمُجَيْدَةَ فِي قُرَيْشٍ شَرَفٌ عَظِيمٌ وَ كَانَ لَهُ لِسَانٌ وَ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى عَلِيٍّ ع فَغَدَا عَلَيْهِ عُثْبَةُ فَنَادَى أَبَا جَعِيدَةَ أَبَا جَعِيدَةَ فَاسْتَأْذَنَ عَلِيًّا ع فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ وَ اجْتَمَعَ النَّاسُ فَقَالَ عُثْبَةُ يَا جَعِيدَةَ وَ اللَّهُ مَا أَخْرَجَكَ عَلَيْنَا إِلَّا حُبُّ خَالِكَ وَ عَمَّكَ عَامِلِ الْبَحْرَيْنِ وَ إِنَّا وَ اللَّهُ مَا نَزَعْنَا مِنْ مُعَاوِيَةَ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ عَلِيٍّ لَوْ لَا أَمْرُهُ فِي عُثْمَانَ وَ لَكِنَّ مُعَاوِيَةَ أَحَقُّ بِالْإِسْلَامِ لِإِسْلَامِ أَهْلِهِمَا بِهِ فَاعْفُوا لَنَا عَنْهَا فَوَلَّى اللَّهُ مَا بِالْإِسْلَامِ رَجُلٌ بِهِ طَرَقُ (٢) إِلَّا وَ هُوَ أَحَقُّ مِنْ مُعَاوِيَةَ فِي الْقِتَالِ وَ لَيْسَ بِالْعِرَاقِ رَجُلٌ لَهُ مِثْلُ جِدِّ عَلِيٍّ فِي الْحَرْبِ وَ نَحْنُ أَطْوَعُ لِصَاحِبِنَا مِنْكُمْ لِصَاحِبِكُمْ وَ مَا أَقْبَحَ بِعَلِيٍّ أَنْ يَكُونَ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ حَتَّى إِذَا أَصَابَ سُلْطَانًا أَفْنَى الْعَرَبِ فَقَالَ جَعْدَةُ أَمَّا حَبِّي لِيخَالِي فَلَوْ كَانَ لَكَ خَالٌ مِثْلُهُ لَنَسِيتَ أَبَاكَ وَ أَمَّا ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ فَلَمْ يُصِبْ أَغْظَمَ مِنْ قَدْرِهِ وَ الْجِهَادُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعَمَلِ وَ أَمَّا فَضْلُ عَلِيٍّ عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ

ص: ٩٨

(١-١) من صفين.

(٢-٢) الطرق هنا: القوه، و في الحديث: «لا أجد رجلا به طرق يتخلف».

فَهَذَا مَا لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ وَ أَمَّا رِضَاكُمْ الْيَوْمَ بِالشَّامِ فَقَدْ رَضِيَ بِهَا أَمْسٍ فَلَمْ نَقْبَلْ وَ أَمَّا قَوْلُكَ لَيْسَ بِالشَّامِ أَحَدٌ إِلَّا وَ هُوَ أَجْدُ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَ لَيْسَ بِالْعِرَاقِ رَجُلٌ مِثْلُ جِدِّ عَلِيٍّ فَهَكَذَا يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ مَضَى بِعَلِيٍّ يَقِينُهُ وَ قَصِيرَ بِمُعَاوِيَةَ شُكُّهُ وَ قَصْدُ أَهْلِ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ جَهْدِ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَ أَمَّا قَوْلُكَ نَحْنُ أَطْوَعُ لِمُعَاوِيَةَ مِنْكُمْ لِعَلِيٍّ فَوَاللَّهِ مَا نَسَأَلُهُ إِنْ سَكَتَ وَ لَا نُرَدُّ عَلَيْهِ إِنْ قَالَ وَ أَمَّا قَتْلُ الْعَرَبِ فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْقَتْلَ وَ الْقِتَالَ فَمَنْ قَتَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى اللَّهِ.

فَعَضَبَ عُتْبَةَ وَ فَحَشَّ عَلَى جَعِيدَةَ فَلَمْ يُجِبْهُ وَ أَعْرَضَ عَنْهُ فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ جَمَعَ خَيْلَهُ فَلَمْ يَسْتَبِقْ مِنْهَا (١) شَيْئاً وَ جُلُّ أَصْحَابِهِ الشُّكُونُ وَ الْأَزْدُ وَ الصَّدِيفُ وَ تَهَيَّأَ جَعْدَهُ بِمَا اسْتَطَاعَ وَ التَّقَوَّأَ فَصَبَرَ الْقَوْمُ جَمِيعاً وَ بَاشَرَ جَعْدَهُ يَوْمَئِذٍ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ وَ جَزَعَ عُتْبَةَ فَأَسْلَمَ خَيْلَهُ وَ أَسِيرَعَ هَارِباً إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ فَضَحَكَ جَعْدَهُ وَ هَزَمْتِكَ لَا تَغْسِلُ رَأْسَكَ مِنْهَا أَبَداً فَقَالَ وَ اللَّهُ لَقَدْ أَعْدَرْتُ وَ لَكِنْ أَبِي اللَّهُ أَنْ يُدِيلَنَا مِنْهُمْ فَمَا أَضِيعَ وَ حَظِيَ جَعِيدَةَ بَعْدَهَا عِنْدَ عَلِيٍّ عَ وَ قَالَ النَّجَاشِيُّ فِيمَا كَانَ مِنْ فُحْشِ عُتْبَةَ عَلَى جَعِيدَةَ إِنَّ شَتْمَ الْكَرِيمِ يَا عُتْبُ خَطْبُ

ص: ٩٩

(١ - ١) من صفين.

كُلُّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ فَهُوَ فِيهِ

وَقَالَ الْأَعْوَرُ الشَّنِيُّ فِي ذَلِكَ يُخَاطِبُ عُبَيْهَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ مَا زِلْتَ تُظْهِرُ فِي عِطْفَيْكَ أُبَّهَهُ

١٧٤٨

١- قَالَ نَضْرُ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ

ص: ١٠٠

يُقَالُ لَهُ الْأَصْبَغُ بْنُ ضِرَارِ الْأَزْدِيُّ مِنْ مَسَالِحِ مُعَاوِيَةَ وَ طَلَائِعِهِ فَنَدَبَ لَهُ عَلِيٌّ ع الْأَشْتَرُ فَأَخَذَهُ أُسَيْرًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ فَجَاءَ بِهِ لَيْلًا فَشَدَّهُ
وَأَقَامَ وَ أَلْقَاهُ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَنْتَظِرُ بِهِ الصَّبَاحَ وَ كَانَ الْأَصْبَغُ شَاعِرًا مُفَوِّهًا فَأَيَقَنَ بِالْقَتْلِ وَ نَامَ أَصْحَابُهُ فَرَفَعَ صَوْتَهُ فَأَسْمَعَ الْأَشْتَرَ وَ قَالَ
أَلَا لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ أَصْبَحَ سَرْمَدًا

ص: ١٠١

قَالَ فَعَدَا بِهِ الْأَشْتَرُ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا رَجُلٌ مِنْ مَسَالِحِ مُعَاوِيَةَ أَصَابَتْهُ أُمْسٌ وَبَاتَ عِنْدَنَا اللَّيْلَ فَحَرَّكَنَا بِشِعْرِهِ
وَلَهُ رَحِمٌ فَإِنْ كَانَ فِيهِ الْقَتْلُ فَاقْتُلْهُ وَإِنْ سَأَغَ لَكَ الْعَفْوُ عَنْهُ فَهَبْهُ لَنَا فَقَالَ هُوَ لَكَ يَا مَالِكُ وَإِذَا أَصَابَتْ مِنْهُمْ أَسِيرًا فَلَا تَقْتُلْهُ فَإِنَّ
أَسِيرَ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ لَا يُقْتَلُ .

فَرَجَعَ بِهِ الْأَشْتَرُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ

١٢٥ و من كلام له ع فى الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال و يذم فيه أصحابه فى التحكيم

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرَّجَالَ وَ إِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسِيطُورٌ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَ لَا يُدِّدُ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ وَ إِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ وَ لَمَّا دَعَاَنَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى عَنْ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ [سُبْحَانَهُ]

فَمَا نِ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ (١) فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ وَ رُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِى كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ وَ إِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَ أَوْلَاهُمْ بِهَا وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ أَجَلًا فِى التَّحْكِيمِ فَإِنَّمَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لِيَتَّيَّنَ الْجَاهِلُ وَ يَتَّيَّبَتِ الْعَالِمُ وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ فِى هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ لَا تُوَخَّذُ بِأَكْظَامِهَا فَتَعَجِزَ عَنْ تَبْيِينِ الْحَقِّ وَ تَنْقَادِ لِأَوَّلِ الْعَيِّْ إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَ إِنْ نَقَصَهُ وَ كَرِهَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَ إِنْ جَرَّ إِلَيْهِ [فَائِدَةٌ]

وَ زَادَهُ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَ مِنْ أَيْنَ أُتَيْتُمْ

ص: ١٠٣

اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمِ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ وَ مُوزَعِينَ بِالْجُورِ لَا يَعْدِلُونَ عَنْهُ [به]

جُفَاهٍ عَنِ الْكِتَابِ تُكَبِّ عَنِ الطَّرِيقِ مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعَلَّقُ بِهَا وَلَا زَوَافِرَ [زَوَافِر]

عَزٌّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا لِبَسِّ حُشَّاشٍ [حُشَّاشُ]

نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ أَفَّ لَكُمْ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا (١) يَوْمًا أَنْادِيكُمْ وَ يَوْمًا أَنْاجِيكُمْ فَلَا أَحْرَارَ صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ وَلَا إِخْوَانَ ثَقَهٍ عِنْدَ النَّجَاءِ . دفئا المصحف جانباه اللذان يكنفانه و كان الناس يعملونهما قديما من خشب و يعملونهما الآن من جلد يقول ع لا اعتراض على فى التحكيم و قول الخوارج حكمت الرجال دعوى غير صحيحه و إنما حكمت القرآن و لكن القرآن لا- ينطق بنفسه و لا بد له ممن يترجم عنه و الترجمان بفتح التاء و ضم الجيم هو مفسر اللغة بلسان آخر و يجوز ضم التاء لضمه الجيم قال الراجز كالترجمان لقي الأنباطا .

ثم قال لما دعينا إلى تحكيم الكتاب لم نكن القوم الذين قال الله تعالى فى حقهم وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٢) بل أجبنا إلى ذلك و عملنا بقول الله تعالى فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ (٣) و قال معنى ذلك أن نحكم بالكتاب و السنه فإذا عمل الناس بالحق فى هذه الواقعة و اطرحوا الهوى و العصبية كنا أحق بتدبير الأمة و بولايه الخلافه من المنازع لنا عليها

ص: ١٠٤

١-١) مخطوطه النهج: «ترحا».

٢-٢) سوره النور ٤٨.

٣-٣) سوره النساء ٥٩.

فإن قلت إنه ع لم يقل هكذا وإنما قال إذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أولى به وإذا حكم بالسنة فنحن أحق بها .

قلت إنه رفع نفسه ع أن يصرح بذكر الخلافه فكفى عنها وقال نحن إذا حكم بالكتاب و السنة أولى بالكتاب و السنة و يلزم من كونه أولى بالكتاب و السنة من جميع الناس أن يكون أولى بالخلافه من جميع الناس فدل على ما كنى عنه بالأمر المستلزم له .

فإن قلت إذا كان الرجال الذين يترجمون القرآن و يفسرونه و قد كلفوا أن يحكموا في واقعه أهل العراق و أهل الشام بما يدلهم القرآن عليه يجوز أن يختلفوا في تفسير القرآن و تأويله فيدعى صاحب أهل العراق من تفسيره ما يستدل به على مراده و يدعى و كيل أهل الشام ما يقابل ذلك و يناقضه بطريق الشبهه التي تمسكوا بها من دم عثمان و من كون الإجماع لم يحصل على بيعه أمير المؤمنين ع احتاج الحكمان حينئذ إلى أن يحكم بينهما حكمان آخران و القول فيهما كالقول في الأول إلى ما لا نهايه له و إنما كان يكون التحكيم قاطعا للشغب لو كان القرآن ينص بالصریح الذي لا- تأويل فيه إمّا على أمير المؤمنين ع و إمّا على معاويه و لا نص صريح فيه بل الذي فيه يحتمل التأويل و التجاذب فما الذي يفيد التحكيم و الحال تعود لا محاله جذعه قلت لو تأمل الحكمان الكتاب حق التأمل لوجدوا فيه النصّ الصريح على صحه خلافه أمير المؤمنين ع لأن فيه النصّ الصريح على أن الإجماع حجه و معاويه لم يكن مخالفا في هذه المقدمه و لا- أهل الشام و إذا كان الإجماع حجه فقد وقع الإجماع لما توفى رسول الله ص على أن اختيار خمسه من صلحاء المسلمين لواحد منهم و بيعته توجب لزوم طاعته و صحه خلافته و قد بايع أمير المؤمنين ع

خمسه من صلحاء الصحابه بل خمسون فوجب أن تصح خلافته و إذا صحت خلافته نفذت أحكامه و لم يجب عليه أن يقيد بعثمان إلا أن حضر أولياؤه عنده طائعين له مبايعين ملتزمين لأحكامه ثم بعد ذلك يطلبون القصاص من أقوام بأعيانهم يدعون عليهم دم المقتول فقد ثبت أن الكتاب لو توّمل حقّ التأمل لكان الحقّ مع أهل العراق و لم يكن لأهل الشام من الشبهه ما يقدرح فى استنباطهم المذكور .

ثمّ قال ع فأما ضربى للأجل فى التحكيم فإنما فعلته لأن الأناه و التثبت من الأمور المحموده أما الجاهل فيعلم فيه ما جهله و أمّا العالم فيثبت فيه على ما علمه فرجوت أن يصلح الله فى ذلك الأجل أمر هذه الأمة المفتونه .

و لا تؤخذ بأكظامها

جمع كظم و هو مخرج النفس يقول كرهت أن أعجل القوم عن التبين و الاهتداء فيكون إرهابى لهم و تركى للتنفيس عن خناقهم و عدولى عن ضرب الأجل بينى و بينهم أدعى إلى استفسادهم و أخرى أن يركبوا غيرهم و ضلالهم و لا يقلعوا عن القبيح الصادر عنهم .

ثمّ قال أفضل الناس من آثر الحق و إن كرهته أى اشتد عليه و بلغ منه المشقه.

و يجوز أكرته بالألف على الباطل و إن انتفع به و أورثه زياده .

ثمّ قال فأين يتاه بكم أى أين تذهبون فى التيه يعنى فى الحيره و روى فأنى يتاه بكم .

و من أين أتيتم

أى كيف دخل عليكم الشيطان أو الشبهه و من أى المداخل دخل اللبس عليكم .

ثمّ أمرهم بالاستعداد للمسير إلى حرب أهل الشام و ذكر أنهم موزعون بالجور

ص: ١٠٦

أى ملهمون قال تعالى رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ (١) أى ألهمنى أوزعته بكذا و هو موزع به و الاسم و المصدر جميعا الوزع بالفتح و استوزعت إليه تعالى شكره فأوزعنى أى استلهمته فألهمنى.

و لا يعدلون عنه لا يتركونه إلى غيره و روى لا يعدلون به أى لا يعدلون بالجور شيئا آخر أى لا يرضون إلا بالظلم و الجور و لا يختارون عليهما غيرهما .

قوله جفاه عن الكتاب جمع جاف و هو النابى عن الشىء أى قد نبوا عن الكتاب لا يلائمهم و لا يناسبونه تقول جفا السرج عن ظهر الفرس إذا نبا و ارتفع و أجفيته أنا و يجوز أن يريد أنهم أعراب جفاه أى أجلاف لا أفهام لهم .

قوله نكب عن الطريق أى عادلون جمع ناكب نكب ينكب عن السبيل بضم الكاف نكوبا .

قوله و ما أنتم بوثيقه أى بذى وثيقه فحذف المضاف و الوثيقه الثقه يقال قد أخذت فى أمر فلان بالوثيقه أى بالثقه و الثقه مصدر .

و الزوافر العشير و الأنصار و يقال هم زافرتهم عند السلطان للذين يقومون بأمره عنده.

و قوله يعتصم إليها أى بها فأنا ب إلى مناب الباء كقول طرفه و إن يلتق الحى الجمع تلاقنى إلى ذروه البيت الرفيع المصمد (٢) .

و حشاش النار ما تحش به أى توقد قال الشاعر أ فى أن أحش الحرب فيمن يحشها ألام و فى أأ أقر المخازيا.

ص: ١٠٧

١-١) سورة النمل ١٩.

٢-٢) من المعلقة-بشرح التبريزى ٧٧.

و روى حشاش بالفتح كالشيع و هو الحطب الذى يلقى فى النار قبل الجزل و روى حشاش بضم الحاء و تشديد الشين جمع حاش و هو الموقد للنار .

قوله أفُّ لَكُم من الألفاظ القرآنيه و فيها لغات أف بالكسر و بالضم و بالفتح و أف منونا بالثلاث أيضا و يقال أفا و تفا و هو إتباع له و أفه و تفه و المعنى استقذار المعنى بالتأفيف .

قوله لقد لقيت منكم برحا أى شده يقال لقيت منهم برحا بارحا أى شده و أذى قال الشاعر أجدك هذا عمر ك الله كلما دعاك الهوى برح لعينك بارح (١) .

و يروى ترحا أى حزنا .

ثم ذكر أنه يناديهم جهارا طورا و يناجيهم سرا طورا فلا يجدهم أحرارا عند ندائه أى لا ينصرون و لا يجيبون و لا يجدهم ثقاتا و ذوى أمانه عند المناجاة أى لا يكتمون السر .

و النجاء المناجاة مصدر ناجيته نجاء مثل ضاربتة ضرابا و صارعته صراعا

ص : ١٠٨

(١-١) اللسان (برح) من غير نسبة .

١٢٦ و من كلام له ع لما عوقب على التسويه فى العطاء و تصبيره الناس أسوه فى العطاء من غير تفضيل أولى السابقات و الشرف

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ وَ اللَّهُ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَ مَا أُمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا [وَ]

لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ [ثُمَّ قَالَ]

عَ الْآلِ وَ إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْدِيرٌ وَ إِسْرَافٌ وَ هُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَ يَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَ يُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَ يُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَ لَمْ يَضَعْ أَمْرًا مِالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَ لَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ وَ كَانَ لِغَيْرِهِ وَ دُهُمُ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا فَاصْتَجَّ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَ أَلَمُ خَدِينٍ .

أصل تأمرونى تأمرونى بنونين فأسكن الأولى و أدغم قال تعالى أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (١).

ص: ١٠٩

(١ - ١) سورة الزمر ٦٤.

و لا أطور به لا أقربه و لا تطر حولنا أى لا تقرب ما حولنا و أصله من طوار الدار و هو ما كان ممتدا معها من الفناء.

و قوله ما سمر سمير يعنى الدهر أى ما أقام الدهر و ما بقى و الأشهر فى المثل ما سمر ابنا سمير قالوا السمير الدهر و ابناه الليل و النهار و قيل ابنا سمير الليل و النهار لأنه يسمر فيهما و يقولون لا أفعله السمر و القمر أى ما دام الناس يسرون فى ليله قمراء و لا أفعله سمير الليالى أى أبدا قال الشنفرى هنالك لا أرجو حياه تسرنى سمير الليالى مبسلا بالجرائر (١).

قوله و ما أم نجم فى السماء نجما أى قصد و تقدم لأن النجوم تتبع بعضها بعضا فلا بدّ من تقدم و تأخر فلا يزال النجم يقصد نجما غيره و لا يزال النجم يتقدم نجما غيره .

و الخدين الصديق يقول ع كيف تأمر وننى أن أطلب النصر من الله بأن أجور على قوم وليت عليهم يعنى الذين لا سوابق لهم و لا شرف و كان عمر ينقصهم فى العطاء عن غيرهم .

ثم قال ع لو كان المال لى و أنا أفرقه بينهم لسويت فكيف و إنما هو مال الله و فيئه ثم ذكر أن إعطاء المال فى غير حقه تبذير و إسراف و قد نهى الله عنه و أنه يرفع صاحبه عند الناس و يضعه عند الله و أنه لم يسلك أحد هذه المسلك إلا حرمه الله و د الذين يتحبب إليهم بالمال و لو احتاج إليهم يوما عند عثره يعثرها لم يجدهم.

ص : ١١٠

(١ - ١) ديوانه ٣٦.

و اعلم أن هذه مسأله فقهيه و رأى على ع و أبى بكر فيها واحد و هو التسويه بين المسلمين فى قسمه الفىء و الصدقات و إلى هذا ذهب الشافعى رحمه الله و أما عمر فإنه لما ولى الخلافه فضل بعض الناس على بعض ففضل السابقين على غيرهم و فضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين و فضل المهاجرين كافه على الأنصار كافه و فضل العرب على العجم و فضل الصريح على المولى و قد كان أشار على أبى بكر أيام خلافته بذلك فلم يقبل و قال إن لم يفضل أحدا على أحد و لكنه قال **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسْكِينِ (١)** و لم يخص قوما دون قوم فلما أفضت إليه الخلافه عمل بما كان أشار به أولا و قد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله و المسأله محل اجتهاد و للإمام أن يعمل بما يؤديه إليه اجتهاده و إن كان اتباع على ع عندنا أولى لا سيما إذا عضده موافقه أبى بكر على المسأله و إن صح الخبر أن رسول الله ص سوى فقد صارت المسأله منصوصا عليها لأن فعله ع كقوله

ص: ١١١

فَإِنْ أَيْبْتُمْ إِلَّا أَنْ تَرْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَ ضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلُّونَ عَامَّةَ أُمَّهِ مُحَمَّدٍ صِ بَضَلَالِي وَ تَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئِي وَ تُكْفِرُونَهُمْ بِذُنُوبِي سَيِّئُوكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْجُرْءِ وَ السُّقْمِ وَ تَخْلُطُونَ مَنْ أَدْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ وَ قَتَلَ الْقَاتِلَ وَ وَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ وَ قَطَعَ [يَدَ]

السَّارِقِ وَ جَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَ نَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صِ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ وَ لَعَنَ يَمْنَعُهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَ لَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ ثُمَّ أَنْتَمُ شَرَارُ النَّاسِ وَ مَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وَ ضَرَبَ بِهِ تَيْهَهُ وَ سَيَّهَلَكَ فِي صِنْفَانِ مُحِبِّ مُفْرِطٍ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَ مُبْغِضٍ مُفْرِطٍ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَ خَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ التَّمَطِّ الْأَوْسَطُ فَالزَّمُوهُ وَ الزَّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ [عَلَى]

مَعَ الْجَمَاعَةِ وَ إِيَّاكُمْ وَ الْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْعَنَمِ لِلذَّبِّ أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشُّعَارِ فَاقْتُلُوهُ وَ لَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ فَإِنَّمَا حُكِّمَ

الْحَكَمَ إِنْ لِيُحْيِيَ مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَ يُمِيتَ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ وَ إِحْيَاؤُهُ الْاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ وَ إِمَاتَتُهُ الْإِفْتِرَاقُ عَنْهُ فَإِنْ جَرْنَا الْقُرْآنَ إِلَيْهِمْ
اتَّبَعْنَاهُمْ وَ إِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا فَلَمْ آتِ لَا أَبَا لَكُمْ بُجْرًا وَ لَا خَتَلْتُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ وَ لَا لَبَسْتُمْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَيْكُمُ عَلَى
اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا إِلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ وَ تَرَكَ الْحَقَّ وَ هُمَا يُبَيِّنُ رَأْيَهُ وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَى عَلَيْهِ وَ قَدْ سَبَقَ
اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَ الصَّمَدِ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا .

ليس لقاتل أن يقول له ع معتذرا عن الخوارج إنهم إنما ضلوا عامه أمه محمد ص و حكموا بخطئهم و كفرهم و قتلهم بالسيف
خطبا لأنهم وافقوك فى تصويب التحكيم و هو عندهم كفر فلم يؤاخذوهم بذنبك كما قلت لهم و ذلك لأن أمير المؤمنين ع
ما قال هذه المقالة إلا لمن رأى منهم استعراض العامه و قتل الأطفال حتى البهائم فقد كان منهم قوم فعلوا ذلك و قد سبق منا
شرح أفعالهم و وقائعهم بالناس و قالوا إن الدار دار كفر لا يجوز الكف عن أحد من أهلها فهؤلاء هم الذين وجه أمير المؤمنين
ع إليهم خطابه و إنكاره دون غيرهم من فرق الخوارج

مذهب الخوارج فى تكفير أهل الكبائر

و اعلم أن الخوارج كلها تذهب إلى تكفير أهل الكبائر و لذلك كفروا عليا ع و من اتبعه على تصويب التحكيم و هذا الاحتجاج
الذى احتج به عليهم

و الجواب أن هذا مقصور على اليهود لأن ذكرهم هو المقدم في الآية قال سبحانه و تعالى سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّحْتِ (١) ثم قال عقيب قوله هُمُ الْكَافِرُونَ وَ قَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بَعِيسِي ابْنِ مَرْيَمَ (٢) فدل على أنها مقصوره على اليهود. و منها قوله تعالى فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلظى لَا يَصِيلاها إِلَّا الْأَشقى الَّذى كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (٣) قالوا و قد اتفقنا مع المعتزله على أن الفاسق يصلى النار فوجب أن يسمى كافرا.

و الجواب أن قوله تعالى نارا نكره فى سياق الإثبات فلا تعم و إنما تعم النكره فى سياق النفى نحو قولك ما فى الدار من رجل و غير ممتنع أن يكون فى الآخره نار مخصوصه لا يصلها إلا الذين كذبوا و تولوا و يكون للفساق نار أخرى غيرها.

و منها قوله تعالى وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤) قالوا و الفاسق تحيط به جهنم فوجب أن يكون كافرا.

و الجواب أنه لم يقل سبحانه و إن جهنم لا تحيط إلا بالكافرين و ليس يلزم من كونها محيطه بقوم ألا تحيط بقوم سواهم.

و منها قوله سبحانه يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٥) قالوا

ص: ١١٥

- ١-١) سورة المائدة ٤٣.
- ٢-٢) سورة المائدة ٤٦.
- ٣-٣) سورة الليل ١٤-١٦.
- ٤-٤) سورة التوبة ٤٩.
- ٥-٥) سورة آل عمران ١٠٧.

وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ عَلَى قَوْلِهِ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ فُوجِبَ أَنْ يَثْبُتَ التَّغَايِيرُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَ هَذَا مَذْهَبُنَا لِأَنَّ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ هُمُ الْكُفَّارُونَ.

وَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَاهُمْ النَّارُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ (١) فَجَعَلَ الْفَاسِقَ مَكْذِبًا.

وَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الَّذِينَ فَسَقُوا عَنِ الدِّينِ أَيْ خَرَجُوا عَنْهُ بِكُفْرِهِمْ وَ لَا شَبَهَهُ أَنْ مَنْ كَانَ فَسَقَهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ فَهُوَ كَافِرٌ مَكْذِبٌ وَ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ فَاسِقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَهُوَ مَكْذِبٌ وَ كَافِرٌ.

وَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٢) قَالُوا فَأَثَبْتَ الظَّالِمَ جَاحِدًا وَ هَذِهِ صِفَةُ الْكُفَّارِ.

وَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمَكْلُفَ قَدْ يَكُونُ ظَالِمًا بِالسَّرْقَةِ وَ الزَّانَا وَ إِنْ كَانَ عَارِفًا بِاللَّهِ تَعَالَى وَ إِذَا جَازَ إِثْبَاتَ ظَالِمٍ لَيْسَ بِكَافِرٍ وَ لَا جَاحِدٍ بآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى جَازَ إِثْبَاتَ فَاسِقٍ لَيْسَ بِكَافِرٍ.

وَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٣).

وَ الْجَوَابُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ فَاسِقٌ وَ لَا تَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْفَاسِقَ كَافِرٌ.

وَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلَفُحُ وَ جُوهُهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ (٤).

ص: ١١٧

١-١) سورة السجدة ٢٠.

٢-٢) سورة الأنعام ٣٣.

٣-٣) سورة النور ٥٥.

٤-٤) سورة الأعراف ١٠٢-١٠٥.

فمن سبحانه على أن من تخف موازينه يكون مكذبا و الفاسق تخف موازينه فكان مكذبا و كل مكذب كافر.

الجواب أن ذلك لا يمنع من قسم ثالث و هم الذين لا تخف موازينهم و لا تثقل و هم الفساق و لا يلزم من كون كل مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ يدخل النار إلا يدخل النار إلا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ .

و منها قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ (١) و هذا يقتضى أن من لا يكون مؤمنا فهو كافر و الفاسق ليس بمؤمن فوجب أن يكون كافرا.

و الجواب أن من هاهنا للتبعيض و ليس فى ذكر التبعض نفي الثالث كما أن قوله وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ (٢) لا- ينفى وجود دابه تمشى على أكثر من أربع كبعض الحشرات ثم نعود إلى الشرح قوله ع و من رمى به الشيطان مراميه أى أضله كأنه رمى به مرمى بعيدا فضل عن الطريق و لم يهتد إليها .

قوله و ضرب به تيهه أى حيره و جعله تائها .

ثم قال ع يهلك فى رجلان فأحدهما من أفرط حبه له و اعتقاده فيه حتى ادعى له الحلول كما ادعت النصرى ذلك فى المسيح ع و الثانى من أفرط بغضه له حتى حاربه أو لعنه أو برئ منه أو أبغضه هذه المراتب الأربع و البغض أدناها و هو

ص: ١١٨

١-١) سورة التغابن ٢.

٢-٢) سورة النور ٤٥.

وَ فِي الْخَبْرِ الصَّحِيحِ الْمُنْتَقِ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ.

و حسبك بهذا الخبر فيه وحده كفايه

فصل في ذكر الغلاة من الشيعة و النصيريه و غيرهم

فأما الغلاة فيه فهالكون كما هلك الغلاة في عيسى ع و

قَدْ رَوَى الْمُحَدِّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لَهُ ع فِيكَ مَثَلٌ مِنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ أَبْغَضَتْهُ الْيَهُودُ فَبَهَتَتْ أُمَّهُ وَ أَحْبَبَتْهُ النَّصَارَى فَرَفَعَتْهُ فَوْقَ قَدْرِهِ.

١- وَ قَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَثَرَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِهِ خَرَجُوا مِنْ حَدِّ مَحَبَّتِهِ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ أَنْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَ جَحَدُوا مَعَ حِيَاءٍ بِهِ نَبِيِّهِمْ فَاتَّخَذُوهُ رَبًّا وَ ادَّعَوْهُ إِلَهًا وَ قَالُوا لَهُ أَنْتَ خَالِقُنَا وَ رَازِقُنَا فَاسْتَتَابَهُمْ وَ اسْتَتَانِي وَ تَوَعَّدَهُمْ فَأَقَامُوا عَلَى قَوْلِهِمْ فَحَفَرَ لَهُمْ حُفْرًا دَخَنَ عَلَيْهِمْ فِيهَا طَمَعًا فِي رُجُوعِهِمْ فَأَبَوْا فَحَرَّقَهُمْ وَ قَالَ أَلَا تَرَوْنِي قَدْ حَفَرْتُ حُفْرًا (١) إِنِّي إِذَا رَأَيْتُ أَمْرًا مُنْكَرًا أَوْقَدْتُ نَارِي وَ دَعَوْتُ قَتِيرًا.

و

١- رَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارِ الثَّقَفِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَبِيبِ الْمِصْبِيِّ الْمَعْرُوفِ بِنَوِينٍ وَ رَوَى أَيْضًا عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ النَّوْفَلِيِّ عَنْ مَشِيخْتِهِ أَنَّ عَلِيًّا ع مَرَّ بِقَوْمٍ وَ هُمْ يَأْكُلُونَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَهَارًا فَقَالَ أَمْ مَرَضَى قَالُوا لَا وَ لَا وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا قَالَ فَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْتُمْ فَتَغَصَّ بِكُمْ الدَّمُّ وَ الْجَزِيَّةُ قَالُوا لَا قَالَ فَمَا بَالُ الْأَكْلِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا أَنْتَ أَنْتَ يُؤْمُونَ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ فَنَزَلَ ع عَنْ فَرَسِهِ فَأَلْصَقَ خَدَّهُ بِالْمَارِضِ وَ قَالَ وَيْلَكُمْ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ ارْجِعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا فَدَعَاهُمْ مَرَارًا فَأَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَ قَالَ شُدُّوهُمْ وَثَاقًا وَ عَلَيَّ بِالْفَعْلَةِ وَ النَّارِ وَ الْحَطَبِ ثُمَّ أَمَرَ

بِحَفْرِ بَيْرَيْنِ فَحُفِرَتَا إِحْدَاهُمَا سِرْبًا وَالْأُخْرَى مَكْشُوفَةً وَأُلْقِيَ الْحَطَبُ فِي الْمَكْشُوفَةِ وَفَتِحَ بَيْنَهُمَا فَتْحًا وَأُلْقِيَ النَّارُ فِي الْحَطَبِ فَدَخَنَ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ يَهْتَفُ بِهِمْ وَيُنَادِيهِمْ لِيَرْجِعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا فَأَمَرَ بِالْحَطَبِ وَالنَّارِ فَأُلْقِيَ عَلَيْهِمْ فَأُحْرِقُوا فَقَالَ الشَّاعِرُ لِيَتْرَمَ بِي الْمَيْتَهُ حَيْثُ شَاءَتْ

قَالَ فَلَمْ يَبْرَحْ عَ حَتَّى صَارُوا حُمَمًا

ثم استترت هذه المقالة سنة أو نحوها ثم ظهر عبد الله بن سيبا و كان يهوديا يتستر بالإسلام بعد وفاه أمير المؤمنين ع فأظهرها و اتبعه قوم فسموا السَّبِيئَةَ (١) وقالوا إن عليا ع لم يمت و إنه في السماء و الرعد صوته و البرق صوته و إذا سمعوا صوت الرعد قالوا السلام عليك يا أمير المؤمنين و قالوا في رسول الله ص أغلظ قول و افتروا عليه أعظم فريه فقالوا كتم تسعة أعشار الوحي فنعى عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه في رسالته التي يذكر فيها الإرجاء رواها عنه سليمان بن أبي شيخ عن الهيثم بن معاوية عن عبد العزيز بن أبان عن عبد الواحد بن أيمن المكي قال شهدت الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية يملئ هذه الرسالة فذكرها و قال فيها و من قول هذه السبئية هدينا لوحى ضل عنه الناس و علم خفى عنهم و زعموا أن رسول الله ص كتم تسعة أعشار الوحي و لو كتم ص شيئا ممّا أنزل الله عليه لكتم شأن امرأه زيد و قوله تعالى تَبَتَّغَى مَرَضَاتٍ أَرْوَاكَكَ (٢).

ص: ١٢٠

-
- ١-١) السبئية هم أول فرقه قالت بالتوقف و الغيبه و الرجعه، و قالت بتناسخ الجزء الإلهي بعد على رضى الله عنه. و انظر الملل و النحل للشهرستاني ١٥٥، ١٥٤:١.
- ٢-٢) سورة التحريم ١.

ثم ظهر المغيرة بن سعيد (١) مولى بجيله فأراد أن يحدث لنفسه مقالة يستهوى بها قوما و ينال بها ما يريد الظفر به من الدنيا فغلا في على ع و قال لو شاء على لأحيا عادا و ثمود و قزونا بين ذلك كثيرا .

١٧٥٣

٥- وَ رَوَى عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قَالَ خِیَاءَ الْمُغِيرَةَ بْنِ سَعِيدٍ فَاسْتَأْذَنَ عَلِيٌّ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَ قَالَ لَهُ أَخْبِرِ النَّاسَ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ أَنَا أُطْعِمُكَ الْعِرَاقَ فَزَجَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ زَجْرًا شَدِيدًا وَ أَسَمَعَهُ مَا كَرِهَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ فَأَتَى أَبَا هَاشِمٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ وَ كَانَ أَبُو هَاشِمٍ أَيْدًا فَوَثَبَ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ ضَرْبًا شَدِيدًا أَشْفَى بِهِ عَلِيٌّ الْمَوْتَ فَتَعَالَجَ حَتَّى بَرِيَ ثُمَّ أَتَى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَ كَانَ مُحَمَّدٌ سَكِينًا (٢) فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ لِلرَّجُلَيْنِ فَسَكَتَ مُحَمَّدٌ فَلَمْ يُجِبْهُ فَخَرَجَ وَ قَدْ طَمِعَ فِيهِ بِسُكُوتِهِ وَ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَنَّهُ قَائِمٌ أَهْلِ الْبَيْتِ وَ ادَّعَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ع أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ ثُمَّ قَدِمَ الْمُغِيرَةُ الْكُوفَةَ وَ كَانَ مُشْعَبًا فَدَعَا النَّاسَ إِلَى قَوْلِهِ وَ اسْتَهْوَاهُمْ وَ اسْتَعْوَاهُمْ فَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَ ادَّعَى عَلِيٌّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ أَذِنَ لَهُ فِي خَنْقِ النَّاسِ وَ إِسْقَائِهِمُ السُّمُومَ وَ بَثَّ أَضْيَاعَهُمْ فِي الْأَشْيَاءِ فَاِرِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِالنَّاسِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَضْحَابِهِ إِنَّا نَخْشَى مَنْ لَا نَعْرِفُ فَقَالَ لَا عَلَيكُمْ إِنْ كَانَ مِنْ أَضْحَابِكُمْ عَجَلْتُمُوهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَ إِنْ كَانَ مِنْ عِدْوِكُمْ عَجَلْتُمُوهُ إِلَى النَّارِ وَ لِهَذَا السَّبَبِ كَانَ الْمَنْصُورُ يُسَمَّى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْخَنَّاقَ وَ يَنْحَلُّهُ مَا ادَّعَاهُ عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ

ثم تفاقم أمر الغلاة بعد المغيرة و أمعنوا في الغلو فادعوا حلول الذات الإلهية

ص: ١٢١

١- ١) هو المغيرة بن سعيد العجلي، مولى خالد بن عبد الله القسري، ادعى الإمامه لنفسه بعد الإمام محمد بن علي بن الحسين، و بعد ذلك ادعى النبوه لنفسه، و استحل المحارم، و غلا في على غلوا لا يعتقده عاقل، و زاد على ذلك قوله بالتشبيه. الشهرستاني ١: ١٥٥.

٢- ٢) السكيت، على التصغير: الكثير السكوت.

المقدّسه فى قوم من سلالة أمير المؤمنين ع وقالوا بالتناسخ و جحدوا البعث و النشور و أسقطوا الثواب و العقاب و قال قوم منهم إن الثواب و العقاب إنّما هو ملاذ هذه الدنيا و مشاقها و تولدت من هذه المذاهب القديمه التى قال بها سلفهم مذاهب أفحش منها قال بها خلفهم حتّى صاروا إلى مقاله المعروفه بالنصيريه (١) و هى التى أحدثها محمد بن نصير النميرى و كان من أصحاب الحسن العسكرى ع و مقاله المعروفه بالإسحاقيه و هى التى أحدثها إسحاق بن زيد بن الحارث و كان من أصحاب عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان يقول بالإباحه و إسقاط التكاليف و يثبت لعلّى ع شركه مع رسول الله ص فى النبوه على وجه غير هذا الظاهر الذى يعرفه الناس

١٧٥٤

١٠،١١،١٢- وَ كَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ نُصَيْرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّضَا فَلَمَّا مَاتَ ادَّعَى وَ كَالَهُ لِابْنِ الْحَسَنِ الَّذِي تَقُولُ الْإِمَامِيَّةُ بِإِمَامَتِهِ فَفَضَّحَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَظْهَرَهُ مِنَ الْإِلْحَادِ وَ الْغُلُوِّ وَ الْقَوْلِ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَ نَبِيُّ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَنَّهُ أَرْسَلَهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّضَا وَ جَحَدَ إِمَامَةَ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ وَ إِمَامَةَ ابْنِهِ وَ ادَّعَى بَعْدَ ذَلِكَ الرَّبُوبِيَّةَ وَ قَالَ بِإِبَاحَةِ الْمَحَارِمِ

و للغلاة أفعال كثيره طويله عريضه و قد رأيت أنا جماعه منهم و سمعت أقوالهم و لم أر فيهم محصلا و لا- من يستحق أن يخاطب و سوف أستقصى ذكر فرق الغلاة و أقوالهم فى الكتاب الذى كنت متشاعلا بجمعه و قطعنى عنه اهتمامى بهذا الشرح و هو الكتاب المسمى بمقالات الشيعة إن شاء الله تعالى قوله ع و الزموا السواد الأعظم و هو الجماعه و

١٧٥٥

قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ عَنْ

ص: ١٢٢

رَسُولِ اللَّهِ ص

هَذِهِ اللَّفْظَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا ع وَ هِيَ يَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَلَا يُبَالِي بِشُدُودِ مَنْ شَدَّ.

و جاء في معناها كثير نحو

١٧٥٦

قَوْلُهُ ع

الشَّيْطَانُ مَعَ الْوَاحِدِ وَ هُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ.

و

١٧٥٧

قَوْلُهُ لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى خَطِيئَةٍ.

و

١٧٥٨

قَوْلُهُ سَأَلْتُ اللَّهَ أَلَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى خَطِيئَةٍ فَأَعْطَانِيهَا.

و

١٧٥٩

قَوْلُهُ مَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ.

و

١٧٦٠

قَوْلُهُ لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ وَ سَأَلْتُ رَبِّي أَلَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا وَ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالٍ وَ لَا خَطِيئَةٍ.

و

قَوْلِهِ عَ عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ.

و

قَوْلِهِ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قَيْدَ شِبْرِ فَقَدْ خَلَعَ رَبْقَةَ الْإِسْلَامِ عَنْ عُنُقِهِ. و

قَوْلِهِ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً .

و

قَوْلِهِ مَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحُهُ الْجَنَّةِ فَيَلْزِمُ الْجَمَاعَةَ.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره جدا .

ثم قال ع من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه يعنى الخوارج و كان شعارهم أنهم يحلقون وسط رءوسهم و يبقى الشعير مستديرا حوله كالإكليل.

قال و لو كان تحت عمامتى هذه أى لو اعتصم و احتتمى بأعظم الأشياء حرمه فلا تكفوا عن قتله .

ثم ذكر أنه إنما حكم الحكمان ليحييا ما أحياه القرآن أى ليجتمعا على ما شهد القرآن باستصوابه و استصلاحه و يميتا ما أماته القرآن أى ليفترقا و يصدأ و ينكلا عما كرهه القرآن و شهد بضلاله .

و البحر بضم الباء الشر العظيم قال الراجز أرمى عليها و هى شىء بجر

أى داهيه .

و لا ختلتكم

أى خدعتكم ختله و خاتله أى خدعه و التخالل التخادع و لا لبسته عليكم أى جعلته مشتبهاً ملتبساً ألست عليهم الأمر ألبيه بالكسر .

و المأل الجماعه من الناس و الصمد القصد.

قال سبق شرطنا سوء رأيهما لأننا اشترطنا عليهما فى كتاب الحكومه ما لا مضره علينا مع تأمله فيما فعلاه من اتباع الهوى و ترك النصيحه للمسلمين

ص: ١٢٤

اشاره

يَا أَخْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ وَلَا قَعْقَعَةٌ لُجْمٍ وَلَا حَمْحَمَةٌ حَيْلٍ يُسِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ
كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ.

[قال الشريف الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى يومئذ يومئذ بذلك إلى صاحب الزنج]

ثُمَّ قَالَ ع وَيَلُّ لِسِكِّكُمْ الْعَامِرَةَ وَالْدُّورِ الْمُزَخْرَفَةَ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النَّسُورِ وَخَرَاطِيمٌ كَخَرَاطِيمِ الْفَيْلَةِ مِنْ أَوْلِيَّتِكَ الَّذِينَ لَا
يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ أَنَا كَأَبُّ الدُّنْيَا لَوَجْهِهَا وَقَادِرٌهَا بِقَدْرِهَا وَنَاطِرٌهَا بِعَيْنِهَا .

اللجب الصوت و الدور المزخرفه المزينه المموهه بالزخرف و هو الذهب.

و أجنحه الدور التي شبهها بأجنحه النسور رواشيتها و الخراطيم ميازيها .

و قوله لا يندب قتلهم ليس يريد به من يقتلونه بل القتل منهم و ذلك لأن أكثر الزنج الذين أشار إليهم كانوا عبيدا لدهاقين البصره و بناتها و لم يكونوا ذوى زوجات و أولاد بل كانوا على هيئة الشطار عزابا فلا نادبه لهم.

و قوله و لا يفقد غائبهم يريد به كثرتهم و أنهم كلما قتل منهم قتيل سد مسده غيره فلا يظهر أثر فقده .

و قوله أنا كاب الدنيا لوجهها مثل الكلمات المحكيه

١٧٤٥

عَنْ عَيْسَى عَ أَنَا الَّذِي كَبَيْتُ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِهَا لَيْسَ لِي زَوْجَةٌ تَمُوتُ وَلَا بَيْتٌ يَخْرُبُ وَسَادِي الْحَجْرُ وَفِرَاشِي الْمَدْرُ وَسِرَاجِي الْقَمْرُ.

أخبار صاحب الزنج و فتنه و ما انتحله من عقائد

فأما صاحب الزنج (١) هذا فإنه ظهر في فرات البصره في سنه خمس و خمسين و مائتين رجل زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون (٢) السباخ في البصره . و أكثر الناس يقدحون في نسبه و خصوصا الطالبيين و جمهور النسايين اتفقوا على

ص : ١٢٤

١-١) ذكره صاحب الأعلام فقال: «على بن محمد الورزني العلوي، الملقب بصاحب الزنج؛ من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي، و فتنته معروفه بفتنه الزنج؛ لأن أكثر أنصاره منهم. ولد و نشأ في ورزني، إحدى قرى الري، و ظهر في أيام المهدي بالله العباسي، سنه ٢٥٥ هـ، و كان يرى رأى الأزارقه، و التلغف حوله سودان أهل البصره و رعاها، فامتلكها و استولى على الأبله، و تابعت لقتاله الجيوش؛ فكان يظهر عليها و يشتهاها؛ و نزل البطائح، و امتلك الأهواز، و أغار على واسط، و بلغ عدد جيشه ثمانمائة ألف مقاتل، و جعل مقامه في قصر اتخذه بالمختاره، و عجز عن قتاله الخلفاء؛ حتى ظفر به الموفق بالله، فقتله، و بعث برأسه إلى بغداد. قال المرزباني: تروى له أشعار كثيره في البساله و الفتك كان يقولها و ينحلها غيره، و في نسبه العلوي طعن و خلاف.

٢-٢) كسح البيت: كسسه؛ ثم استعير لتنقيه البئر و النهر و غيره.

أنه من عبد القيس و أنه على بن محمّد بن عبد الرحيم و أمه أسديه من أسد بن خزيمه جدها محمّد بن حكيم الأسدى من أهل الكوفه أحد الخارجين مع زيد بن عليّ بن الحسين ع على هشام بن عبد الملك فلما قتل زيد هرب فلحق بالرى و جاء إلى القرية التي يقال لها ورزنين فأقام بها مده و بهذه القرية ولد على بن محمّد صاحب الزنج و بها منشؤه و كان أبو أبيه المسمى عبد الرحيم رجلا من عبد القيس كان مولده بالطالقان فقدم العراق و اشترى جاريه سنديه فأولدها محمّدا أباه.

و كان على هذا متصلا بجماعه من حاشيه السلطان و خول بنى العباس منهم غانم الشطرنجى و سعيد الصغير و بشير (١) خادم المنتصر و كان منهم معاشه و من قوم من كتاب الدوله يمدحهم و يستمنحهم بشعره و يعلم الصبيان الخط و النحو و النجوم و كان حسن الشعر (٢) مطبوعا عليه فصيح اللهجه بعيد الهمه تسمو نفسه إلى معالى الأمور و لا يجد إليها سبيلا و من شعره القصيده المشهوره التي أولها

ص: ١٢٧

١-١) الطبري: «بشر».

٢-٢) و ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ٢٩، و قال: تروى له أشعار كثيرة فى البساله و الفتك؛ سمعت ابن دريد يذكر أنّها-أو أكثرها-له؛ لأنّه كان يقولها و ينحلها لغيره، و قرئت عليه بحضورتى فاعترف بها. قال: و فيما يروى لعلى لما هرب من الدار التي كان فيها فى اليوم الذى قتل فيه: عليك سلام الله يا خير منزل خرجنا و خلفناه غير ذميم فإن تكن الأيام أحدثن فرقه فمن ذا الذى من ربيهنّ سليم و له: لهف نفسى على قصور ببغدا د، و ما قد حوته كلّ عاص و خمور هناك تشرب جهرا و رجال على المعاصى حراص لست بابن الفواطم الغرّ إن لم أجل الخيل حول تلك العراض..

رأيت المقام على الاقتصاد

قنوعا به ذله فى العباد.

و من جملتها إذا النار ضاق بها زندها

و من الشعر المنسوب إليه و أنا لتصبح أسيفنا

و من شعره فى الغزل و لما تبينت المنازل بالحمى

و من شعره أيضا و إذا تنازعنى أقول لها قرى

و قد ذكر المسعودى فى كتابه المسمى مروج الذهب أن أفعال على بن محمّد صاحب الزنج تدل على أنه لم يكن طالبا و تصدق ما رمى به من دعوته فى النسب لأن ظاهر حاله كان ذهابه إلى مذهب الأزارقة فى قتل النساء و الأطفال و الشيخ الفانى و المريض

ص: ١٢٨

وقد روى أنه خطب مره فقال فى أول خطبته لا إله إلا الله و الله أكبر الله أكبر لا حكم إلا لله و كان يرى الذنوب كلها شركا
(١).

و من الناس من يطعن فى دينه و يرميه بالزندقة و الإلحاد و هذا هو الظاهر من أمره لأنه كان متشاغلا فى بدايته بالتنجيم و السحر
و الأضرلابات.

١٧٦٦

وَ ذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ

(٢)

أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ شَخَّصَ مِنْ سَامِرَاءَ وَ كَانَ يُعَلِّمُ الصَّبِيَّانَ بِهَا وَ يَمْدَحُ الْكُتَّابَ وَ يَسْتَمِيحُ النَّاسَ فِي سِنِهِ تِسْعَ وَ أَرْبَعِينَ وَ مَائَتِينَ
إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَادَّعَى بِهَا أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع وَ دَعَا النَّاسَ
بِهَجْرٍ إِلَى طَاعَتِهِ فَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِهَا وَ اتَّبَعَهُ (٣) جَمَاعَةٌ أُخْرَى فَكَانَتْ بِسَبَبِهِ بَيْنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ الَّذِينَ أَبَوْهُ عَصِيَّةٌ قُتِلَ
فِيهَا بَيْنَهُمْ جَمَاعَةٌ فَانْتَقَلَ عَنْهُمْ لَمَّا حَدَثَ ذَلِكَ إِلَى الْأَحْسَاءِ وَ ضَوَى (٤) إِلَى حَيْثُ مَاتَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو
الشَّمَّاسِ فَكَانَ بَيْنَهُمْ مُقَامَةٌ وَ قَدْ كَانَ أَهْلُ الْبَحْرَيْنِ أَحْلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَحَلَّ النَّبِيِّ ص فِيمَا ذُكِرَ حَتَّى جُبِيَ لَهُ الْخَرَاجُ هُنَاكَ وَ
نَفَذَ حُكْمَهُ فِيهِمْ وَ قَاتَلُوا أَشْيَابَ السُّلْطَانِ لِأَجْلِهِ وَ وَتَرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ فَتَنَكَّرُوا لَهُ فَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ إِلَى الْيَدِيَّةِ وَ لَمَّا انْتَقَلَ إِلَى
الْبَادِيَةِ صَحِبَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ مِنْهُمْ رَجُلٌ كَيَالٌ مِنْ أَهْلِ الْأَحْسَاءِ يُقَالُ لَهُ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ الْأَزْرَقِ مَوْلَى بَنِي دَارِمٍ وَ يَحْيَى
بْنُ أَبِي

ص: ١٢٩

١-١) مروج الذهب ١٩٥، ١٩٤: ٤.

٢-٢) تاريخ الطبري ١٧٤٣: ٣ و ما بعدها (طبع أوروبا).

٣-٣) فى الطبري: «و أبتة جماعه أخر».

٤-٤) ضوى: التجأ و الضم.

ثَغَلِبَ وَ كَانَ تَاجِرًا مِنْ أَهْلِ هَجَرَ وَ بَعْضَ مَوَالِي بَنِي حَنْظَلَةَ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ سَيْلِمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَ كَانَ قَائِدَ جَيْشِهِ حَيْثُ كَانَ بِالْبَحْرَيْنِ ثُمَّ تَنَقَّلَ فِي الْبَادِيَةِ مِنْ حَيٍّ إِلَى حَيٍّ فَذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أُوتِيَتْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ آيَاتٌ مِنْ آيَاتِ إِمَامَتِي مِنْهَا أَنِّي لَقِيتُ سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ أَكُنْ أَحْفَظُهَا فَجَرَى بِهَا لِسَانِي فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا سُبْحَانَ وَ الْكَهْفُ وَ صَادٌ وَ مِنْهَا أَنِّي أَلْقَيْتُ نَفْسِي عَلَى فِرَاشِي وَ جَعَلْتُ أَفْكَرُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَقْصَدُ لَهُ وَ أَجْعِلُ مَقَامِي بِهِ إِذَا نَبَتِ الْبَادِيَةُ بِي وَ ضَمَمْتُ ذُرْعًا بِسُوءِ طَاعَةِ أَهْلِهَا فَأَظَلَّتْنِي سَيِّحَابُهُ فَبَرَقَتْ وَ رَعَدَتْ وَ اتَّصَلَ صَوْتُ الرَّعْدِ مِنْهَا بِسَمْعِي فَخُوطِبْتُ فِقِيلَ لِي أَقْصِدِ الْبَصِيرَةَ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَ هُمْ يَكْتَنِفُونَنِي إِنِّي أُمِرْتُ بِصَوْتٍ مِنْ هَذَا الرَّعْدِ بِالْمَصِيرِ إِلَى الْبَصِيرَةِ وَ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ عِنْدَ مَصِيرِهِ إِلَى الْبَادِيَةِ أَوْ هَمَّ أَهْلُهَا أَنَّهُ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ أَبُو الْحُسَيْنِ (١)

الْمَقْتُولُ بِنَاجِيَةِ الْكُوفَةِ فِي أَيَّامِ الْمُسَيِّعِينَ فَاخْتَدَعَ بِمَذَلِكِ قَوْمًا مِنْهُمْ حَيَّتِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ فَزَحَفَ بِهِمْ إِلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ يُقَالُ لَهُ الرَّذْمُ فَكَانَتْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَهْلِهِ وَقَعَهُ عَظِيمَةٌ كَانَتْ الدَّبْرَةَ (٢) فِيهَا عَلَيْهِ وَ عَلَى أَصْحَابِهِ قُتِلُوا فِيهَا قَتْلًا ذَرِيعًا فَتَفَرَّقَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ وَ كَرِهَتْهُ وَ تَجَنَّبَتْ صُحْبَتَهُ.

فَلَمَّا تَفَرَّقَتِ الْعَرَبُ عَنْهُ وَ نَبَتْ بِهِ الْبَادِيَةُ شَخَّصَ عَنْهَا إِلَى الْبَصِيرَةِ فَتَزَلَّ بِهَا فِي بَنِي ضُبَيْعَةَ فَاتَّبَعَهُ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ الْمَعْرُوفُ بِالْمَهَلْبِيِّ مِنْ وُلْدِ الْمَهَلْبِ بْنِ أَبِي صِفْرَةَ وَ أَخَوَاهُ مُحَمَّدٌ وَ الْخَلِيلُ وَ غَيْرُهُمْ وَ كَانَ قُدُومُهُ الْبَصِيرَةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَ خَمْسِينَ وَ مِائَتَيْنِ

ص: ١٣٠

١ - ١) هو يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خرج في أيام المتوكل، و قتل في أيام المستعين سنة ٢٥٠، و رثاه الشعراء. قال أبو الفرج: و ما بلغني أن أحدا ممن قتل في الدولة العباسية من آل أبي طالب رثى بأكثر مما رثى به يحيى، و لا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه. و انظر أخباره في مقاتل الطالبين ٦٣٩-٦٦٤.

٢ - ٢) في الطبري: «الدائرة»، و هما بمعنى.

وَعَامِلُ السُّلْطَانِ بِهَا يَوْمَئِذٍ مُحَمَّدُ بْنُ رَجَاءٍ وَوَافَقَ ذَلِكَ فِتْنَةُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِالْبَلَائِيَّةِ وَالسَّعْدِيَّةِ فَطَمَعَ فِي أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَمِيلَ إِلَيْهِ فَأَرْسَلَ أَرْبَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْقَصَابُ الْهَجْرِيُّ وَبُرَيْشُ الْقُرَيْعِيُّ وَعَلِيُّ الضَّرَابُ وَالْحَسَنُ بْنُ الصَّبِيحِ الدَّنَائِيُّ وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا صَاحِبِيهِ بِالْبَحْرَيْنِ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَثَارَ عَلَيْهِمُ الْجُنْدُ فَتَفَرَّقُوا وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنَ الْبَصْرَةِ هَارِبًا وَطَلَبَهُ ابْنُ رَجَاءٍ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَ ابْنُ رَجَاءٍ بِمَيْلِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُمْ فَحَبَسَهُمْ وَحَبَسَ مَعَهُمْ زَوْجَهُ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ وَابْنَهُ الْأَكْبَرَ وَجَارِيَةَ لَهُ كَانَتْ حَامِلًا وَمَضَى عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ لَوَجْهِهِ يُرِيدُ بَغْدَادَ وَمَعَهُ قَوْمٌ مِنْ خِصْمَتِهِ مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ وَيَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ وَسُلَيْمَانُ بْنُ حِرَامٍ وَبُرَيْشُ الْقُرَيْعِيُّ فَلَمَّا صَارُوا بِالْبَطِيحَةِ نَذَرَ بِهِمْ بَعْضُ مَوَالِي الْبَاهِلِيِّينَ كَانَ يَلِي أَمْرَ الْبَطِيحَةِ فَأَخَذَهُمْ وَحَمَلَهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَوْنٍ وَهُوَ عَامِلُ السُّلْطَانِ بِوَاسِطِ فَاحْتَالَ لِابْنِ أَبِي عَوْنٍ حَتَّى تَخَلَّصَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادَ فَأَقَامَ بِهَا سِنَةً وَانْتَسَبَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى بْنِ زَيْدٍ وَكَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِبَغْدَادَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ آيَاتٌ وَعَرَفَ مَا فِي صَمَائِرِ أَصْحَابِهِ وَمَا يَفْعَلُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَأَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ حَقِيقَةَ أُمُورٍ كَانَتْ فِي نَفْسِهِ فَرَأَى كِتَابًا يُكْتَبُ لَهُ عَلَى حَائِطٍ وَلَا يَرَى شَخْصًا كَاتِبِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَاسْتِمَالَ بِبَغْدَادَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوْحَانِيُّ مِنْ وُلْدِ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ وَغُلَامَانِ لِبْنِي خَاقَانَ (١) وَهُمَا مُشْرِقٌ وَرَفِيقٌ فَسَمِيَ مُشْرِقًا حَمْرَةً وَكَنَاهُ أَيَا أَحْمَدَ وَسَمِيَ رَفِيقًا جَعْفَرًا وَكَنَاهُ أَبَا الْفَضْلِ فَلَمَّا انْقَضَى عَامُهُ ذَلِكَ بِبَغْدَادَ عَزَلَ مُحَمَّدُ بْنُ رَجَاءٍ عَنِ الْبَصْرَةِ فَوَثَّبَتْ رُؤَسَاءُ الْفِتْنَةِ بِهَا مِنَ الْبَلَائِيَّةِ وَالسَّعْدِيَّةِ

فَفَتَحُوا الْمَحَابِسَ وَ أَطْلَقُوا مَنْ كَانَ فِيهَا فَتَخَلَّصَ أَهْلُهُ وَ وُلِدَهُ فِيمَنْ تَخَلَّصَ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَخَّصَ عَنْ بَغْدَادَ فَكَانَ رُجُوعُهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَ خَمْسِينَ وَ مِائَتَيْنِ وَ مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيُّ وَ قَدْ كَانَ لِحَقِّ بِهِ وَ هُوَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ مُشْرِقٌ وَ رَفِيقٌ وَ أَرْبَعَةٌ أُخْرَى مِنْ خَوَاصِهِ وَ هُمْ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمٍ وَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَعْرُوفُ بِجِزْبَانَ فَسَارُوا جَمِيعًا حَتَّى نَزَلُوا بِالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبِزْنَخَلٍ مِنْ أَرْضِ الْبَصْرَةِ فِي قَصْرِ هُنَاكَ يُعْرَفُ بِقَصْرِ الْقُرَشِيِّ عَلَى نَهْرٍ يُعْرَفُ بِعَمُودِ ابْنِ الْمُنَجِّمِ كَانَ بَنُو مُوسَى بْنِ الْمُنَجِّمِ اخْتَفَرُوهُ وَ أَظْهَرَ أَنَّهُ وَ كَيْلٌ لَوْلَدِ الْوَاتِقِ فِي بَيْعِ مَا يَمْلِكُونَهُ هُنَاكَ مِنَ السَّبَاخِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَذَكَرَ عَنْ رِيحَانِ بْنِ صَالِحٍ أَحَدِ غُلَمَانِ الشُّورَجِيِّينَ الرُّنُوجِ وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ صَدَحَهُ مِنْهُمْ قَالَتْ كُنْتُ مُوَكَّلًا بِغُلَمَانِ مَوْلَايَ أَنْتَقِلُ الدَّقِيقَ إِلَيْهِمْ فَمَرَرْتُ بِهِ وَ هُوَ مُقِيمٌ بِقَصْرِ الْقُرَشِيِّ يُظْهِرُ الْوَكَالَهَ لِأَوْلَادِ الْوَاتِقِ فَأَخَذَنِي أَصْحَابُهُ وَ صَارُوا بِي إِلَيْهِ وَ أَمْرُونِي بِالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ بِالْأَمْرِ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَسَأَلَنِي عَنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي جِئْتُ مِنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَقْبَلْتُ مِنَ الْبَصْرَةِ فَقَالَ هَلْ سَمِعْتَ لَنَا بِالْبَصْرَةِ خَبْرًا قُلْتُ لَا قَالَ فَخَبِّرْ الْبَلَاءِيهَ وَ السَّعِيدِيهَ قُلْتُ لَمْ أَسْمَعْ لَهُمْ خَبْرًا فَسَأَلَنِي عَنْ غُلَمَانِ الشُّورَجِيِّينَ وَ مَا يَجْرِي لِكُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ مِنَ الدَّقِيقِ وَ السَّوِيقِ وَ التَّمْرِ وَ عَمَّنْ يَعْمَلُ فِي الشُّورَجِ مِنَ الْأَحْرَارِ وَ الْعَبِيدِ فَأَعْلَمْتُهُ ذَلِكَ فَدَعَانِي إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَأَجَبْتُهُ فَقَالَ لِي اخْتَلِ فِيمَنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْغُلَمَانِ فَأَقْبَلُ بِهِمْ إِلَيَّ وَ وَعَدَنِي أَنْ يَقُودَنِي عَلَى مَنْ آتِيهِ بِهِ مِنْهُمْ وَ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيَّ وَ اسْتَحْلَفَنِي أَلَّا أُعْلِمَ أَحَدًا بِمَوْضِعِهِ وَ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْهِ فَخَلَّى سَبِيلِي فَاتَيْتُ بِالْدَّقِيقِ الَّذِي مَعِيَ إِلَى غُلَمَانِ مَوْلَايَ وَ أَخْبَرْتُهُمْ خَبْرَهُ وَ أَخَذْتُ لَهُ الْبَيْعَةَ عَلَيْهِمْ وَ وَعَدْتُهُمْ عَنْهُ بِالْإِحْسَانِ وَ الْعَنَى وَ رَجَعْتُ إِلَيْهِ مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ قَدْ وَافَاهُ رَفِيقُ غُلَامِ الْخَاقَانِيهِ (١)

ص: ١٣٢

وَقَدْ كَانَ وَجْهُهُ إِلَى الْبَيْتِ (١) يَدْعُو إِلَيْهِ غُلَمَانُ الشُّوْرَجِ وَوَأَفَى إِلَيْهِ صَاحِبٌ لَهُ آخِرٌ يُعْرَفُ بِشَيْلِ بْنِ سَالِمٍ (٢) قَدْ كَانَ دَعَا إِلَيْهِ قَوْمًا مِنْهُمْ أَيْضًا (٣) وَأَخْضَرَ مَعَهُ حَرِيرَةً كَمَا كَانَ أَمْرُهُ بِإِتْبَاعِهَا لِيَتَّخِذَهَا لَوَاءً فَكَتَبَ فِيهَا بِالْحُمْرَةِ (٤) إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٥) الْمَايَةَ وَكَتَبَ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ عَلَيْهَا وَعَلَّقَهَا فِي رَأْسِ مُرْدِيٍّ (٦) وَخَرَجَ وَقْتَ السَّحْرِ مِنْ لَيْلَةِ السَّبْتِ لِللَّيْتَيْنِ بَقِيَّتِيَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مُؤَخَّرِ الْقَصْرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ لَقِيَهُ غُلَمَانُ رَجُلٍ مِنَ الشُّوْرَجِيِّينَ يُعْرَفُ بِالْعَطَّارِ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ (٧) فَأَمَرَ بِأَخْذِ وَكَيْلِهِمْ فَأَخَذَ وَكُتِفَ وَاسْتَضَمَّ غُلَمَانَهُ إِلَى غُلَمَانِهِ وَكَانُوا خَمْسِينَ غُلَامًا ثُمَّ صَارَ إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالسَّنَائِي فَاتَّبَعَهُ الْغُلَمَانُ الَّذِينَ كَانُوا فِيهِ وَهُمْ خَمْسِمِائَةِ غُلَامٍ فِيهِمْ الْغُلَامُ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي حَدِيدٍ وَآمَرَ بِأَخْذِ وَكَيْلِهِمْ وَكَتَفَهُ ثُمَّ مَضَى إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالسَّيْرَانِي فَاتَّبَعَهُ مِنْ كَانُوا فِيهِ مِنْ غُلَمَانٍ وَهُمْ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ غُلَامًا مِنْهُمْ زُرَيْقٌ وَ أَبُو الْخَنْجَرِ ثُمَّ صَارَ إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِسَبِّخِ بْنِ عَطَاءٍ فَأَخَذَ طَرِيفًا وَ صَبِيحًا الْأَعْسِرَ وَ رَاشِدًا الْمَغْرِبِيَّ وَ رَاشِدًا الْقَرْمَطِيَّ (٨) وَ كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ وُجُوهِ الزُّنْجِ وَ أَعْيَانِهِمُ الَّذِينَ صَارُوا قَوَادًا وَ أَمْرَاءَ فِي جُيُوشِهِمْ وَ أَخَذَ مَعَهُمْ ثَمَانِينَ غُلَامًا.

ثُمَّ أَتَى إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِغُلَامِ سَهْلِ الطَّحَانِ فَاسْتَضَمَّ مِنْ كَانُوا بِهِ مِنَ الْغُلَمَانِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي يَوْمِهِ حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنَ الزُّنْجِ ثُمَّ قَامَ فِيهِمْ

ص: ١٣٣

١-١) الطبري: «في حوائج من حوائجه».

٢-٢-٢) الطبري: «و كان من غلمان الدباسين».

٣-٢-٢) الطبري: «و كان من غلمان الدباسين».

٤-٤) سورة التوبة ١١١.

٥-٥) المردي: خشبه تدفع بها السفينه.

٦-٦) من الطبري.

٧-٧) الطبري: «القرمطي».

آخِرَ اللَّيْلِ خَطِيْبًا فَمَنَّاهُمْ وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَقُوْدَهُمْ وَيُرْسَهُمْ وَيَمْلِكُهُمُ الْأَمْوَالَ وَالضِّيَاعَ وَحَلَفَ لَهُمْ بِالْأَيْمَانِ الْعَلِيْظَةِ أَلَّا يَغْدِرَ بِهِمْ وَ لَا يَخْدُلُهُمْ وَ لَا يَدَعُ شَيْئًا مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَّا أَتَى إِلَيْهِمْ.

ثُمَّ دَعَا وَكَلَاءَهُمْ فَقَالَ قَسْدٌ أَرَدْتُ ضَرْبَ أَعْنَاقِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ الْعِلْمَانِ الَّذِينَ اسْتَضَعْتُمُوهُمْ وَ قَهَرْتُمُوهُمْ وَ فَعَلْتُمْ بِهِمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَفْعَلُوهُ بِهِمْ وَ كَلَفْتُمُوهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَهُ فَكَلَّمَنِي أَصْحَابِي فِيكُمْ فَرَأَيْتُ إِطْلَاقَكُمْ.

فَقَالُوا لَهُ أَضْيَحَكَ اللَّهُ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعِلْمَانَ أَبَاقٌ (١) وَ إِنَّهُمْ سَيَهْرَبُونَ مِنْكَ فَلَا يَبْقُونَ عَلَيْكَ وَ لَا عَلَيْنَا فَخُذْ مِنْ مَوَالِيهِمْ مَا لَا وَطَّقَهُمْ.

فَأَمَرَ الْعِلْمَانَ فَأَخَضَرُوا (٢) شَطُوبًا ثُمَّ بَطَحَ كُلُّ قَوْمٍ وَكَيْلَهُمْ فَضَرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَمْسَةَ جَائِهِ شَطْبِهِ وَ أَحْلَفَهُمْ بِطَلَاقِ نِسَائِهِمْ أَلَّا يُعْلِمُوا أَحَدًا بِمَوْضِعِهِ (٣) ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ فَمَضَوْا نَحْوَ الْبَصِيرَةِ وَ مَضَى رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى عَبَرَ دُجَيْلَ الْأَهْوَازِ فَأَنْذَرَ الشُّورَجِيْنَ لِيَحْفَظُوا غَلْمَانَهُمْ وَ كَانَ هُنَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ غَلَامٍ زَنْجِيٍّ (٤) ثُمَّ سَارَ وَ عَبَرَ دُجَيْلًا وَ سَارَ إِلَى نَهْرِ مَيْمُونٍ بِأَصْحَابِهِ وَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ السُّودَانُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفِطْرِ جَمَعَهُمْ وَ خَطَبَ خُطْبَهُ ذَكَرَ فِيهَا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسِدٌ اسْتَفْتَدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَ أَفْئَادَهُمْ وَ يَمْلِكَهُمُ الْعَبِيدَ وَ الْأَمْوَالَ وَ الْمَنَازِلَ وَ يُبَلِّغَ بِهِمْ أَعْلَى الْأُمُورِ ثُمَّ حَلَفَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ

ص: ١٣٤

١- (١) أباق: هاربون.

٢- (٢) الشطوب: جريد النخل المجفف.

٣- (٣) من الطبري.

٤- (٤) في الطبري: «يقال له عبد الله، ويعرف بكريخا».

أَمَرَ الَّذِينَ فَهِمُوا عَنْهُ قَوْلَهُ أَنْ يُفْهِمُوهُ مَنْ لَا فَهْمَ لَهُ مِنْ عَجْمِهِمْ لِتَطِيبَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ شَوَّالٍ وَافَاهُ الْحَمِيرِيُّ أَحَدَ عُمَّالِ السُّلْطَانِ يَتْلَمَكَ النَّوَاحِي فِي عَيْدٍ كَثِيرٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الزُّنْجِ فِي أَصْحَابِهِ فَطَرَدَهُ وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ حَتَّى صَارُوا فِي بَطْنِ دِجْلَةَ وَاسْتَأْمَنَ إِلَى صَاحِبِ الزُّنْجِ رَجُلٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الشُّودَانِ يُعْرَفُ بِأَبِي صَالِحِ الْقَصِيرِ فِي ثَلَاثِمَائِهِ مِنَ الزُّنْجِ فَلَمَّا كَثُرَ مِنَ اجْتِمَاعِ إِلَيْهِ مِنَ الزُّنْجِ قَوَدَ قَوَادَهُ وَقَالَ لَهُمْ مَنْ أَتَى مِنْكُمْ بِرَجُلٍ مِنَ الشُّودَانِ فَهُوَ مَضْمُومٌ إِلَيْهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَانْتَهَى إِلَيْهِ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَعْوَانِ السُّلْطَانِ هُنَاكَ مِنْهُمْ خَلِيفَةُ بَنِي أَبِي عَوْنٍ عَلَى الْأَبْلَهِ وَ مِنْهُمْ الْحَمِيرِيُّ قَدْ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْإِسْتِعْدَادِ لَهُمْ فَاجْتَمَعُوا لِلْحَرْبِ وَ لَيْسَ فِي عَسِيكِرِهِ يَوْمئِذٍ إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَشْيَافِ سَيْفُهُ وَ سَيْفُ عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ وَ سَيْفُ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْلَمٍ وَ لِحْفَةُ الْقَوْمِ وَ نَادَى الزُّنْجُ فَبَدَرَ مُفْرَجُ النَّوْبِيِّ وَ الْمُكَنَّى بِأَبِي صَالِحٍ وَ رِيحَانُ بْنُ صَالِحٍ وَ فَتْحُ الْحَجَّامِ وَ قَدْ كَانَ فَتْحٌ حِينئِذٍ يَأْكُلُ وَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبَقٌ فَلَمَّا نَهَضَ تَنَاوَلَ ذَلِكَ الطَّبَقِ وَ تَقَدَّمَ أَمَامَ أَصْحَابِهِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ فَلَمَّا رَأَاهُ فَتَوَضَّعَ عَلَيْهِ وَ حَذَفَهُ بِالطَّبَقِ الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ فَرَمَى الرَّجُلُ (١) سَيْلَاحَهُ وَ وَلَّى هَارِبًا وَ انْهَزَمَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَذَهَبُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَ قُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ وَ مَاتَ بَعْضُهُمْ عَطَشًا وَ أُسِرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَأَتَى بِهِمْ صَاحِبُ الزُّنْجِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ فَضُرِبَتْ وَ حُمِلَتِ الرُّءُوسُ عَلَى بَعَالٍ كَانَ أَحَدَهَا مِنَ الشُّورَجِيِّينَ كَانَتْ تَنْقُلُ الشُّورَجِ .

ص: ١٣٥

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ (١) فَخَرَجَ مِنْهَا رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي الْأَهَاشِيِّينَ فَحَمَلَ عَلَيَّ بَعْضَ السُّودَانِ فَقَتَلَهُ وَ دَخَلَ الْقَرْيَةَ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ ائْتِدْنَا فِي انْتِهَابِ الْقَرْيَةِ وَ طَلَبِ قَاتِلِ صَاحِبِنَا فَقَالَ لَا سَبِيلَ إِلَيَّ ذَلِكَ دُونَ أَنْ نَعْرِفَ مَا عِنْدَ أَهْلِهَا (٢) وَ هِيَ لِقَاتِلِ مَا فَعَلَ عَنْ رَأْيِهِمْ وَ نُسَائِلِهِمْ أَنْ يَدْفَعُوهُ إِلَيْنَا فَإِنْ فَعَلُوا وَ إِلَّا حَلَّ (٣) لَنَا قِتَالُهُمْ وَ عَجَّلَ الْمَسِيرَ مِنَ الْقَرْيَةِ فَتَرَكَهَا وَ سَارَ (٤) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ مَرَّ عَلَيَّ الْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالكَرْخِ فَأَتَاهُ كِبْرَاؤُهَا وَ أَقَامُوا لَهُ الْأَنْزَالَ (٥) وَ بَاتَ لَيْلَتُهُ تِلْكَ عِنْدَهُمْ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَهْدَى لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الْمُسَمَّاهُ جُبِّي فَرَسًا كَمِيتًا فَلَمْ يَجِدْ سَرَجًا وَ لَا لِحَامًا فَرَكِبَهُ بِحَبْلِ وَ سَنَفَهُ (٦) بِحَبْلِ لَيْفٍ .

قُلْتُ هَذَا تَصَدِيقُ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ كَأَنَّهُ بِهِ قَدْ سَارَ فِي الْجَيْشِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ عُبَارٌ وَ لَا لَجَبٌ وَ لَا قَفْعَةٌ لُجْمٌ وَ لَا حَمْحَمَةٌ خَيْلٍ يُشِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ أَوَّلُ مَرَايِلِ صِيَارِ إِلَيْهِ مَائَتَا دِينَارٍ وَ أَلْفٌ دِرْهَمٌ لَمَّا نَزَلَ الْقَرْيَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْجَعْفَرِيَّةِ أَحْضَرَ بَعْضَ رُؤَسَائِهَا وَ سَأَلَهُ عَنِ الْمَالِ فَجَحَدَ فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَلَمَّا خَافَ

ص: ١٣٦

١- ١) في الطبري: «و مضى حتى وافى القادسيه».

٢- ٢) الطبري: «القوم».

٣- ٣) الطبري: «و إلا ساغ».

٤- ٤) الطبري: «و أعجلهم عن المسير، فصاروا إلى نهر ميمون راجحين، فأقام في المسجد الذي كان أقام فيه. في بدأته، و أمر بالراءوس المحموله معه، و أمر بالأذان أبا صالح النوبي فأذن و سلم عليه بالإمره، فأقام فصلى بأصحابه العشاء الآخره، و بات ليلته بها، ثم مضى من الغد حتى مر بالكرخ...».

٥- ٥) الأنزال: جمع نزل، و هو ما هيئ للضيف أن ينزل عليه.

٦- ٦) سنفه: شده بالسناف؛ و هو حبل يشد على رقبه البعير.

أَخْضَرَ لَهُ هَذَا الْقَدْرَ وَأَخْضَرَ لَهُ ثَلَاثَةَ بَرَازِينَ كُمَيْتًا وَأَشْقَرَ وَأَشْهَبَ فَدَفَعَ أَحَدَهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمٍ وَالْآخَرَ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ وَالْآخَرَ إِلَى مُشْرِقِ غُلَامِ الْخَاقَانِيَّةِ وَوَجَدُوا فِي دَارِ لِبْعُضِ الْهَاشِمِيِّينَ سِلَاحًا فَاتْتَهَبُوهُ فَصَارَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِأَيْدِي بَعْضِ الزَّنَجِ سَيْوْفٌ وَآلَاتٌ وَآتِرَاسٌ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَلِيهِ مِنْ أَعْوَانِ السُّلْطَانِ كَالْحَمِيرِيِّ وَرُمَيْسٍ وَعَقِيلٍ وَغَيْرِهِمْ وَقَعَاتٌ كَانَ الظَّنُّ فِيهَا كُلِّهَا لَهُ وَكَانَ يَأْمُرُ بِقَتْلِ الْأَسِيرِ وَيَجْمَعُ الرُّءُوسَ مَعَهُ وَيَنْقُلُهَا مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ وَيَنْصِبُهَا أَمَامَهُ إِذَا نَزَلَ وَأَوْقَعَ الْهَيْبَةَ وَالرَّهْبَةَ فِي صُدُورِ النَّاسِ بِكَثْرَةِ الْقَتْلِ وَقِلَّةِ الْعُفُوِّ وَعَلَى الْخُصُوصِ الْمَأْسُورِينَ فَإِنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ وَلَا يَسْتَبْقِي مِنْهُمْ أَحَدًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ كَانَ لَهُ مَعَ أَهْلِ الْبُضَيْرَةِ وَقَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ سَارَ يُرِيدُهَا فِي سِتِّهِ آلَافِ زَنْجِيٍّ فَاتَّبَعَهُ أَهْلُ النَّاحِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْجَعْفَرِيَّةِ لِيَحَارِبُوهُ فَعَشَرَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمَائِهِ رَجُلٍ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُمْ صَمَدَ نَحْوِ الْبُضَيْرَةِ وَاجْتَمَعَ أَهْلُهَا وَمَنْ بِهَا مِنَ الْجُنْدِ وَحَارِبُوهُ حَرْبًا شَدِيدًا فَكَانَتْ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَقَعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي النَّهْرَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ بِنَهْرِ كَثِيرٍ وَنَهْرِ شَيْطَانٍ وَجَعَلَ يَهْتَفُ بِهِمْ وَيُرْدُّهُمْ وَلَا يَزْجَعُونَ وَغَرِقَ مِنْ أَعْيَانِ جُنْدِهِ وَقَوَادِهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو الْجُونَ وَمُبَارَكُ الْبَحْرَانِيُّ وَعَطَاءُ الْبُزْبَرِيُّ وَسَيِّدُ الشَّامِيِّ فَلَحِقَهُ قَوْمٌ مِنْ جُنْدِ الْبُضَيْرَةِ وَهُوَ عَلَى فَنْطَرِهِ نَهْرٍ كَثِيرٍ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ وَسَيْفُهُ فِي يَدِهِ فَرَجَعُوا عَنْهُ حَتَّى صَارُوا إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يَوْمًا فِي دُرَاعِهِ (١) وَعِمَامَةٍ وَنَعْلِ وَسَيْفٍ وَفِي يَدِهِ الْيُسْرَى تَرْسٌ وَنَزَلَ عَنِ الْفَنْطَرِ فَصَبَّ عَدَاهَا الْبُضَيْرِيُّونَ يَطْلُبُونَهُ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا بِيَدِهِ عَلَى خَمْسِ مَرَاقٍ مِنَ الْفَنْطَرِ وَجَعَلَ يَهْتَفُ بِأَصْحَابِهِ وَيَعْرِفُهُمْ مَكَانَهُ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مِنْ أَصْحَابِهِ

ص: ١٣٧

إِلَّا أَبُو الشَّوْكَ وَ مُضِيْلِحَ وَ رَفِيْقَ وَ مُشْرِقَ غَلَامَا الْخَاقَانِيَّةِ وَ ضَلَّ أَصْحَابُهُ عَنْهُ وَ انْحَلَّتْ عِمَامَتُهُ فَبَقِيَ عَلَى رَأْسِهِ كُوزٌ (١) مِنْهَا أَوْ كُوزَانٍ فَجَعَلَ يَسِيْرُ حَبَّهَا مِنْ وَرَائِهِ وَ يُعْجَلُهُ الْمَشْيُ عَنْ رَفْعِهَا وَ أَسِيْرَعَ غَلَامَا الْخَاقَانِيَّةِ فِي الْإِنْصِرَافِ وَ قَصِيْرَ عَنْهُمَا فَعَابَا عَنْهُ فَاتَّبَعَهُ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِسِيْفَيْهِمَا فَرَجَعَ إِلَيْهِمَا فَانْصَيْرَفَا عَنْهُ وَ خَرَجَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ مَجْمَعُ أَصْحَابِهِ وَ قَدْ كَانُوا تَحَيَّرُوا فَلَمَّا رَأَوْهُ سَكَّنُوا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ سَأَلَ عَنْ رَجَالِهِ وَ إِذَا قَدْ هَرَبَ كَثِيْرٌ مِنْهُمْ وَ نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مِنْ جَمِيْعِ أَصْحَابِهِ فِي مِقْدَارِ خَمْسِمِائَةٍ رَجُلٍ فَأَمَرَ بِالنَّفْحِ فِي الْبُوقِ الَّذِي كَانُوا يَجْتَمِعُونَ لِصَوْتِهِ فَانْفَحَ فِيهِ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ أَحَدٌ.

قَالَ وَ انْتَهَبَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ سِيْفُنَا كَانَتْ مَعَهُ وَ ظَفِرُوا بِمَتَاعٍ مِنْ مَتَاعِهِ وَ كُتِبَ مِنْ كُتْبِهِ وَ أُضِيْرَ طُرُلَابَاتٍ كَانَتْ مَعَهُ ثُمَّ تَلَاخَقَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ مَنْ كَانَتْ هَرَبَ فَأَضْبَحَ وَ إِذَا مَعَهُ أَلْفٌ رَجُلٍ فَأَرْسَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمٍ وَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَعْظُهُمْ وَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا غَضَبًا لِلَّهِ وَ لِلدِّينِ وَ نَهْيًا عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَبَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمٍ حَتَّى تَوَسَّطَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَ جَعَلَ يُكَلِّمُهُمْ وَ يُخَاطِبُهُمْ فَرَأَوْا مِنْهُ عَزَّةً فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَ رَجَعَ سُلَيْمَانُ وَ يَحْيَى إِلَى صَاحِبِ الزَّنْبِجِ فَأَخْبَرَاهُ فَأَمَرَهُمَا بِطَيِّ ذَلِكَ عَنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُهُمْ.

فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْعَصِيْرَ نَعَى إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمٍ وَ قَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ تَقْتُلُونَ بِهِ فِي غَدِ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ كَانَ الْوَقْعَةُ الَّتِي كَانَتْ الدَّبْرَةُ عَلَيْهِ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَلَاثِ عَشْرَةِ

ص: ١٣٨

لَيْلَهُ خَلَعُونَ مِنْ ذِي الْقَعِيدَةِ سَيْنَهُ خَمْسٌ وَخَمْسَتَيْنِ وَ مِائَتَيْنِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْمِائَتَيْنِ جَمَعَ لَهُ أَهْلُ الْبُصَيْرَةِ وَ حَشَدُوا لَمَّا رَأَوْا مِنْ ظُهُورِهِمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْأَحِيدِ وَ انْتَدَبَ لِذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبُصَيْرَةِ يُعْرَفُ بِحَمَادِ السَّاجِي وَ كَانَ مِنْ غُزَاهِ الْبَحْرِ فِي الشَّدَا (١) وَ لَهُ عِلْمٌ بِرُكُوبِهَا وَ الْحَرْبِ فِيهَا فَجَمَعَ الْمُطَوَّعَةَ وَ رَمَاهُ الْأَهْدَافَ وَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَ مَنْ خَفَّ مَعَهُ مِنْ حِزْبِي الْبِلَالِيَّةِ وَ السَّعْدِيَّةِ وَ مِنْ غَيْرِ هَيْدَةِ الْأَصِنَافِ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ وَ الْقُرَشِيِّينَ وَ مَنْ يُحِبُّ النَّظَرَ وَ مُشَاهِدَةَ الْحَرْبِ مِنْ سَائِرِ أَصِنَافِ النَّاسِ وَ شَحَنَ ثَلَاثَةَ مَرَكَبٍ مِنَ الشَّدَا (٢) بِالرُّمِيَاهِ وَ جَعَلَ النَّاسُ يَزْدَحْمُونَ فِي الشَّدَا حِزْصًا عَلَى حُضُورِ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ وَ مَضَى جُمْهُورُ النَّاسِ رَجَالَهُ مِنْهُمْ مَنْ مَعَهُ سِلَاحٌ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا سِلَاحَ مَعَهُ بَلْ نَظَّارَةٌ فَدَخَلَتِ السُّفُنُ النَّهْرَ الْمَعْرُوفَ بِأَمِّ حَبِيبٍ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي الْمَدِّ وَ مَرَّتِ الرَّجَالَةُ وَ النَّظَّارَةُ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ قَدْ سَدُّوا مَا يَنْفُذُ فِيهِ الْبَصِيرُ كَثْرَةً وَ تَكَاثُفًا فَوَجَّهَ صَاحِبُ الرُّنْجِ صَاحِبَهُ زُرَيْقًا وَ أَيَا اللَّيْثِ الْأَصْبَهَانِيَّ فَجَعَلَهُمْ كَمِينًا مِنَ الْحِرَابِ الشَّرْقِيَّ مِنْ نَهْرِ شَيْطَانٍ وَ كَانَ مُقِيمًا بِمَوْضِعٍ مِنْهُ وَ وَجَّهَ صَاحِبِيهِ شَيْبَلًا وَ حُسَيْنًا الْحَمَامِيَّ فَجَعَلَهُمَا كَمِينًا فِي غُرْبِيَّةٍ وَ مَعَ كُلِّ مِنَ الْكَمِينَيْنِ جَمَاعَةٌ وَ أَمَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي هَانِئَةَ أَنْ يَتَلَقَى الْقَوْمَ فِيمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ جَمْعِهِ وَ أَمَرَهُ أَنْ يَسْتَبْرَهُ وَ أَصْحَابُهُ بَتْرَاسِهِمْ وَ لَا يَثُورَ إِلَيْهِمْ مِنْهُ تَائِرٌ حَتَّى يُوَافِيَهُمُ الْقَوْمُ وَ يُخَالِطُوهُمْ بِأَسْيَافِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ثَارُوا إِلَيْهِمْ وَ تَقَدَّمَ إِلَى الْكَمِينَيْنِ إِذَا جَاوَزَهُمَا الْجَمْعُ وَ أَحْسَا بِثُورِهِ أَصْحَابِهِمْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَخْرُجَا مِنْ جَنَبِي النَّهْرِ وَ يَصِيحَا بِالنَّاسِ.

وَ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا أَقْبَلَ إِلَيَّ جَمْعُ الْبُصَيْرَةِ وَ عَايَنْتُهُ رَأَيْتُ أَمْرًا هَائِلًا رَاعِنِي وَ مَلَأَ صِدْرِي رَهْبَةً وَ جَزَعًا فَفَزِعْتُ إِلَى الدُّعَاءِ وَ لَيْسَ مَعِيَ مِنْ أَصْحَابِي إِلَّا نَفَرٌ يَسْتَبْرَهُ مِنْهُمْ مُصْلِحٌ وَ لَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَ قَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ مَصِيرُهُ فَجَعَلَ مُصْلِحٌ يُعْجِبُنِي مِنْ

١- ١) الشدا: ضرب من السفن، الواحده شداه، قال صاحب التهذيب: هذا معروف، ولكنه ليس بعربي (اللسان).

١- ٢) الشدا: ضرب من السفن، الواحده شداه، قال صاحب التهذيب: هذا معروف، ولكنه ليس بعربي (اللسان).

كَثْرَهُ ذَلِكَ الْجَمْعِ وَ جَعَلْتُ أَوْمِي إِلَيْهِ أَنْ أَسِيكَتَ (١) فَلَمَّا قَرَّبَ الْقَوْمُ مِنِّي قُلْتُ لِلَّهِمَّ إِنَّ هَيْدَةَ سَاعَهُ الْعُسَيْرَةَ فَأَعِنِّي فَرَأَيْتُ طُيُورًا
بِيضًا أَقْبَلَتْ فَتَلَقَّتْ ذَلِكَ الْجَمْعَ فَلَمْ أَسِيَّتَمَّ دُعَائِي حَتَّى بَصُرْتُ بِسَمِيرِيهِ (٢) مِنْ سِيْمَنِهِمْ قَدْ انْقَلَبَتْ بِيَمْنٍ فِيهَا فَعَرِقُوا ثُمَّ تَلَتْهَا الشَّدَا
فَعَرِقَتْ وَاحِدَةً بَعِيدًا وَاحِدَةً وَ ثَارَ أَصْحَابِي إِلَى الْقَوْمِ وَ خَرَجَ الْكَمِينَانِ مِنْ جَنْبِي النَّهْرِ وَ صَاحُوا وَ خَبَطُوا النَّاسَ فَعَرِقَتْ طَائِفَةٌ وَ
قَتَلَتْ طَائِفَةٌ وَ هَرَبَتْ طَائِفَةٌ نَحْوَ الشَّطِّ طَمَعًا فَأَذْرَكَهَا السَّيْفُ فَمَنْ ثَبَتَ قَتَلَ وَ مَنْ رَجَعَ إِلَى الْمَاءِ غَرِقَ حَتَّى أُبِيدَ أَكْثَرُ ذَلِكَ الْجَمْعِ
وَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ وَ كَثُرَ الْمَفْقُودُونَ بِالْبَصْرَةِ وَ عَلَا الْعَوِيلُ مِنْ نِسَائِهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ هَذَا يَوْمُ الشَّدَا الَّذِي ذَكَرَهُ النَّاسُ فِي أَشْعَارِهِمْ وَ عَظُمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْقَتْلِ فَكَانَ مِمَّنْ قُتِلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ جَمَاعَةٌ مِنْ
وُلْدِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ (٣) وَ انْصَرَفَ صَاحِبُ الرَّنَجِ (٤) وَ جَمَعَ الرُّءُوسَ وَ مَلَأَ بِهَا سُنْفًا وَ أَخْرَجَهَا مِنَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِأَمِّ حَبِيبٍ فِي
الْجُزْرِ وَ أَطْلَقَهَا فَوَافَتِ الْبَصْرَةَ فَوَقَفَتْ فِي مَشْرَعِهِ تُعْرِفُ بِمَشْرَعِ الْقَيْارِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْتُونَ تِلْكَ الرُّءُوسَ فَيَأْخُذُ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ
أَوْلِيَاؤُهُ وَ قَوَى صَاحِبُ الرَّنَجِ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ وَ سَكَنَ الرُّعْبُ قُلُوبَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْهُ وَ أَمْسَكُوا عَنْ حَرْبِهِ وَ كَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ بِخَبْرِهِ
فَوَجَّهَ جُعْلَانُ التُّرْكِيُّ مَدَدًا لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي جَيْشِ ذَوِي عَدِهِ وَ أَسْلَحِهِ (٥).

ص: ١٤٠

١-١) الطبري: «أن يمسك».

٢-٢) السميري على التصغير: ضرب من السفن (اللسان).

٣-٣) بعدها في الطبري: «و أربعون رجلا من الرماة المشهورين في خلق كثير لا يحصى عددهم».

٤-٤) في الطبري: «و انصرف الخبيث و جمعت له الرؤوس».

٥-٥) في الطبري: «و أمر أبا الأحوص الباهلي بالمصير إلى الأبله والياء، و أمده برجل من الأتراك يقال له جريج».

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَالَ أَصِيحَابُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ لَهُ (١) إِنَّا قَدْ قَتَلْنَا مُقَاتِلَهُ أَهْلَ الْبَصِيرَةِ وَ لَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلَّا ضَعْفَاؤُهُمْ وَ مَنْ لَا حَرَكَ بِه فَأَذْنُ لَنَا فِي تَقْحِمِهَا فَتَهَاؤُهُمْ (٢) وَ هَجَنَ آرَاءَهُمْ وَ قَالَ بَيْلٌ نَبْعِدُ عَنْهَا فَقَسَدَ رَعْبِنَاهُمْ وَ أَخْفَنَاهُمْ وَ لِنَقْتَحِمِهَا وَقْتًا آخَرَ وَ انصَرَفَ بِأَصِيحَابِهِ إِلَى سَبَخِهِ فِي آخِرِ أَنْهَارِ الْبَصِيرَةِ تُعْرَفُ بِسَبَخِهِ (٣) أَبِي قُرَّةَ قَرِيْبِهِ مِنَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْحَاجِرِ فَأَقَامَ هُنَاكَ وَ أَمَرَ أَصِيحَابَهُ بِاتِّخَاذِ الْمَأْكُوحِ وَ هَيْذِهِ السَّبَخَةُ مُنَوَسَّطَةُ النَّخْلِ وَ الْقُرَى وَ الْعِمَارَاتِ وَ بَثَّ أَصِيحَابَهُ يَمِينًا وَ شِمَالًا يَعِيشُونَ وَ يُغَيِّرُونَ عَلَى الْقُرَى وَ يَقْتُلُونَ الْأَكْرَهَ وَ يَنْهَبُونَ أَمْوَالَهُمْ وَ يَسْرِقُونَ مَوَاشِيَهُمْ (٤) .

وَ جَاءَهُ شَخْصٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ يُعْرَفُ بِمَارُويهِ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَ سَجَدَ لَهُ وَ سَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ فَأَجَابَهُ عَنْهَا فَرَعَمَ الْيَهُودِيُّ أَنَّهُ يَجِدُ صِفَتَهُ فِي التَّوْرَةِ وَ أَنَّهُ يَرَى الْقِتَالَ مَعَهُ وَ سَأَلَهُ عَنْ عَلَامَاتٍ فِي يَدِهِ وَ جَسَدِهِ ذَكَرَ أَنَّهَا مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ فَأَقَامَ مَعَهُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ لَمَّا صَارَ جُعْلَانُ التُّزَكِيُّ إِلَى الْبَصِيرَةِ بَعَثَ كَرِهَ أَقَامَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ يُحَارِبُ صَاحِبَ الرِّزْحِ فَإِذَا التَّقْوَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ إِلَّا الرَّمْيُ بِالْحِجَارَةِ وَ النَّشَابِ وَ لَمْ يَجِدْ جُعْلَانُ إِلَى لِقَائِهِ سَبِيلًا لِضَيْقِ الْمَوْضِعِ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّخْلِ وَ الدَّغْلِ (٥) ٢ عَنْ مَجَالِ الْخَيْلِ

ص: ١٤١

١-١) في الطبري: «فرعم الخبيث أن أصحابه قالوا له بعقب هذه الوقعة: إنا قد قتلنا مقاتله أهل البصره...».

٢-٢) في الطبري: «فربرهم».

٣-٣) في الطبري عن شبل: «هي سبخه أبي قره، موقعها بين النهرين: نهر أبي قره، والنهر المعروف بالحاجر».

٤-٤) في الطبري: فهذا ما كان من خبره و خبر الناس الذين قربوا من موضعه في هذه السنه، أي سنه أربع و خمسين و مائتين.

٥-٥) الدغل بالتحريك: الشجر الكثير الملتف. و كل موضع يخاف فيه الاغتيال.

وَلِأَنَّ صَاحِبَ الزُّنْجِ قَدْ كَانَ خَنَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَ أَصْحَابِهِ.

ثُمَّ إِنَّ صَاحِبَ الزُّنْجِ بَيَّتَ جُغْلَانَ فَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَ رُوِّعَ الْبَاقُونَ رَوْعًا شَدِيدًا فَأَنْصَرَفَ جُغْلَانٌ إِلَى الْبَصْرَةِ وَ وَجَّهَ إِلَيْهِ مُقَاتِلَةَ السَّعِيدِيَّةِ وَ الْبِلَالِيَّةِ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ فَوَاقَعَهُمْ صَاحِبُ الزُّنْجِ فَقَهَرَهُمْ وَ قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَ انْصَرَفُوا مَفْلُولِينَ وَ رَجَعَ جُغْلَانٌ بِأَصْحَابِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَقَامَ بِهَا مُعْتَصِمًا مَا بَحِرْدَرَانَهَا وَ ظَهَرَ عَجْزُهُ لِلسُّلْطَانِ فَصَيَّرَهُ عَنْ حَرْبِ الزُّنْجِ وَ أَمَرَ سَيِّدَ عَيْدِ الْحَاجِبِ بِالشُّخُوصِ إِلَى الْبَصْرَةِ لِحَرْبِهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ اتَّفَقَ لِصَاحِبِ الزُّنْجِ مِنَ السَّعَادَةِ أَنَّ أَرْبَعًا وَ عِشْرِينَ مَرْكَبًا مِنْ مَرَائِبِ الْبَحْرِ كَانَتْ اجْتَمَعَتْ تُرِيدُ الْبَصْرَةَ وَ انْتَهَى إِلَى أَصْحَابِهَا خَيْرُ الزُّنْجِ وَ قَطَعَهُمُ السُّبُلَ وَ فِيهَا أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ لِلتُّجَّارِ فَاجْتَمَعَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى أَنْ شَدُّوا الْمَرَائِبَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى صَارَتْ كَالْجَزِيرَةِ يَتَّصِلُ أَوْلُهَا بِآخِرِهَا وَ سَارَتْ فِي دِجْلَةَ فَكَانَ صَاحِبُ الزُّنْجِ يَقُولُ نَهَضْتُ لَيْلَةً إِلَى الصَّلَاةِ وَ أَخَذْتُ فِي الدُّعَاءِ وَ التَّضَرُّعِ فَخَوَّطْتُ بِأَنْ قِيلَ لِي قَدْ أَظْلَكَ فَتِيحٌ عَظِيمٌ فَالْتَفْتُ فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ طَلَعَتِ الْمَرَائِبُ فَنَهَضَ أَصْحَابِي إِلَيْهَا فِي شِدَاتِهَا فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ حَوَّوْهَا وَ قَتَلُوا مُقَاتِلَتَيْهَا وَ سَبَّوْا مَا فِيهَا مِنَ الرِّقِيقِ وَ غَنِمُوا مِنْهَا أَمْوَالًا لَا تُحْصَى وَ لَا يُعْرَفُ قَدْرُهَا فَانْهَبَتْ ذَلِكَ أَصْحَابِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ أَمَرْتُ بِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَحِيزَ لِي.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ دَخَلَ الزُّنْجُ الْأَبْلَهَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَ خَمْسِينَ وَ مِائَتَيْنِ وَ ذَلِكَ أَنَّ جُغْلَانَ لَمَّا تَنَحَّى إِلَى الْبَصْرَةِ أَلْحَ صَاحِبُ الزُّنْجِ بِالسَّرَايَا عَلَى أَهْلِ الْأَبْلَهَ فَجَعَلَ يُحَارِبُهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ شَطِّ عُثْمَانَ بِالرَّجَالِ وَ بِمَا خَفَّ لَهُ مِنَ السُّفُنِ مِنْ نَاحِيَةِ دِجْلَةَ وَ جَعَلَتْ سَرَايَاهُ تَضْرِبُ إِلَى نَاحِيَةِ نَهْرِ مَعْقِلٍ .

فَذَكَرَ عَنْ صَاحِبِ الزُّنْجِ أَنَّهُ قَالَ مَيَّلْتُ (١) بَيْنَ عَبَّادَانَ وَ الْأَبْلَهَ فَمِلْتُ إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى عَبَّادَانَ فَنَدَبْتُ الرَّجَالَ إِلَى ذَلِكَ فَخَوِطِبْتُ وَ قِيلَ لِي إِنَّ أَقْرَبَ عَدُوٍّ دَارًا وَ أَوْلَاهُ أَلَّا يَتَشَاغَلَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ أَهْلُ الْأَبْلَهَ فَرَدَدْتُ بِالْجَيْشِ الَّذِي كُنْتُ سَيَّرْتُهُ نَحْوَ عَبَّادَانَ إِلَى الْأَبْلَهَ وَ لَمْ يَزَالُوا يُحَارِبُونَ (٢) أَهْلَهَا إِلَى أَنْ أَفْتَحُمُوهَا وَ أَضْرَمُوهَا نَارًا وَ كَانَتْ مَبْنِيَّةً بِالسَّاجِ بِنَاءً مُتَكَائِفًا فَأَسِيرَعَتْ فِيهَا النَّارُ وَ نَشَأَتْ رِيحٌ عَرِاصِفٌ فَأَطَارَتْ شَرْرُ ذَلِكِ الْحَرِيقِ إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَى شَطِّ عُثْمَانَ وَ قُتِلَ بِالْأَبْلَهَ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَ حَوِيَتِ الْأَسْيَلَابُ وَ الْأَمْوَالُ عَلَى أَنْ الَّذِي أُحْرِقَ مِنْهَا كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا انْتَهَبَ وَ اسْتَسَلِمَ أَهْلُ عَبَّادَانَ بَعْدَهَا لِصَاحِبِ الزُّنْجِ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ ضَمِعَتْ وَ خَافُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ حَرَمَهُمْ فَأَعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ وَ سَلَّمُوا إِلَيْهِ بَلَدَهُمْ فَدَخَلَهَا أَصْحَابُهُ فَأَخَذُوا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْعَبِيدِ وَ حَمَلُوا مَا كَانَ فِيهَا مِنَ السَّلَاحِ فَفَرَّقَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَ صَانَعَهُ أَهْلُهَا بِمَالٍ كَفَّ بِهِ عَنْهُمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ دَخَلَ الزُّنْجُ بَعْدَ عَبَّادَانَ إِلَى الْأَهْوَازِ وَ لَمْ يَثْبُتْ لَهُمْ أَهْلُهَا فَأَحْرَقُوا مَا فِيهَا وَ قَتَلُوا وَ نَهَبُوا وَ أَحْرَبُوا فَكَانَ بِالْأَهْوَازِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُدَبِّرِ الْكَاتِبِ وَ إِلَيْهِ خَرَجَهَا (٣) وَ ضَيَاعُهَا فَأَسْرَوْهُ بَعْدَ أَنْ ضَرَبُوهُ ضَرْبَةً عَلَى وَجْهِهِ وَ حَوُوا كُلَّ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ مِنْ مَالٍ وَ أَثَاثٍ وَ رَقِيقٍ وَ كِرَاعٍ وَ اشْتَدَّ خَوْفُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَ انْتَقَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا عَنْهَا وَ تَفَرَّقُوا فِي بِلَادِ شَتَّى وَ كَثُرَتِ الْأَرَاجِيفُ مِنْ عَوَامِّهَا.

ص: ١٤٣

١- ١) في الأصول: «مثلث»، و ما أثبتته من الطبري.

٢- ٢) الطبري: «فلم يزالوا يحاربون أهل الأبله ليله الأربعاء خمس بقين من رجب سنة ٢٥٦، فلما كان في هذه الليلة اقتحمها الزنج مما يلي دجله و نهر الأبله، فقتل بها أبو الأحوص و ابنه و أضرمت نارا، و كانت مبنية بالساج».

٣- ٣) الطبري: «و إليه الخراج و الضياع».

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا دَخَلَتْ سَيْنُهُ سَبْعَ وَخَمْسِينَ أَنْفَذَ السُّلْطَانُ بُغْرَاجَ التُّرْكِيِّ عَلَى حَرْبِ الْبَصِيرَةِ وَ سَعِيدِ بْنِ صَالِحِ الْحَاجِبِ لِلِقَاءِ صَاحِبِ الزُّنْجِ وَ أَمَرَ بُغْرَاجَ بِإِمْدَادِهِ بِالرُّجَالِ فَلَمَّا صَارَ سَعِيدٌ إِلَى نَهْرِ مَعْقِلٍ وَحَدَ هُنَاكَ جَيْشًا لِصَاحِبِ الزُّنْجِ فِي النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَرْغَابِ فَأَوْقَعَ بِهِمْ سَعِيدٌ فَهَزَمَهُمْ وَ اسْتَنْقَذَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ النِّسَاءِ وَ النَّهْبِ وَ أَصَابَتْ سَعِيدًا فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ جِرَاحَاتٌ مِنْهَا جِرَاحَةٌ فِي فِيهِ.

ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ جَيْشًا لِصَاحِبِ الزُّنْجِ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْمُرَاتِ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَهَزَمَهُ وَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ بَعْضُ قَوَادِ صَاحِبِ الزُّنْجِ حَتَّى لَقِدَ كَانَ الْمَرْأَةُ مِنْ سُيَّكَانِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ تَجِدُ الزُّنْجِيَّ مُسْتَبْرَأً بِتِلْكَ الْأَدْعَالِ فَتَقْبِضُ عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِي بِهِ عَسَاكِرَ سَعِيدٍ مَا بِهِ عَنْهَا امْتِنَاعٌ ثُمَّ قَصِدَ سَعِيدٌ حَرْبَ صَاحِبِ الزُّنْجِ فَعَبَّرَ إِلَيْهِ إِلَى غَرْبِيٍّ دَجَلَهُ فَأَوْقَعَ بِهِ وَقَعَاتٍ مُتتَالِيَةً كُلُّهَا يَكُونُ الظَّفَرُ فِيهَا لِسَعِيدٍ إِلَى أَنْ تَهَيَّأَ لِصَاحِبِ الزُّنْجِ عَلَيْهِ أَنْ وَجَّهَ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ الْبَحْرَانِيِّ صَاحِبِهِ وَ هُوَ إِذْ ذَاكَ مُقِيمٌ بِنَهْرِ مَعْقِلٍ فِي جَيْشٍ مِنَ الزُّنْجِ فَأَمَرَهُ بِتَوْجِيهِ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَ أَبُو اللَّيْثِ الْقَائِدَانِ وَ يَأْمُرُهُمَا بِقَصْدِ عَسَاكِرِ سَعِيدٍ لَيْلًا حَتَّى يُوقِعَا بِهِ وَقْتَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلِهِ عَيْنَهَا لَهُمْ فَفَعَلَا ذَلِكَ وَ صَارَا إِلَى عَسَاكِرِ سَعِيدٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَصَادَفَا مِنْهُ غَرَّةً وَ غَفْلَةً فَأَوْقِعَا بِهِ وَ بِأَصْحَابِهِ وَقْتَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَتِلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَ أَصْبَحَ سَعِيدٌ وَ قَدْ ضَمِعَ أَمْرَهُ وَ اتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ خَبْرُهُ فَأَمَرَهُ بِالْإِنصَافِ إِلَى بَابِ السُّلْطَانِ وَ تَسْلِيمِ الْجَيْشِ الَّذِي مَعَهُ إِلَى مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرِ الْخَيَّاطِ وَ كَانَ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ حَرْبُ الْأَهْوَازِ وَ كُوتَبَ بِحَرْبِ صَاحِبِ الزُّنْجِ وَ أَنْ يَصِيْمُدَ لَهُ فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَعَةٌ كَانَ الظَّفَرُ فِيهَا لِلزُّنْجِ فَقَتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مَنْصُورٍ خَلْقٌ كَثِيرٌ عَظِيمٌ وَ حُمِلَ مِنَ الرُّءُوسِ خَمْسِيًّا مِنْهُ رَأْسٌ إِلَى عَسَاكِرِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ الْبَحْرَانِيِّ الْقَائِدِ فُنصِبَتْ عَلَى نَهْرِ مَعْقِلٍ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَ الزُّنْجِ وَبَيْنَ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ بِالْمَاهُوزِ وَقَعَاتُ كَثِيرَةٌ تَوَلَّاهَا عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيُّ فَقَتَلَ شَاهِينَ بْنَ بَسِيطَامَ وَكَانَ مِنْ أَكْبَابِ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ وَهُزِمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيِّمَا وَكَانَ أَيْضًا مِنَ الْأَمْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ وَاسْتَوْلَى الزُّنْجُ عَلَى عَسْكَرِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ كَانَتْ الْوَأَقِعَةُ الْعُظْمَى بِالْبَصِيرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الزُّنْجِ قَطَعَ الْمِيرَةَ عَنْهُمْ فَأَضْرَّ ذَلِكَ بِهِمْ وَ أَلْحَ بِجُيُوشِهِ وَزُوجِهِ عَلَيْهِمْ بِالْحَرْبِ صَبَاحًا وَ مَسَاءً فَلَمَّا كَانَ فِي شَوَالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَرْمَعَ عَلَى جَمْعِ أَصْحَابِهِ لِلْمُهْجُومِ عَلَى الْبَصِيرَةِ وَ الْجِدِّ فِي خَرَابِهَا وَ ذَلِكَ لِعَلْمِهِ بِضَعْفِ أَهْلِهَا وَ تَفَرُّقِهِمْ وَ إِضْرَارِ الْحِصَارِ بِهِمْ وَ خَرَابِ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْقَرَى وَ كَانَ قَدْ نَظَرَ فِي حِصَابِ النُّجُومِ وَ وَقَفَ عَلَى انْكِسَافِ الْقَمَرِ اللَّيْلَةَ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ فَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَيْهَلٍ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ اجْتَهَدْتُ فِي الدُّعَاءِ عَلَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ وَ ابْتَهَلْتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَعْجِيلِ خَرَابِهَا فَخُوطِبْتُ وَ قِيلَ لِي إِنَّمَا الْبَصِيرَةُ خُبْرَةٌ لَكَ (١) تَأْكُلُهَا مِنْ جَوَانِبِهَا فَإِذَا انْكَسَرَ نِصْفُ الرَّغِيفِ خَرِبَتْ الْبَصِيرَةُ فَأَوْلَتْ انْكِسَارَ نِصْفِ الرَّغِيفِ بِانْكِسَافِ نِصْفِ الْقَمَرِ الْمُتَوَقَّعِ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي وَ مَا أَخْلَقَ أَمْرَ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ قَالَ فَكَانَ يُحَدِّثُ بِهَذَا حَتَّى أَفَاضَ فِيهِ أَصْحَابُهُ وَ كَثُرَ تَرَدُّدُهُ فِي أَسْمَاعِهِمْ وَ إِجَالَتُهُمْ إِيَّاهُ بَيْنَهُمْ.

ثُمَّ نَدَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الدَّارِمِيُّ وَ هُوَ أَحَدُ مَنْ كَانَ صَاحِبَهُ بِالْبَحْرَيْنِ لِلْخُرُوجِ إِلَى

ص: ١٤٥

(١-١) من الطبري.

الْمَاعْرَابِ وَاسْتِنْفَارِ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ فَأَتَاهُ مِنْهُمْ بِخَلْقٍ كَثِيرٍ وَوَجَّهَ إِلَى الْبَصِيرَةِ سُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى (١) الشَّعْرَانِيَّ فَأَمَرَهُ بِتَطْرُقِ الْبَصِيرَةِ وَ الْإِيْقَاعِ بِأَهْلِهَا وَ تَقَدَّمَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى بِتَمْرِينَ (٢) الْمَاعْرَابِ عَلَى ذَلِكَ فَلَمَّا وَقَعَ الْكُشُوفُ أَنْهَضَ إِلَيْهَا عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ وَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا مِنَ الزُّنْجِ وَ طَائِفَةً مِنَ الْأَعْرَابِ وَ أَمَرَهُ بِإِيْتَانِ الْبَصِيرَةِ مِمَّا يَلِي بَيْنِي سَعْدٍ وَ كَتَبَ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَحْرَانِيَّ فِي إِيْتَانِهَا مِمَّا يَلِي نَهْرَ عَدِيِّ وَ ضَمَّ بَاقِيَ الْأَعْرَابِ إِلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ وَقَعَ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ عَلَيَّ بْنُ أَبَانَ وَ بُغْرَاجَ التُّرْكِيُّ يَوْمَئِذٍ بِالْبَصِيرَةِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ فَأَقَامَ يُقَاتِلُهُمْ يَوْمَيْنِ وَ أَقْبَلَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ مِمَّا يَلِي قَصْرَ أَنْسٍ قَاصِدًا نَحْوَ الْجَسِيرِ فَدَخَلَ عَلَيَّ بْنُ أَبَانَ الْبَلَدَ وَ قَتَلَ صِدْقَ الْجُمُعَةَ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ بَقِيَّةً مِنْ شَوَالٍ فَأَقْبَلَ يَقْتُلُ النَّاسَ وَ يُحْرِقُ الْمَنَازِلَ وَ الْمَسَاقِمَ بِالنَّارِ فَتَلَقَاهُ بُغْرَاجُ وَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيِّ الْمَعْرُوفِ بِبُرَيْهِ وَ كَمَا وَ جِيهًا مُتَقَدِّمًا مُطَاعًا فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ فَرَدَّاهُ فَرَجَعَ فَأَقَامَ لَيْلَتَهُ تِلْكَ (٣) ثُمَّ غَادَاهُمْ وَ قَدَّ تَفَرَّقَ جُنْدُ الْبَصِيرَةِ فَلَمْ يَكُنْ فِي وَجْهِهِ أَحَدٌ يُدَافِعُهُ وَ انْحَازَ بُغْرَاجُ بِمَنْ مَعَهُ وَ هَرَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِبُرَيْهِ فَوَضَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ السَّيْفَ فِي النَّاسِ وَ حَيَاءَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ وَ هُوَ ابْنُ عَمِّهِ فَاسْتَأْمَنَهُ لِأَهْلِ الْبَصِيرَةِ فَحَضَرَ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ قَاطِبَةً فَأَمَنَهُمْ وَ نَادَى مُنَادِيَهُ مَنْ أَرَادَ الْأَمَانَ فَلْيَحْضُرْ دَارَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ فَحَضَرَ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ قَاطِبَةً حَتَّى مَلَأُوا الْأَرْقَةَ فَلَمَّا رَأَى اجْتِمَاعَهُمْ انْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فَأَمَرَ بِأَخْذِ السَّكِّكِ وَ الطُّرُقِ عَلَيْهِمْ وَ غَدَرَ بِهِمْ وَ أَمَرَ الزُّنُوجَ بِوَضْعِ السَّيْفِ فِيهِمْ فَقُتِلَ كُلُّ مَنْ شَهِدَ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ.

ص: ١٤٦

١-١) من الطبري.

٢-٢) الطبري: «في تمرين».

٣-٣) الطبري: «يومه ذلك».

ثُمَّ انصَرَفَ آخِرَ نَهَارِ يَوْمِهِ ذَلِكَ فَأَقَامَ بِقَصْرِ عَيْسَى بْنِ جَعْفَرٍ بِالْخُرَيْبَةِ. وَرَوَى أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَمْعَانَ قَالَ كُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِالْبَصِيرَةِ فَمَضَيْتُ مُبَادِرًا إِلَى مَنْزِلِي لِأَتَحَصَّنَ بِهِ وَهُوَ فِي سَكَّةِ الْمَرْبَدِ فَلَقِيتُ أَهْلَ الْبَصِيرَةِ هَارِبِينَ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ وَفِي آخِرِهِمُ الْقَاسِمُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيُّ عَلَى بَغْلٍ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا يَصِيحُ بِالنَّاسِ وَيُحْكُمُ تَسْلِمُونَ بِلَدِّكُمْ وَحَرَمَكُمْ هَذَا عَدُوَّكُمْ قَدْ دَخَلَ الْبَلَدَ فَلَمْ يَلُؤُوا عَلَيْهِ وَ لَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ فَمَضَى هَارِبًا وَ دَخَلْتُ أَنَا مَنْزِلِي وَ أَغْلَقْتُ بَابِي وَ أَشْرَفْتُ فَمَرَّ بِي الْأَعْرَابُ وَ رَجَّالَهُ الزُّنْجُ يَقْدُمُهُمْ رَجُلٌ عَلَى حَصَانٍ كَمِيتٍ بِيَدِهِ رُمْحٌ وَ عَلَيْهِ عَذْبَةٌ صَفْرَاءٌ فَسَأَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْهُ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِيانٍ. قَالَ وَ نَادَى مُنَادِي عَلِيُّ بْنُ أَبِيانٍ مَنْ كَانَ مِنْ آلِ الْمُهَلَّبِ فَلْيَدْخُلْ دَارَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيِّ فَدَخَلْتُ جَمَاعَةً قَلِيلَةً وَ أَغْلَقْتُ الْبَابَ دُونَهُمْ ثُمَّ قِيلَ لِلزُّنْجِ دُونَكُمْ النَّاسَ فَاقْتُلُوهُمْ وَ لَا تَبْقُوا مِنْهُمْ أَحَدًا وَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو اللَّيْثِ الْأَصْبَهَانِيُّ أَحَدُ قَوَدِ الزُّنْجِ فَقَالَ لِلزُّنْجِ كَيْلُوا وَ هِيَ الْعَلَامَةُ الَّتِي كَانُوا يَعْرِفُونَهَا فِيمَنْ يُؤْمَرُونَ بِقَتْلِهِ فَأَخَذَ النَّاسُ السَّيْفَ قَالَ فَوَ اللَّهُ إِنِّي لَأَسْمَعُ تَشَهُدَهُمْ وَ ضَجِيجَهُمْ وَ هُمْ يُقْتَلُونَ وَ قَدْ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالتَّشَهُدِ حَتَّى سَمِعْتُ بِالطَّفَاوَةِ وَ هُوَ عَلَيَّ بُعْدَ مَنْ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ.

قَالَ ثُمَّ انْتَشَرَ الزُّنْجُ فِي سِكَكِ الْبَصِيرَةِ وَ شَوَارِعِهَا يُقْتَلُونَ مَنْ وَجَدُوا وَ دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِيانٍ يَوْمَئِذٍ الْمَسْجِدَ فَأَحْرَقَهُ وَ بَلَغَ إِلَى الْكَلَاءِ فَأَحْرَقَهُ إِلَى الْجِسْرِ وَ أَخَذَتِ النَّارُ كُلَّ مَا مَرَّتْ بِهِ مِنْ إِنْسَانٍ وَ بَهِيمَةٍ وَ أَثَاثٍ وَ مَتَاعٍ ثُمَّ أَلْحُوا بِالْعُدُوِّ وَ الرُّوَاحِ عَلَى مَنْ وَجَدُوهُ وَ يَسُوقُونَهُمْ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ الْبَحْرَانِيِّ وَ هُوَ نَازِلٌ بَعْضِ سِكَكِ الْبَصِيرَةِ فَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ قَرَّرَهُ حَتَّى يَسْتُخْرِجَ مَالَهُ ثُمَّ يَقْتُلُهُ وَ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا قَتَلَهُ مُعْجَلًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَدْ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ كَفَّ بَعْضَ الْكَفِّ عَنِ الْعَيْثِ بِنَاحِيَةِ بَنِي سَعْدٍ وَرَاقَبَ قَوْمًا مِنَ الْمُهَلْبِيِّينَ وَاتَّبَاعِهِمْ فَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الزُّنْجِ فَصَيَّرَهُ عَنِ الْبَصِيرَةِ وَأَقْرَبَ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ الْبُخْرَانِيَّ بِهَا لِمُوَافَقَتِهِ عَلَى رَأْيِهِ فِي الْإِثْنَانِ فِي الْقَتْلِ وَوُقُوعِ ذَلِكَ بِمَحَبَّتِهِ وَكَتَبَ إِلَى يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ بِأَمْرِهِ بِإِظْهَارِ الْكَفِّ لِيَسِيْرَ النَّاسُ وَيُظْهَرَ الْمَسِيْرُ تَخْفِيًا وَمَنْ قَدْ عَرَفَ بِالْيَسِيَارِ وَالتَّرْوَةِ فَإِذَا ظَهَرَ فَلْيُؤَخِّدُوا بِالِدَّلَالَةِ عَلَى مَا دَفَعُوهُ وَأَخْفَوْهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَفَعَلَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ ذَلِكَ وَكَانَ لَا يَخْلُو فِي الْيَوْمِ مِنَ الْأَيَّامِ مِنْ جَمَاعِهِ يُؤْتِي بِهِمْ فَمَنْ عَرَفَ مِنْهُمْ بِالْيَسَارِ اسْتَنْزَفَ مَا عِنْدَهُ ثُمَّ قَتَلَهُ وَمَنْ ظَهَرَ لَهُ خَلْتَهُ عَاجِلَهُ بِالْقَتْلِ حَتَّى لَمْ يَدْعُ أَحَدًا ظَهَرَ لَهُ إِلَّا قَتَلَهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ لَمَّا انْتَهَى (١) إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَظِيمَ مَا فَعَلَ أَصِيْحَابُهُ بِالْبَصِيرَةِ سَجَمْتُهُ يَقُولُ دَعَوْتُ عَلَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ فِي غَدَاةِ الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ أَصِيْحَابِي إِلَيْهَا وَاجْتَهَدْتُ فِي الدُّعَاءِ وَسَجَدْتُ وَجَعَلْتُ أَدْعُو فِي سُجُودِي فَرَفَعَتْ إِلَيَّ الْبَصِيرَةُ فَرَأَيْتُهَا وَرَأَيْتُ أَصِيْحَابِي يُقَاتِلُونَ فِيهَا وَرَأَيْتُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ رَجُلًا وَاقِفًا فِي صُورِهِ جَعْفَرُ الْمُعْلُوفِ الْمُتَوَلَّى كَانَ لِلِاسْتِخْرَاجِ فِي دِيْوَانِ الْخِرَاجِ بِسَامِرَاءَ وَهُوَ قَائِمٌ قَدْ خَفَضَ يَدَهُ الْيَسْرَى وَرَفَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى يُرِيدُ قَلْبَ الْبَصِيرَةِ فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَوَلَّتْ إِخْرَابَهَا دُونَ أَصِيْحَابِي وَ لَوْ كَانَ أَصِيْحَابِي تَوَلَّوْا ذَلِكَ مَا بَلَّغُوا هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي يُحْكِي عَنْهَا وَ لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَصَرَ نِيَّ بِالْمَلَائِكَةِ وَأَيَّدَنِي فِي حُرُوبِي وَ تَبَّتْ بِهِمْ مَنْ ضَمِعَ قَلْبُهُ مِنْ أَصِيْحَابِي قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ انْتَسَبَ صَاحِبُ الزُّنْجِ (٢) فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بَعْدَ انْتِسَابِهِ الَّذِي كَانَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عِيْسَى بْنِ زَيْدٍ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ بَعْدَ

ص: ١٤٨

١-١) الطبري: «لما أخرج الخائن البصرة».

٢-٢) الطبري: «و انتسب الخبيث».

إِخْرَافِهِ الْبُصَيْرَةَ جَاءَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَوِيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْبُصَيْرَةِ وَ أَتَاهُ فِيمَنْ أَتَاهُ مِنْهُمْ قَوْمٌ مِنْ وُلْدِ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى بْنِ زَيْدٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ نَسَبِهِمْ وَ حَرَمِهِمْ فَلَمَّا خَافَهُمْ تَرَكَ الْإِنْتِسَابَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى وَ انْتَسَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَخَرِّدْتَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ (١) كُنْتُ حَاضِرًا عِنْدَهُ وَ قَدْ حَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ النُّوفَلِيِّينَ (٢) فَقَالَ لَهُ الْقَاسِمُ بْنُ إِسْحَاقَ النُّوفَلِيُّ إِنَّهُ انْتَهَى إِلَيْنَا أَنَّ الْأَمِيرَ (٣) مِنْ وُلْدِ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى بْنِ زَيْدٍ فَقَالَ لَسْتُ مِنْ وُلْدِ عَيْسَى أَنَا مِنْ وُلْدِ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ فَانْتَقَلَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى بْنِ زَيْدٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ إِلَى يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ وَ هُوَ كَاذِبٌ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ وَاقِعٌ عَلَى أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَيْدٍ مَاتَ وَ لَمْ يُعَقَّبْ وَ لَمْ يُؤَلَّدْ لَهُ إِلَّا بِنْتُ وَاحِدَةٌ مَاتَتْ وَ هِيَ تَرْضَعُ .

فهذا ما ذكره أبو جعفر الطبري في التاريخ الكبير .

١٧٤٧

وَ ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْمَسْدِيُّ فِي مُرُوجِ الذَّهَبِ أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ بِالْبُصَيْرَةِ هَلَكَتْ فِيهَا مِنْ أَهْلِهَا ثَلَاثُمِائَةٍ أَلْفِ إِنْسَانٍ وَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيَّ بَعْدَ فَوَاقِهِ مِنَ الْوَاقِعَةِ نَصَبَ مَثْبِرًا فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبَنِي يَشْكُرَ صَلَّى فِيهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَ خَطَبَ لِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ صَاحِبِ الزُّنْجِ وَ تَرَحَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ لَمْ يَذْكُرْ عُثْمَانَ وَ لَا عَلِيَّاعَ فِي خُطْبَتِهِ وَ لَعَنَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ وَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ

ص: ١٤٩

١ - ١ - ١) الطبري: «سمعت الخبيث و قد حضره جماعه من النوفليين».

٢ - ١ - ١) الطبري: «سمعت الخبيث و قد حضره جماعه من النوفليين».

وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَحَكِينَاهُ مِنْ رَأْيِهِ وَ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى قَوْلِ الْأَزَارِقِيِّ . قَالَ وَ اسْتِخْفَى مِنْ سَلِيمٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ فِي آبَارِ الدُّورِ فَكَانُوا يَطْهَرُونَ لَيْلًا فَيَطْلُبُونَ الْكِلَابَ فَيَذْبُحُونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا وَالْفَأْرَ وَالسَّنَائِرَ فَأَفْنَوْهَا حَتَّى لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَصَارُوا إِذَا مَاتَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَكَلُوهُ فَكَانَ يُرَاعَى بَعْضُهُمْ مَوْتَ بَعْضٍ وَ مَنْ قَدَرَ عَلَى صَاحِبِهِ قَتَلَهُ وَ أَكَلَهُ وَ عِيدُوا مَعَ ذَلِكَ الْمَاءِ وَ ذُكِرَ عَنْ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ أَنَّهَا حَضَرَتْ امْرَأَةً قَدِ اخْتَضَرَتْ وَ عِنْدَهَا أُخْتُهَا وَ قَدِ اخْتَوَشَوْهَا يَنْتَظِرُونَ أَنْ تَمُوتَ فَيَأْكُلُوا لِحَمِّهَا قَالَتِ الْمَرْأَةُ فَمَا مَاتَتْ حَسِبْنَا حَتَّى ابْتَدَرْنَاهَا فَقَطَعْنَا لِحَمِّهَا فَأَكَلْنَاهُ وَ لَقَدْ حَضَرَتْ أُخْتُهَا وَ نَحْنُ عَلَى شَرِيعَةِ عِيسَى بْنِ حَرْبٍ وَ هِيَ تَبْكِي وَ مَعَهَا رَأْسُ الْمَيْتِ فَقَالَ لَهَا قَائِلٌ وَيَحِيكَ مَا لَكَ تَبْكِينَ فَقَالَتْ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ عَلَى أُخْتِي فَمَا تَرَكَوْهَا تَمُوتُ حَسِبْنَا حَتَّى قَطَعُوهَا وَ ظَلَمُونِي فَلَمْ يُعْطُونِي مِنْ لِحْمِهَا شَيْئًا إِلَّا الرَّأْسَ وَ إِذَا هِيَ تَبْكِي شَاكِيَةً مِنْ ظُلْمِهِمْ لَهَا فِي أُخْتِهَا .

قَالَ وَ كَانَ مِثْلَ هَذَا وَ أَكْثَرَ مِنْهُ وَ أَضْعَافَهُ وَ بَلَغَ مِنْ أَمْرِ عَسِيكَرِهِ أَنَّهُ يُنَادِي فِيهِ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ وُلَدِ الْحَسَنِ وَ الْحَسَيْنِ وَ الْعَبَّاسِ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَكَانَتِ الْجَارِيَةُ تُبَاعُ مِنْهُمْ بِدَرَاهِمِينَ وَ بِنَائِهِ دَرَاهِمٌ وَ يُنَادِي عَلَيْهَا بِسَبِّهَا هَذِهِ ابْنَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ وَ أَخَذَ كُلُّ زَنْجِيٍّ مِنْهُمْ الْعِشْرِينَ وَ الثَّلَاثِينَ يَطْوَهُنَّ الزُّنْجُ وَ يَخْدُمْنَ النِّسَاءَ الزُّنْجِيَّاتِ كَمَا تَخْدُمُ الْوَصَائِفُ وَ لَقَدْ اسْتِغَاثَتْ إِلَى صَاحِبِ الزُّنْجِ امْرَأَةٌ مِنْ وُلَدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ع وَ كَانَتْ عِنْدَ بَعْضِ الزُّنْجِ وَ سَأَلَتْهُ أَنْ يُعْتِقَهَا مِمَّا هِيَ فِيهِ أَوْ يُنْقِلَهَا مِنْ عِنْدِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَالَ لَهَا هُوَ مَوْلَاكَ وَ هُوَ أَوْلَى بِكَ (١) .

١٧٤٨

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ أَشْخَصَ السُّلْطَانَ لِحَرْبِ صَاحِبِ الزُّنْجِ مُحَمَّدًا الْمَعْرُوفَ بِالْمَوْلِدِ فِي جَيْشِ

ص : ١٥٠

كَثِيفٍ فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ الْأَبْلَهُ وَكَتَبَ صَاحِبُ الزُّنْجِ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْبُحْرَانِيِّ يَأْمُرُهُ بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ فَصَارَ إِلَيْهِ بِزُنُوجِهِ وَ أَقَامَ عَلَى مَحَارِبَتِهِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ فَتَرَ الْمُؤَلَّدَ عَنِ الْحَرْبِ وَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى يَحْيَى يَأْمُرُهُ أَنْ يُبَيِّتَهُ فَبَيَّتَهُ فَهَزَمَهُ وَ دَخَلَ الزُّنْجُ عَسَاكِرَهُ فَغَنِمُوا مَا فِيهِ وَ كَتَبَ يَحْيَى إِلَى صَاحِبِ الزُّنْجِ يُخْبِرُهُ فَأَمَرَهُ بِاتِّبَاعِهِ فَاتَّبَعَهُ إِلَى الْحَوَانِيتِ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَمَرَّ بِالْجَامِدَةِ وَ أَوْقَعَ بِأَهْلِهَا وَ انْتَهَبَ كُلَّ مَا كَانَ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ وَ سَفَكَ مَا قَدَرَ عَلَى سَفْكِهِ مِنَ الدَّمَاءِ ثُمَّ عَادَ إِلَى نَهْرِ مَعْقِلٍ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ اتَّصَلَتِ الْأَخْبَارُ بِسَيِّامَرَاءَ وَ بَغْدَادَ وَ بِالْقَوَادِ وَ الْمَوَالِي وَ أَهْلِ الْحَضْرَةِ بِمَا جَرَى عَلَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ فَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الْقِيَامَةُ وَ عَلِمَ الْمُعْتَمِدُ أَنَّهُ لَا يُرْتَقُ هَذَا الْفَتْقُ إِلَّا بِأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ طَلْحَةَ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ وَ كَانَ مَنْصُورًا مُؤَيَّدًا عَارِفًا بِالْحَرْبِ وَ قِيَادَةِ الْجُيُوشِ وَ هُوَ الَّذِي أَخَذَ بَغْدَادَ لِلْمُعْتَزِّ وَ كَسَّرَ جُيُوشَ الْمُسَيْتَعِينَ وَ خَلَعَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَ لَمْ يَكُنْ لِيُنِي الْعَبَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ مِثْلَهُ وَ مِثْلَ ابْنِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ فَعَقَدَ لَهُ الْمُعْتَمِدُ عَلَى دِيَارِ مَضَرَ وَ قِنْسَرِينَ وَ الْعَوَاصِمِ وَ جَلَسَ لَهُ مُسْتَهْلَ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ سَنَعِ وَ خَمْسِينَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَ عَلَى مُفْلِحٍ وَ شَخْصًا نَحْوَ الْبَصِيرَةِ لِحَرْبِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَ إِصْلَاحِ مَا أَفْسَدَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَ رَكِبَ الْمُعْتَمِدُ رُكُوبًا ظَاهِرًا يُشِيعُ أَخَاهُ أَبَا أَحْمَدَ إِلَى الْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِبِرْكُوَارَا وَ عَادَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ أَمَّا صَاحِبُ الزُّنْجِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ هَزِيمَةٍ مُحَمَّدٍ الْمُؤَلَّدِ أَنْفَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِيَانَ الْمُهَلَّبِيُّ إِلَى حَرْبِ مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ وَ إِلَى الْأَهْوَازِ فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ فِي أَيَّامِ مُتَفَرِّقِهِ حَتَّى كَانَ آخِرَهَا الْيَوْمَ الَّذِي انْهَزَمَ فِيهِ أَصْحَابُ مَنْصُورٍ وَ تَفَرَّقُوا عَنْهُ وَ أَدْرَكَتْ مَنْصُورًا طَائِفَةً مِنَ الزُّنْجِ فَلَمْ يَزَلْ يَكْرَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى انْقَصَفَ رُمْحُهُ وَ نَفِدَتْ سِهَامُهُ وَ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِلَاحٌ

وَ انْتَهَى إِلَى نَهْرٍ يُعْرَفُ بِنَهْرِ ابْنِ مَرْوَانَ فَصَاحَ بِحَصَانٍ كَانَ تَحْتَهُ لِيُعْبَرَ فَوَثَبَ فَقَصَرَ (١) فَاَنْغَمَسَ فِي الْمَاءِ.

وَ قِيلَ إِنَّ الْحَصَانَ لَمْ يَقْضِرْ فِي الْوُثْبِ وَ لَكِنَّ رَجُلًا مِنَ الزُّنْجِ سَبَقَهُ إِلَى النَّهْرِ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِيهِ لِعَلِمِهِ أَنَّهُ لَا مَحِيصَ لِمَنْصُورٍ عَنِ النَّهْرِ فَلَمَّا وَثَبَ الْفَرَسُ تَلَفَّاهُ الْمَأْسُودُ فَانْكَسَ فَغَاصَ الْفَرَسُ وَ مَنْصُورٌ ثُمَّ أَطْلَعَ مَنْصُورٌ رَأْسَهُ فَنَزَلَ إِلَيْهِ غُلَامٌ مِنَ الشُّودَانِ مِنْ عُرْفَاءِ مُصِيلِحٍ يُقَالُ لَهُ أَبْرُونَ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ وَ أَحْزَدَ سَيْلَبَهُ فَوَلَّى يَارْجُوخَ التُّزْكِيَّ صَاحِبَ حَرْبِ خُوزِ سَيِّتَانَ مَا كَانَ مَعَ مَنْصُورٍ مِنَ الْعَمَلِ أَصِيْعَجُونَ التُّزْكِيَّ. وَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ أَمَا أَبُو أَحْمَدَ فَإِنَّهُ شَخَّصَ عَنْ سَامَرَاءَ فِي جَيْشٍ لَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ بِمِثْلِهِ كَثْرَةً وَ عُدَّةً قَالَ وَ قَدْ عَايَنْتُ أَنَا ذَلِكَ الْجَيْشَ وَ أَنَا يَوْمَئِذٍ بَبْغَدَادَ بِنَابِ الطَّاقِ فَسَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنْ مَشَايخِ أَهْلِ بَبْغَدَادَ يَقُولُونَ قَدْ رَأَيْنَا جُيُوشًا كَثِيرَةً لِلْخُلَفَاءِ فَمَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا الْجَيْشِ أَحْسَنَ عُدَّةً وَ أَكْمَلَ عَتَادًا وَ سِلَاحًا وَ أَكْثَرَ عَدَدًا وَ جَمْعًا وَ اتَّبَعَ ذَلِكَ الْجَيْشَ مِنْ مُتَسَوِّقِهِ أَهْلُ بَبْغَدَادَ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَيْهَلٍ أَنَّ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَحْرَانِيَّ كَانَ مُقِيمًا بِنَهْرِ مَعْقِلٍ قَبْلَ مُوَافَاهِ أَبِي أَحْمَدَ فَاسْتَأْذَنَ صَاحِبَ الزُّنْجِ فِي الْمَصِيرِ إِلَى نَهْرِ الْعَبَّاسِ فَكَّرَهُ ذَلِكَ وَ خَافَ أَنْ يُؤَافِيَهُ جَيْشٌ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ وَ أَصْحَابِهِ مُتَفَرِّقُونَ فَالْحَ عَلَيْهِ يَحْيَى حَتَّى أَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ وَ اتَّبَعَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ عَسْكَرِ صَاحِبِ الزُّنْجِ وَ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ

ص: ١٥٢

مُقيماً بِجُبِّي فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الزُّنْجِ وَالبَصِيرَةَ قَدْ صَارَتْ مَغْنَمًا لِأَهْلِ عَسِيكِرِ صَاحِبِ الزُّنْجِ يُعَادُونَهَا وَ يُرَاوِحُونَهَا لِنَقْلِ مَا نَالَتَهُ
أَيْدِيهِمْ مِنْهَا إِلَى مَنَازِلِهِمْ فَلَيْسَ بِمَعْسُكِرِ عَلِيِّ بْنِ (١) مُحَمَّدٍ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ فَهُوَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حَالِهِ حَتَّى وَافَى أَبُو
أَحْمَدٌ فِي الْجَيْشِ وَمَعَهُ مُفْلِحٌ فَوَرَدَ جَيْشٌ عَظِيمٌ لَمْ يَرِدْ عَلَى الزُّنْجِ مِثْلُهُ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى نَهْرِ مَعْقِلٍ انصَرَفَ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنَ
الزُّنْجِ فَالتَحَقُوا بِصَاحِبِهِمْ مَرْغُوبِينَ فَرَاعَهُ ذَلِكَ وَ دَعَا بِرِيسِيِّينَ مِنْهُمَا فَسَأَلَهُمَا عَنِ السَّبَبِ الَّذِي لَهُ تَرَكَا مَوْضِعَهُمَا فَأَخْبَرَاهُ بِمَا عَايْنَا
مِنْ عَظَمِ أَمْرِ الْجَيْشِ الْوَارِدِ وَ كَثْرَةِ عِيدِ أَهْلِهِ وَ إِحْكَامِ عَمَلِهِمْ وَ إِنَّ الَّذِي عَايَنَاهُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي قُوَّتِهِمَا الْوُقُوفُ لَهُ فِي
الْعِدَّةِ الَّتِي كَانَا فِيهَا فَسَأَلَهُمَا هَلْ عَلِمَا مِنْ يَقُودٍ هَذَا الْجَيْشِ فَقَالَا قَدْ اجْتَهَدْنَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ فَلَمْ نَجِدْ مَنْ يَصْدُقُنَا عَنْهُ.

فَوَجَّهَ صَاحِبُ الزُّنْجِ طَلَانِعُهُ فِي سُمَيْرِيَّاتٍ لِيُعْرِفَ الْخَبَرَ فَرَجَعَتْ طَلَانِعُهُ إِلَيْهِ بِتَعْظِيمِ أَمْرِ الْجَيْشِ وَ تَفْخِيمِهِ وَ لَمْ يَقِفْ أَحَدٌ مِنْهُمْ
عَلَى مَنْ يَقُودُهُ فَرَادَ ذَلِكَ فِي جَزَعِهِ وَ ارْتِيَاعِهِ فَأَمَرَ بِالْإِرْسَالِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَانٍ لِيُعَلِّمَهُ خَبَرَ الْجَيْشِ الْوَارِدِ- وَ يَأْمُرُهُ بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ
فِيْمَنْ مَعَهُ وَ وَافَى جَيْشُ أَبِي أَحْمَدٍ فَأَنَاحَ بِإِزَاءِ صَاحِبِ الزُّنْجِ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الْوَاقِعَةُ خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ يَطُوفُ
فِي عَسِيكِرِهِ مَا شَتِيًا وَ يَتَأَمَّلُ الْحَالَ فِيْمَنْ هُوَ مِنْ حِزْبِهِ وَ مَنْ هُوَ مُقِيمٌ (٢) بِإِزَائِهِ عَلَى حِزْبِهِ وَ قَدْ كَانَتْ السَّمَاءُ مَطَرَتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ
مَطْرًا خَفِينًا وَ الْأَرْضُ ثَرِيَّةً (٣) تَزَلُّ عَنْهَا الْأَقْدَامُ فَطُوفَ سَاعَةً مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ وَ رَجَعَ فَدَعَا بِدَوَاهٍ وَ قِطَاسٍ لِيَكْتُبَ كِتَابًا إِلَى عَلِيِّ
بْنِ أَبِي بَانٍ لِيُعَلِّمَهُ مَا قَدْ أَظَلَّهُ مِنَ الْجَيْشِ وَ يَأْمُرُهُ بِتَقْدِيمِ مَنْ قَدَرَ عَلَى تَقْدِيمِهِ مِنَ الرِّجَالِ فَإِنَّهُ لَفِي ذَلِكَ إِذْ آتَاهُ أَبُو دُلْفٍ الْقَائِدُ أَحَدُ
قَوَادِ الزُّنْجِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ

ص: ١٥٣

١-١ (١) الطبري: «الخبث».

٢-٢ (٢) من الطبري.

٣-٣ (٣) في الأصول: «تربه» و ما أثبتته من الطبري.

الْقَوْمَ قَدْ عَشُوكَ وَ رَهَقُوكَ وَ انْهَزَمَ الزَّنَجُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ لَيْسَ فِي وُجُوهِهِمْ مَنْ يَرُدُّهُمْ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ انْتَهَوْا إِلَيْكَ (١) فَصِيحَ بِهِ وَ انْتَهَرَهُ وَ قَالَ اغْرُبْ (٢) عَنِّي فَإِنَّكَ كَمَا ذُوبٌ فِي مَاءٍ حَكَيْتَ إِنَّمَا ذَلِكَ جَزَعٌ دَاخِلٌ قَلْبِكَ (٣) لِكَثْرَتِهِ مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْجَمْعِ فَانْخَلَعِ قَلْبَكَ فَلَسْتَ تَدْرِي مَا تَقُولُ فَخَرَجَ أَبُو دَلْفٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ أَقْبَلَ يَكْتُبُ وَ قَالَ لِجَعْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّجَّانِ نَادِ فِي الزَّنَجِ وَ حَرِّكْهُمْ لِلْخُرُوجِ إِلَى مَوْضِعِ الْحَرْبِ فَقَالَ لَهُ إِنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا وَ قَدْ ظَفِرُوا بِسَيْمِرَيْتَيْنِ مِنْ سَيْفِنِ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ فَأَمَرَهُ بِالرُّجُوعِ لِتَحْرِيكِ الرَّجَالِ وَ كَانَ مِنَ الْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ أَنْ أَصَابَ مُفْلِحٌ وَ هُوَ الْقَائِدُ الْجَلِيلُ الْمُرَشِّحُ لِقِيَادَةِ الْجَيْشِ بَعْدَ أَبِي أَحْمَدَ بِسَهْمِ غَرْبِ (٤) لَا يُدْرِي مَنْ رَمَاهُ فَمَاتَ لَوْفَتِهِ وَ وَقَعَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى أَصْحَابِ أَبِي أَحْمَدَ وَ قَوَى الزَّنَجُ عَلَى حَرْبِهِمْ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا وَ وَافَى عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ زَنْجَهُ بِالرُّءُوسِ قَابِضِينَ عَلَيْهَا بِأَسْنَانِهِمْ حَتَّى أَلْقَوْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَكَثُرَتِ الرُّءُوسُ يَوْمَئِذٍ حَتَّى مَلَأَتِ الْفَضَاءَ وَ جَعَلَ الزَّنَجُ يَنْتَسِبُ مَوْنَ لِحُومِ الْقَتْلَى وَ يَتَهَادُونَهَا بَيْنَهُمْ وَ أُنْبِئَ بِأَسْبَابِ مِنَ الْجَيْشِ فَسَأَلَهُ عَنْ رَأْسِ الْعَسْكَرِ فَذَكَرَ أَبَا أَحْمَدَ وَ مُفْلِحًا فَارْتَاعَ لِذِكْرِ أَبِي أَحْمَدَ وَ كَانَ إِذَا رَاعَهُ أَمْرٌ كَذَبَ بِهِ وَ قَالَ لَيْسَ فِي الْجَيْشِ إِلَّا مُفْلِحٌ لِأَنِّي لَسْتُ أَسْمَعُ الذِّكْرَ إِلَّا لَهُ وَ لَوْ كَانَ فِي الْجَيْشِ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الْأَسِيرِ لَكَانَ صَوْتُهُ أَبْعَدُ وَ لَمَا كَانَ مُفْلِحٌ إِلَّا تَابِعًا لَهُ وَ مُضَافًا إِلَيْهِ (٥).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَدْ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَ السَّهْمُ مُفْلِحًا انْهَزَمَ الزَّنَجُ لَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ

ص: ١٥٤

١-١) الطبري: «إلى الحبل الرابع».

٢-٢) في الأصول: «اغرب»، و ما أثبت من الطبري.

٣-٣) الطبري: «دخلك».

٤-٤) يقال: أصابه سهم غرب، بالإضافة أو الوصف، أي لا يدرى راميّه.

٥-٥) الطبري: «إلى صحبته».

جَيْشُ أَبِي أَحْمَدَ وَجَزَعُوا جَزَعًا شَدِيدًا وَلَجُّوا إِلَى النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِنَهْرِ أَبِي الْخَصِيْبِ وَ لَا جَسِرَ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِ فَغَرِقَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَ لَمْ يَلْبَثْ صَاحِبُ الزُّنْجِ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى وَافَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ فِي أَصْحَابِهِ فَوَافَاهُ وَ قَدِ اسْتَتْنَى عَنْهُ بِهَزِيمَةِ الْجَيْشِ السُّلْطَانِيِّ وَ تَحَيَّرَ أَبُو أَحْمَدَ بِالْجَيْشِ إِلَى الْأَبْلِهِ لِيَجْمَعَ مَا فَرَّقَتِ الْهَزِيمَةُ مِنْهُ وَ يُجَدِّدَ الْإِسْتِعْدَادَ لِلْحَرْبِ ثُمَّ صَارَ إِلَى نَهْرِ أَبِي الْأَسَدِ فَأَقَامَ بِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ فَكَانَ صَاحِبُ الزُّنْجِ لَا يَدْرِي كَيْفَ قُتِلَ مُفْلِحٌ فَلَمَّا لَمْ يَرِ أَحَدًا يَنْتَحِلُ رَمِيَهُ ادَّعَى أَنَّهُ كَانَ الرَّمِيَّ لَهُ قَالَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ سَقَطَ بَيْنَ يَدَيَّ سَهْمٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَتَانِي بِهِ وَاحٌ خَادِمِي فَدَفَعَهُ إِلَيَّ فَرَمَيْتُ بِهِ فَأَصَابَ مُفْلِحًا فَقَتَلَهُ قَالَ مُحَمَّدٌ وَ كَذَبَ فِي ذَلِكَ لِأَنِّي كُنْتُ حَاضِرًا مَعَهُ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ مَا زَالَ عَن فَرَسِهِ حَتَّى أَتَاهُ خَبْرُ الْهَزِيمَةِ (١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَصَابَ صَاحِبَ الزُّنْجِ بِمُصْتَبِيهِ تَعَادُلَ فَرَحِهِ وَ سُرُورِهِ بِقَتْلِ مُفْلِحِ عَقِيبَ قَتْلِ مُفْلِحٍ وَ ذَلِكَ أَنَّ قَائِدَهُ الْجَلِيلَ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدِ الْبُخْرَانِيِّ أَسْرَ وَ قُتِلَ وَ صُورَهُ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الزُّنْجِ كَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ يُعَلِّمُهُ وَرُودَ هَذَا الْجَيْشِ عَلَيْهِ وَ يَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ وَ التَّحَرُّزِ فِي مَنْصِبِهِ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَ قَدْ كَانَ يَحْيَى غَنِمَ سَيْفًا فِيهَا مَتَاعٌ وَ أَمْوَالٌ لِتُجَارِ الْأَهْوَازِ جَلِيلَةً وَ حِرَامِي عَنْهَا أَضْيَحَابٌ أَضْيَعُجُونَ التُّرْكِيُّ فَلَمَّ يُغْنِ وَ هَزَمَهُمْ يَحْيَى وَ مَضَى الزُّنْجُ بِالسُّفُنِ الْمَذْكُورَةِ يَمِيدُونَهَا مُتَوَجِّهِينَ نَحْوَ مَعْسُكِرِ صَاحِبِ الزُّنْجِ عَلَى سَمْتِ الْبُطِيحَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِبُطِيحَةِ الصَّخْنَاهِ وَ هِيَ طَرِيقُهُ مُتَسَفِّهُ وَ عَرَهُ

ص: ١٥٥

(١ - ١) بعدها في الطبري: «و أتى بالراءوس و انقضت الحرب».

فِيهَا مَشَاقُّ مُتَعَبُهُ وَ إِنَّمَا سَلَكَهَا يَحْيَى وَ أَصْحَابُهُ وَ تَرَكَوا الطَّرِيقَ الواضِحَ لِلتَّحَاسُدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ فَإِنَّ أَصْحَابَ يَحْيَى أَشَارُوا عَلَيْهِ أَلَّا يَسْلُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي يَمُرُّ فِيهَا عَلَى أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ فَأَصْغَى إِلَى مَشُورَتِهِمْ فَشَرَعُوا لَهُ الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى البَطِيحِ المَذْكُورِ فَسَلَكَهَا وَ هَذِهِ البَطِيحُ يَنْتَهِي السَّائِرُ فِيهَا إِلَى نَهْرِ أَبِي الأَسَدِ وَ قَدْ كَانَ أَبُو أَحْمَدَ انْحَازَ إِلَيْهِ لِأَنَّ أَهْلَ القُرَى وَ السَّوَادِ كَاتِبُوهُ يُعَرِّفُونَهُ خَبَرَ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ البَحْرَانِيِّ وَ شِدَّةَ بَأْسِهِ وَ كَثْرَةَ جَمْعِهِ وَ أَنَّهُ رَبُّمَا خَرَجَ مِنَ البَطِيحِ إِلَى نَهْرِ أَبِي الأَسَدِ فَعَسَى كَرِهَ وَ مَنَعَ أَدِيَا أَحْمَدَ المِيرَةَ وَ حَالَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَنْ يَأْتِيهِ مِنَ الأَعْرَابِ وَ غَيْرِهِمْ فَسَبَقَهُ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى نَهْرِ أَبِي الأَسَدِ وَ سَارَ يَحْيَى حَتَّى إِذَا قَرَّبَ مِنْ نَهْرِ أَبِي الأَسَدِ وَافَتْهُ طَلَائِعُهُ فَأَخْبَرَتْهُ بِالْجَيْشِ وَ عَظُمَتِ أَمْرُهُ وَ خَوْفَتْهُ مِنْهُ فَرَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي كَانَ سَلَكَهُ بِمَشَقِّهِ شَدِيدِهِ نَالَتْهُ وَ نَالَتْ أَصْحَابَهُ وَ أَصَابَهُمْ مَرَضٌ لَتَرُدُّدِهِمْ فِي تِلْكَ البَطِيحِ وَ جَعَلَ يَحْيَى عَلَى مُقَدِّمَتِهِ سُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ وَ سَارَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَنْطَرِهِ فَوَرَجَ نَهْرَ العَبَّاسِ فِي مَوْضِعٍ ضَيِّقٍ تَشْتَدُّ فِيهِ جَرِيَةُ المَاءِ وَ هُوَ مُشْرِفٌ يَنْظُرُ أَصْحَابَهُ الزَّنَجَ كَيْفَ يُجْرُونَ تِلْكَ السُّفْنَ الَّتِي فِيهَا العُنَائِمُ فَمِنْهَا مَا يَغْرُقُ وَ مَا يَسْلَمُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَمْعَانَ قَالَ كُنْتُ فِي تِلْكَ الحَالِ وَاقِفًا مَعَ يَحْيَى عَلَى القَنْطَرِ وَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيَّ مُتَعَجِّبًا مِنْ شِدَّةِ جَرِيَةِ المَاءِ وَ شِدَّةِ مَا يَلْقَى أَصْحَابَهُ مِنْ تَلْقِيهِ بِالسُّفَنِ فَقَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ هَجَمَ عَلَيْنَا عَدُوٌّ فِي هَذِهِ الحَالِ مَنْ كَانَ يَكُونُ أَسْوَأَ حَالًا مِنَّا فَوَاللَّهِ مَا انْقَضَى كَلَامُهُ حَتَّى وَافَى كَاشِهِمُ التُّرْكِيُّ فِي جَيْشٍ قَدْ أَنْفَذَهُ مَعَهُ أَبُو أَحْمَدَ عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الأَبْلِهِ إِلَى نَهْرِ أَبِي الأَسَدِ يَتَلَقَّى بِهِ يَحْيَى فَوَقَعَتِ الصَّيْحَةُ وَ اضْطَرَبَتِ الزَّنَجُ فَنَهَضَتْ مُتَشَوِّفًا لِلنَّظَرِ فَإِذَا الأَعْلَامُ الحُمْرُ قَدْ أَقْبَلَتْ فِي الجَانِبِ العَرَبِيِّ مِنْ نَهْرِ العَبَّاسِ وَ يَحْيَى بِهِ فَلَمَّا رَأَى الزَّنَجُ أَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ جُمْلَةً فِي المَاءِ فَعَبَّرُوا إِلَى الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ

وَ خَلَا الْمَوْضِعَ الَّذِي فِيهِ يَحْيَى فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا بَضْعَةٌ عَشْرَ رَجُلًا مِنْهُمْ فَنَهَضَ عِنْدَ ذَلِكَ فَأَخَذَ دَرَقَتَهُ وَ سَيْفَهُ وَ احْتَرَمَ بِمَنْدِيلٍ ثُمَّ تَلَّقَى الْقَوْمَ (١) فِي النَّهْرِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا مَعَهُ فَرَشَقَهُمْ أَصْحَابُ كَاشِهِمُ التُّرْكِيُّ بِالسَّهَامِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِمُ الْجِرَاحُ وَ جُرِحَ يَحْيَى بِأَسْهُمِ ثَلَاثَةً فِي عَضُدِهِ الْيُمْنَى وَ سَاقِهِ الْيُسْرَى فَلَمَّا رَأَاهُ أَصْحَابُهُ جَرِيحًا تَفَرَّقُوا عَنْهُ وَ لَمْ يَعْرِفْ فَيَقْصِدُ لَهُ فَرَجَعَ حَتَّى دَخَلَ بَعْضُ تِلْكَ الشُّفَنِ وَ عَبَّرَ بِهِ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ النَّهْرِ وَ ذَلِكَ وَقْتُ الضُّحَى وَ انْقَلَبَتْ الْجِرَاحَاتُ الَّتِي أَصَابَتْهُ فَلَمَّا رَأَتْ الزُّنْجُ شِدَّةَ مَا نَزَلَ بِهِ اشْتَدَّ جَزَعُهُمْ وَ ضَعُفَتْ قُلُوبُهُمْ فَتَرَكُوا الْقِتَالَ وَ كَانَتْ هِمَّتُهُمُ النَّجَاهَ بِنَفْسِهِمْ وَ حَازَ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ تِلْكَ الْغَنَائِمَ الَّتِي كَانَتْ فِي الشُّفَنِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ النَّهْرِ وَ انْفَضَّ الزُّنْجُ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ عَنْ يَحْيَى فَجَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ بِقِيَّةِ نَهَارِهِمْ بَعْدَ قَتْلِ ذَرِيْعٍ فِيهِمْ وَ أُسِرَ كَثِيرٌ فَلَمَّا أَمْسَوْا وَ أَسْدَفَ اللَّيْلُ طَارُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ فَلَمَّا رَأَى يَحْيَى تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ رَكِبَ سُمَيْرِيَّةً كَانَتْ هُنَاكَ وَ أَقْعَدَ مَعَهُ فِيهَا مُتَطَبِّبًا يُقَالُ لَهُ عَبَّادٌ (٢) وَ طَمِعَ فِي الْخِلَاصِ إِلَى عَشِيرَةِ صَاحِبِ الزُّنْجِ فَسَارَ حَتَّى قَرَّبَ مِنْ فَوْهَةِ النَّهْرِ فَأَبْصَرَ سُمَيْرِيَّاتٍ وَ شِدَايَاتٍ لِأَصْحَابِ السُّلْطَانِ فِي فَوْهَةِ النَّهْرِ فَخَافَ أَنْ تَعْتَرِضَ سُمَيْرِيَّتُهُ وَ جَزَعَ مِنَ الْمُرُورِ بِهَا فَعَبَّرَ بِهِ الْمَلَّاحُ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ النَّهْرِ فَأَلْقَاهُ وَ طَابِيئَهُ عَلَى الْمَارِضِ فِي زُرْعٍ هُنَاكَ فَخَرَجَ يَمْشِي وَ هُوَ مُثْقَلٌ حَتَّى أَلْقَى نَفْسَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ فَأَقَامَ هُنَاكَ لَيْلَتَهُ تِلْكَ فَلَمَّا أَصْبَحَ نَزَفَهُ الدَّمُ وَ نَهَضَ عَبَّادُ الطَّيِّبُ (٣) فَجَعَلَ يَمْشِي مُتَسَوِّفًا أَنْ يَرَى إِنْسَانًا فَرَأَى بَعْضَ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ فَأَشَارَ لَهُمْ إِلَى مَوْضِعٍ يَحْيَى فَجَاءُوا حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ وَ انْتَهَى خَبْرُهُ إِلَى الْخَيْبِ (٤) صَاحِبِ الزُّنْجِ فَجَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا وَ عَظَّمَ عَلَيْهِ تَوَجُّعَهُ.

ص: ١٥٧

١-١) الطبري: «القوم الذين أتوه».

٢-٢) الطبري: «و يعرف بأبي جيش».

٣-٣) بعد في الطبري: «المتطبب».

٤-٤) من الطبري.

ثُمَّ حَمَلَ يَحْيَى إِلَى أَبِي أَحْمَدَ فَحَمَلَهُ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى الْمُعْتَمِدِ فَأَدْخَلَ إِلَى سَامَرَاءَ رَاكِبَ جَمَلٍ وَ النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ يُنْظَرُونَ ثُمَّ أَمَرَ الْمُعْتَمِدُ بِنَاءِ دَكَّةٍ عَلَيْهِ بِحَضْرَةِ مُجْرِي الْحَلِيهِ فُبَيِّتَ وَ رُفِعَ لِلنَّاسِ عَلَيْهَا حَتَّى أَبْصَرَهُ الْخَلَائِقُ كَأَنَّهُ ضُرِبَ (١) بَيْنَ يَدَيْ الْمُعْتَمِدِ وَ قَدْ جَلَسَ لَهُ مَائَتَى سَوْطٍ بِشِمَارِهَا (٢) ثُمَّ قَطَعَتْ يَدَاهُ وَ رِجْلَاهُ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ خُطِبَ بِالشُّيُوفِ ثُمَّ ذُبِحَ وَ أُحْرِقَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ لَمَّا قُتِلَ يَحْيَى الْبَحْرَانِيُّ فَأَنْتَهَى خَبْرُهُ إِلَى صَاحِبِ الزُّنْجِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا عَظَّمَ عَلِيَّ قَتْلَهُ وَ اشْتَدَّ اهْتِمَامِي بِهِ خُوطِبْتُ فَقِيلَ لِي قَتْلُهُ خَيْرٌ لَكَ إِنَّهُ كَانَ شَرِّهَا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ جَمَاعَةً أَنَا فِيهِمْ فَقَالَ مِنْ شَرِّهِ أَنَا غَنَمًا غَنِيمَةً مِنْ بَعْضِ مَا كُنَّا نَعْنُمُهُ (٣) وَ كَانَ فِيهَا عِقْدَانِ فَوْقَعَا فِي يَدِ يَحْيَى فَأَخْفَى عَنِّي أَعْظَمَهُمَا خَطَرًا وَ عَرَضَ عَلَيَّ أَحْسَهُمَا ثُمَّ اسْتَوْهَبْتُهُ فَوَهَبْتُهُ لَهُ فَرَفَعَ إِلَيَّ الْعِقْدَ الَّذِي أَحْفَاهُ حَتَّى رَأَيْتُهُ فَدَعَوْتُهُ فَقُلْتُ أَحْضِرْ لِي الْعِقْدَ الَّذِي أَحْفَيْتُهُ فَأَتَانِي بِالْعِقْدِ الَّذِي وَهَبْتُهُ لَهُ وَ جَحَدَ أَنْ يَكُونَ أَخَذَ غَيْرَهُ فَرَفَعَ إِلَيَّ الْعِقْدَ ثَانِيَةً فَجَعَلْتُ أَصْفَهُ لَهُ وَ أَنَا أَرَاهُ وَ هُوَ لَا يَرَاهُ فَبَهَتْ وَ ذَهَبَ فَأَتَانِي ثُمَّ اسْتَوْهَبْتُهُ فَوَهَبْتُهُ لَهُ وَ أَمَرْتُهُ بِالِاسْتِغْفَارِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَمْعَانَ حَدَّثَهُ أَنَّ صَاحِبَ الزُّنْجِ قَالَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ لَقَدْ عُرِضْتُ عَلَيَّ النَّبُوءُ فَأَبَيْتُهَا فَقِيلَ لَهُ وَ لِمَ ذَاكَ قَالَ إِنَّ لَهَا أَعْبَاءَ خِفْتُ أَلَّا أُطِيقَ حَمْلَهَا.

ص: ١٥٨

١-١-١) الطبري: «ثم رفع للناس حتى أبصروه، فضرب بالسياط، و ذكر أنه دخل سامرا يوم الأربعاء لتسع خلون من رجب على جمل، و جلس المعتمد من غير ذلك اليوم؛ و ذلك يوم الخميس، فضربه بين يديه مائة سوط بشمارها».

١-١-٢) الطبري: «ثم رفع للناس حتى أبصروه، فضرب بالسياط، و ذكر أنه دخل سامرا يوم الأربعاء لتسع خلون من رجب على جمل، و جلس المعتمد من غير ذلك اليوم؛ و ذلك يوم الخميس، فضربه بين يديه مائة سوط بشمارها».

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَمَّا الْأَمِيرُ أَبُو أَحْمَدَ فَإِنَّهُ لَمَّا صَارَ إِلَى نَهْرِ أَبِي الْأَسَدِ وَأَقَامَ بِهِ كَثُرَتِ الْعِلَلُ فِي مَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ وَغَيْرِهِمْ وَفَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا هُنَالِكَ حَتَّى أَبَلَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ مِنْ عِلَّتِهِ ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى بَادَاوَرْدَ فَعَسَكَرَ بِهِ وَ أَمَرَ بِتَجْدِيدِ الْأَلَاتِ وَإِضْلَاحِ الشَّدَوَاتِ وَالسِّيَمِيرِيَّاتِ وَإِعْطَاءِ الْجُنْدِ أَرْزَاقَهُمْ وَ شَحْنِ الشُّفْنِ بِقُوَادِهِ وَ مَوَالِيهِ وَ عِلْمَانِهِ وَ نَهَضَ نَحْوَ عَشْرِ كَرِ النَّاجِمِ وَ أَمَرَ جَمَاعَةً مِنْ قُوَادِهِ بِقَضِيدِ مَوَاضِعِ سَمَاهَا لَهُمْ مِنْ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ وَ غَيْرِهِ وَ أَمَرَ الْبَاقِينَ بِمِلَازِمَتِهِ وَ الْمُحَارَبَةِ مَعَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ وَ هُمُ الْمَاقِلُونَ وَ عَرَفَ الزُّنْجُ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ عَنْهُ فَكَثُرُوا فِي جِهَتِهِ وَ اسْتَعَرَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ وَ كَثُرَتِ الْقَتْلَى وَ الْجِرَاحُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَ أَحْرَقَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ قُصُورًا وَ مَنَازِلَ كَمَا أَنَّ الزُّنْجُ ابْتَنَوْهَا وَ اسْتَنْقَدُوا مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَمْعًا كَثِيرًا ثُمَّ صَرَفَ الزُّنْجُ سُوْرَتَهُمْ وَ شَدَّه حَمَلَتِهِمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي بِهِ أَبُو أَحْمَدَ فَجَاءَهُ مِنْهُمْ جَمْعٌ لَا يُقَاوِمُ بِمِثْلِ الْعَدَةِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا فَرَأَى أَنَّ الْحَزْمَ فِي مُحَاجَزَتِهِمْ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى سُفْنِهِمْ عَلَى تُوْدِهِ وَ تَمَهَّلَ ففَعَلُوا وَ بَقِيَتْ طَائِفَةٌ مِنْ جُنْدِهِ وَ لَجُّوا تِلْكَ الْأُدْغَالَ وَ الْمَضَاقِقَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كَمِينٌ لِلزُّنْجِ فَأَوْقَعُوا بِهِمْ فَحَامُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَ قَتَلُوا عَدَدًا كَثِيرًا مِنَ الزُّنْجِ إِلَى أَنْ قُتِلُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَ حَمَلَتْ رُءُوسُهُمْ إِلَى النَّاجِمِ فَرَادَ ذَلِكَ فِي قُوْتِهِ وَ عُوْتِهِ وَ عَجِبَهُ بِنَفْسِهِ وَ انْصَرَفَ أَبُو أَحْمَدَ بِالْجَيْشِ إِلَى بَادَاوَرْدَ وَ أَقَامَ يُعَبِّئُ أَصْحَابَهُ لِلرُّجُوعِ إِلَى الزُّنْجِ فَوَقَعَتْ نَارٌ فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ عَسْكَرِهِ وَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ عُصُوفِ الرِّيَّاحِ فَاحْتَرَقَ الْعَسِيكِرُ وَ رَحَلَ أَبُو أَحْمَدَ مُنْصَرِفًا وَ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى وَاسِطٍ (١). فَأَقَامَ بِهَا إِلَى رَبِيعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهَا إِلَى سَامَرَاءَ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَمَدَ كَاتِبَهُ وَ اسْتَقْدَمَهُ

ص: ١٥٩

(١-١) بعدها في الطبري: «فلما صار إلى واسط تفرق عنه عامه من كان معه من أصحابه».

لِحَرْبِ يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ أَمِيرِ خُرَاسَانَ فَاسْتَخْلَفَ عَلَى حَرْبِ النَّاجِمِ مُحَمَّدًا الْمُؤَلَّدَ وَ أَمَّا النَّاجِمُ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ خَيْرَ الْحَرِيقِ
الَّذِي وَقَعَ فِي عَسْكَرِ أَبِي أَحْمَدَ حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ عَبَّادَانَ فَأَخْبَرَاهُ فَأَظْهَرَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ وَ نَصْرِهِ عَلَى
أَعْدَائِهِ وَ أَنَّهُ دَعَا اللَّهَ عَلَى أَبِي أَحْمَدَ وَ جَيْشِهِ فَتَزَلَّتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهُمْ.

وَ عَادَ إِلَى الْعَبَثِ وَ اسْتَدَّ طُعْيَانَهُ وَ عَتُوَّهُ وَ أَنْهَضَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيَّ وَ ضَمَّ إِلَيْهِ أَكْثَرَ الْجَيْشِ وَ جَعَلَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ سُلَيْمَانَ بْنَ
جَامِعٍ وَ أَضَافَ إِلَيْهِ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ مَعَ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَرَانِيِّ وَ سُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى الشُّعْرَانِيِّ وَ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَقْصِدُوا الْأَهْوَاذَ وَ
بِهَا حَيْثُ أَصْبَحَ جُجُونَ (١) التُّرْكِيُّ وَ مَعَهُ نَيْزُكَ الْقَائِدُ فَالتَّمَى الْعَسِيكَرَانَ بِصِيحْرَاءٍ تُعْرَفُ بِمَدَشْتِ مَيْسَانَ (٢) وَ اقْتَتَلُوا فَظَهَرَتْ (٣)
الرُّنْجُ وَ قَتَلَ نَيْزُكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَ غَرِقَ أَصْبَحُ جُجُونَ التُّرْكِيُّ وَ أُسِرَ كَثِيرٌ مِنْ قَوَادِ السُّلْطَانِ مِنْهُمْ الْحَسَنُ بْنُ هَرْتَمَةَ الْمَعْرُوفِ
بِالشَّارِيِّ (٤) وَ الْحَسَنُ بْنُ جَعْفَرٍ وَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ بِالْخَبَرِ إِلَى النَّاجِمِ وَ حَمَلَ إِلَيْهِ أَعْلَامًا وَ رُءُوسًا كَثِيرَةً وَ أُسِيرَ وَ دَخَلَ عَلِيُّ
بُنَ أَبَانَ الْأَهْوَاذَ وَ أَقَامَ بِهَا بِزُنُوجِهِ يَعِثُ وَ يَنْهَبُ الْقُرَى وَ السَّوَادَ إِلَى أَنْ نَدَبَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ مُوسَى بْنَ بُعَا لِحَرْبِهِ فَشَخِصَ عَنْ
سَامِرَاءَ فِي ذِي الْقَعِيدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَ شَيَعَهُ الْمُعْتَمِدُ بِنَفْسِهِ إِلَى خَلْفِ الْحَائِطَيْنِ وَ خَلَعَ عَلَيْهِ هُنَالِكَ فَقَدَّمَ أَمَامَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ
مُفْلِحٍ إِلَى الْأَهْوَاذِ وَ إِسْحَاقَ بْنَ كِنْدَاخٍ إِلَى الْبُصْرَةِ وَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَيْمَانَ إِلَى الْبَادَاوَرِدِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا وَرَدَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُفْلِحٍ
عَلَى الْأَهْوَاذِ أَنَاخَ بِقَنْطَرِهِ أُرْتِقِيَ (٥) عَشْرَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ مَضَى إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيِّ فَوَاقَعَهُ فَهَزَمَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ فَأَنْصَرَفَ فَاسْتَعَدَّ

ص: ١٦٠

١- ١) في الأصول: «صفجور»، تحريف.

٢- ٢) الطبري: «رستادان».

٣- ٣) الطبري: «فكانت الدبره يومئذ على أصججون».

٤- ٤) الطبري: «الشار».

٥- ٥) الطبري: «أربك».

ثُمَّ عَادَ لِمَحَارَبَتِهِ فَأَوْقَعَ بِهِ وَقَعَهُ عَظِيمَةً وَقَتَلَ مِنَ الزَّنَجِ قِتْلًا ذَرِيعًا وَأَسِيرَ أُسْرَى كَثِيرَةً وَأَنْهَزَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الزَّنَجِ حَتَّى أَتَوْا الْمَوْضِعَ الْمَعْرُوفَ بِبَيَانَ فَأَرَادَ النَّاجِمُ رَدَّهُمْ فَلَمْ يَزْجِعُوا لِلذَّعْرِ الَّذِي خَالَطَ قُلُوبَهُمْ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ عَسْكَرِهِ فَدَخَلُوا جَمِيعًا فَأَقَامُوا مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَ بَنَاهَا وَوَأْفَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُفْلِحٍ حِصْنَ مَهْدِيٍّ لِيَعْسَكَرَ بِهِ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ النَّاجِمُ عَلِيَّ بْنَ أَبَانَ فَوَاقَعَهُ فَلَمْ يَقْصِدْ عَلَيْهِ وَمَضَى عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْبَادَاوَرْدِ وَهُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيِّمًا فَوَاقَعَهُ إِبْرَاهِيمُ فَهَزِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ فَعَاوَدَهُ فَهَزَمَهُ إِبْرَاهِيمُ فَمَضَى فِي اللَّيْلِ وَسَلَكَ الْأُدْغَالَ وَالْأَجَامَ حَتَّى وَافَى نَهْرَ يَحْيَى فَانْتَهَى خَبْرُهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُفْلِحٍ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ طَاشْتِمَرَ التُّرْكِيَّ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمَوَالِي فَلَمْ يَصِلْ إِلَى عَلِيَّ بْنِ أَبَانَ وَمَنْ مَعَهُ لَوْعُورَهُ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانُوا فِيهِ وَامْتِنَاعِهِ بِالْقَصَبِ وَالْحَلَا فِي (١) فَأَضْرَمَهُ عَلَيْهِمْ نَارًا فَخَرَجُوا مِنْهُ هَارِبِينَ وَأَسِيرَ مِنْهُمْ أُسْرَى وَانْصَرَفَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُفْلِحٍ بِالْأُسْرَى وَالظَّفَرِ وَمَضَى عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ فَأَقَامَ بِأَصْحَابِهِ فِي الْمَوْضِعِ الْمُسَمَّى بِنَسُوخَا وَانْتَهَى الْخَبْرُ بِعَدْلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُفْلِحٍ فَصَارَ إِلَى الْعُمُودِ فَأَقَامَ بِهِ وَصَارَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ إِلَى نَهْرِ السُّدْرَةِ وَكَتَبَ إِلَى النَّاجِمِ يَسْتَمِدُّهُ وَيَسْأَلُهُ التَّوْجِيهَ إِلَيْهِ بِالشَّدَا فَوَجَّهَ إِلَيْهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ شَدَاةً فِيهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَسَارَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ وَمَنْ مَعَهُ فِي الشَّدَا وَوَأْفَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمَنْ مَعَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا قِتَالٌ وَتَوَاقَفَ الْجَيْشَانِ يَوْمَهُمَا ذَلِكَ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ائْتَجَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً يَتَّقُ بِجَلَدِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَمَضَى وَمَعَهُ (٢) سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى الْمَعْرُوفُ بِالشُّعْرَانِيِّ وَتَرَكَ سَائِرَ عَسَاكِرِهِ مَكَانَهُ لِيُخْفِيَ أَمْرَهُ فَصَارَ مِنْ وَرَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثُمَّ بَيَّتَهُ وَعَسَاكِرُهُ (٣) فَتَالَ مِنْهُ وَمِنْ أَصْحَابِهِ نَيْلًا مَا وَانْحَازَ

ص: ١٦١

١-١) الحلافى: مكان ينبت الحلفاء.

٢-٢) الطبرى: «فيهم».

٣-٣) الطبرى: «فى عسكره».

عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْهُ وَ تَرَكَ أَرْبَعَ شَدَوَاتٍ مِنْ شَدَوَاتِهِ فَعَنِمَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَانٍ وَ انصَرَفَ وَ مَضَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَوَجْهِهِ حَتَّى وَافَى دُولَابَ (١) فَأَقَامَ بِهَا وَ أَعَدَّ رِجَالًا مِنْ رِجَالِهِ وَ وَلَّى عَلَيْهِمْ طَاشْتِمَرَ التُّرْكِيَّ وَ أَنْفَذَهُمْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَانٍ فَوَافَوْهُ وَ هُوَ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبِيَابِ آزَرَ فَأَوْفَعُوا بِهِ وَقَعَهُ أَنْهَزَمَ مِنْهَا إِلَى نَهْرِ السُّدْرَةِ وَ كَتَبَ طَاشْتِمِرُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِأَنْهَزَمَهُ عَنْهُ فَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِجَيْشِهِ حَتَّى وَافَى الْعَمُودَ فَأَقَامَ بِهِ وَ اسْتَعَدَّ أَصْحَابَهُ لِلْحَرْبِ وَ هَيَأُ شَدَوَاتِهِ وَ وَلَّى عَلَيْهَا طَاشْتِمَرَ وَ سَارَ إِلَى فُوَهِهِ نَهْرِ السُّدْرَةِ فَوَاقَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَانٍ وَقَعَهُ عَظِيمَةً أَنْهَزَمَ مِنْهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَانٍ وَ أَخَذَ مِنْهُ عَشْرُ شَدَوَاتٍ وَ رَجَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَانٍ إِلَى النَّاجِمِ مَقْلُولًا مَهْزُومًا وَ سَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ فُورِهِ فَعَسَى كَرَّ بِيَابِ فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنُ مَفْلَاحٍ وَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيْمَانَ يَتَنَاوَبَانِ الْمَصِيرِ إِلَى عَسَى كَرِّ النَّاجِمِ فَيُوقِعَانِ بِهِ وَ يُخِيفَانِ مَنْ فِيهِ وَ إِسْحَاقُ بْنُ كَنْدَجِيقٍ يَوْمَئِذٍ بِالْبَصْرَةِ وَ قَدْ قَطَعَ الْمِيرَةَ عَنْ عَسَى كَرِّ النَّاجِمِ فَكَانَ النَّاجِمُ يَجْمَعُ أَصْحَابَهُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَخَافُ فِيهِ مُوَاةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِنُ مَفْلَاحٍ وَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيْمَانَ حَتَّى يَنْقُضَةَ الْحَرْبُ ثُمَّ يَصْرِفُ فَرِيقًا مِنْهُمْ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ فَيُوقِعُ بِهِمْ إِسْحَاقُ بْنُ كَنْدَجِيقٍ (٢) فَأَقَامُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ بِضَعَةِ عَشْرٍ شَهْرًا إِلَى أَنْ صَرَفَ مُوسَى بْنُ بَغَا عَنْ حَرْبِ الزَّنَجِ (٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ رَدَّ أَمْرَ فَارِسَ وَ الْأَهْوَاذِ وَ الْبَصْرَةَ وَ غَيْرَهَا مِنْ

ص: ١٦٢

١-١) الطبري: «الدولاب».

٢-٢) الطبري: «كنداج».

٣-٣) في الطبري: «إلى أن صرف موسى بن بغا عن حرب الخبيث، ووليها مسرور البلخي، و انتهى لخبر بذلك إلى الخبيث».

النَّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ إِلَى أَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ حَرْبِ يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ وَهَزِيمَتِهِ لَهُ فَاسْتَخْلَفَ أَبُو أَحْمَدَ عَلَى حَرْبِ صَاحِبِ الزُّنْجِ مَسْرُورًا الْبُلْخِيَّ وَصَرَفَ مُوسَى بْنَ بُعَا عَنْ ذَلِكَ وَاتَّفَقَ أَنْ يَبْنَى وَاصِلِ حَارَبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُفْلِحٍ فَاسْرَهُ وَقَتْلَهُ وَقَتْلَ طَاشْتَمِرِ التُّرْكِيِّ أَيْضًا وَذَلِكَ بِنَاحِيَةِ رَامَهُرْمُرَ فَاسْتَخْلَفَ مَسْرُورُ الْبُلْخِيُّ عَلَى الْحَرْبِ أَبَا السَّاجِ وَوَلِيَّ الْأَهْوَازِ فَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيِّ وَقَعَهُ بِنَاحِيَةِ دُولَابٍ قُتِلَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ صِهْرُ أَبِي السَّاجِ وَانْحَارَ أَبُو السَّاجِ إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ وَدَخَلَ الزُّنْجِ الْأَهْوَازَ فَقَتَلُوا أَهْلَهَا وَسَبُّوا وَأَحْرَقُوا دُورَهَا (١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ وَجَّهَ صَاحِبُ الزُّنْجِ جُيُوشَهُ بَعِيدَ هَزِيمَةِ أَبِي السَّاجِ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَطِيحَةِ وَالْحَوَانِيَّتِ وَدَسَّيْتَمِيسَانَ قَالَ وَذَلِكَ لِأَنَّ وَاسِطًا خَلَّتْ مِنْ أَكْثَرِ الْجُنْدِ فِي وَقَعِهِ أَبِي أَحْمَدَ وَيَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ النَّبِيِّ كَانَتْ عِنْدَ ذِي الْعِاقُولِ فَطَمَعَ الزُّنْجُ فِيهَا فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ فِي عَسْكَرٍ مِنَ الزُّنْجِ وَأَرْدَفَهُ النَّاجِمُ بِجَيْشٍ آخَرَ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ مَهْدِيٍّ فِي سِيْمِيرِيَّاتٍ فِيهَا رُمَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْفَذَهُ إِلَى نَهْرِ الْمَرْأَةِ وَأَنْفَذَ عَسْكَرًا آخَرَ فِيهِ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى فَأَمَرَهُ أَنْ يُعَسْكَرَ بِالنَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْيَهُودِيِّ فَكَانَتْ بَيْنَ هُوَلاءِ وَبَيْنَ مَنْ تَخَلَّفَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَتْ سَبْجَالًا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ حَتَّى مَلَكَوا الْبَطِيحَةَ وَالْحَوَانِيَّتِ وَشَارَفُوا وَاسِطًا وَبِهَا يَوْمَئِذٍ مُحَمَّدُ الْمُؤَلَّدُ مِنْ قَبْلِ السُّلْطَانِ فَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ يَطُولُ شَرْحُهَا وَتَعْدَادُهَا وَآمَدَهُ النَّاجِمُ بِالْخَلِيلِ بْنِ أَبِيانٍ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِيانٍ الْمُهَلَّبِيِّ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ فَارِسٍ وَمَعَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزُّنْجِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْمَلْدُوبِ أَحَدِ قَوَادِمِهِ الْمَشْهُورِينَ فَقَوَى سُلَيْمَانُ بِهِمْ وَأَوْقَعَ بِمُحَمَّدِ الْمُؤَلَّدِ فَهَزَمَهُ وَدَخَلَ وَاسِطًا فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ بِزُنُوجِهِ وَقَوَادِمِهِ فَقَتَلَ مِنْهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَنَهَبَهَا وَأَحْرَقَ دُورَهَا وَأَسْوَاقَهَا وَأَحْرَبَ كَثِيرًا مِنْ مَنَازِلِ أَهْلِهَا

ص: ١٦٣

و ثَبَّتَ لِلْمَحَامِيهِ عَنْهَا قَاتِلًا كَانَ بِهَا مِنْ جَانِبِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُؤَلَّدِ يُقَالُ لَهُ كَنْجُورُ الْبُخَارِيِّ فَحَامَى يَوْمَهُ ذَلِكَ إِلَى الْعَصْرِ ثُمَّ قَتَلَ وَ كَانَ الَّذِي يُقَوِّدُ الْخَيْلَ يَوْمَئِذٍ فِي عَسَاكِرِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعِ الْخَلِيلِ بْنِ أَبَانَ وَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَعْرُوفُ بِالْمَذُوبِ وَ كَانَ أَحْمَدُ بْنُ مَهْدِيٍّ الْجُبَائِيُّ فِي السَّمِيرِيَّاتِ وَ كَانَ مَهْرَبَانُ (١) الزَّنَجِيُّ فِي الشَّدَوَاتِ وَ كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى الشَّعْرَانِيُّ وَ أَخُوهُ فِي مَيْمَنَتِهِ وَ مَيْسَرَتِهِ وَ كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَ هُوَ الْأَمِيرُ عَلَى الْجَمَاعَةِ فِي قَوَادِهِ السُّودَانَ وَ رَجَالَتِهِ مِنْهُمْ وَ كَانَ الْجَمِيعُ يَدًا وَاحِدَةً فَلَمَّا قَضَوْا وَطَرَهُمْ مِنْ نَهْبٍ وَاسِطٍ وَ قَتَلَ أَهْلَهَا خَرَجُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَنْهَا فَمَضَوْا إِلَى جُبْتَلَاءَ وَ أَقَامُوا هُنَاكَ يَعْشُونَ وَ يُخْرِبُونَ.

وَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَ سِتِّينَ دَخَلُوا إِلَى النُّعْمَانِيَّةِ وَ جَرَجَرَايَا وَ جَبَلَ فَهَبُوا وَ أَخْرَبُوا وَ قَتَلُوا وَ أَحْرَقُوا وَ هَرَبَ مِنْهُمْ أَهْلُ السُّودَانِ فَدَخَلُوا إِلَى بَغْدَادَ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيُّ فَإِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى مُعْظَمِ أَعْمَالِ الْأَهْوَاذِ وَ عَاتَ هُنَاكَ وَ أَخْرَبَ وَ أَحْرَقَ وَ كَانَتْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ عُمَالِ السُّلْطَانِ وَ قَوَادِهِ مِثْلُ أَحْمَدِ بْنِ لَيْثَوِيهِ وَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكُرْدِيِّ وَ تَكِينِ الْبُخَارِيِّ وَ مَطْرِ بْنِ جَامِعٍ وَ أَعْرَثِمَشَ التُّرْكِيِّ وَ غَيْرِهِمْ وَ بَيْنَ عُمَالِ يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ مِثْلُ خَضِرِ بْنِ الْعَبَّارِ وَ غَيْرِهِ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ وَ وَقَعَاتٌ كَثِيرَةٌ وَ كَانَتْ سِجَالًا تَارَةً لَهُ وَ تَارَةً عَلَيْهِ وَ هُوَ فِي أَكْثَرِهَا الْمُسِيءُ تَطْهَرُ عَلَيْهِمْ وَ كَثُرَتْ أَمْوَالُ الزَّنَجِ وَ الْغَنَائِمُ الَّتِي حَوَّوْهَا مِنَ الْبِلَادِ وَ النَّوَاحِي وَ عَظُمَ أَمْرُهُمْ وَ أَهَمَّ النَّاسَ شَأْنُهُمْ وَ عَظُمَ عَلَى الْمُعْتَمِدِ وَ أَخِيهِ أَبِي أَحْمَدِ حَطْبُهُمْ وَ اقْتَسَمُوا الدُّنْيَا فَكَانَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاجِمُ صَاحِبُ الزَّنَجِ وَ إِمَامُهُمْ مُقِيمًا بِنَهْرِ أَبِي الْخَصَّيْبِ قَدْ بَنَى مَدِينَةً عَظِيمَةً سَمَّاها الْمُخْتَارَةَ وَ حَصَّنَهَا بِالْخَنَادِقِ وَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ فِيهَا مِنَ النَّاسِ مَا لَا يَنْتَهَى الْعُدُّ وَ الْحَضْرُ إِلَيْهِ رَغْبَةٌ وَ رَهْبَةٌ وَ صَارَتْ مَدِينَةً تُصَاهِي سَامِرَاءَ وَ بَغْدَادَ وَ تَزِيدُ عَلَيْهِمَا وَ أَمْرًا وَ قَوَادُهُ

ص: ١٦٤

(١-١) كذا في الطبري، و في الأصول: «مهزيار».

بِالْبَصِيرَةِ وَأَعْمَالِهَا يَجْبُونَ الْخَرَاجَ عَلَى عِيَادَةِ السُّلْطَانِ لَمَّا كَانَتِ الْبَصِيرَةُ فِي يَدِهِ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيُّ وَهُوَ أَكْبَرُ أَمْرَائِهِ وَ قُوَادِهِ قَدْ اسْتَيْوَلَى عَلَى الْأَهْوَازِ وَأَعْمَالِهَا وَدَوَّخَ بِلَادَهَا كَرَامَهُزْمَرَ وَتَشْتَرَ وَغَيْرِهِمَا وَدَانَ لَهُ النَّاسُ وَجَبَا الْخَرَاجَ وَمَلَكَ أَمْوَالًا لَا تُحْصَى.

وَكَانَ سَيْلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَ سَيْلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى الشُّعْرَانِيُّ وَمَعَهُمَا أَحْمَدُ بْنُ مَهْدِيٍّ الْجُبَائِيُّ فِي الْأَعْمَالِ الْوَاسِطِيَّةِ قَدْ مَلَكَوْهَا وَبَنَوْا بِهَا الْمِيدَانَ الْحَصِينََّةَ وَفَازُوا بِأَمْوَالِهَا وَارْتَفَاعِهَا وَجَبُوا خَرَاجَهَا وَرَبَّبُوا عَمَّالَهُمْ وَقُوَادَهُمْ فِيهَا إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سِنَةٌ سَبْعٌ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ وَقَدْ عَظُمَ الْخَطْبُ وَجَلَّ وَخِيفَ عَلَى مُلْكِ بَنِي الْعَبَّاسِ أَنْ يَذْهَبَ وَيَنْقَرِضَ فَلَمْ يَجِدْ أَبُو أَحْمَدَ الْمُؤَفَّقُ وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ بُدْأًا مِنَ التَّوَجُّهِ بِنَفْسِهِ وَمُبَاشَرَتِهِ هَذَا الْأَمْرَ الْجَلِيلَ بِرَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَحُضُورِهِ مَعَارِكِ الْحَرْبِ فَندَبَ أَمَامَهُ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ وَرَكِبَ أَبُو أَحْمَدُ إِلَى بُسَيْتَانَ الْهَادِي بِنِعْدَادٍ وَعَرَضَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ فَكَانُوا عَشْرَةَ آلَافٍ فُؤَسَانًا وَرَجَالَهُ فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وَأَجْمَلِ هَيْئَةٍ وَأَكْمَلِ عِيْدَةٍ وَمَعَهُمُ الشَّدَوَاتُ وَالسُّمَيْرِيَّاتُ وَالْمَعَابِرُ بِرَسِيمِ الرَّجَالِ (١) كُلُّ ذَلِكَ قَدْ أُحْكِمَتْ صَيْغَتُهُ فَرَكَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ بُسَيْتَانَ الْهَادِي وَرَكِبَ أَبُو أَحْمَدُ مُشِيْعًا لَهُ حَتَّى نَزَلَ الْقَرْيَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْفَرْكَ ثُمَّ عَادَ وَأَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِالْفَرْكَ أَيَّامًا حَتَّى تَكَامَلَ عَدْدُهُ وَتَلَاحَقَ بِهِ أَصْحَابُهُ.

ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ثُمَّ رَحَلَ إِلَى دَيْرِ الْعَاقُولِ فَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ نَصِيْرٍ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي حَمْرَةَ وَهُوَ مِنْ جُلَّةِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ صَاحِبَ الشَّدَا وَالسُّمَيْرِيَّاتِ وَقَدْ كَانَ قَدَمُهُ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ بِدِجْلَةٍ يُعَلِّمُهُ فِيهِ أَنَّ سَيْلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ قَدْ وَافَى لَمَّا عَلِمَ بِشُخُوصِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَالْجُبَائِيِّ يُقَدِّمُهُ فِي حَيْلِهِمَا وَرِجَالِهِمَا وَسُفْنِهِمَا حَتَّى نَزَلَ الْجَزِيرَةَ الَّتِي بِحَضْرَةِ

ص: ١٦٥

بَرْدُودًا فَوْقَ وَاسِطٍ بِأَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ وَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى الشَّعْرَانِيَّ قَدَّ وَافَى نَهْرَ أَبَانَ بِعَسْكَرِهِ عَسْكَرِ الْبَرِّ وَ عَسْكَرِ الْمَاءِ فَرَحَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ لَمَّا قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ حَتَّى وَافَى جَزْجَرَانِيَا ثُمَّ مِنْهَا إِلَى فَمِ الصَّلْحِ ثُمَّ رَكِبَ الظُّهْرَ وَ سَارَ حَتَّى وَافَى الصَّلْحِ وَ وَجَّهَ طَلَانِعَهُ لِيَتَعَرَّفَ الْخَبَرَ فَأَتَاهُ مِنْهُمْ مَنْ أَخْبَرَهُ بِمُؤَافَاهِ الْقَوْمِ وَ أَنَّ أَوْلَهُمْ قَرِيبٌ مِنَ الصَّلْحِ وَ آخِرُهُمْ بِيَسْتَانِ مُوسَى بْنِ بُعَا أَسِيْفَلٍ وَاسِطٍ فَلَمَّا عَرَفَ ذَلِكَ عَدَلَ عَنْ سِنَنِ الطَّرِيقِ وَ لَقِيَ أَصْحَابَهُ أَوَائِلَ الْقَوْمِ فَتَطَارَدُوا لَهُمْ عَنْ وَصِيَّتِهِ أَوْصَاهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ بِهَا حَتَّى طَمَعَ الزَّنْجُ فِيهِمْ وَ اغْتَرُّوا وَ أَمَعَنُوا فِي اتِّبَاعِهِمْ وَ جَعَلُوا يَصْتَبِحُونَ بِهِمْ ااطلُّوا أَمِيرًا لِلْحَرْبِ فَإِنَّ أَمِيرَكُمْ مَشْغُولٌ بِالصَّيْدِ فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بِالصَّلْحِ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَيْلِ وَ الرَّجْلِ وَ أَمَرَ فَصِيحَ بِأَبِي حَمْزَةَ يَا نَصِيْرُ إِلَى أَيِّنَ تَتَأَخَّرُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكِلَابِ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَرَجَعَ نَصِيْرٌ بِشَدَوَاتِهِ وَ سُمَيْرِيَّاتِهِ وَ فِيهَا الرِّجَالُ وَ رَكِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي سُمَيْرِيَّاتِهِ وَ مَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ وَ حَفَّ أَصْحَابُهُ بِالزَّنْجِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ فَانْهَزَمُوا وَ مَنَحَ اللَّهُ أبا الْعَبَّاسِ وَ أَصْحَابَهُ أَكْتَاْفَهُمْ يَقْتُلُونَهُمْ وَ يَطْرُدُونَهُمْ إِلَى أَنْ وَافُوا قَرْيَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَ هِيَ عَلَى سِتَّةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي لَقُوهُمْ فِيهِ وَ أَخَذُوا مِنْهُمْ خَمْسَ شَدَوَاتٍ وَ عَشْرَ سُمَيْرِيَّاتٍ وَ اسْتَأْمَنَ مِنْهُمْ قَوْمٌ وَ أُسْرَ مِنْهُمْ أَسِيرَى وَ غَرِقَ مِنْ سُمْفِنِهِمْ كَثِيرٌ فَكَانَ هَذَا الْيَوْمَ أَوَّلَ الْفَتْحِ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا انْقَضَى هَذَا الْيَوْمَ أَشَارَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ قُوَادَةً وَ أَوْلِيَاؤُهُ أَنْ يَجْعَلَ مَعْسِكْرَهُ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ انْتَهَى إِلَيْهِ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ مِنْ مُقَارَبَةِ الْقَوْمِ فَأَبَى إِلَّا نَزُولَ وَاسِطٍ بِنَفْسِهِ وَ لَمَّا انْهَزَمَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَ مَنْ مَعَهُ وَ ضَرَبَ اللَّهُ وُجُوْهُهُمْ انْهَزَمَ سُلَيْمَانُ بْنُ

مُوسَى الشَّعْرَانِيُّ عَنْ نَهْرِ أَبَانَ حَتَّى وَافَى سُوقَ الْخَمِيسِ وَ لَحِقَ سَيْلِيمَانَ بْنَ جَامِعٍ بِنَهْرِ الْأَمِيرِ وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ حِينَ لَقُوا أَبَا الْعَبَّاسِ أَجَالُوا الرَّأْيَ بَيْنَهُمْ فَقَالُوا هَذَا فَتَى حَدَثٌ لَمْ تَطُلْ مُمَارَسَتُهُ الْحَرْبَ وَ تَدْرُبُهُ بِهَا وَ الرَّأْيُ أَنَّ نَزْمِيَهُ بِحَدْنَا كُلِّهِ وَ نَجْتَهْدَ فِي أَوَّلِ لَقِيَتِهِ نَلْقَاهُ فِي إِزَالَتِهِ فَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَرُوْعَهُ فَيَكُونُ سَبَبًا لِانْصِرَافِهِ عَنَّا فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَ حَشَدُوا وَ اجْتَهَدُوا فَأَوْقَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ بَأْسَهُ وَ نَقَمَتَهُ وَ لَمْ يَتِمَّ لَهُمْ مَا قَدَّرُوهُ وَ رَكِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ غَدِ يَوْمِ الْوَقْعَةِ حَتَّى دَخَلَ وَاسِطًا فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وَ كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَأَقَامَ حَتَّى صَلَّى بِهَا صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَتْبَاعِ الزَّنْجِ وَ أَصْحَابِهِمْ ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى الْعُمَرِ وَ هُوَ عَلَى فَرْسِهِ وَاسِطٌ فَاتَّخَذَهُ مُعَسِّكِرًا وَ قَدْ كَانَ أَبُو حَمَزَةَ نَصِيْرًا وَ غَيْرُهُ أَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ مُعَسِّكِرَهُ فَوْقَ وَاسِطٍ حَذْرًا عَلَيْهِ مِنَ الزَّنْجِ فَامْتَنَعَ وَ قَالَ لَسْتُ نَازِلًا إِلَّا الْعُمَرَ وَ أَمَرَ أَبَا حَمَزَةَ أَنْ يَنْزِلَ فَوَهَّهَ بَرْدُودًا فَوْقَ وَاسِطٍ وَ أَعْرَضَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ مُشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ وَ اسْتِمَاعِ شَيْءٍ مِنْ آرَائِهِمْ وَ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِ نَفْسِهِ فَانزَلَ الْعُمَرَ وَ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الشَّدَوَاتِ وَ السَّمِيرِيَّاتِ وَ جَعَلَ يُرَاوِحُ الزَّنْجَ الْقِتَالَ وَ يُعَادِيهِمْ وَ قَدْ رَتَّبَ خَاصَّةَ غِلْمَانِهِ وَ مَوَالِيَهُ فِي سَمِيرِيَّاتٍ فَجَعَلَ فِي كُلِّ سَمِيرِيَّةٍ أَمِيرًا مِنْهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ سَيْلِيمَانَ اسْتَعَدَّ وَ حَشَدَ وَ فَرَّقَ أَصْحَابَهُ فَجَعَلَهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ فِرْقَةً أَتَتْ مِنْ نَهْرِ أَبَانَ وَ فِرْقَةً مِنْ بَرْتَمَرَاتَا وَ فِرْقَةً مِنْ بَرْدُودَا فَلَقِيَهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ انْهَزَمُوا فَلَحِقَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِسُوقِ الْخَمِيسِ وَ طَائِفَةٌ بِمِازَرَوَانَ وَ طَائِفَةٌ بِبَرْتَمَرَاتَا وَ سَيْلِكَ آخَرُونَ نَهَرَ الْمَازِيَانَ وَ اعْتَصَمَ قَوْمٌ مِنْهُمْ بِبَرْدُودَا وَ تَبِعَهُمْ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَ جَعَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ قَصْدَهُ الْقَوْمَ الَّذِينَ سَيْلَكُوا نَهَرَ الْمَازِيَانَ فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْهُمْ حَتَّى وَافَى بِهِمْ بِرَمْسِاَوَرَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَجَعَلَ يَقِفُ عَلَى الْقُرَى وَ الْمَسَالِكِ وَ يَسْأَلُ عَنْهَا وَ يَتَعَرَّفُهَا وَ مَعَهُ الْأَدْلَاءُ وَ أَرْبَابُ الْخَبْرَةِ حَتَّى عَرَفَ جَمِيعَ تِلْكَ الْأَرْضِ وَ مَنَافِذَهَا وَ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنْ

الْبَطَائِحِ وَالْأَجَامِ وَغَيْرِهَا وَعَادَ إِلَى مُعَسِكَرِهِ بِالْعُمْرِ فَأَقَامَ بِهِ أَيَّامًا مُرِيحًا نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ.

ثُمَّ أَتَاهُ مُخْبِرٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الزُّنْجَ قَدِ اجْتَمَعُوا وَاسْتَعَدُّوا لِكَيْبَسِ عَسَاكِرِهِ وَأَنَّهُمْ عَلَى إِثْيَانِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ وَأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ غَلَامٌ يُعَزَّرُ بِنَفْسِهِ وَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى تَكْمِينِ الْكُمَنَاءِ وَالْمَصِيرِ إِلَيْهِ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ فَحَدَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَعَدَّ لَهُ وَاقْبَلُوا إِلَيْهِ وَقَدْ كَمَنُوا زُهَاءَ عَشْرَةِ آلَافٍ فِي بَزْتَمَرَاتٍ وَنَحْوًا مِنَ الْعِدَّةِ فِي قَسِ هَذَا (١) وَتَقَدَّمَ مِنْهَا عَشْرُونَ سُمَيْرِيَّةً إِلَى عَسَاكِرِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ فَيَهْرَبُوا بَعِيدَ مَنَاوَشِهِ يَسِيرَهُ فَيَجِيزُوا أَبَا الْعَبَّاسِ وَأَصْحَابَهُ إِلَى أَنْ يُجَاوِزُوا الْكُمَنَاءَ ثُمَّ يَخْرُجَ الْكَمِينُ عَلَيْهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ.

فَمَنَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَصْحَابَهُ مِنْ اتِّبَاعِهِمْ لَمَّا وَاقَعُوهُمْ وَأَظْهَرُوا الْكُسْرَةَ وَالْعُودَ فَعَلِمُوا أَنَّ كَيْدَهُمْ لَمْ يَنْفُذْ فِيهِ وَخَرَجَ حِينِيذِ سُلَيْمَانَ وَالْجُبَّائِي فِي الشَّدَا وَالسَّمِيرِيَّاتِ الْعَظِيمَةِ وَقَدْ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْسَنَ تَعْبِيهِ أَصْحَابِهِ فَأَمَرَ أَبَا حَمْرَةَ نُصَيْرًا أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ فِي الشَّدَا وَالسَّمِيرِيَّاتِ الْمُرْتَبَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَنَزَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي شَدَاةٍ مِنْ شَدَوَاتٍ قَدْ كَانَ سَيِّمَاهَا الْغَزَالُ وَاخْتَارَ لَهَا جَدَافِينَ وَأَخَذَ مَعَهُ مُحَمَّدَ بْنَ شُعَيْبِ الْإَشْتِيَامِ وَاخْتَارَ مِنْ حَاصِّهِ أَصْحَابَهُ وَغُلَمَانِهِ جَمَاعَةً دَفَعَ إِلَيْهِمُ الرِّمَاحَ وَأَمَرَ الْحَيَّالَةَ بِالْمَسِيرِ بِإِزَانِهِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ وَقَالَ لَهُمْ لَا تَدْعُوا الْمَسِيرَ مَا أَمْكَنَكُمْ إِلَى أَنْ تَقْطَعَكُمْ الْأَنْهَارُ وَنَشِبَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فَكَانَتْ مَعْرَكَةُ الْقِتَالِ مِنْ حَدِّ قَزِيهِ الرَّمْلِ إِلَى الرُّصَافَةِ حَتَّى أَدِنَ اللَّهُ فِي هَزِيمِهِ الزُّنْجَ فَانْهَزَمُوا وَحَازَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ مِنْهُمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شَدَاةً وَأَقْلَتَ سُلَيْمَانَ وَالْجُبَّائِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعِيدًا أَنْ أَشْفِيَا عَلَى الْهَلَاكِ رَاجِلِينَ وَأَخَذَتْ دَوَابُّهُمَا وَمَضَى جَيْشُ الزُّنْجِ بِأَجْمَعِهِ لَا يَنْتَنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى وَافُوا طَهِيثًا وَأَسْلَمُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَثَاثٍ وَآلِهِ وَرَجَعَ

ص: ١٦٨

(١-١) فِي الْأَصُولِ: «بِرَهْثَا».

أَبُو الْعَبَّاسِ فَأَقَامَ بِمَعَسِيكَرِهِ بِالْعُمُرِ وَ أَضِيلَحَ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُمْ مِنَ الشَّدَا وَ الشُّفْنِ (١) وَ رَتَّبَ الرَّجَالَ فِيهَا وَ أَقَامَ الزَّنْجُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرِينَ يَوْمًا لَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ إِنَّ الْجُبَائِيَّ صَارَ بَعْدَ ذَلِكَ يَجِيءُ فِي الطَّلَائِعِ كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَ يَنْصَرِفُ وَ حَفَرَ فِي طَرِيقِ عَسْكَرِ أَبِي الْعَبَّاسِ آبَارًا وَ صَيَّرَ فِيهَا سِدْفًا فَيَدُ حَدِيدٍ وَ غَشَّاهَا بِالْبَوَارِي وَ أَحْفَى مَوَاضِعَهَا وَ جَعَلَهَا عَلَى سَبْنِ مَسِيرِ الْخَيْلِ لِيَتَهَوَّرَ فِيهَا الْمُجْتَازُونَ بِهَا وَ جَعَلَ بَوَاقِي طَرَفِ الْعَسِيكَرِ مُتَعَرِّضًا بِهِ لِتَخْرُجِ الْخَيْلُ طَالِبَةً لَهُ فَجَاءَ يَوْمًا وَ طَلَبَتْهُ الْخَيْلُ كَمَا كَانَتْ تَطْلُبُهُ فَقَطَرَ (٢) فَرَسٌ رَجُلٍ مِنْ قَوَادِ الْفَرَاعِنَةِ فِي بَعْضِ تَلْكَ الْأَبْيَارِ فَوَقَفَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ بِمَا نَالَهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ دَبْرَهُ الْجُبَائِيَّ فَحَدَرُوا ذَلِكَ وَ تَنَكَّبُوا سُلُوكَ تَلْكَ الطَّرِيقِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ أَلَحَّ الزَّنْجُ فِي مُعَادَاهِ الْعَسِيكَرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْحَزْبِ وَ عَسَكَرُوا بِنَهْرِ الْأَمِيرِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ وَ كَتَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى النَّاجِمِ يَسْأَلُهُ إِمْدَادَهُ بِسِمِيرِيَّاتٍ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَرْبَعُونَ مِجْدَافًا فَوَافَاهُ مِنْ ذَلِكَ فِي مِقْدَارِ عَشْرِينَ يَوْمًا أَرْبَعُونَ سِمِيرِيَّةً فِيهَا الرَّجَالُ وَ الشُّيُوفُ وَ التَّرَاسُ وَ الرَّمَاخُ فَكَانَتْ لِأَبِي الْعَبَّاسِ مَعَهُمْ وَقَعَاتٌ عَظِيمَةٌ وَ فِي أَكْثَرِهَا الظَّفَرُ لِأَصْحَابِهِ وَ الْجِدْلَانُ عَلَى الزَّنْجِ وَ لَجَّ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي دُخُولِ الْأَنْهَارِ وَ الْمَضَائِقِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى الشَّعْرَانِيِّ بِنَهْرِ الْخَمِيسِ الَّتِي بَنَاهَا وَ سَمَّاهَا الْمَنِيْعَةَ وَ حَاطَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِنَفْسِهِ مَرَارًا وَ سَلِمَ بَعْدَ أَنْ شَارَفَ الْعَطَبَ وَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ قَوَادِ الزَّنْجِ فَأَمَّنَهُمْ وَ خَلَعَ عَلَيْهِمْ وَ ضَمَّهُمْ إِلَى عَسْكَرِهِ وَ قُتِلَ مِنْ قَوَادِ

ص: ١٦٩

(١-١) الطبري: (و السميريات).

(٢-٢) قطر: ذهب و أسرع.

الزنج جماعه و تمادت الأيام بينه وبينهم و اتصل بأبي أحمد الموفق أن سليمان بن موسى الشمراني و الجبائي و من بالأعمال
الواسطيته من قواد صاحب الزنج كاتبوا صاحبهم و سأله إمدادهم بعلي بن أبان المهلبى و هو المقيم حينئذ بأعمال الأهواز و
المستولى عليها و كان على بن أبان قائم القواد و أمير الأمراء فيهم فكتب الناجم إلى على بن أبان يأمره بالمصير بجميع من معه
إلى ناحيه سليمان بن حرامع ليجمع على حزب أبي العباس. فصاح عزم أبي أحمد على الشخصوص إلى واسط و حضور الحزب
بنفسه فخرج عن بغداد فى صفر من هذه السنه و عسكر بالفرك و أقام بها أياماً حتى تلاحق به عسكره و من أراد المسير معه و
قد أعد آله الماء (١) و رحل من الفرك إلى المدائن ثم إلى دبر العقول ثم إلى جزجرايا ثم قنى ثم جبل ثم نزل الصلح ثم نزل
على فرسيخ من واسط (٢). و تلقاه ابنه أبو العباس فى جريده خيل فيها و جوه قواده فسأله أبوه عن خبرهم فوصف له بلاءهم و
نصيحهم فخلع أبو أحمد على أبي العباس ثم على القواد الذين كانوا معه و انصرف أبو العباس إلى معسكره بالعمرة فبات به فلما
كان صبيحه الغد رجلا أبو أحمد منجراً فى الماء و تلقاه ابنه أبو العباس فى آلات الماء بجميع العسكر فى هيئة الحزب على
الوضع الذى كانوا يحاربون الزنج عليه فاستحسن أبو أحمد هيبتهم و سر بذلك و سار أبو أحمد حتى نزل بإزاء القرية المعروفة
بقريه عبد الله و وضع العطاء فأعطى الجيش كله أرزاقهم و قدم ابنه أبا العباس أمامه فى السفن و سار وراءه فتلقاه

ص: ١٧٠

(١-١) الطبرى: «و قد أعد له قبل ذلك الشذا و السمريات و المعابر».

(٢-٢) بعدها فى الطبرى: «فأقام هناك يومه».

أَبُو الْعَبَّاسِ بَرْمُوسٍ وَ أُسَيْرَى مِنْ أَصْحَابِ الشُّعْرَانِيِّ وَ كَانَ لِقِيَهُمْ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ بِالْأُسَيْرَى فَضَرَبَتْ أَعْنَاقَهُمْ وَ رَحَلَ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ الَّتِي بَنَاهَا الشُّعْرَانِيُّ بِسُوقِ الْخَمِيسِ وَ سَمَّاهَا الْمَنِيْعَةَ . وَ إِنَّمَا بَدَأَ أَبُو أَحْمَدَ بِحَرْبِ الشُّعْرَانِيِّ قَبْلَ حَرْبِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ لِأَنَّ الشُّعْرَانِيَّ كَانَ وَرَاءَهُ فَخَافَ إِنْ بَدَأَ بِابْنِ جَامِعٍ أَنْ يَأْتِيَهُ الشُّعْرَانِيُّ مِنْ وَرَائِهِ فَيَشْغَلُهُ عَمَّنْ هُوَ أَمَامَهُ فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ إِلَيْهِ الزُّنْجُ فَجَارَبُوهُ حَرْبًا ضَعِيفَةً وَ انْهَزَمُوا فَعَلَا أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ السُّورَ وَ وَضَعُوا السَّيْفَ فِيمَنْ لَقِيَهُمْ وَ تَفَرَّقَ الزُّنْجُ وَ دَخَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَدِينَةَ فَقَتَلُوا وَ أَسْرَوْا وَ حَوُّوا مَا كَانَ فِيهَا وَ أَفَلَتِ الشُّعْرَانِيُّ هَارِبًا وَ مَعَهُ خَوَاصُّهُ فَأَتَبَعَهُمْ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ حَتَّى وَافُوا بِهِمُ الْبَطَائِحَ فَغَرِقَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَ لَجَأَ الْبَاقُونَ إِلَى الْأَجَامِ وَ انْصَرَفَ النَّاسُ وَ قَدِ اسْتُنْقَذَ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ بِأَيْدِي الزُّنْجِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ خَاصَّةً خَمْسَةَ آلَافٍ امْرَأَةٍ سِوَى مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنَ الزُّنْجِيَّاتِ (١) .

فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ بِحَمَلِ (٢) النِّسَاءِ اللَّوَاتِي سَبَّاهُنَّ الزُّنْجُ إِلَى وَاسِطٍ وَ أَنْ يُدْفَعْنَ إِلَى أَوْلِيَائِهِنَّ وَ بَاتَ أَبُو أَحْمَدَ بِحِيَالِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ بَاكَرَهَا وَ أَذِنَ لِلنَّاسِ فِي نَهَبِ مَا فِيهَا مِنْ أَمْتَعَةِ الزُّنْجِ فَدَخَلَتْ وَ نَهَبَ كُلُّ مَا كَانَ بِهَا وَ أَمَرَ بِهَيْدَمِ سُورِهَا وَ طَمَّ (٣) خَنْدَقَهَا وَ إِحْرَاقِ مَا كَانَ بَقِيَ مِنْهَا وَ ظَفَرَ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَدِ الشُّعْرَانِيِّ بِمَا لَا يُحْصَى مِنَ الْأَرْزِ وَ الْحِنْطَةِ وَ الشَّعِيرِ وَ قَدْ كَانَ الشُّعْرَانِيُّ اسْتَوْلَى عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَ قَتَلَ أَصْحَابَهُ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ بِبَيْعِهِ وَ صَرَفَ ثَمَنَهُ فِي أُعْطِيَاتِ مَوَالِيهِ وَ غِلْمَانِهِ وَ جُنْدِهِ .

ص: ١٧١

١- ١) الطبري: «من الزنجيات اللواتي كن في سوق الخميس».

٢- ٢) الطبري: «بجياطه النساء».

٣- ٣) طم الخندق و النهر: ردمه.

وَأَمَّا الشَّعْرَانِيُّ فَإِنَّهُ التَّحَقَّقَ هُوَ وَأَخُوهُ بِالْمِذَارِ وَكَتَبَ إِلَى النَّاجِمِ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ وَ أَنَّهُ مُعْتَصِمٌ بِالْمِذَارِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ الْكَرْنَبَائِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي وَائِلَةَ قَالَ كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ النَّاجِمِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ سُلَيْمَانَ بِخَيْرِ الْوَاقِعَةِ وَ مَا نَزَلَ بِهِ وَ انْهَزَامِهِ إِلَى الْمِذَارِ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ فَضَّ الْكِتَابَ وَ وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى ذِكْرِ الْهَزِيمَةِ حَتَّى انْحَلَّ وَ كَاءَ بَطْنِهِ فَنهَضَ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ عَادَ.

فَلَمَّا اسْتَوَى بِهِ مَجْلِسُهُ أَخَذَ الْكِتَابَ وَ تَأَمَّلَهُ فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْهَضَهُ أَوَّلًا فَنهَضَ لِحَاجَتِهِ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ أَشُكَّ فِي عِظَمِ الْمُصِيبَةِ وَ كَرِهْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ تَجَاسَرْتُ فَقُلْتُ أَلَيْسَ هَذَا كِتَابُ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى قَالَ بَلَى وَرَدَ بِقَاصِمِهِ الظُّهْرَ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ أَنَاخُوا عَلَيْهِ أَوْقَعُوا بِهِ وَقَعَهُ لَمْ تَبْقَ مِنْهُ وَ لَمْ تَذَرْ فَكَتَبَ كِتَابَهُ هَذَا وَ هُوَ بِالْمِذَارِ وَ لَمْ يُسَلِّمْ بِشَيْءٍ غَيْرِ نَفْسِهِ قَالِ فَمَا كَبُرَتْ ذَلِكَ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أُخْفِيَ مِنَ السُّرُورِ الَّذِي وَصَلَ إِلَى قَلْبِي قَالَ وَ صَبَرَ عَلَيَّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى مَكْرُوهِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَ جَعَلَ يُظْهِرُ الْجِلْدَ وَ كَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ يُحَدِّثُهُ مِثْلَ الَّذِي نَزَلَ بِالشَّعْرَانِيِّ وَ يَأْمُرُهُ بِالتَّيَقُّظِ فِي أَمْرِهِ وَ حِفْظِ مَا قَبْلَهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لِأَبِي أَحْمَدَ بَعْدَ ذَلِكَ هَمٌّ إِلَّا فِي طَلَبِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ فَاتَتْهُ طَلَانِعُهُ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ بِالْحَوَانِيتِ فَقَدَّمَ أَمَامَهُ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ فَانْتَهَى إِلَى الْحَوَانِيتِ فَلَمْ يَجِدْ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ بِهَا وَ أَلْفِي هُنَاكَ مِنْ قَوَادِ السُّودَانِ الْمُشْتَهَرِينَ بِالْبَأْسِ وَ النَّجْدَةِ الْقَائِدِينَ الْمَعْرُوفِينَ أَحَدُهُمَا بِشَبَلٍ وَ الْآخَرُ بِأَبِي النَّدَى (١) وَ هُمَا مِنْ قُدَمَاءِ

ص: ١٧٢

أَصْحَابِ النَّاجِمِ الَّذِينَ كَانَ قَوْدَهُمْ فِي بَدْءِ مَخْرَجِهِ وَكَانَ سُلَيْمَانُ قَدْ خَلَفَ هَذَيْنِ الْقَائِدَيْنِ بِالْحَوَانِيتِ لِحِفْظِ غَلَاتٍ كَثِيرَةٍ كَانُوا قَدْ أَخَذُوهَا فَحَارَبَهُمَا أَبُو الْعَبَّاسِ فَقَتَلَ مِنْ رِجَالِهِمَا وَجَرَحَ بِالسَّهَامِ خَلْقًا كَثِيرًا وَكَانُوا أَجْلَمَدَ رِجَالِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ وَنُخِبَتْهُمْ الَّذِينَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ وَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ وَبَيْنَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَى أَنْ حَجَزَ اللَّيْلُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَرَمَى أَبُو الْعَبَّاسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كُرْكِيًا طَائِرًا فَوَقَعَ بَيْنَ الزَّنَجِ وَالسَّهْمِ فِيهِ فَقَالُوا هَذَا سَهْمُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَأَصَابَهُمْ مِنْهُ دَعْرٌ وَاسْتَأْمَنَ فِي هَذَا الْيَوْمِ بَعْضُهُمْ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَسَأَلَهُ عَنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مُقِيمٌ بِمَدِينَةِ الَّتِي بَنَاهَا بِطَهَيْثَا فَانصَرَ رَفَ أَبُو الْعَبَّاسِ حِينَئِذٍ إِلَى أَبِيهِ بِحَقِيقَةِ مَقَامِ سُلَيْمَانَ وَ أَنَّ مَعَهُ هُنَالِكَ جَمِيعَ أَصْحَابِهِ إِلَّا شَبَلًا وَ أَبَا النَّدَى فَإِنَّهُمَا بِالْحَوَانِيتِ لِحِفْظِ الْغَلَاتِ الَّتِي حَوَّوَهَا فَأَمَرَ حِينَئِذٍ أَبُو أَحْمَدَ أَصْحَابَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى طَهَيْثَا وَ وَضَعَ الْعَطَاءَ فَأَعْطَى عَسَاكِرَهُ وَ شَخَّصَ مُصَاعِدًا إِلَى بَرْدُودَا لِيُخْرِجَ مِنْهَا إِلَى طَهَيْثَا إِذْ كَانَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَيْهَا إِلَّا بِذَلِكَ فَظَنَّ عَسَاكِرُهُ أَنَّهُ هَارَبَ وَ كَادُوا يَنْفُضُونَ لَوْ لَا أَنَّهُمْ عَرَفُوا حَقِيقَةَ الْحَالِ فَانْتَهَى إِلَى الْقَرْيَةِ بِالْحُوذِيَّةِ وَ عَقَدَ جَسِرًا عَلَى النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِمَهْرُودَ وَ عَبَّرَ عَلَيْهِ الْخَيْلَ وَ سَارَ إِلَى أَنْ صَارَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَدِينَةِ سُلَيْمَانَ الَّتِي سَمَّاهَا الْمَنْصُورَةَ بِطَهَيْثَا مِيلَانِ فَأَقَامَ هُنَاكَ بَعْضَ كَرِهِ وَ مَطَرَتِ السَّمَاءُ مَطَرًا جُودًا وَ اشْتَدَّ الْبُرْدُ أَيَّامَ مَقَامِهِ هُنَاكَ فَشُغِلَ بِالْمَطَرِ وَ الْبُرْدِ عَنِ الْحَرْبِ فَلَمَّ يُحَارِبُ فَلَمَّا فَتَرَ رَكَبَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوَادِهِ وَ مَوَالِيهِ لِارْتِيَادِ مَوْضِعٍ لِمَحَالِ الْخَيْلِ فَانْتَهَى إِلَى قَرِيبٍ مِنْ سُورِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَتَلَقَّاهُ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَ خَرَجَ عَلَيْهِ كَمَنَاءٌ مِنْ مَوَاضِعَ شَتَّى وَ نَشِبَتِ الْحَرْبُ وَ اشْتَدَّتْ فَتَرَجَّلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ وَ دَافَعُوا حَتَّى خَرَجُوا عَنِ الْمَضَائِقِ الَّتِي كَانُوا أَوْغَلُوهَا وَ أُسِرَ مِنْ غِلْمَانِ أَبِي أَحْمَدَ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ وَصَيْفُ الْعَلَمِ دَارٍ وَ عِدَّةٌ مِنْ قَوَادِ زِيرَكٍ وَ قُتِلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَحْمَدُ بْنُ مَهْدِيٍّ الْجُبَّائِيُّ أَحَدُ الْقَوَادِ الْعُظَمَاءِ مِنَ الزَّنَجِ رَمَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ أَحَدَ مَنْخَرِيهِ حَتَّى خَالَطَ دِمَاغَهُ فَخَرَّ صَرِيعًا وَ حُمِلَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَ هُوَ حَيٌّ فَسَأَلَ أَنْ يُحْمَلَ

إِلَى النَّاجِمِ فَحَمَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى نَهْرِ أَبِي الْخَصَبِ إِلَى مَدِينَةِ النَّاجِمِ الَّتِي سَمَّاهَا الْمُخْتَارَةَ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ عَلَى مِا بِهِ
فَعَظَمَتِ الْمُصَيْبَةُ عَلَيْهِ بِهِ إِذْ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَصْحَابِهِ غَنَاءً وَ أَشَدَّهُمْ تَصَبُّراً لِإِطَاعَتِهِ فَمَكَثَ الْجُبَّائِيُّ يُعَالِجُ هُنَاكَ أَيَّاماً ثُمَّ هَلَكَ
فَاشْتَدَّ جَزَعُ النَّاجِمِ عَلَيْهِ وَ صَارَ إِلَيْهِ فَوَلَّى غُسْلَهُ وَ تَكْفِينَهُ وَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَ الْوُقُوفَ عَلَى قَبْرِهِ إِلَى أَنْ دُفِنَ ثُمَّ أُقْبِلَ عَلَى أَصْحَابِهِ
فَوَعَظَهُمْ وَ ذَكَرَ مَوْتَ الْجُبَّائِيِّ وَ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي لَيْلِهِ ذَاتِ رُغُودٍ وَ بُرُوقٍ.

فَقَالَ فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ لَقَدْ سَمِعْتُ وَقْتُ قَبْضِ رُوحِهِ زَجَلَ الْمَلَائِكَةُ بِالْإِدْعَاءِ لَهُ وَ التَّرْحُمِ عَلَيْهِ وَ انْصَرَفَ مِنْ دَفْنِهِ مُنْكَسِراً عَلَيْهِ الْكَآبَةُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَبُو أَحْمَدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ الْوَقْعَةِ غَادَاهُمْ بُكَرَةُ الْعَدِ وَ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ كَتَائِبَ فُرْسَانَ وَ رَجَالَهِ وَ أَمَرَ بِالشَّدَا وَ
السُّمَيْرِيَّاتِ أَنْ يُسَارَ بِهَا مَعَهُ فِي النَّهْرِ الَّذِي يُسَمَّى مَدِينَةَ طَهِيثًا وَ هُوَ النَّهْرُ الْمَعْرُوفُ بِنَهْرِ الْمُنْدَرِ وَ سَارَ نَحْوَ الزُّنْجِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى
سُورِ الْمَدِينَةِ قَرِيبِ قَوَادِ غُلْمَانِهِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَخَافُ خُرُوجَ الزُّنْجِ عَلَيْهِ مِنْهَا وَ قَدَّمَ الرَّجَالَهِ أَمَامَ الْفُرْسَانِ وَ نَزَلَ فَصَلَّى أَرْبَعَ
رَكَعَاتٍ وَ ابْتَهَلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّضِيرِ وَ الدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ ثُمَّ دَعَا بِسِلَاحِهِ فَلَبِسَهُ وَ أَمَرَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى السُّورِ وَ
يَحْضُ الْغُلْمَانَ عَلَى الْحَرْبِ فَفَعَلَ وَ قَدْ كَانَ سَيْلِيمَانُ بْنُ جَامِعٍ أَعْيَدَ أَمَامَ سُورِ الْمَدِينَةِ الَّتِي سَمَّاهَا الْمَنْصُورَةَ حُنْدَقاً فَلَمَّا انْتَهَى
الْغُلْمَانُ إِلَيْهِ تَهَيَّبُوا عُبُورَهُ وَ أَحْجَمُوا عَنْهُ فَحَرَّضَهُمْ قَوَادِهِمْ وَ تَرَجَّلُوا مَعَهُمْ فَافْتَحَمُوهُ مُتَجَاسِرِينَ عَلَيْهِ فَعَبَّرُوهُ وَ انْتَهَوْا إِلَى الزُّنْجِ وَ
هُم مُشْرِفُونَ مِنْ سُورِ مَدِينَتِهِمْ فَوَضَعُوا السَّلَاحَ فِيهِمْ وَ عَبَّرَتْ شِرْذِمَتُهُ مِنَ الْفُرْسَانِ الْحُنْدَقَ حَوْضاً فَلَمَّا رَأَى الزُّنْجُ حَبْرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
لَقَوْهُمْ وَ جَزَأَتْهُمْ عَلَيْهِمْ وَلَوْ مُنْهَرِمِينَ وَ اتَّبَعَهُمْ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ وَ دَخَلُوا

الْمَدِينَةَ مِنْ جَوَانِبِهَا وَكَانَ الزُّنْجُ قَدْ حَصَّنُوهَا بِخَمْسَةِ خَنَادِقَ وَجَعَلُوا أَمَامَ كُلِّ خَنَادِقٍ مِنْهَا سُورًا يَمْتَنِعُونَ بِهَا فَجَعَلُوا يَقْفُونَ عِنْدَ كُلِّ سُورٍ وَخَنَادِقٍ انْتَهَوْا إِلَيْهِ وَأَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ يَكْتَشِفُونَهُمْ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَقَفُوهُ وَدَخَلَتِ الشَّدَا وَالسَّمِيرِيَّاتُ مَدِينَتَهُمْ مَشْحُونَةً بِالْغُلَمَانِ الْمُقَاتِلَةِ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي يَشُقُّهَا بَعْدَ انْهِيَاؤِهِمْ فَأَعْرَقَتْ كُلَّ مَا مَرَّتْ بِهِ لَهُمْ مِنْ شَدَاهٍ أَوْ سَمِيرِيَّةٍ وَأَتْبَعُوا مَنْ تَجَافَى النَّهْرَ مِنْهُمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْشُرُونَ حَتَّى أَجْلَوْهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ وَعَمَّا يَتَّصِلُ بِهَا وَكَانَ ذَلِكَ زُهَاءً فَرَسِيخَ فَحَوَى أَبُو أَحْمَدَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَأَفَلَتْ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَاسْتَحَرَّ الْقَتِيلُ فِيهِمْ وَالْأَسِيرُ وَاسْتَنْقَذَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ وَاِسْطٍ وَصِيبَانِهِمْ وَمَا أَتَّصَلَ بِدَلِكِ مِنَ الْقُرَى وَنَوَاحِي الْكُوفَةِ زُهْيَاءَ عَشْرَةَ آلَافٍ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ بِحِيَابَتِهِمْ وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ وَحَمَلُوا إِلَى وَاِسْطٍ فَدَفَعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ وَاحْتَوَى أَبُو أَحْمَدَ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ مِنَ الذَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَطْعَمَةِ وَالْمَوَاشِي فَكَانَ شَيْئًا جَلِيلَ الْقَدْرِ فَأَمَرَ بِبَيْعِ الْغَلَّاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُرُوضِ وَصَرَفَهُ فِي أُعْطِيَاتِ عَسْكَرِهِ وَمَوَالِيهِ وَأَسَرَ مِنْ نِسَاءِ سُلَيْمَانَ وَأَوْلَادِهِ عِدَّةً وَاسْتَنْقَذَ يَوْمَئِذٍ وَصَيْفُ الْعَلَمِ دَارٍ وَمَنْ كَانَ أَسِيرَهُ الزُّنْجُ مَعَهُ فَأُخْرِجُوا مِنَ الْحَبْسِ قَدْ كَانَ الزُّنْجُ أَعْجَلَهُمُ الْأَمْرَ عَنْ قَتْلِهِ وَقَتْلِهِمْ وَأَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ بِطَهِيثَا سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَأَمَرَ بِهَيْدَمِ سُورِ الْمَدِينَةِ وَطَمَّ خَنَادِقَهَا ففَعَلَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِتَبْيِخِ مَنْ لَجَأَ مِنْهُمْ إِلَى الْأَجَامِ وَجَعَلَ لِكُلِّ مَنْ أَتَاهُ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ جُعْلًا فَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى طَلَبِهِمْ فَكَانَ إِذَا أَتَى بِالْوَاحِدِ مِنْهُمْ خَلَعَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَصَمَّهُ إِلَى قُوَادِ غُلَمَانِهِ لِمَا دَبَّرَ مِنَ اسْتِمَالَتِهِمْ وَصَرَفَهُمْ عَنْ طَاعَةِ صَاحِبِهِمْ وَنَدَبَ نَصِيرًا صَاحِبَ الْمَاءِ فِي شَدَا وَسَمِيرِيَّاتٍ لَطَلَبِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ وَالْهَارِبِينَ مَعَهُ مِنَ الزُّنْجِ وَغَيْرِهِمْ وَأَمَرَهُ بِالْجِدِّ فِي اتِّبَاعِهِمْ حَتَّى يُحَاوِزَ الْبَطَائِحَ وَحَتَّى يُلَاحِظَ دِجْلَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْعَوْرَاءِ وَتَقْدَمَ إِلَيْهِ فِي فَتْحِ السُّكُورِ (١) الَّتِي كَانَ سُلَيْمَانُ أَحَدَثَهَا لِيَقْطَعَ بِهَا الشَّدَا عَنْ دِجْلَةَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي الْخَصِيبِ وَتَقَدَّمَ إِلَى

ص: ١٧٥

(١-١) السكور: جمع سكر بالكسر؛ وهو ما سد به النهر.

زِيرَكَ فِي الْمَقَامِ بَطْهَيْشًا فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيَتَرَجَعَ إِلَيْهَا الَّذِينَ كَانُوا سُلَيْمَانَ أَجْلَاهُمْ عَنْهَا مِنْ أَهْلِهَا فَلَمَّا أَحْكَمَ مَا أَرَادَ إِحْكَامَهُ تَرَجَعَ بَعْدَ عَسْكَرِهِ مُزْمِعًا عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى الْأَهْوَازِ لِيُضِلِّحَهَا وَ قَدْ كَانَ قَدَّمَ أَمَامَهُ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيِّ وَ كَوْنِهِ اسْتَوْلَى عَلَى مُعْظَمِ كُورِ الْأَهْوَازِ وَ دَوَّخَ جُيُوشَ السُّلْطَانِ هُنَاكَ وَ أَوْقَعَ بِهِمْ وَ غَلَبَ عَلَى مُعْظَمِ تَلْسِكِ النَّوَاحِي وَ الْأَعْمَالِ.

فَلَمَّا تَرَجَعَ أَبُو أَحْمَدَ وَافَى بَرْدُودًا فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا وَ أَمَرَ بِإِعْدَادِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْمَسِيرِ عَلَى الظُّهْرِ إِلَى الْأَهْوَازِ وَ قَدَّمَ أَمَامَهُ مَنْ يُصْلِحُ الطُّرُقَ وَ الْمَنَازِلَ وَ يُعِدُّ فِيهَا الْمِيرَةَ لِلجُيُوشِ الَّتِي مَعَهُ وَ وَافَاهُ قَبْلَ أَنْ يَزْحَلَ عَنْ وَاسِطِ زِيرَكَ مُنْصِرِفًا عَنْ طَهَيْشًا بَعْدَ أَنْ تَرَجَعَ إِلَى النَّوَاحِي الَّتِي كَانَتْ بِهَا الزَّنْجُ أَهْلُهَا وَ خَلَفَهُمْ آمِنِينَ فَأَمَرَهُ أَبُو أَحْمَدَ بِالِاسْتِعْدَادِ وَ الْإِنْجَادِ فِي الشَّدَا وَ السَّمِيرِيَّاتِ فِي نُحْبِهِ عَسْكَرِهِ وَ أَنْجَادِهِمْ فَيَصِيرُ بِهِمْ إِلَى دِجْلَةَ الْعُورَاءِ فَتَجْتَمِعُ يَدُهُ وَ يَدُ نَصِيرِ صَاحِبِ الْمَاءِ عَلَى نَقْضِ دِجْلَةَ وَ إِتْبَاعِ الْمُنْهَزِمِينَ مِنَ الزَّنْجِ وَ الْإِيْقَاعِ بِكُلِّ مَنْ لَقُوا مِنْ أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِمْ الْمَسِيرُ إِلَى مَدِينَةِ النَّاجِمِ بِنَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ فَإِنْ رَأَوْا مَوْضِعَ حَرْبٍ حَارَبُوهُ فِي مَدِينَةٍ وَ كَتَبُوا بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ لِيُرَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَعْمَلُونَ بِحَسَبِهِ.

وَ اسْتِخْلَفَ أَبُو أَحْمَدَ عَلَى مَنْ خَلَفَهُ مِنْ عَسْكَرِهِ بِوَاسِطِ ابْنِهِ هَارُونَ وَ أَرْمَعَ عَلَى الشُّخُوصِ فِي خِفِّ (١) مِنْ رِجَالِهِ وَ أَصْحَابِهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ بَعِيدًا أَنْ تَقَدَّمَ إِلَى ابْنِهِ هَارُونَ فِي أَنْ يُحْدِثَ الْجَيْشَ الَّذِي خَلَفَهُ مَعَهُ فِي السُّفْنِ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ بِدِجْلَةَ إِذَا وَافَاهُ كِتَابُهُ بِذَلِكَ وَ انْزَحَلَ شَاخِصًا مِنْ وَاسِطِ الْأَهْوَازِ وَ كُورِهَا فَنَزَلَ بِأَذِينِ إِلَى الطَّيِّبِ إِلَى قُرُقُوبِ إِلَى وَادِي السُّوسِ وَ قَدْ كَانَ عَقْدَ لَهُ عَلَيْهِ جَسِيرٌ فَأَقَامَ بِهِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ حَتَّى عَبَرَ عَسْكَرَهُ أَجْمَعٌ ثُمَّ سَارَ حَتَّى وَافَى السُّوسَ فَنَزَلَهَا وَ قَدْ كَانَ أَمْرٌ مَسِيرُورًا الْبُلْخِيِّ وَ هُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْأَهْوَازِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ فَوَافَاهُمْ فِي جَيْشِهِ وَ قُوَادِهِ مِنْ غَدِ الْيَوْمِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ السُّوسَ

ص: ١٧٦

فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَ أَقَامَ بِالسُّوسِ ثَلَاثًا وَ كَانَ مِمَّنْ أَسْرَ مِنَ الزُّنْجِ بَطْهَيْتَا أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ سَعِيدِ الْبَصْرِيِّ الْمَعْرُوفُ بِالْقُلُوصِ وَ كَانَ قَائِدًا جَلِيلًا عِنْدَهُمْ وَ أَحَدُ عَدَدِ النَّاجِمِ وَ مِنْ قُدَمَاءِ أَصْحَابِهِ أُسْرَ بَعْدَ أَنْ أُتِخِنَ جِرَاحَاتٍ كَانَتْ فِيهَا مَيْتَةٌ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ بِاخْتِرَازِ رَأْسِهِ وَ نَصَبِهِ عَلَى جَسِيرٍ وَاسِطٍ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ اتَّصَلَ بِالنَّاجِمِ خَبْرٌ هَيْدِهِ الْوَقْعَهُ بِطْهَيْتَا وَ عَلِمَ مَا نِيلَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَانْتَقَضَ عَلَيْهِ تَدْبِيرُهُ وَ ضَلَّتْ حِيلَتُهُ فَحَمَلَهُ الْهَلْعُ إِلَى أَنْ كَتَبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِيَانَ الْمُهَلَّبِيِّ وَ هُوَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمٌ بِالْأَهْوَازِ فِي زُهَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا يَأْمُرُهُ بِتَرْكِ كُلِّ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمِيرَةِ وَ الْأَثَاثِ وَ الْأَقْبَالِ إِلَيْهِ بِجَمِيعِ جُبُوشِهِ فَوَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الْمُهَلَّبِيِّ وَ قَدْ آتَاهُ الْخَبْرُ بِإِقْدَامِ أَبِي أَحْمَدَ إِلَى الْأَهْوَازِ وَ كُورِهَا فَهُوَ لِذَلِكَ طَائِرُ الْعَقْلِ فَقَرَأَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَحْفَظُهُ فِيهِ حَفْزًا بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ فَتَرَكَ جَمِيعَ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْكَرْتَبَائِيِّ فَلَمَّا شَخَّصَ الْمُهَلَّبِيُّ عَنْهُ لَمْ يَثْبُتْ وَ لَمْ يَقُمْ لِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْوَجَلِ وَ تَرَادَفِ الْأَخْبَارِ بِوُصُولِ أَبِي أَحْمَدَ إِلَيْهِ فَأَخْلَى مَا اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ وَ تَبَعَ الْمُهَلَّبِيُّ وَ بِالْأَهْوَازِ يَوْمَئِذٍ وَ نَوَاحِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْجُوبِ وَ التَّمْرِ وَ الْمَوَاشِي شَيْءٌ عَظِيمٌ فَخَرَجُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَ كَتَبَ النَّاجِمُ أَيْضًا إِلَى بُهْبُودِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْقَائِدِ وَ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ الْأَعْمَالُ الَّتِي بَيْنَ الْأَهْوَازِ وَ فَارِسَ يَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ بَعْدَ كَرِهِ فَتَرَكَ بُهْبُودٌ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَ التَّمْرِ وَ الْمَوَاشِي فَكَانَ ذَلِكَ شَيْئًا عَظِيمًا فَحَوَى جَمَعَ ذَلِكَ أَبُو أَحْمَدَ فَكَانَ قُوَّةَ لَهُ عَلَى النَّاجِمِ وَ ضَعْفًا لِلنَّاجِمِ. وَ لَمَّا رَحَلَ الْمُهَلَّبِيُّ عَنِ الْأَهْوَازِ بَثَّ أَصْحَابَهُ فِي الْقُرَى الَّتِي بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَدِينَةِ النَّاجِمِ فَانْتَهَبُوهَا وَ أَجْلَوْا عَنْهَا أَهْلَهَا وَ كَانُوا فِي سَلْمِهِمْ وَ تَخَلَّفَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَ الْمُهَلَّبِيِّ مِنَ الْفُرْسَانِ وَ الرَّجَالِ عَنِ اللَّحَاقِ بِهِ وَ أَقَامُوا بِنَوَاحِي الْأَهْوَازِ وَ كَتَبُوا يَسْأَلُونَ أَبَا أَحْمَدَ

الْأَمِيَانَ لِمَا انْتَهَى عَنْهُ إِلَيْهِمْ مِنْ عَفْوِهِ عَمَّنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّاجِمِ وَكَانَ الَّذِي دَعَا النَّاجِمَ إِلَى أَمْرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَبُهْمُودٍ بِسِرِّهِ الْمَصْرِيَّ إِلَيْهِ خَوْفُهُ مَوَافَاةَ أَبِي أَحْمَدَ بِجِيُوشِهِ إِلَيْهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ الزَّنْجُ عَلَيْهَا مِنَ الْوَجَلِ وَشِدَّةِ الرُّعْبِ مَعَ انْقِطَاعِ الْمُهَلَّبِيِّ وَبُهْمُودٍ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُمَا عَنْهُ وَ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا قَدَّرَ فَإِنَّ أَبَا أَحْمَدَ إِنَّمَا كَانَ قَاصِدًا إِلَى الْأَهْوَازِ فَلَوْ أَقَامَ الْمُهَلَّبِيُّ بِالْأَهْوَازِ وَبُهْمُودٌ بِمَكَانِهِ فِي جِيُوشِهِمَا لَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى دِفَاعِ جَيْشِ أَبِي أَحْمَدَ عَنِ الْأَهْوَازِ وَ أَحْفَظَ لِلْأَمْوَالِ وَالْغُلَاتِ الَّتِي تَرَكَتْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ الْيَدُ قَابِضَةً عَلَيْهَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ حَتَّى أَحْرَزَ الْأَمْوَالَ الَّتِي كَانَ الْمُهَلَّبِيُّ وَبُهْمُودٌ وَخُلَفَاؤُهُمَا تَرَكَوْهَا وَفُتِحَتِ السُّكُورُ الَّتِي كَانَ النَّاجِمُ أَحْمَدُ نَهَا فِي دِجْلَهَ وَ أَصْلَحَتْ لَهُ طُرُقُهُ وَ مَسَالِكُهُ وَ رَحَلَ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ السُّوسِ إِلَى جُنْدِيسَابُورَ فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا وَ قَدْ كَانَتْ الْأَعْلَافُ ضَاقَتْ عَلَى أَهْلِ الْعَسِيكِرِ فَوَجَّهَ فِي طَلِبِهَا وَ حَمَلَهَا وَ رَحَلَ عَنْ جُنْدِيسَابُورَ إِلَى تُسْتَرِ فَأَقَامَ بِهَا لِجَبَايَةِ الْأَمْوَالِ مِنْ كُورِ الْأَهْوَازِ وَ أَنْفَذَ إِلَى كُلِّ كُورِهِ قَائِدًا لِيُرَوِّجَ بِذَلِكَ حَمِيلَ الْمِيَالِ وَ وَجَّهَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْأَصْبَغِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكُرْدِيِّ صَاحِبِ رَامَهُرْمَزَ وَ مَا يَلِيهَا مِنَ الْقِلَاعِ وَالْأَعْمَالِ وَ قَدْ كَانَ مَالًا الْمُهَلَّبِيِّ وَ حَمَلَ إِلَى النَّاجِمِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً وَ أَمْرَهُ بِإِيْنَاسِهِ وَ إِغْلَامِهِ مَا عَلَيْهِ رَأْيُهُ فِي الْعَفْوِ عَنْهُ وَ التَّعْمُدِ لِرَأْيِهِ وَ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي حَمِيلِ الْأَمْوَالِ وَ الْمَسِيرِ إِلَى سُوقِ الْأَهْوَازِ بِجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَوَالِي وَ الْعِلْمَانِ وَ الْجُنْدِ لِيُعْرِضَهُمْ وَ يَأْمُرَ بِإِعْطَانِهِمُ الْأَرْزَاقَ وَ يَنْهَضَهُمْ مَعَهُ لِحَرْبِ النَّاجِمِ فَفَعَلَ وَ أَحْضَرَهُمْ وَ عَرَضُوا رَجُلًا رَجُلًا وَ أُعْطُوا ثُمَّ رَحَلَ إِلَى عَسِيكِرِ مُكْرَمَ فَجَعَلَهُ مَنْرَلَهُ أَيَّامًا ثُمَّ رَحَلَ مِنْهُ فَوَافَى الْأَهْوَازَ وَ هُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْهَا مِنَ الْمِيرَةِ مَا يَحْمِلُ عَسَاكِرَهُ فَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَ غَلِظَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ اضْطَرَبَ النَّاسُ اضْطِرَابًا شَدِيدًا فَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَنْتَظِرُ وَرُودَ الْمِيرَةِ فَلَمْ تَرِدْ فَسَاءَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ وَ كَادَ ذَلِكَ يُفَرِّقُ جَمَاعَتَهُمْ فَبَحَثَ عَنِ السَّبَبِ الْمُؤَخَّرِ لِرُودِهَا

فَوَجِدَ الزَّنَجِ قَدْ كَانُوا قَطَعُوا قَنْطَرَهُ قَدِيمَهُ أُعْجِمِيَهُ كَانَتْ بَيْنَ سُوقِ الْأَهْوَازِ وَ رَامَهُزْمَزْ يُقَالُ لَهَا قَنْطَرُهُ أَرْبَقَ فَاْمْتَنَعَ التُّجَارَ وَ مَنْ كَانَ يَحْمِلُ الْمِيرَةَ مِنَ الْوَرُودِ لِقَطْعِ تَلْعِكِ الْقَنْطَرَةَ فَزَكَبَ أَبُو أَحْمَدَ إِلَيْهَا وَ هِيَ عَلَى فَرْسِيخَيْنِ مِنْ سُوقِ الْأَهْوَازِ فَجَمَعَ مَنْ كَانَ فِي الْعَسَاكِرِ مِنَ السُّودَانِ وَ أَخَذَهُمْ بِنَقْلِ الصَّخْرِ وَ الْحِجَارَةِ لِإِضْيَاحِ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ وَ بَدَلَ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِ الرَّعِيَةِ فَلَمْ يَرْمُ حَتَّى أُضِلَّحَتْ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ وَ رُدَّتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فَسَلَكَهَا النَّاسُ وَ وَافَتِ الْقَوَائِلُ بِالْمِيرَةِ فَحَيَّى أَهْلَ الْعَسَاكِرِ وَ حَسِبْتِ أَحْوَالَهُمْ وَ أَمَرَ بِجَمْعِ السُّفْنِ لِعَقْدِ الْجِسْرِ عَلَى دُجَيْلِ الْأَهْوَازِ فَجَمَعَتْ مِنْ جَمِيعِ الْكُورِ وَ أَقَامَ بِالْأَهْوَازِ أَيَّامًا حَتَّى أُضِلَّحَ أَضْحَابُهُ أُمُورَهُمْ وَ مَا اخْتَبَأُوا إِلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِهِمْ وَ حَسِبْتِ أَحْوَالَ دَوَائِبِهِمْ وَ ذَهَبَ عَنْهَا مَا كَانَ بِهَا مِنَ الضَّرِّ بِتَأْخِرِ الْأَعْلَافِ وَ وَافَتِ كُتُبُ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْمَهَلْبِيِّ وَ أَقَامُوا بَعْدَهُ بِسُوقِ الْأَهْوَازِ يَسْأَلُونَ أَبَا أَحْمَدَ الْأَمَانَ فَأَمَّنَّهُمْ فَأَتَاهُ مِنْهُمْ نَحْوُ أَلْفِ رَجُلٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَ ضَمَّهُمْ إِلَى قَوَادِ غَلْمِيَانِهِ وَ أَجْرَى لَهُمُ الْمَارْزَاقَ وَ عَقَدَ الْجِسْرَ عَلَى دُجَيْلِ الْأَهْوَازِ وَ رَحَلَ بَعِيدًا أَنْ قَدَّمَ جُيُوشَهُ أَمِيَامَهُ وَ عَبَرَ دُجَيْلًا فَأَقَامَ بِالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِقَضِيرِ الْمَأْمُونِ ثَلَاثًا وَ قَدْ كَانَ قَدَّمَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ إِلَى نَهْرِ الْمُبَارَكِ مِنْ فُرَاتِ الْبَصِيرَةِ وَ كَتَبَ إِلَى ابْنِهِ هَارُونَ بِالْإِنْحِدَارِ إِلَيْهِ لِيَجْتَمَعَ الْعَسَاكِرُ هُنَاكَ وَ رَحَلَ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ قَضِيرِ الْمَأْمُونِ إِلَى قُورَجِ الْعَبَّاسِ وَ وَافَاهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْأَصْبَغِ هُنَاكَ بِهَيْدَايَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكُرْدِيِّ صَاحِبِ رَامَهُزْمَزْ مِنْ دَوَابِّ وَ مَالٍ (١) ثُمَّ رَحَلَ عَنِ الْقُورَجِ فَنَزَلَ الْجَعْفَرِيَّةَ وَ لَمْ يَكُنْ بِهَا مَاءً وَ قَدْ كَانَ أَنْفَذَ إِلَيْهَا وَ هُوَ بَعِيدٌ فِي الْقُورَجِ مَنْ حَفَرَ آبَارَهَا فَأَقَامَ بِهَا يَوْمًا وَ لَيْلَةً وَ أَلْفَى بِهَا مِيرًا مَجْمُوعَةً فَاتَّسَعَ الْجُنْدُ بِهَا وَ تَزَوَّدُوا مِنْهَا ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَنْزِلِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَشِيرِ فَأَلْفَى فِيهِ عَدِيرًا مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ فَأَقَامَ بِهِ يَوْمًا وَ لَيْلَةً وَ رَحَلَ إِلَى الْمُبَارَكِ وَ كَانَ مَنْزِلًا بَعِيدَ الْمَسَافَةِ

ص: ١٧٩

(١ - ١) الطبري: «و ضوار و غير ذلك».

فَتَلَقَاهُ ابْنَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ هَيَارُونَ فِي طَرِيقِهِ وَ سَلِمَا عَلَيْهِ وَ سَارَا بِسَيْرِهِ حَتَّى وَرَدَ بِهِمُ الْمَيَّارَكَ وَ ذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَ سِتِّينَ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَمَّا نُصَيْرٌ وَ لَزِيرُكَ فَتَقَدَّ كَانَا اجْتَمَعَا بِدِجْلَةَ الْعَوْرَاءِ وَ انْحَدَرَا حَتَّى وَافِيَا الْأَبْلَةَ بِسَيْفِيهِمَا وَ شَدَاهُمَا فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِمَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّاجِمِ فَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُ قَدْ أَنْفَذَ عَدَدًا كَثِيرًا مِنَ السَّمِيرِيَّاتِ وَ الزَّوَارِيقِ مَسْحُونَةً بِالزَّنَجِ يَرَأُسُهُمْ قَائِدٌ مِنْ قُوَادِهِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَ يُكْنَى أَبُو عَيْسَى . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ جَاءَ بِهِ إِلَى النَّاجِمِ صَاحِبُ شُرْطَتِهِ الْمَعْرُوفِ بِسِسَارٍ وَ اسْتَصْلَحَهُ لِكِتَابَتِهِ فَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ حَتَّى مَاتَ (١) وَ قَدْ كَانَتْ ارْتَفَعَتْ حَالُ أَحْمَدَ بْنِ مَهْدِيٍّ الْجُبَائِيِّ عِنْدَ النَّاجِمِ وَ وِلَاةُ أَكْثَرِ أَعْمَالِهِ فَضَمَّ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ هَذَا إِلَيْهِ فَكَانَ كَاتِبَهُ فَلَمَّا قُتِلَ الْجُبَائِيُّ فِي وَقْعَةِ سُلَيْمَانَ الشَّعْرَانِيِّ طَمَعَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ هَذَا فِي مَرْتَبَتِهِ وَ أَنْ يُحِلَّهُ النَّاجِمُ مَحَلَّهُ فَتَيَّدَ الْقَلَمَ وَ الدَّوَاهِ وَ لَبَسَ آلَةَ الْحَرْبِ وَ تَجَرَّدَ لِلْقِتَالِ فَأَنْهَضَهُ النَّاجِمُ فِي هَذَا الْجَيْشِ وَ أَمَرَهُ بِالْإِعْتِرَاضِ فِي دِجْلَةَ لِمِدَافَعِهِ مَنْ يَرُدُّهَا مِنَ الْجُيُوشِ فَكَانَ (٢) يَدْخُلُهُ أحياناً وَ أحياناً يَأْتِي بِالْجَمْعِ الَّذِي مَعَهُ إِلَى النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِنَهْرِ يَزِيدَ وَ كَانَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ مِنْ قُوَادِ الزَّنَجِ شَيْبَلُ بْنُ سَالِمٍ وَ عَمْرُو الْمَعْرُوفُ بِغُلَامِ بُوذَى (٣) وَ أَخْلَاطُ مِنَ السُّودَانِ وَ غَيْرِهِمْ فَاسْتَأْمَنَ رَجُلٌ مِنْهُمْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ إِلَى لَزِيرُكَ وَ نُصَيْرٍ وَ أَخْبَرَهُمَا خَبْرَهُ وَ أَعْلَمَهُمَا أَنَّهُ عَلَى الْقَصْدِ لِسَوَادِ عَسْكَرِ نُصَيْرٍ وَ كَانَ نُصَيْرٌ يَوْمَئِذٍ مَعْسِكِرًا بِنَهْرِ الْمَرْأَةِ وَ إِنَّهُمْ عَلَى أَنْ يَسْلُكُوا الْأَنْهَارَ الْمُعْتَرِضَةَ عَلَى نَهْرِ مَعْقِلٍ وَ بَثْقِ

ص : ١٨٠

١-١) الطبري: «فكان يكتب ليسار على ما يلي حتى مات».

٢-٢) الطبري: «فكان في دجله أحياناً».

٣-٣) كذا في الطبري.

شِيرِينَ حَتَّى يُؤَافُوا الشَّرْطَةَ وَ يَخْرُجُوا مِنْ وَرَاءِ الْعَسِيكِ فَيَكْتَبُوا عَلَى مَنْ فِيهِ فَرَجٌ نُصَيْرٌ عِنْدَ وُصُولِ هَذَا الْخَبَرِ إِلَيْهِ مِنَ الْأَبْلِهِ مُبَارِزاً إِلَى عَسِيكِرِهِ وَ سِيَارَ لَزِيرِكُ قَاصِدًا بِثِقِ شِيرِينَ مُعَارِضاً لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فَلَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ فَوَهَبَ اللَّهُ لَهُ الْعُلُوَّ عَلَيْهِ بَعِيدَ صَبْرٍ مِنَ الزَّنْجِ لَهُ وَ مُجَاهَدَهُ شَدِيدَهُ فَانْهَرَمُوا وَ لَجُّوا إِلَى النَّهْرِ الَّذِي فِيهِ كَمِينُهُمْ وَ هُوَ نَهْرٌ يَزِيدُ فَدَلَّ لَزِيرِكُ عَلَيْهِمْ فَتَوَعَّلَتْ إِلَيْهِمْ سُمَيْرِيَّاتُهُ (١) فَقَتِلَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ وَ أُسِرَ طَائِفَةٌ فَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِيْمَنْ أُسِرَ وَ عَمْرُو غُلَامٌ بُودَى وَ أَخَذَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ السُّمَيْرِيَّاتِ وَ هِيَ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سُمَيْرِيَّةً وَ أَفَلَتْ شَبْلُ بْنُ سَالِمٍ فِي الَّذِينَ نَجَوْا مَعَهُ فَلَحِقَ بِعَسَاكِرِ النَّاجِمِ وَ خَرَجَ لَزِيرِكُ فِي بَثْقِ شِيرِينَ سَالِمًا ظَافِرًا وَ مَعَهُ الْأَسِيَارَى وَ رُءُوسُ الْقَتْلَى مَعَ مَا حَوَى مِنَ السُّمَيْرِيَّاتِ وَ السُّفْنِ وَ انْصَرَفَ مِنْ دِجْلَةَ الْعُرَاقِ إِلَى وَاسِطٍ وَ كَتَبَ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ بِالْفَتْحِ وَ عَظَّمَ الْجَزْعَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ بِدِجْلَةَ وَ كُورِهَا مِنْ أَتْبَاعِ النَّاجِمِ فَاسْتَأْمَنَ إِلَى نُصَيْرٍ صَاحِبِ الْمَاءِ وَ هُوَ مُقِيمٌ حِينَدِ بَنَهْرِ الْمَرَاهِ زُهَاءً أَلْفَى رَجُلٍ مِنَ الزَّنْجِ وَ أَتْبَاعُهُمْ.

فَكَتَبَ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ بِخَبْرِهِمْ فَأَمَرَهُ بِقَبُولِهِمْ وَ إِقْرَارِهِمْ عَلَى الْأَمَانِ وَ إِجْرَاءِ الْأَزْرَاقِ عَلَيْهِمْ وَ خَلَطَهُمْ بِأَصْحَابِهِ وَ مُنَاهَضِهِ الْعِيدُ وَ بِهِمْ ثُمَّ كَتَبَ إِلَى نُصَيْرٍ يَأْمُرُهُ بِالْإِقْبَالِ إِلَيْهِ إِلَى نَهْرِ الْمُبَارَكِ فَوَافَاهُ هُنَالِكَ.

وَ قَدْ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ إِلَى نَهْرِ الْمُبَارَكِ انْحَدَرَ إِلَى عَسِيكِ النَّاجِمِ فِي الشَّدَا فَأَوْقَعَ بِهِمْ فِي مَدِينَتِهِ بَنَهْرِ أَبِي الْخَصِيْبِ فَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ الظُّهْرِ.

وَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ قَائِدٌ جَلِيلٌ مِنْ قَوَادِ النَّاجِمِ مِنَ الْمُضْمُومِينَ كَانُوا إِلَى سَلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ يُقَالُ لَهُ مُنْتَابٌ وَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا كَسَرَ مِنَ النَّاجِمِ وَ انْصَرَفَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِالظَّفَرِ وَ خَلَعَ عَلَى مُنْتَابِ الزَّنْجِيِّ وَ وَصَلَهُ وَ حَمَلَهُ فَلَمَّا لَقِيَ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ خَبْرَهُ وَ ذَكَرَ

ص: ١٨١

إِلَيْهِ خُرُوجُهُ إِلَيْهِ فِي الْأَمَانِ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ لَهُ بِخَلْعِ وَصَلَمِهِ وَحُمْلَانٍ وَكَانَ مُنْتَابٌ أَوَّلَ مَنْ اسْتَأْمَنَ مِنْ جُحْمِهِ قُوَادِ النَّاجِمِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ لَمَّا نَزَلَ أَبُو أَحْمَدَ نَهَرَ الْمُبَارَكِ (١) كَانَ أَوَّلَ مَا عَمِلَ بِهِ فِي أَمْرِ النَّاجِمِ أَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا ارْتَكَبَ مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ وَانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ وَإِحْرَابِ الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَاسْتِحْلَالِ الْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ وَانْتِحَالِ مَا لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ لَهُ أَهْلًا مِنَ التُّبُوهِ وَالْإِمَامَةِ وَ يُعَلِّمُهُ أَنْ التَّوْبَةَ لَهُ مَبْسُوطَةٌ وَالْأَمَانَ لَهُ مَوْجُودٌ فَإِنْ نَزَعَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَسِيْخُطُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَ دَخَلَ فِي جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مَحِيًا ذَلِكُكَ مَا سَلَفَ مِنْ عَظِيمِ جَرَائِمِهِ وَ كَانَ لَهُ بِهِ الْحِطُّ الْجَزِيلُ فِي ذُنُوبِهِ وَ آخِرَتِهِ وَ أَنْفَذَ ذَلِكُكَ إِلَيْهِ مَعَ رَسُولٍ فَالْتَمَسَ الرَّسُولُ إِيْصَالَهُ إِلَيْهِ فَامْتَنَعَ الزُّنْجُ مِنْ قَبُولِ الْكِتَابِ وَ مِنْ إِيْصَالِهِ إِلَى صَاحِبِهِمْ فَالْقَى الرَّسُولُ الْكِتَابَ إِلَيْهِمْ الْقَاءَ فَأَخَذُوهُ وَ أَنْوَأَ بِهِ صِيْحَابُهُمْ فَفَرَّاهُ وَ لَمْ يُجِبْ عَنْهُ بِشَيْءٍ وَ رَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ فَأَخْبَرَهُ فَأَقَامَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ مُتَشَاغِلًا بَعْرَضِ الشُّفَنِ وَ تَرْتِيبِ الْقَوَادِ وَ الْمَوَالِي وَ الْعِلْمَانِ فِيهَا وَ تَخْيِيرِ الرُّمَاهِ وَ انْتِخَابِهِمْ لِلْمَسِيرِ بِهَا.

ثُمَّ سَارَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ فِي أَصْحَابِهِ وَ مَعَهُ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى مَدِينَةِ النَّاجِمِ (٢) الَّتِي سَمَّاهَا الْمُخْتَارَةَ مِنْ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيْبِ فَأَشْرَفَ عَلَيْهَا وَ تَأَمَّلَهَا فَرَأَى مَنَعَتَهَا وَ حَصَانَتَهَا بِالسُّورِ وَ الْخَنَادِقِ الْمُحِيطَةِ بِهَا وَ غَوْرَ (٣) الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَ إِلَيْهَا وَ مَا قَدْ أَعَدَّ (٤) مِنَ الْمَجَانِيْقِ

ص: ١٨٢

١-١) الطبري: «و لما نزل أبو أحمد نهر المبارك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع و ستين و مائتين».

٢-٢) الطبري: «فلما كان يوم الخميس سار أبو أحمد في أصحابه و معه ابنه أبو العباس إلى مدينة الخبيث».

٣-٣) الطبري: «و ما عور من الطرق المؤديه لها».

٤-٤) الطبري: «و أعد».

وَالْعَرَادَاتِ (١) وَالْقِسَى النَّوَكِيَّةِ وَسَائِرِ الْأَلَاتِ عَلَى سُورِهَا فَرَأَى مَا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ مِمَّنْ تَقَدَّمَ مِنْ مُنَازِعِي السُّلْطَانِ وَرَأَى مِنْ كَثْرِهِ عَدَدِ مُقَاتِلَتِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ مَا اسْتَغْلَظَ أَمْرُهُ.

وَلَمَّا عَايَنَ الزُّنْجُ أَبَا أَحْمَدَ وَأَصِيحَابَهُ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِمَا ارْتَجَّتْ لَهُ الْأَرْضُ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالتَّكْدِيمِ إِلَى سُورِ الْمَدِينَةِ وَرَشَقَ مَنْ عَلَيْهِ بِالسَّهَامِ فَفَعَلَ وَدَنَا حَتَّى أَلْصَقَ شِدْوَاتِهِ بِمُسَيِّنَاتِهِ قَصْرِ النَّاجِمِ وَانْحَازَ الزُّنْجُ بِأَسْرِهِمْ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي دَنَتْ مِنْهُ الشُّدَا وَتَحَاشَدُوا وَتَيَابَعَتْ سَهَامُهُمْ وَحِجَارَةُ مَنْجَنِيقاتِهِمْ وَعَرَادَاتِهِمْ وَمَقَالِيعِهِمْ وَرَمَى عَوَامُّهُمْ بِالْحِجَارَةِ عَنْ أَيْدِيهِمْ حَتَّى مَا يَقَعُ طَوْفٌ نَاطِرٍ عَلَى مَوْضِعٍ إِلَّا رَأَى فِيهِ سَهْمًا أَوْ حَجْرًا.

وَتَبَتَ أَبُو الْعَبَّاسِ فَرَأَى النَّاجِمَ وَأَشْيَاعَهُ مِنْ جَهْدِهِمْ وَاجْتِنَاهِدِهِمْ وَصَبْرِهِمْ مَا لَا عَهْدَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ مِنْ أَحَدٍ مِمَّنْ حَارَبَهُمْ وَحِينَئِذٍ أَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالرُّجُوعِ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ لِيُرَوْحُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيُدَاوُوا جُرُوحَهُمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَاسْتَأْمَنَ فِي هَذِهِ الْحِجَالِ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ مُقَاتِلَانِ مِنْ مُقَاتِلَةِ السُّمَيْرِيَّاتِ مِنَ الزُّنْجِ فَأَتِيَاهُ بِسُمَيْرِيَّاتِهِمَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَلَّاحِينَ وَالْأَلَاتِ فَأَمَرَ لَهَا بِخَلْعِ دِيبَاجٍ وَمَنَاطِقِ مُحَلَّاهِ بِالذَّهَبِ وَوَصَلَهُمَا بِمَالٍ وَأَمَرَ لِلْمَلَّاحِينَ بِخَلْعِ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَحْمَرِ وَالْأَخْضَرِ الَّتِي حَسُنَ مَوْقِعُهُ مِنْهُمْ وَعَمَّهُمْ جَمِيعًا بِصَلَاتِهِ وَأَمَرَ بِإِدْنَائِهِمْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّتِي يَرَاهُمْ فِيهِ نَظَرًاؤُهُمْ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَنْجَعِ (٢) الْمَكَائِدِ الَّتِي كِيدَ بِهَا صَاحِبُ الزُّنْجِ فَلَمَّا رَأَى الْبِاقُونَ مَيَا صَارَ إِلَيْهِ أَصِيحَابُهُمْ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ رَغِبُوا فِي الْأَمَانِ وَتَنَافَسُوا فِيهِ فَابْتَدَرَ مِنْهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ مُشِيرِينَ نَحْوَهُ رَاغِبِينَ فِيْمَا شَرَعَ لَهُمْ مِنْهُ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ لَهُمْ بِمِثْلِ مَيَا أَمَرَ بِهِ لِأَصِيحَابِهِ فَلَمَّا رَأَى النَّاجِمُ رُكُونَ أَصِيحَابِ السُّمَيْرِيَّاتِ إِلَى الْأَمَانِ وَرَغْبَتَهُمْ فِيهِ أَمَرَ بِرَدِّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي دِجَلَةَ إِلَى نَهْرِ أَبِي

ص: ١٨٣

(١-١) العراده: شبه المنجنيق؛ إلا أنها صغيرة.

(٢-٢) الطبري: «أبجح».

الْخَصِيْبِ وَوَكَّلَ بِفَوْهِهِ النَّهْرَ مَنْ يَمْنَعُهُمُ الْخُرُوجَ وَ أَمَرَ بِإِظْهَارِ شِدَاوَتِهِ الْخَاصَّةِ وَ نَدَبَ لَهُمْ بُهْبُودَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَ هُوَ مِنْ أَشَدِّ كَيْمَاتِهِ بَأْسًا وَ أَكْثَرِهِمْ عِدَدًا وَ عِدَّةً فَانْتَبَدَ بُهْبُودٌ لِتَدَلِّكَ وَ خَرَجَ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ مِنَ الزَّنَجِ فَكَانَتْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَبِي حَمْزَةَ نَصِيْرٍ صَاحِبِ الْمِيَاءِ وَ بَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ وَقَعَاتٍ شَدِيدَةٍ فِي كُلِّهَا يَطْهَرُ عَلَيْهِ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ ثُمَّ يَعُودُ فَيَزْتَأُسُ وَ يَحْتَسِدُ فَيَخْرُجُ فَيُؤَاقِعُهُمْ حَتَّى صَدَّقُوهُ الْحَرْبَ وَ هَزَمُوهُ وَ أَلْجَأُوهُ إِلَى فِنَاءِ قَصْرِ النَّاجِمِ وَ أَصَابَتْهُ طَعْنَتَانِ وَ جُرِحَ بِالسَّهَامِ وَ أَوْهَنْتَ أَعْضَاءَهُ الْحِجَارَةَ وَ أَوْلَجُوهُ نَهْرَ أَبِي الْخَصِيْبِ وَ قَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ وَ قُتِلَ فَانْتَدَّ جَلِيلٌ مَعَهُ مِنْ قُوَادِ الزَّنَجِ ذُو بَأْسٍ وَ نَجِيْدَةٍ وَ تَقَدَّمَ فِي الْحَرْبِ يُقَالُ لَهُ عَمِيْرَةٌ. وَ اسْتَأْمَنَ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ جَمَاعَةٌ أُخْرَى فَوَصَلَهُمْ وَ حَبَاهُمْ وَ خَلَعَ عَلَيْهِمْ وَ رَكِبَ أَبُو أَحْمَدَ فِي جَمِيعِ جَيْشِهِ وَ هُوَ يَوْمئِذٍ فِي خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَ النَّاجِمُ فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ وَ يُدَافِعُ فَمِنْ ضَارِبِ بَسِيْفٍ وَ طَاعِنِ بَرْمُحٍ وَ رَامٍ بِقَوْسٍ وَ قَادِفٍ بِمِقْلَاعٍ وَ رَامٍ بِعَرَادَةٍ وَ مَنْجْنِيْقٍ وَ أَضْعَفُهُمْ أَمْرُ الرَّمِيَاهِ بِالْحِجَارَةِ عَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ هُمْ النَّظَارَةُ الْمُكْتَبِرُونَ لِلسُّوَادِ وَ الْمُعِينُونَ بِالنَّعِيرِ وَ الصِّيَّاحِ وَ النَّسِيَاءِ يُشْرِكْنَهُمْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا فَأَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ بِإِزَاءِ عَسِيْكَرِ النَّاجِمِ إِلَى أَنْ أَضْحَى وَ أَمَرَ فَنُودِيَ الْأَمِيَانُ مَبْسُوطٌ لِلنَّاسِ أَسْوَدِهِمْ وَ أَحْمَرِهِمْ إِلَّا لِعِيدِ اللَّهِ الدَّاعِي عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ وَ أَمَرَ بِسَهَامٍ فَعُلِّقَتْ فِيهَا رِقَاعٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا مِنْ الْأَمِيَانِ مِثْلُ الَّذِي نُودِيَ بِهِ وَ وَعَدَ النَّاسَ فِيهَا الْإِحْسَانَ وَ رَمَى بِهَا إِلَى عَسِيْكَرِ النَّاجِمِ فَمَالَتْ إِلَيْهِ قُلُوبٌ خَلَقَ كَثِيرٌ مِنْ أَوْلِيَاكَ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَصِيْرَةٌ فِي اتِّبَاعِ النَّاجِمِ فَاتَّاهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَمْعٌ كَثِيرٌ يَحْمِلُهُمُ الشَّدَا وَ السَّمِيْرِيَّاتُ فَوَصَلَهُمْ وَ حَبَاهُمْ وَ قُدِّمَ عَلَيْهِ قَائِدَانِ مِنْ قُوَادِهِ وَ كِلَاهُمَا مِنْ مَوَالِيهِ يَبْغَدَادَ أَحَدُهُمَا بَكْتَمِرٌ وَ الْآخَرُ بَغْرَا (١) فِي جَمْعٍ

ص: ١٨٤

(١ - ١) طبري: «جعفر بن بغلاز».

مِنْ أَصْحَابِهِمَا فَكَانَ وُرُودُهُمَا زِيَادَةً فِي قُوَّتِهِ ثُمَّ رَحَلَ فِي غَدِ هَذَا الْيَوْمِ بِجَمِيعِ جَيْشِهِ فَنَزَلَ مُتَاخِماً لِمَدِينَةِ النَّاجِمِ فِي مَوْضِعٍ كَانَ تَخَيَّرَهُ لِلنُّزُولِ فَأَوْطَنَ (١) هَذَا الْمَوْضِعَ وَجَعَلَهُ مَعَسِيراً لَهُ وَأَقَامَ بِهِ وَرَتَّبَ قَوَادَهُ وَرُؤَسَاءَ أَصْحَابِهِ مَرَاتِبُهُمْ فَجَعَلَ نَصِيراً صَاحِبَ الْمَاءِ فِي أَوَّلِ الْعَسِيرِ وَجَعَلَ زَيْرَكَ التُّرْكِيَّ فِي مَوْضِعِ آخَرَ وَعَلِيَّ بْنَ جَهْشَارٍ حَاجِبَهُ فِي مَوْضِعِ آخَرَ وَرَاشِداً مَوْلَاهُ فِي مَوَالِيهِ وَغُلَمَاءَهُ بِالْمَأْتَرَاكِ وَالْخَزْرِ وَالرُّومِ وَالْدِيَالِمَةِ وَالطَّبْرِيَّةِ وَالْمَغَارِبَةِ وَالزُّنْجِ وَالْفَرَاعِنَةِ وَالْعَجَمِ وَالْمَأَكْرَادِ مُحِيطاً هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِمَضَارِبِ أَبِي أَحْمَدَ وَفَسَّاطِطِهِ وَسِرَادِقَاتِهِ وَجَعَلَ صَاعِدَ بْنَ مَخْلَدٍ وَزَيْرَهُ وَكَاتِبَهُ فِي جَيْشِ آخَرَ مِنَ الْمَوَالِي وَالْغُلَمَانَ فَوْقَ عَسْكَرِ رَاشِدٍ وَأَنْزَلَ مَشْرُوراً الْبَلْخِيَّ الْقَائِدَ صَاحِبَ الْأَهْوَازِ فِي جَيْشِ آخَرَ عَلَى جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ عَسْكَرِهِ وَأَنْزَلَ الْفَضْلَ وَ مُحَمَّدًا ابْنَ مُوسَى بْنِ بُعَا فِي جَانِبِ آخَرَ بِجَيْشِ آخَرَ (٢) وَ تَلَاهُمَا الْقَائِدُ الْمَعْرُوفُ بِمُوسَى (٣) وَ لُجُوجاً فِي جَيْشِهِ وَأَصْحَابَهُ وَجَعَلَ بُغْرَاجَ التُّرْكِيَّ عَلَى سِاقَتِهِ فِي جَيْشِ كَثِيفٍ بَعْدَهُ عَظِيمِهِ وَعَمِدِ جَمٍّ وَرَأَى أَبُو أَحْمَدَ مِنْ حِوَالِ النَّاجِمِ وَحَصَانَهُ مَوْضِعَهُ وَكَثْرَهُ جَمْعَهُ مَا عَلِمَ مَعَهُ أَنَّهُ لَا يُدَّ لَهُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهِ وَطُولِ الْأَيَّامِ فِي مُحَاصِرَتِهِ وَتَفْرِيقِ جُمُوعِهِ وَبِذَلِ الْأَمَانِ لَهُمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أَنْابَ مِنْهُمْ وَالْغُلْظَةِ عَلَى مَنْ أَقَامَ عَلَى غِيَّتِهِ مِنْهُمْ وَاحْتِجَاجِ إِلَى الْإِسْتِكْتَارِ مِنَ الشَّدَا وَمَا يُحَارِبُ بِهِ فِي الْمَاءِ وَشَرَعَ فِي بِنَاءِ مَدِينَتِهِ مُمَاتِلَهُ لِمَدِينَةِ النَّاجِمِ وَأَمَرَ بِإِنْفَازِ الرُّسُلِ فِي حَمْلِ الْأَلَاتِ وَالصَّنَاعِ مِنَ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَإِنْفَازِ الْمِيرِ وَالْأَزْوَادِ وَالْأَقْوَاتِ وَإِيرَادِهَا إِلَى عَسْكَرِهِ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي شَرَعَ فِيهَا وَسَمَّاهَا الْمَوْفِقِيَّةَ وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ بِالنَّوَاحِي فِي حَمْلِ الْأَمْوَالِ إِلَى بَيْتِ مَالِهِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَ أَلَّا يُحْمَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ بِالْحَضْرَةِ دَرَهُمْ وَاحِدٌ وَأَنْفَذَ رُسُلاً إِلَى سِيرَافٍ وَجَنَابَةَ (٤) فِي بِنَاءِ الشَّدَا

ص: ١٨٥

١-١) أوطن الموضع: أقام فيه.

٢-٢) الطبري: «في جيشهما على النهر المعروف بهاله».

٣-٣) الطبري: «موسى دالجوبه».

٤-٤) الطبري: «وجنابا».

وَ الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا لِحَاجَتِهِ إِلَى أَنْ يَبْتِنَهَا وَ يُفَرِّقَهَا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَقْطَعُ بِهَا الْمِيرَةَ عَنِ النَّاجِمِ وَ أَصْحَابِهِ وَ أَمَرَ بِالْكِتَابِ إِلَى عَمَالِهِ فِي إِنْفَازِ كُلِّ مَنْ يَصْلُحُ لِلْإِثْبَاتِ وَ الْعَرْضِ فِي الدَّوَابِّ مِنَ الْجُنْدِ وَ الْمُقَاتِلَةِ وَ أَقَامَ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ شَهْرًا أَوْ نَحْوَهُ فَوَرَدَتِ الْمِيرَةُ مُتَّبِعَةً يَتَلَوْنَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَ وَرَدَتِ الْأَلَاتُ وَ الصَّنَاعُ وَ بِنِيَتِ الْمَدِينَةِ وَ جُهِّزَ التُّجَارُ صُنُوفَ التَّجَارَاتِ فِي الْأُمْتَعَةِ وَ حَمَلُوهَا إِلَيْهَا وَ اتَّخَذَتْ بِهَا الْمَسَاقِ وَ كَثُرَ بِهَا التُّجَارُ وَ الْمُجَهِّزُونَ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ وَ وَرَدَتْ إِلَيْهَا مَرَاقِبُ مِنَ الْبَحْرِ وَ قَدْ كَانَتْ انْقَطَعَتْ لِقْطَعِ النَّاجِمِ وَ أَصْحَابِهِ سُبُلَهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ وَ بَنَى أَبُو أَحْمَدَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ وَ صَلَّى بِالنَّاسِ فِيهِ وَ اتَّخَذَ دُورَ الضَّرْبِ فَضْرِبَ بِهَا الدَّنَانِيرَ وَ الدَّرَاهِمَ فَجَمَعَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةَ جَمِيعَ الْمَرَاقِقِ وَ سَبَقَ إِلَيْهَا صُنُوفُ الْمَنَافِعِ حَتَّى كَانَ سَاكِنُوهَا لَا يَفْقَدُونَ فِيهَا شَيْئًا مِمَّا يَوْجَدُ فِي الْأَمْصَارِ الْعَظِيمَةِ الْقَدِيمَةِ وَ حُمِلَتِ الْأَمْوَالُ وَ أُدِرَّ الْعَطَاءُ عَلَى النَّاسِ فِي أَوْقَاتِهِ فَاتَّسَعُوا وَ حَسِنَتْ أَحْوَالُهُمْ وَ رَغِبَ النَّاسُ جَمِيعًا فِي الْمَصِيرِ إِلَى هَذِهِ وَ الْمَقَامِ بِهَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ أَمَرَ النَّاجِمُ بُهْبُودَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ فَعَبَّرَ وَ النَّاسُ غَارُونَ فِي سِمِيرِيَّاتٍ إِلَى طَرْفِ عَسِيكَرِ أَبِي حَمْرَةَ صَاحِبِ الْمَاءِ فَأَوْقَعَ بِهِ وَ قَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَ أَسَرَّ جَمَاعَةً وَ أَحْرَقَ أَكْوَاحًا كَانَتْ لَهُمْ وَ أَرْسَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَعْفَرِ الْهَمْدَانِيِّ وَ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ قُرَوَادِ النَّاجِمِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ زَنْجِيٍّ وَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِيَانِ الْمَكْنِيِّ أَبِيَا الْحُسَيْنِ أَخِيَا عَلِيٍّ بْنِ أَبِيَانِ الْمُهَلَّبِيِّ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَ الْقَائِدَ الْمَعْرُوفَ بِالْأُورِ فِي أَلْفٍ وَ خَمْسِمِائَةٍ لِيُغِيرُوا عَلَى أَطْرَافِ عَسِيكَرِ أَبِي أَحْمَدَ وَ يُوقِعُوا بِهِمْ فَنَدَرَ بِهِمْ (١) أَبُو الْعَبَّاسِ فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَ كَانَتْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ كَانَ الْإِسْتِظْهَارُ فِيهَا كُلِّهَا لَهُ وَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَ أَمَرَ أَنْ يُوقَفُوا بِإِزَاءِ مَدِينَةِ النَّاجِمِ لِيُعَايِنَهُمْ أَصْحَابُهُ وَ أَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ يُكَايِدُ النَّاجِمَ وَ يَبْدُلُ

ص: ١٨٦

الْأَمْوَالَ لِأَصْحَابِهِ تَارَةً وَ يُؤَاقِعُهُمْ وَيُحَارِبُهُمْ تَارَةً وَيَقْطَعُ الْمِيرَةَ عَنْهُمْ فَسَرَى بُهُمُودُ الزَّنَجِيُّ فِي الْأَجْلَادِ الْمُتَسَخِّبِينَ مِنْ رِجَالِهِ لَيْلَهُ مِنْ اللَّيَالِي وَقَدْ تَأَدَّى إِلَيْهِ خَبْرُ قَيْرَوَانَ (١) وَرَدَّ لِلتَّجَارِ فِيهِ صُنُوفُ التَّجَارَاتِ وَالْأَمْتَعَةُ وَالْمِيرُ فَكَمَنَّ فِي النَّخْلِ فَلَمَّا وَرَدَ الْقَيْرَوَانَ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَهُمْ غَارُونَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَسَرَ وَأَخَذَ مَا شَاءَ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْأَمْوَالِ.

وَ قَدْ كَانَ أَبُو أَحْمَدَ عَلِمَ بِوُرُودِ ذَلِكَ الْقَيْرَوَانَ وَ أَنْفَذَ قَائِدًا مِنْ قُوَادِهِ لِيُدْرِكَتَهُ (٢) فِي جَمْعٍ خَفِيفٍ فَلَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ الْقَائِدِ بِبُهْبُودِ طَاقَةً فَانْصَرَفَ عَنْهُ مُنْهَزِمًا.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى أَبِي أَحْمَدَ دَلِمَكَ غَلَّظَ عَلَيْهِ مَا نَالَ النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَ تِجَارَاتِهِمْ فَأَمَرَ بِتَعْوِضَتِهِمْ وَ أَخْلَفَ عَلَيْهِمْ مِثْلَ الَّذِي ذَهَبَ مِنْهُمْ وَ رَتَّبَ عَلَى قُوَاهِ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِنَهْرِ بِيَانٍ وَ هُوَ الَّذِي دَخَلَ الْقَيْرَوَانَ فِيهِ جَيْشًا قَوِيًّا لِحِرَاسَتِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ أَنْفَذَ النَّاجِمُ جَيْشًا عَلَيْهِ الْقَائِدُ الْمَعْرُوفُ بِصِيَّةِ نَدَلِ الزَّنَجِيِّ وَ كَانَ صِيَّةٌ هَذَا فِيهِمَا ذِكْرٌ يَكْشِفُ وَجْهَ الْحَرَائِرِ الْمُسْلِمَاتِ وَ رُءُوسِيَهُنَّ وَ يَقْلِبُهُنَّ تَقْلِيبَ الْإِمَاءِ فَإِنْ امْتَنَعَتْ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ لَطَمَ وَجْهَهَا وَ دَفَعَهَا إِلَى بَعْضِ عُلُوجِ الزَّنَجِ يُؤَاقِعُهَا ثُمَّ يُخْرِجُهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سُوقِ الرِّقِيقِ فَيَبِيعُهَا بِأَوْكَسِ الثَّمَنِ فَيَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى قَتْلَهُ فِي وَقَعِهِ جَرَتْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ أُسْرًا وَ أَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي أَحْمَدَ فَشَدَّهُ كِتَافًا وَ رَمَاهُ بِالسَّهَامِ حَتَّى هَلَكَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ نَدَبَ النَّاجِمُ جَيْشًا آخَرَ وَ أَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَى طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ عَشْكَرِ أَبِي أَحْمَدَ وَ هُمْ غَارُونَ فَاسْتَأْمَنَ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ زَنْجِيُّ مَذْكَورٌ يُقَالُ لَهُ مُهَذَّبٌ

ص: ١٨٧

١-١) القيروان: القافلة.

٢-٢) البذرقة: الحراسه و الخفاره.

كَانَ مِنْ فُزَّانِ الزُّنْجِ وَ شُجْعَانِهِمْ فَاتَى بِهِ إِلَى أَبِي أَحْمَدٍ وَقَتَ إِفْطَارِهِ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ جَاءَ رَاغِبًا فِي الطَّاعَةِ وَالْأَمَانِ وَ أَنَّ الزُّنْجَ عَلَى الْعُبُورِ فِي سَاعَتِهِمْ تَلْكَ إِلَى عَسِكرِهِ لِلْبَيَاتِ وَ أَنَّ الْمُنْدُوبِينَ لِذَلِكَ أَنْجَادُهُمْ وَ أَبْطَالُهُمْ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ أَبَا الْعَبَّاسِ ابْنَهُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِمْ فِي قَوَادٍ عَيْنَهُمْ لَهُ فَنَهَضُوا فَلَمَّا أَحَسَّ ذَلِكَ الْجَيْشُ بِأَنَّهُمْ قَدْ نَذَرُوا بِهِمْ وَ عَرَفُوا اسْتِثْمَانَ صَاحِبِهِمْ رَجَعُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ إِنَّ النَّاجِمَ نَدَبَ أَجَلَ قَوَادِهِ وَ أَكْبَرَهُمْ قَدْرًا عِنْدَهُ وَ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيُّ وَ انْتَخَبَ لَهُ أَهْلَ النَّبَاسِ وَ الْجَلْدِ وَ أَمْرَهُ أَنْ يُبَيِّتَ عَسِكرَ أَبِي أَحْمَدٍ فَعَبَّرَ فِي زَهْيَاءِ حَمْسَةِ آلَافِ رَجُلٍ أَكْثَرُهُمُ الزُّنْجُ وَ فِيهِمْ نَحْوُ مِائَتَيْنِ قَائِدٍ مِنْ مِذْكَورِيهِمْ وَ عَظْمَائِهِمْ فَعَبَّرَ لَيْلًا إِلَى شَرْقِيِّ دِجْلِهِ وَ عَزَمُوا عَلَى أَنْ يَفْتَرِقُوا قَسِيمِينَ أَحَدُهُمَا خَلْفَ عَسْكَرِ أَبِي أَحْمَدَ وَ الثَّانِي أَمَامَهُ وَ يُغَيِّرَ الَّذِينَ أَمَامَهُ عَلَى أَصْحَابِ أَبِي أَحْمَدٍ فَمَاذَا تَارُوا إِلَيْهِمْ وَ اسْتَعْرَبَ الْحَرْبُ أَكْبَّ أَوْلِيَتِكَ الَّذِينَ مِنْ وَرَاءِ الْعَسْكَرِ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ وَ هُمْ مَسَاغِيلُ بِحَرْبٍ مَنْ يَارَانِهِمْ وَ قَدَّرَ النَّاجِمُ وَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ أَنْ يَتَهَيَّأَ لَهُمَا مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ فَاسْتَأْمَنَ مِنْهُمْ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ غُلَامًا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمَلَاحِينَ لَيْلًا فَخَبَّرَهُ خَبْرَهُمْ وَ مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ آرَاؤُهُمْ فَأَمَرَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ وَ الْغُلَمَانَ وَ الْقَوَادِ بِالْحِذْرِ وَ الْإِحْتِيَاظِ وَ الْجِدِّ وَ فَرَفَهُمْ فِي الْجِهَتَيْنِ الْمِذْكَورَتَيْنِ فَلَمَّا رَأَى الزُّنْجُ أَنَّ تَدْبِيرَهُمْ قَدْ انْتَقَضَ وَ أَنَّهُ قَدْ فَطَنَ لَهُمْ وَ نَذَرَ بِهِمْ كَرُّوا رَاجِعِينَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي أَقْبَلُوا فِيهِ طَالِبِينَ التَّخْلُصِ فَسَبَقَهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ لَزِيْرَكَ إِلَى فُوْهِهِ النَّهْرِ لِيَمْنَعُوهُمْ مِنْ عُبُورِهِ وَ أَرْسَلَ أَبُو أَحْمَدَ غُلَامَهُ الْأَسْوَدَ الزُّنْجِيَّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ثَابِتٌ وَ كَانَ لَهُ قِيَادَةٌ عَلَى السُّودَانَ الَّذِينَ بَعَسَكَرِ الْمَوْفِقِ فَأَمْرَهُ أَنْ يَعْتَرِضَهُمْ وَ يَقِفَ لَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ

بَأَصِيحَابِهِ فَأَذْرَكَهُمْ وَهُوَ فِي خَمْسَةِ مَائَةِ رَجُلٍ فَوَاقَعَهُمْ وَشَدَّ عَضُدَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَلَزِيْرَكَ بَمَنْ مَعَهُمَا فُقْتِلَ مِنَ الزُّنْجِ أَصِيحَابُ النَّاجِمِ خَلَقَ كَثِيْرٌ وَأُسِرَ مِنْهُمْ كَثِيْرٌ وَأَفْلَتَ الْبَاقُونَ فَلَحِقُوا بِمَدِيْنَتِهِمْ وَانْصَرَفَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِالْفَتْحِ وَقَدْ عَلَقَ رُءُوسَ الزُّنْجِ فِي الشُّدَا وَصَلَبَ الْأَسَارِي أحيَاءَ فِيهَا فَاعْتَرَضُوا بِهِمْ مَدِيْنَتَهُمْ لِيُرْهِبُوا أَصِيحَابَهُمْ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ رَعِبُوا وَانْكَسَرُوا وَاتَّصَلَ بِأَبِي أَحْمَدَ أَنَّ النَّاجِمَ مَوَّةٌ عَلَى أَصِيحَابِهِ وَأَوْهَمَ أَنَّ الرُّءُوسَ الْمَرْفُوعَةَ مِثْلُ مِثْلِهَا لَهُمْ أَبُو أَحْمَدَ لِيُرَاعُوا وَ أَنَّ الْأَسَارِي مِنَ الْمُسِيْتَأْمِنَةِ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ عِنْدَ ذَلِكَ بِجَمِيْعِ الرُّءُوسِ وَالْمَسِيْرِ بِهَا إِلَى إِزَاءِ قَصْرِ النَّاجِمِ وَالْقَذْفِ بِهَا فِي مَنْجِيْقٍ مَنْصُوبٍ فِي سَفِيْنِهِ إِلَى عَسْكَرِهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ فَلَمَّا سَقَطَتِ الرُّءُوسُ فِي مَدِيْنَتِهِمْ عَرَفَ أَوْلِيَاءُ الْقَتْلَى رُءُوسَ أَصْحَابِهِمْ فَظَهَرَ بِكَأُوْهُمْ وَصَرَاحُهُمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَانَتْ لَهُمْ وَقَعَاتٌ كَثِيْرَةٌ بَعِيْدَ هَذِهِ فِي أَكْثَرِهَا يَنْهَزِمُ الزُّنْجُ وَيَظْفَرُ بِهِمْ وَطَلَبَ وَجُوْهُهُمْ الْأَمَانَ فَكَانَ مِمَّنِ اسْتَأْمَنَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ الْقَائِدُ وَإِلَيْهِ كَانَ حَفِظَ النَّهْرُ الْمَعْرُوفُ بِمَنْكِي وَالشُّوْرُ الَّذِي يَلِي عَسِيْكَرَ أَبِي أَحْمَدَ كَانَ خُرُوجُهُ لَيْلًا مَعَ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَصَلَهُ أَبُو أَحْمَدَ بِصَلَاتٍ كَثِيْرَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ عَلَى عِدَّةٍ دَوَابَّ بِحِلِيْتِهَا وَآلَاتِهَا وَأَسْنَى لَهُ الرُّزْقَ.

وَكَانَ مُحَمَّدٌ هَذَا حَيَاوِلَ إِخْرَاجِ زَوْجَتِهِ مَعَهُ وَهِيَ إِحْدَى بَنَاتِ عَمِّهِ فَعَجَزَتِ الْمَرْأَةُ عَنِ اللَّحِيَاقِ بِهِ فَأَخَذَهَا الزُّنْجُ فَرُدُّوْهَا إِلَى النَّاجِمِ فَحَبَسَهَا مُدَّةً ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا وَالنَّدَاءِ عَلَيْهَا فِي السُّوقِ فَبِيْعَتْ.

وَمِمَّنِ اسْتَأْمَنَ الْقَائِدُ الْمَعْرُوفُ بِأَحْمَدَ الْبُزْدَعِيُّ كَانَ مِنْ أَشْجَعِ رِجَالِهِمْ وَكَانَ يَكُونُ أَبَدًا مَعَ الْمُهَلَّبِيِّ .

وَ كَانَ مِمَّنِ اسْتَأْمَنَ مِرْبَدًا (١) الْقَائِدُ وَ بَرْنَكُوبَهُ (٢) وَ بَيْلُوبَهُ (٣) فَخَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الْخُلْعَ وَ وُصِّلُوا بِالصَّلَاتِ الْكَثِيرَةِ وَ حُمِلُوا عَلَى الْخَيُْولِ الْمُحَلَّاهِ وَ أَحْسَنَ إِلَى كُلِّ مَنْ جَاءَ مَعَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَصَاقَتِ الْمِيرُ عَلَى النَّاجِمِ وَ أَضِيحَاهِ فَنَدَبَ شَيْبَلَا الْقَائِدَ وَ أَبَا النَّدَى وَ هُمَا مِنْ رُؤَسَاءِ قُوَادِهِ وَ قُدَمَاءِ أَضِيحَاهِ الَّذِينَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ وَ يَتَّقُ بِمَنَاصِيحِهِمْ وَ أَمَرَهُمَا بِالْخُرُوجِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الزُّنْجِ وَ غَيْرِهِمْ وَ الْقَصْدِ إِلَى نَهْرِ الدَّيْرِ وَ نَهْرِ الْمَرْأهِ وَ نَهْرِ أَبِي الْأَسِيدِ وَ الْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْهَارِ إِلَى الْبَطِيحَةِ وَ الْعَارِهِ (٤) عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَ أَهْلِ الثُّمَرِ وَ قَطَعَ الطُّرُقَاتِ وَ أَخَذَ جَمِيعَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ وَ الْمِيرَةِ وَ حَمَلَهُ إِلَى مَدِينَتِهِ وَ قَطَعَهُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى عَسِيكَرِ أَبِي أَحْمَدَ فَنَدَبَ أَبُو أَحْمَدَ لِقَصْدِهِمْ مَوْلَاهُ لَزِيرَكُ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ بَعْضُهُ فِي الْمَاءِ وَ بَعْضُهُ عَلَى الظُّهْرِ فَوَاقَعَهُمْ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِنَهْرِ عُمَرَ فَكَانَتْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ شَدِيدَةً أَسْفَرَتْ عَنِ انْكَسَارِهِمْ وَ خِذْلَانِ اللَّهِ لَهُمْ فَأَخَذَ مِنْهُمْ أَرْبَعِمِائَةَ سَفِينَةٍ وَ أَسْرَى كَثِيرِينَ وَ أَقْبَلَ بِهَا وَ بِهِمْ وَ بِالرُّءُوسِ إِلَى عَسِيكَرِ أَبِي أَحْمَدَ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ نَدَبَ أَبُو أَحْمَدَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ لِقَصْدِ مَدِينَةِ النَّاجِمِ وَ الْعُلُوِّ عَلَيْهَا فَقَصَدَهَا مِنَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْعَرَبِيِّ وَ قَدْ أَعَدَّ النَّاجِمُ بِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيَّ فَاسْتَعَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فَأَمَدَ النَّاجِمُ عَلِيًّا بِسَلِيمَانَ بْنِ جَامِعٍ فِي جَمْعِ كَثِيرٍ مِنْ قُوَادِ الزُّنْجِ وَ اسْتَأْمَنَ كَثِيرٌ مِنْ قُوَادِ الزُّنْجِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَ امْتَدَّتِ الْحَرْبُ إِلَى بَعْدِ الْعَصِيرِ ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو الْعَبَّاسِ فَاجْتَنَزَ فِي مُنْصَرَفِهِ بِمَدِينَةِ النَّاجِمِ وَ قَدْ انْتَهَى إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ

ص: ١٩٠

١-١) الطبري: «مديد».

٢-٢) الطبري: «و ابن أنكلويه».

٣-٣) الطبري: «و منيته».

٤-٤) الطبري: «للغاره».

بَنَهْرِ الْمَأْتِرَاكِ فَرَأَى فِي ذَلِكَ النَّهْرِ قَلْبَهُ مِنَ الزَّنْجِ الَّذِينَ يَحْرُسُونَهُ فَطَمَعَ فِيهِمْ فَقَصَدَ نَحْوَهُمْ وَصَدَّ عِدَّ جَمَاعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ سُورَ الْمِيدِينَةِ وَعَلَيْهِ فَرِيقٌ مِنَ الزَّنْجِ فَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِ هُنَاكَ وَنَذَرَ النَّاجِمَ بِهِمْ فَأَنْجَدَهُمْ بِقَوَادِهِ مِنْ قَوَادِهِ فَأَرْسَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَمِدُّهُ فَوَافَى مِنْ عَسَاكِرِ أَبِي أَحْمَدَ مَنْ خَفَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَقَوَى بِهِمْ عَسَاكِرُ أَبِي الْعَبَّاسِ. وَقَدْ كَانَ سُليْمَانُ بْنُ جَامِعٍ لَمَّا رَأَى أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ قَدْ أُوغِلَ فِي نَهْرِ الْمَأْتِرَاكِ صَدَّ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الزَّنْجِ ثُمَّ اسْتَدْبَرَ أَصْحَابَ أَبِي الْعَبَّاسِ وَهُمْ مُتَشَاغِلُونَ بِحَرْبٍ مِنْ بِلَادِهِمْ عَلَى سُورِ الْمِيدِينَةِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ وَخَفَقَتْ طُبُولُهُمْ فَأَنْكَشَفَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَحَمَلَتِ الزَّنْجُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمَايِمِهِمْ فَأَصَابَتْ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ جَمَاعَهُ مِنْ غُلَمَانِ أَبِي أَحْمَدَ وَقَوَادِهِ وَصَارَ فِي أَيْدِي الزَّنْجِ عِدَّةُ أَعْلَامٍ وَمُطَارِدٍ وَحَامِي أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى انْصَرَفَ سَالِمًا فَأَطْمَعَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الزَّنْجَ وَاتَّبَعَهُمْ (١) وَشَدَّتْ قُلُوبُهُمْ فَأَجْمَعَ أَبُو أَحْمَدَ عَلَى الْعُبُورِ بِجَيْشِهِ أَجْمَعَ وَأَمَرَ بِالِاسْتِعْدَادِ وَالتَّأَهُبِ فَلَمَّا تَهَيَّأَ لَهُ ذَلِكَ عَبَّرَ فِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ فِي أَكْثَفِ جَمْعٍ وَ أَكْمَلَ عِدَّةَهُ وَفَرَّقَ قَوَادِهِ عَلَى أَقْطَارِ مَدِينَةِ النَّاجِمِ وَقَصَدَ هُوَ بِنَفْسِهِ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهَا وَقَدْ كَانَ النَّاجِمُ حَصَّنَهُ بِإِنْبِهِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ أَنْكَلَانِي وَكَنَفَهُ بَعْلَى بْنُ أَبَانَ وَ سُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ وَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَعْفَرِ الْهَمْدَانِيَّ وَ حَفَّهُ بِالْمَجَانِيْقِ وَالْعَرَادَاتِ (٢) وَالْقَسِيَّ النَّوَكِيَّةِ وَ أَعَدَّ فِيهِ النَّاشِبَةَ (٣) جَمَعَ فِيهِ أَكْثَرَ جَيْشِهِ فَلَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ غُلَمَانَهُ النَّاشِبَةَ وَالرَّامِحَةَ (٤) وَالسُّودَانَ بِالذُّنُوبِ مِنْ هَذَا

ص: ١٩١

١-١) الطبري: «و تباعهم».

٢-٢) العراده بالتشديد: من آلات الحرب، أصغر من المنجنيق.

٣-٣) الناشبه: الرماه بالنشاب؛ و النشاب: السهام؛ ماخوذه من النشوب.

٤-٤) الرامحه: الرماه بالرمح.

الرُّكْنِ وَبَيْنَهُمُ النَّهْرُ الْمَعْرُوفُ بِنَهْرِ الْمَأْتَرَاكِ وَهُوَ نَهْرٌ عَرِيضٌ غَزِيرُ الْمَاءِ فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ أَحْجَمُوا عَنْهُ فَصَبَّحَ بِهِمْ وَحَرَّضُوا عَلَى الْعُبُورِ فَعَبَّرُوهُ سَبَاحَهُ وَالزُّنْجُ تَزْمِيهِمْ بِالْمَجَانِيْقِ وَالْعَرَّادَاتِ وَالْمَقَالِيْعِ وَالْحِجَارَةِ عَنِ الْأَيْدِي وَالسَّهَامِ عَنِ قِسْيَى الْيَدِ وَقِسْيَى الرَّجْلِ وَصُنُوفِ الْأَلَاتِ الَّتِي يُزْمَى عَنْهَا فَصَبَّرُوا عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ حَتَّى حَاوَزُوا النَّهْرَ وَانْتَهَوْا إِلَى السُّورِ وَلَمْ يَكُنْ لِحَقِّهِمْ مِنَ الْفَعْلَةِ مَنْ كَانَ أَعْيَدَهُ لِيَهْدِمَهُ فَنَوَّلَى الْغُلَامَ أَنْ تَشْعِبْتَ السُّورَ بِمَا كَانَ مَعَهُمُ مِنَ السَّلَاحِ وَيَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ وَسَيَّهَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ السَّبِيلَ إِلَى عُلوِّهِ وَحَضَّرَهُمْ بَعْضُ السَّلَاطِمِ الَّتِي كَانَتْ اتَّخَذَتْ لِذَلِكَ فَعَلُوا الرُّكْنَ وَنَصَبُوا عَلَيْهِ عِلْمًا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ الْمَوْفِقُ بِاللَّهِ وَكَتَبَتْ عَلَيْهِمُ الزُّنْجُ فَحَارَبُوا أَشَدَّ حَرْبٍ وَقُتِلَ مِنْ قُوَادِ أَبِي أَحْمَدَ الْقَائِدِ الْمَعْرُوفِ بِثَابِتِ الْأَسْوَدِ رُمَى بِسَيِّهِمْ فِي بَطْنِهِ فَمَاتَ وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ الْقُوَادِ وَأَحْرَقَ أَصْحَابُ الْمَوْفِقِ مَا عَلَى ذَلِكَ الرُّكْنَ مِنَ الْمَنْجِنِيَقَاتِ وَالْعَرَّادَاتِ.

وَ قَصَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِأَصْحَابِهِ جِهَةَ أُخْرَى مِنْ جِهَاتِ الْمَدِينَةِ لِيَدْخُلَهَا مِنَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِمَنْكِي فَعَارَضَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ فِي جَمْعٍ مِنَ الزُّنْجِ فَظَهَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَيْهِ وَهَزَمَهُ وَقَتَلَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَفْلَتَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيُّ رَاجِعًا وَانْتَهَى أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى نَهْرِ مَنْكِي وَهُوَ يَرَى أَنَّ الْمَدْخَلَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ سَيَّهَلُ فَوَصَلَ إِلَى الْخَنْدَقِ فَوَجَدَهُ عَرِيضًا مَنِيعًا فَحَمَلَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْبرُوهُ فَعَبَّرُوهُ وَعَبَّرَتْهُ الرَّجَالُ سَبَاحَهُ وَوَأَفُوا السُّورَ فَتَلَمَّوْا مِنْهُ ثَلَمَةً وَاتَّسَعَ لَهُمْ دُخُولُهَا فَدَخَلُوا فَلَقِيَ أَوْلَاهُمْ سُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ وَقَدْ أَقْبَلَ لِلْمُدَافَعَةِ عَنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ فَحَارَبُوهُ وَكَشَفُوهُ وَانْتَهَوْا إِلَى النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ سَمْعَانَ وَهُوَ نَهْرٌ سَبَقَ بِالْمَدِينَةِ وَصَارَتْ الدَّارُ الْمَعْرُوفَةُ بِدَارِ ابْنِ سَمْعَانَ فِي أَيْدِيهِمْ فَأَحْرَقُوا مَا كَانَ فِيهَا وَهَدَمُوهَا.

فَوَقَفَتْ الزُّنْجُ عَلَى نَهْرِ ابْنِ سَمْعَانَ وَقُوفًا طَوِيلًا وَدَافَعُوا مُدَافَعَةً شَدِيدَةً وَشَدَّ بَعْضُ مَوَالِي الْمَوْفِقِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ فَأَذْبَرَ عَنْهُ هَارِبًا فَقَبَضَ عَلَى مِزْرِهِ فَحَلَّ عَلَى الْمِزْرِ وَنَبَذَهُ إِلَى الْغُلَامِ وَنَجَا بَعِيدًا أَنْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَكَةِ وَحَمَلَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ عَلَى الزُّنْجِ فَكَشَفُوهُمْ

عَنْ نَهْرِ ابْنِ سَمْعَانَ حَتَّى وَافُوا بِهِمْ طَرَفَ الْمَدِينَةِ وَرَكِبَ النَّاجِمُ بِنَفْسِهِ فِي جَمْعٍ مِنْ خَوَاصِّهِ فَنَلَقَاهُ أَصْحَابُ الْمُؤَفَّقِ فَعَرَفُوهُ وَحَمَلُوا عَلَيْهِ وَكَشَفُوا مَنْ كَانَ مَعَهُ حَتَّى أَفْرَدَ وَقَرَّبَ مِنْهُ بَعْضُ الرَّجَالِ حَتَّى ضَرَبَ وَجْهَ فَرَسِهِ بِتُرْسِهِ وَكَانَ ذَلِكَ وَقْتُ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَحِجْرِ اللَّيْلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَأَظْلَمَ وَهَبَّتْ رِيحٌ شَمَالٍ عَاصِفٌ وَقَوَى الْجَزُرُ فَلَصِقَ أَكْثَرُ سُفْنِ الْمُؤَفَّقِ بِالطَّيْنِ وَحَرَضَ النَّاجِمُ أَصْحَابَهُ فَتَابَ مِنْهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ فَشَدُّوا عَلَى سُفْنِ الْمُؤَفَّقِ فَنَالُوا مِنْهَا نَيْلًا وَقَتَلُوا نَفْرًا وَصَمَدًا بِهَبُودِ الزُّنْجِيِّ لِمَسْرُورِ الْبَلْخِيِّ بِنَهْرِ الْعَرَبِيِّ فَأَوْقَعَ بِهِ وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَاسِيرَ أُسْرَى وَصَارَ فِي يَدِهِ دَوَابٌّ مِنْ دَوَابِّهِمْ فَكَسَّرَ ذَلِكَ مِنْ نَشَاطِ أَصْحَابِ الْمُؤَفَّقِ وَقَدْ كَانَ هَرَبَ فِي هَذَا الْيَوْمِ كَثِيرٌ مِنْ قَوَادِ صَاحِبِ الزُّنْجِ وَتَفَرَّقُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ نَحْوَ نَهْرِ الْأَمِيرِ وَعَبَادَانَ وَغَيْرِهِمَا وَكَانَ مِمَّنْ هَرَبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْهُمْ أَخُو سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى الشُّعْرَانِيِّ وَ مُحَمَّدٌ وَعِيسَى فَمَضَى يَا يُؤْمَانِ الْيَادِيَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمَا رُجُوعَ أَصْحَابِ الْمُؤَفَّقِ وَمَا نَيْلَ مِنْهُمْ فَرَجَعَا وَهَرَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَسَاكِرِ النَّاجِمِ وَصَارُوا إِلَى الْبَصِيرَةِ وَبَعَثُوا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ مِنْ أَبِي أَحْمَدَ فَأَمَّنَّهُمْ وَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الشُّفْنَ وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُؤَفَّقِيَّةِ وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَأَجْرَى لَهُمُ الْأَرْزَاقَ وَالْأَنْزَالَ.

وَكَانَ مِمَّنْ رَغِبَ فِي الْأَمَانِ مِنْ قَوَادِ النَّاجِمِ الْقَائِدُ الْمَعْرُوفُ بَرِيحَانَ بْنِ صَالِحِ الْمَغْرِبِيِّ وَكَانَتْ لَهُ رِئَاسَةٌ وَقِيَادَةٌ وَكَانَ يَتَوَلَّى حَاجَبَهُ أَنْكَلَانِي بْنَ النَّاجِمِ (١) فَكَتَبَ رِيحَانٌ يَطْلُبُ الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ وَلِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَجِيبَ إِلَى ذَلِكَ وَأُنْفَذَ إِلَيْهِ عِدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الشُّدَا وَالسَّمِيرِيَّاتِ وَالْمَعَابِرِ مَعَ لَزِيْرِكَ الْقَائِدِ صَاحِبِ مُقَدَّمِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ فَسَلِكَ نَهْرَ الْيَهُودِيِّ إِلَى آخِرِهِ فَأَلْفَى بِهِ رِيحَانَ الْقَائِدَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَدْ كَانَ الْمُوْعَدُ تَقَدَّمَ مِنْهُ فِي مُوَافَاهِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَسَارَ لَزِيْرَكَ بِهِ وَبِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُؤَفَّقِ فَأَمَرَ لَزِيْحَانَ بِخَلْعِ جَلِيلِهِ

ص: ١٩٣

وَ حُمِلَ عَلَى عَدَّةِ أَفْرَاسٍ بِأَلْتِهَا وَ حَلِيَّتِهَا وَ أُجِيزَ بِجَائِزِهِ سَبِيئِهِ وَ خَلَعَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَ أُجِيزُوا عَلَى أَقْدَارِهِمْ وَ مَرَاتِبِهِمْ وَ ضَمَّ رِيحَانَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَ أَمَرَ بِحَمْلِهِ وَ حَمَلِ أَصْحَابِهِ وَ الْمَصْتَبِرِ بِهِمْ إِلَى إِزَاءِ دَارِ النَّاجِمِ فَوَقَفُوا هُنَاكَ فِي الشَّدَا عَلَيْهِمُ الْخَلْعُ الْمَلَوْنَةُ بِضَيْنُوفِ الْأَلْوَانِ وَ الذَّهَبِ حَتَّى عَايَنُوهُمْ مُشَاهِدَةً فَاسْتَأْمَنَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ أَصْحَابِ رِيحَانَ الَّذِينَ كَانُوا تَخَلَّفُوا عَنْهُ وَ مِنْ غَيْرِهِمْ جَمَاعَةً فَأُلْحِقُوا فِي الْبِرِّ وَ الْإِحْسَانِ بِأَصْحَابِهِمْ (١).

ثُمَّ اسْتَأْمَنَ جَعْفَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفُ بِالسَّجَانِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ سَيِّئِهِ ثَمَانٍ وَ سِتِّينَ وَ مَائَتَيْنِ وَ كَانَ أَحَدَ ثِقَاتِ النَّاجِمِ فَفَعَلَ بِهِ مِنَ الْخَلْعِ وَ الْإِحْسَانِ مَا فَعَلَ بِرِيحَانَ وَ حَمَلِ فِي سُمَيْرِيَّهِ حَتَّى وَقَفَ بِإِزَاءِ قَصْرِ النَّاجِمِ حَتَّى يَرَاهُ أَصْحَابُهُ وَ كَلَّمَهُمْ وَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ فِي غُزُورٍ مِنْ صِيَابِهِمْ وَ أَعْلَمَهُمْ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ كَذِبِهِ وَ فُجُورِهِ فَاسْتَأْمَنَ فِي هَذَا الْيَوْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ قُوَادِ الزُّنْجِ وَ غَيْرِهِمْ وَ تَتَابَعَ النَّاسُ فِي طَلَبِ الْأَمَانِ وَ أَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ يُجَمُّ أَصْحَابَهُ وَ يُدَاوِي جِرَاحَهُمْ وَ لَا يُحَارِبُ وَ لَا يَعْبُرُ إِلَى الزُّنْجِ إِلَى شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ .

ثُمَّ عَبَّرَ جَيْشُهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ مُرْتَبًا عَلَى مَا اسْتَضَى لِحُجَّةٍ مِنْ تَفْرِيقِهِ فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَ أَمَرَهُمْ بِهَيْدَمِ سُورِ الْمَدِينَةِ وَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَفْتَصِحُوا عَلَى الْهَيْدَمِ وَ لَا يَدْخُلُوا الْمَدِينَةَ وَ وَكَلَّ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِيِ الَّتِي وَجَّهَ إِلَيْهَا قُوَادَهُ سَيْفُنَا فِيهَا الرُّمَاهُ وَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَحْمُوا بِالسَّهَامِ مَنْ يَهْدِمُ السُّورَ مِنَ الْفَعَلَةِ فَتَلَمَّتْ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنَ السُّورِ ثَلَاثٌ كَثِيرَةٌ وَ افْتَحَمَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ الْمَدِينَةَ مِنْ جَمِيعِ تَلَمُّكَ الثُّلَمِ وَ هَزَمُوا مَنْ كَانَ عَلَيْهِمَا مِنَ الزُّنْجِ وَ أَوْغَلُوا فِي طَلَبِهِمْ وَ اخْتَلَفَ بِهِمْ طُرُقُ الْمَدِينَةِ وَ تَفَرَّقَتْ بِهِمُ السُّكَّكَ وَ الْفِجَاجُ

ص: ١٩٤

(١-١) فِي الطَّبَرِيِّ بَعْدَهَا: «وَ كَانَ خُرُوجَ رِيحَانَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ الَّتِي كَانَتْ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةٌ سَبْعٌ وَ سِتِّينَ وَ مَائَتَيْنِ».

وَأَنْتَهُوْا إِلَىٰ أَعْيُنِ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي كَانُوا وَصَلُوا إِلَيْهَا فِي الْمَرَّةِ الَّتِي قَبَلَهَا فَتَرَا جَعَتْ إِلَيْهِمُ الزُّنُجُ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كَمَا وَهُمْ مِنْ نَوَاحٍ يَهْتَدُونَ إِلَيْهَا وَلَا يَعْرِفُهَا جَيْشُ أَبِي أَحْمَدَ فَتَحَيَّرَ جَيْشُ أَبِي أَحْمَدَ فَقَتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَأَصَابَ الزُّنُجُ مِنْهُمْ أَسَدِيحَهُ وَأَسَدِيلاً وَأَقَامَ ثَلَاثُونَ دَيْلَمِيًّا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي أَحْمَدَ يُدَافِعُونَ عَنِ النَّاسِ وَيَحْمُونَهُمْ حَتَّىٰ خَلَصَ إِلَى الشُّفَنِ مَنْ خَلَصَ وَقَتِلَتِ الدَّيَالِمَةُ عَنْ آخِرِهَا وَعَظَمَ عَلَى النَّاسِ مَا أَصَابَهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَانصَرَفَ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى مَدِينَتِهِ الْمُؤَفَّقِيَّةِ فَجَمَعَ قُوَّادَهُ وَعَدَلَهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَالْإِفْسَادِ عَلَيْهِ فِي رَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَوَعَّدَهُمْ بِأَعْلَظِ الْعُقُوبَةِ إِنْ عَادُوا لِمِثْلِ ذَلِكَ وَ أَمَرَ بِإِحْصَاءِ الْمَقْتُولِينَ (١)

مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَتَى بِأَسْمَائِهِمْ فَأَقْرَأَ مَا كَانَ جَارِيًا لَهُمْ عَلَى أَوْلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ فَحَسُنَ مَوْجِعَ ذَلِكَ وَ زَادَ فِي صِدْقِهِ نِيَّاتِ أَصْحَابِهِ لَمَّا رَأَوْا مِنْ خِيَاطَتِهِ خَلْفَ مَنْ أُصِيبَ فِي طَاعَتِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ شَرَعَ أَبُو أَحْمَدَ فِي قَطْعِ الْمِيرَةِ عَنْ مَدِينَةِ النَّاجِمِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَقَدْ كَانَ يُجْلَبُ إِلَيْهِمْ مِنَ السَّمَكِ الشَّيْءُ الْعَظِيمُ مِنْ مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ فَمَنَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَقَتَلَ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَجْلِبُونَهُ وَأَخَذَتْ عَلَيْهِمُ الطُّرُقُ وَأَسَدَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَسَلِكٍ كَانَ لَهُمْ وَأَضْرَبَهُمُ الْحِصَارُ وَأَضْعَفَ أَبْدَانَهُمْ وَ طَالَتِ الْمُدَّةُ فَكَانَ الْأَسِيرُ مِنْهُمْ يُوسِرُ وَالْمُسْتَأْمِنُ يَسْتَأْمِنُ فَيَسْأَلُ عَنْ عَهْدِهِ بِالْخُبَرِ (٢)

فَيَقُولُ مُدَّ سِنِيهِ أَوْ سِنَيْنِ وَاحْتِاجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُقِيمًا فِي مَدِينَةِ النَّاجِمِ إِلَى الْحِيلَةِ لِقُوَّتِهِ فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَنْهَارِ النَّائِيَةِ عَنْ عَسَاكِرِهِمْ طَلَبًا لِلْقَوْتِ وَ كَثُرَتِ الْأَسَارِيُّ فِيهِمْ فِي عَسَاكِرِ أَبِي أَحْمَدَ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْتَقِطُهُمْ بِأَصْحَابِهِ يَوْمًا فَيَوْمًا فَأَمَرَ بِاعْتِرَاضِهِمْ (٣) لَمَّا رَأَى كَثَرَتَهُمْ فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ذَا قُوَّةٍ وَ جِلْدٍ وَ نُهُوضٍ بِالسَّلَاحِ مِنْ عَلَيْهِ وَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَ خَلَطَهُ بِغِلْمَانِهِ السُّودَانَ وَ عَرَفَهُمْ مَا لَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْبِرِّ وَ الْإِحْسَانِ وَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ضَعِيفًا لَا حَرَكَتَ بِهِ أَوْ شَيْخًا فَانِيًا لَا يُطِيقُ حَمْلَ السَّلَاحِ أَوْ مَجْرُوحًا جِرَاحَهُ قَدْ أَرْمَنَتْهُ أَمْرًا بِأَنْ يُكْسَى ثَوْبَيْنِ وَ يُوَصَلَ بِدَارِهِمْ وَ يُزَوَّدَ وَ يُحْمَلَ إِلَى عَسَاكِرِ

ص: ١٩٥

١- (١) الطبري: «المفقودين».

٢- (٢) في الأصول: «بالخبر»، و الصواب ما أثبتته من الطبري.

٣- (٣) د: «بعضهم».

النَّاجِمِ قِيلَ هُنَاكَ بَعْدَ أَنْ يُوصَى (١) بِوَصْفِ مَا عَايَنَ مِنْ إِحْسَانِ أَبِي أَحْمَدَ إِلَى كُلِّ مَنْ يَصْتَبِرُ إِلَيْهِ وَ أَنَّ ذَلِكَ رَأْيُهُ فِي جَمِيعِ مَنْ يَأْتِيهِ مُسْتَأْمِنًا أَوْ يَأْسِرُهُ فَتَهَيَّأْ لَهُ بِذَلِكَ مَا أَرَادَ مِنْ اسْتِمَالِهِ الزُّنْجِ حَتَّى اسْتَشْعَرُوا الْمَيْلَ إِلَى نَاحِيَتِهِ وَ الدُّخُولَ فِي سِلْمِهِ وَ طَاعَتِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ كَانَتْ الْوَقْعَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا بُهْبُودٌ (٢) الزُّنْجِيُّ الْقَائِمُ وَ جَرِحَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ ذَلِكَ أَنَّ بُهْبُودَ كَانَ أَكْثَرَ أَصْحَابِ النَّاجِمِ غَارَاتٍ وَ أَشَدَّهُمْ تَعَرُّضًا لِقَطْعِ السُّبُلِ وَ أَخَذَ الْأَمْوَالَ وَ كَانَ قَدْ جَمَعَ مِنْ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ مَالًا جَلِيلًا وَ كَانَ كَثِيرَ الْخُرُوجِ فِي السُّمَيْرِيَّاتِ الْخِفَافِ فَيَحْتَرِقُ بِهَا الْأَنْهَارَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى دِجْلِهِ فَإِذَا صَادَفَ سَيْفِيَنَهُ لِأَصْحَابِ أَبِي أَحْمَدَ أَخَذَهَا وَ اسْتَتَوَى عَلَى أَهْلِهَا وَ أَذْخَلَهَا النَّهْرَ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ فَإِنَّ تَبِعَهُ تَابِعٌ حَتَّى تَوَعَّلَ فِي طَلْبِهِ خَرَجَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ أَعَدَّهُمْ لِتَذْلِكَ فَأَقْطَعُوهُ وَ أَوْقَعُوا بِهِ فَوَقَعَ التَّحْرُزُ حِينَئِذٍ مِنْهُ وَ الْإِسْتِعْدَادُ لِغَارَاتِهِ فَرَكِبَ شِدَاهُ وَ شَبَّهَهَا بِشَدَوَاتِ أَبِي أَحْمَدَ وَ نَصَبَ عَلَيْهَا عِلْمًا مِثْلَ أَعْلَامِهِ وَ سَارَ بِهَا وَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الزُّنْجِ فَأَوْقَعَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي أَحْمَدَ وَ قَتَلَ وَ أَسَرَ فَتَدَبَّ لَهُ أَبُو أَحْمَدَ ابْنُهُ أَبَا الْعَبَّاسِ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا وَقَعَةٌ شَدِيدَةٌ وَ رُمِيَ فِيهَا أَبُو الْعَبَّاسِ بِسَيْفِهِمْ فَأَصَابَهُ وَ أَصَابَتْ بُهْبُودَ طَعْنَةً فِي بَطْنِهِ مِنْ يَدِ غَلَامٍ مِنْ بَعْضِ سُمَيْرِيَّاتِ أَبِي الْعَبَّاسِ فَهَوَى إِلَى الْمَاءِ فَابْتَدَرَهُ أَصْحَابُهُ فَحَمَلُوهُ وَ رَجَعُوا بِهِ إِلَى عَسْكَرِ النَّاجِمِ فَلَمْ يَصِلُوا بِهِ إِلَّا وَ هُوَ مَيِّتٌ فَعَظُمَتِ الْفَجِيعَةُ بِهِ عَلَى النَّاجِمِ وَ أَوْلِيَائِهِ وَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ جَزَعُهُمْ وَ خَفِيَ مَوْتُهُ عَلَى أَبِي أَحْمَدَ حَتَّى اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمَلَاحِينِ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَسِرَّ وَ أَمَرَ بِإِحْضَارِ الْغُلَامِ الَّذِي طَعَنَهُ فَوَصَلَهُ وَ كَسَاهُ وَ طَوَّقَهُ وَ زَادَ فِي رِزْقِهِ وَ أَمَرَ لِجَمِيعِ مَنْ كَانَ فِي تِلْكَ السُّمَيْرِيَّةِ بِصَلَاتٍ وَ خَلَعٍ وَ عَوْلَجٍ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ جُرْحِهِ مُدَّةً حَتَّى بَرَأَ وَ أَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ فِي مَدِينَتِهِ الْمُؤَقَّفِيَهُ مُمَسِّكًا عَنْ حَرْبِ الزُّنْجِ مُحَاصِرًا لَهُمْ

ص: ١٩٦

١-١ (١) الطبري: «يؤمر».

٢-٢ (٢) الطبري: «بهبود بن عبد الوهاب».

بَسَدِ الْأَنْهَارِ وَ سَكْرَهَا وَ اعْتَرَضَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهُمْ لِجَلْبِ الْمِيرَةِ وَ مُتَنظِرًا بُزْءَ وَ لَدِهِ حَتَّى كَمَلَ بَعْدَ شُهُورٍ كَثِيرَةٍ وَ انْقَضَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَ سِتِّينَ .

وَ نُقِلَ إِسْحَاقُ بْنُ كَنْدَاجِيقَ عَنِ الْبُصْرَةِ وَ أَعْمَالِهَا فَوُلِّيَ الْمَوْصِلَ وَ الْجَزِيرَةَ وَ دِيَارَ رَيْعَةَ وَ دِيَارَ مُضَرَ . وَ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعَ وَ سِتِّينَ وَ أَبُو أَحْمَدٌ مُقِيمٌ عَلَى الْحِصَارِ فَلَمَّا أَمِنَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَ رَكِبَ عَلَى عِيَادَتِهِ عَاوَدَ النَّهُوضَ إِلَى حَرْبِ النَّاجِمِ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَدْ كَانَ بُهْبُودٌ لَمَّا هَلَكَ طَمَعَ النَّاجِمُ فِي أَمْوَالِهِ لِكَثْرَتِهَا وَ وَفُورِهَا وَ صَيَّحَ عِنْدَهُ أَنَّهُ تَرَكَ مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ عَيْنًا وَ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَ غَيْرِهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ فَطَلَبَ الْمَالَ الْمَذْكُورَ بِكُلِّ حِيلَةٍ وَ حَبَسَ أَوْلِيَاءَ بُهْبُودَ وَ قَرَابَتَهُ وَ أَصْحَابَهُ وَ ضَرَبَهُمْ بِالسَّيَاطِ وَ أَثَارَ دُورًا مِنْ دُورِهِ وَ هَدَمَ أُبَيْتَهُ مِنْ أُبَيْتِهِ طَمَعًا فِي أَنْ يَجِدَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا دَفِينًا فَلَمْ يَجِدْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَكَانَ فِعْلُهُ هَذَا أَحَدَ مَا أَفْسَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ وَ دَعَاهُمْ إِلَى الْهَرَبِ (١) مِنْهُ وَ الزُّهَيْدِ فِي صِيحْبَتِهِ فَاسْتَأْمَنَ مِنْهُمْ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ خَلَقَ كَثِيرٌ فَوْضِيْلَهُمْ وَ خَلَعَ عَلَيْهِمْ وَ رَأَى أَنْ يَعْبُرَ دِجْلَهُ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَيَجْعَلُ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَعْسِدًا كَرًا وَ يَبْنِي بِهِ مَدِينَةً أُخْرَى وَ يُضَيِّقُ خَنَاقَ النَّاجِمِ وَ يَتِمَّكَنَ مِنْ مُعَادَاتِهِ وَ مُرَاوَحَتِهِ بِالْحَرْبِ فَقَدْ كَانَتْ الرِّيحُ الْعِاصِفُ تَحُولُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ عُبُورِ دِجْلِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَيَّامِ بِالْجَيْشِ فَأَمَرَ بِقَطْعِ النَّخْلِ الْمُقَارِبِ لِمَدِينَةِ النَّاجِمِ لِذَلِكَ وَ إِصْلَاحِ مَوْضِعٍ يَتَّخِذُهُ مَعْسِدًا كَرًا وَ أَنْ يُحَفَّ بِالْخَنَادِقِ وَ يُحْصَرَ بِالسُّورِ لِئَامَنَ بِيَاتِ الزَّنْجِ وَ جَعَلَ عَلَى قُوَادِهِ نَوَائِبَ لِتَمْلِكَ وَ مَعَهُمُ الْفَعْلَةُ وَ الرَّجَالُ فَقَابَلَ النَّاجِمُ ذَلِكَ بِأَنْ جَعَلَ عَلَيَّ بْنَ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيَّ وَ سُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ وَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَعْفَرِ الْهَمْدَانِيَّ نُوَبَا لِلْحَرْبِ وَ الْمُدَافَعَةِ عَنْ ذَلِكَ وَ كَانَ أَنْكَلَانِي بْنُ النَّاجِمِ رُبَّمَا حَضَرَ فِي نُوْبِهِ أَيْضًا وَ ضَمَّ

ص: ١٩٧

إِلَيْهِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى بْنِ الشَّعْرَانِيِّ وَقَدْ كَانَ صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَدَارِ بَعْدَ الْوُقْعَةِ الَّتِي أَنْهَزَمَ فِيهَا وَعَلِمَ النَّاجِمُ أَنَّ أَبَا أَحْمَدَ إِذَا جَاوَرَهُ صَعِبَ أَمْرُهُ وَقَرَّبَ عَلَى مَنْ يُرِيدُ اللَّحْيَاقَ بِهِ مِنَ الزَّنْجِ الْمَسِيَّافَةَ مَعَ مَا يَدْخُلُ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ بِمُجَاوَرَتِهِ مِنَ الرَّعْبِ وَالرَّهْبِ وَفِي ذَلِكَ انْتِقَاضُ تَدْبِيرِهِ وَفَسَادُ جَمِيعِ أُمُورِهِ فَكَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ قُوَادِ أَبِي أَحْمَدَ وَقُوَادِ النَّاجِمِ مُتَّصِلَةً عَلَى إِصْلَاحِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَ مَدَافِعِهِ الزَّنْجِ عَنْهُ.

وَ اتَّفَقَ أَنْ عَصَيْتِ الرِّيَّاحُ يَوْمًا وَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَادِ أَبِي أَحْمَدَ بِالْجَانِبِ الْغُرْبِيِّ لِلْعَمَلِ الَّذِي يُرِيدُونَهُ فَانْتَهَزَ النَّاجِمُ الْفُرْصَةَ فِي امْتِنَاعِ الْعُبُورِ بِدَجَلِهِ لِعَصْفِ الرِّيْحِ فَرَمَاهُمْ بِجَمِيعِ جَيْشِهِ وَ كَثَرَتْهُمْ بِرَجْلِهِ فَلَمْ تَجِدِ الشَّدَوَاتُ الَّتِي مَعَ قُوَادِ أَبِي أَحْمَدَ سَبِيلًا إِلَى الْوُقُوفِ بِحَيْثُ كَانَتْ وَاقَفَهُ بِهِ لِحَمْلِ الرِّيَّاحِ إِيَّاهَا عَلَى الْحِجَارَةِ وَ خَوْفِ (١) أَصْحَابِهَا عَلَيْهَا مِنَ التَّكْسُرِ وَ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَى الْعُبُورِ فِي دَجَلِهِ لِشِدَّةِ الرِّيْحِ وَ اضْطِرَابِ الْأَمْوَاجِ فَأَوْقَعَتِ الزَّنْجُ بِهِمْ فَفَتَلَوْهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ وَ أَقَلَّتْ مِنْهُمْ نَفَرٌ فَعَبَرُوا إِلَى الْمَوْفِقِيَّةِ فَاشْتَدَّ جَزَعُ أَبِي أَحْمَدَ وَ أَصْحَابِهِ لِمَا نَالَهُمْ.

وَ لَمَّا تَهَيَّأَ لِلزَّنْجِ عَلَيْهِمْ وَ عَظُمَ بِذَلِكَ اهْتِمَامُهُمْ وَ تَعَقَّبَ أَبُو أَحْمَدَ الرَّأْيَ فَرَأَى أَنَّ نُزُولَهُ وَ مَقَامَهُ بِالْجَانِبِ الْغُرْبِيِّ مُجَاوِرَ مَدِينَةِ النَّاجِمِ خَطَأً وَ أَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ مِنْهُ حِيلَةٌ وَ انْتَهَازَ فُرْصَةَ فَيُوقِعُ بِالْعَسِيكِرِ بَيَاتًا أَوْ يَجِدَ مَسَاغًا إِلَى (٢) مَيَا يَكُونُ لَهُ قُوَّةٌ لِكَثْرَةِ الْأَدْعَالِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَ صِيْعُوبَةِ الْمَسَالِكِ وَ أَنَّ الزَّنْجَ عَلَى التَّوَعُّلِ فِي تَلْعُكِ الْمَوَاضِعِ الْوَعْرَةِ الْمُوحِشَةِ أَقْدَرُ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ أَشْيَهُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَانصَرَفَ عَنْ رَأْيِهِ فِي نُزُولِ الْجَانِبِ الْغُرْبِيِّ (٣) وَ صَرَفَ هَمَّهُ وَ قَصَدَهُ

ص: ١٩٨

١-١) الطبري: «و ما خاف».

٢-٢) الطبري: «إلى شيء مما يكون».

٣-٣) الطبري: «غربي دجله».

إِلَى هَذِمِ سُورِ مَدِينَةِ النَّاجِمِ وَ تَوَسَّعَ الطَّرِيقِ وَ الْمَسَالِكِ لِأَصِيحَابِهِ فِي دُخُولِهَا فَتَدَبَّ الْقَوَادِ لِذَلِكَ وَ نَدَبَ النَّاجِمِ قَوَادَهُ لِلْمَدَافِعِ عَنْهَا وَ طَالَ الْأَمَدُ وَ تَمَادَّتِ الْأَيَّامُ.

فَلَمَّا رَأَى أَبُو أَحْمَدَ تَحَاشُدَ الزُّنَجِ وَ تَعَاوُنَهُمْ عَلَى الْمَنَعِ مِنْ هَذِمِ السُّورِ أَرْمَعَ عَلَى مُبَاشَرِهِ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَ حُضُورِهِ إِيَّاهُ لِيَسِيْرَ تَدْعَى بِذَلِكَ جَدَّ أَصِيحَابِهِ وَ اجْتِهَادَهُمْ وَ يَزِيدَ فِي عِنَايَتِهِمْ وَ هِمَمِهِمْ فَحَضَرَ بِنَفْسِهِ وَ اتَّصَلَتِ الْحَرْبُ وَ غَلِظَتْ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ وَ كَثُرَ الْقَتْلُ وَ الْجِرَاحُ فِي الْحَزْبَيْنِ وَ أَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ أَيَّامًا كَثِيرَةً يُعَادِيهِمُ الْحَرْبُ وَ يُرَاوِحُهُمْ فَكَانُوا لَا يَفْتُرُونَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَ صَيَّبَ عَلَى أَصِيحَابِ أَبِي أَحْمَدَ مَا كَانُوا يُرْوَمُونَ وَ اسْتَدَّتْ حِمَايَةَ الزُّنَجِ عَنْ مَيْدِيَتِهِمْ وَ بَاشَرَ النَّاجِمُ الْحَرْبَ بِنَفْسِهِ وَ مَعَهُ نُجْبُهُ أَصِيحَابِهِ وَ أَبْطَالُهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ مَعَهُ فَحَامُوا جُهْدَهُمْ حَتَّى لَقِدُوا كَانُوا يَقِفُونَ الْمُوقِفَ فَيَصِيْبُ أَحَدًا مِنْهُمْ السَّهْمُ أَوْ الطَّعْنَةُ أَوْ الصَّرْبَةُ فَيَسْقُطُ فَيَجْدِبُهُ الَّذِي إِلَى جَانِبِهِ فَيَنْحِيهِ وَ يَقِفُ مَوْقِفَهُ إِشْفَاقًا مِنْ أَنْ يَخْلُوَ مَوْقِفُ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَيَدْخُلَ الْخَلْلَ عَلَيْهِمْ.

وَ اتَّفَقَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ شِدَّةُ صَبَابِ سَتَرِ بَعْضِ النَّاسِ عَنْ بَعْضٍ فَمَا يَكَادُ الرَّجُلُ يُبْصِرُ صَاحِبَهُ وَ ظَهَرَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ وَ لَاحَتْ تَبَاشِيرُ الْفَتْحِ وَ دَخَلَ الْجُنْدُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ وَلَجُوهَا وَ مَلَكُوا مَوَاضِعَ مِنْهَا وَ إِنَّهُمْ لَعَلَى ذَلِكَ حَتَّى وَصَلَ سَيْهَمُ الزُّنَجِ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ رَمَاهُ بِهِ رُومِيٌّ كَانَ مَعَ النَّاجِمِ يُقَالُ لَهُ قِرْطَاسٌ فَأَصَابَهُ فِي صَدْرِهِ وَ ذَلِكَ لِخَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَيِّئَةً تَسْعَ وَ سِتِّيْنَ وَ مَائَتِيْنَ فَسَتَرَ أَبُو أَحْمَدَ وَ حَوَاصُّهُ مَا نَالَهُ مِنْ ذَلِكَ عَنِ النَّاسِ وَ انْصَيَّرَ إِلَى الْمُؤَقَّفِيَةِ آخِرَ نَهَارِ يَوْمِهِ هَذَا فَعُولِجَ فِي لَيْلَتِهِ تِلْكَ وَ شَدَّتِ الْجِرَاحُ وَ غَدَا عَلَى الْحَرْبِ عَلَى مَا نَالَهُ مِنَ أَلْمِهَا لِيُشَدَّ بِذَلِكَ قُلُوبَ أَصِيحَابِهِ مِنْ أَنْ يَدْخُلَهَا وَ هُنَّ أَوْ صَغُفٌ فَزَادَ فِي قُوَّةِ عِلَّتِهِ بِمَا حَمَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْحَرَكَهِ فَعَلِظَتْ وَ عَظُمَ أَمْرُهَا حَتَّى خِيفَ عَلَيْهِ الْعَطْبُ وَ اخْتِيَاجُ إِلَى عِلَاجِ نَفْسِهِ بِأَعْظَمِ مَا يُعَالِجُ بِهِ الْجِرَاحَ وَ اضْطَرَبَ لِذَلِكَ

الْعَسِيكِرُ وَالْجُنْدُ وَالرَّعِيَّةُ وَخَافُوا قُوَّةَ الزُّنْجِ عَلَيْهِمْ حَتَّى خَرَجَ عَنِ الْمُؤَفَّقِيَّةِ جَمَاعَةً مِنَ التُّجَّارِ كَمَا نُوِيَ مُقِيمِينَ بِهَا لِمَا وَصَلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الرَّهْبَةِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَحَدَّثْتُ عَلَى أَبِي أَحْمَدَ فِي حَالِ صُحُوبِهِ عَلَيْهِ حَدِيثُهُ فِي سُلْطَانِهِ وَأُمُورٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ الْمُعْتَمِدِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ مُشِيرُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَثِقَاتِهِ بِالرَّحْلَةِ عَنْ مَعْسِدِ كَرِهِ إِلَى بَعْدَادَ وَأَنْ يُخَلِّفَ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ فَأَتَى ذَلِكَ وَحَازَرَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَلَاغِي مَا قَدْ فَرَّقَ مِنْ شَمْلِ صَاحِبِ الزُّنْجِ فَأَقَامَ عَلَى صُحُوبِهِ عَلَيْهِ وَغَلِظَ الْأَمْرُ الْحَادِثُ فِي سُلْطَانِهِ وَصَبَرَ إِلَى أَنْ عُوِيَ فَظَهَرَ لِقُودِهِ وَخَاصَّتِهِ وَقَدْ كَانَ أَطَالَ الْإِحْتِجَابَ عَنْهُمْ فَقَوِيَتْ بَرُؤِيَّتُهُ مِنْهُمْ وَأَقَامَ مَتَمَاتِلًا مُودِعًا نَفْسَهُ إِلَى شِعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ فَلَمَّا أَبِيلَ وَقَوِيَ عَلَى الرُّكُوبِ وَالنُّهُوضِ نَهَضَ وَعَاوَدَ مَا كَانَ مُوَاطِبًا عَلَيْهِ مِنَ الْحَرْبِ وَجَعَلَ النَّاجِمَ لَمَّا صَحَّ عِنْدَهُ الْخَبْرُ بِمَا أَصَابَ أَبَا أَحْمَدَ يَعُدُّ أَصْحَابَهُ الْعِدَاتِ وَيَمْنِيهِمُ الْأَمَانِيَّ وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ وَقَوِيَتْ آمَالُهُمْ فَلَمَّا اتَّصَلَ بِهِ ظُهُورُ أَبِي أَحْمَدَ جَعَلَ يَخْلِفُ لِلزُّنْجِ عَلَى مِثْرِهِ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ وَأَنَّ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الشَّدَا مِثَالُ مَوِّهِ وَشُبَّهِ عَلَيْهِمْ.

قُلْتُ الْحَادِثُ الَّذِي حَدَّثْتَ عَلَى أَبِي أَحْمَدَ مِنْ جِهَةِ سُلْطَانِهِ أَنَّ أَحَاهُ الْمُعْتَمِدَ وَهُوَ الْخَلِيفَةُ يَوْمَئِذٍ فَارَقَ دَارَ مُلْكِهِ وَمُسْتَقَرَّ خِلَافَتِهِ مُعَاذَةً بَأْ لَهُ مُتَجَنِّيًا عَلَيْهِ زَاعِمًا أَنَّهُ مُسْتَبَدُّ بِأَمْوَالِ الْمَمْلَكَةِ وَجَبَانِيَّتَهَا مُضْطَهَدًا لَهُ مُسْتَأْثِرًا عَلَيْهِ فَكَاتَبَ ابْنَ طُولُونَ صَاحِبَ مِصْرَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي اللَّحِاقِ بِهِ فَأَجَابَهُ ابْنُ طُولُونَ إِلَى ذَلِكَ فَخَرَجَ مِنْ سَيِّمَرَاءَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُودِهِ وَمَوَالِيهِ قَاصِدًا مِصْرَ وَكَانَ أَبُو أَحْمَدَ هُوَ الْخَلِيفَةُ فِي الْمَعْنَى وَإِنَّمَا الْمُعْتَمِدُ صُورَةٌ

خَالِيَهُ مِنْ مَعَانِي الْخِلَافَةِ لَا أَمْرَ لَهُ وَلَا نَهْيَ وَلَا حَلَ وَلَا عَقْدَ وَ أَبُو أَحْمَدَ هُوَ الَّذِي يُرْتَّبُ الْوُزَرَءَ وَ الْكُتَّابَ وَ يَقُودُ الْقَوَادَ وَ يَقْطَعُ الْأَقْطَاعَ وَ لَا يُرَاجِعُ الْمُعْتَمِدَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ أَصْلًا فَاتَّصَلَ بِهِ خَبْرُ الْمُعْتَمِدِ فِي شُخُوصِهِ عَنْ سَامِرَاءَ وَ قَضَدِهِ ابْنِ طُولُونَ فَكَاتَبَ إِسْحَاقَ بْنَ كَنْدَاحِيقَ وَ هُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمُوَصِّلِ وَ الْجَزِيرَةِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَرِضَ الْمُعْتَمِدَ وَ يَقْبِضَ عَلَيْهِ وَ عَلَى الْقَوَادِ وَ الْمَوَالِي الَّذِينَ مَعَهُ وَ يُعِيدَهُمْ إِلَى سَامِرَاءَ وَ كَتَبَ لِإِسْحَاقَ بِإِقْطَاعِهِ ضَبَاعَ أَوْلِيكَ الْقَوَادِ وَ الْمَوَالِي بِأَجْمَعِهِمْ فَأَعْتَرَضَهُمْ إِسْحَاقُ وَ قَدَّ قُرْبُوا مِنْ الرِّقَّةِ فَأَخَذَهُمْ وَ قَبِضَ عَلَيْهِمْ وَ قَبَدَهُمْ بِالْقَيْودِ الثَّقِيلَةِ وَ دَخَلَ عَلَى الْمُعْتَمِدِ فَعَنَّفَهُ وَ هَجَّنَهُ وَ عَدَلَهُ فِي شُخُوصِهِ عَنْ دَارِ مُلْكِهِ وَ مُلْكِ آبَائِهِ وَ مُفَارَقِهِ أَخِيهِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي هُوَ بِهَا وَ حَزَبٍ مِنْ يُحَاوِلُ قَتْلَهُ وَ قَتَلَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَ زَوَالَ مُلْكِهِمْ.

ثُمَّ حَمَلَهُمْ فِي قَيْودِهِمْ حَتَّى وَافَى بِهِمْ سَامِرَاءَ فَأَقَرَّ الْمُعْتَمِدُ عَلَى خِلَافَتِهِ وَ مَنَعَهُ عَنِ الْخُرُوجِ وَ أَرْسَلَ أَبُو أَحْمَدَ ابْنَهُ هَارُونَ وَ كَاتِبَهُ صَاعِدَ بْنَ مَخْلَدٍ مِنَ الْمُؤَفَّقِيَّةِ إِلَى سَامِرَاءَ فَخَلَعَا عَلَى ابْنِ كَنْدَاحِيقَ خِلْعًا جَلِيلَةً وَ قُلْدَ بَسِيْفَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُقْبَ ذَا السَّيْفَيْنِ وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قُلْدَ بَسِيْفَيْنِ ثُمَّ خُلِعَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ قُبَاءِ دِيْبَاجِ أَسْوَدَ وَ شَاحِنِ مُرْصَعَيْنِ بِالْجَوْهَرِ الثَّمِينِ وَ تُوِّجَ بِتَاجٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرْصَعٍ بِبَنَفِيسِ الْجَوْهَرِ وَ قُلْدَ سَيِّفًا مِنْ ذَهَبٍ مُرْصَعٍ بِالْجَوْهَرِ الْعَظِيمَةِ وَ شَيَّعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ هَارُونَ وَ صَاعِدًا وَ قَعِيدًا عَلَى طَعَامِهِ كُلَّ ذَلِكَ مُكَافَأَةً لَهُ عَنْ صَنِيعِهِ فِي أَمْرِ الْمُعْتَمِدِ فَلْيَعْجَبِ الْمُتَعَجِّبُ مِنْ هِمِّ الْمُؤَفَّقِيِّ أَبِي أَحْمَدَ وَ قُوَّةِ نَفْسِهِ وَ شِدَّةِ شَكِيمَتِهِ أَنْ يَكُونَ بِإِزَاءِ ذَلِكَ الْعِيدِ وَ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِهِ كُلِّ وَقْتٍ مَنْ يُقْتَلُ ثُمَّ يُصَابُ وَلَمُدَّهُ بِسَيْفِهِمْ وَ يُصَابُ هُوَ بِسَيْفِهِمْ آخَرَ فِي صَدْرِهِ يُشَارِفُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ وَ يَحْدُثُ مِنْ أَخِيهِ وَ هُوَ الْخَلِيفَةُ مَا يَحْدُثُ وَ لَا تَنْكَسِرُ نَفْسُهُ وَ لَا يَهِي عَزْمُهُ وَ لَا تَضْعُفُ قُوَّتُهُ وَ بِحَقِّ

مِا سِيَمَى الْمَنصُورِ الثَّانِي وَ لَوْلَا- قِيَامُهُ فِي حَرْبِ الزُّنْجِ لِانْقِرَاضِ مُلْكِكَ أَهْلِي بَيْتِهِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَبَتَّهُ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ بَقَاءِ هَيْدِهِ الدَّوْلَةَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ حَيْدَ الْمُؤَفَّقُ فِي تَخْرِيْبِ السُّوْرِ وَ إِحْرَاقِ الْمَدِينَةِ وَ حَيْدَ النَّاجِمِ فِي إِعْدَادِ الْمُقَاتِلَةِ وَ الْمُحَاطَةِ عَنْ سُورِهِ وَ مَدِينَتِهِ فَكَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ تَجَلُّ عَنِ الْوَصْفِ وَ رَمَى النَّاجِمُ سَيْفَنَ الْمُؤَفَّقِ الْمُقَارِبَةَ لِسُورِ مَدِينَتِهِ بِالرَّصِاصِ الْمِيدَابِ وَ الْمَجَانِيْقِ وَ الْعَرَادَاتِ وَ أَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ بِإِعْدَادِ ظُلْمِهِ (١) مِنْ حَشَبٍ لِلشَّدَا (٢) وَ الْبَاسِهَا جُلُودَ الْجَوَامِيسِ وَ تَغْطِيهِ ذَلِكَ بِالْخَيُْوشِ الْمَطْلِيَةِ بَصُفُوفِ الْعَقَاقِيرِ وَ الْمَادُويَةِ الَّتِي تَمْنَعُ النَّارَ مِنَ الْإِحْرَاقِ ففَعَلَّ ذَلِكَ وَ حُورِبَ صَاحِبُ الزُّنْجِ مِنْ تَحْتِهَا فَلَمْ تَعْمَلْ نَارُهُ وَ رَصِاصُهُ الْمِيدَابُ فِيهَا شَيْئاً وَ اسْتَأْمَنَ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ سَمْعَانَ كَاتِبَ النَّاجِمِ وَ وَزِيرُهُ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَيْدِهِ السَّنَةِ فَهَدَّ بِاسْتِثْمَانِهِ أَرْكَانَ النَّاجِمِ وَ أَضْعَفَ قُوَّتَهُ وَ انْتَدَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ لِقَصْدِ دَارِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْكَرْتَبَائِيِّ وَ كَانَتْ بِأَزَاءِ دَارِ النَّاجِمِ وَ شَرَعَ فِي الْحِيَلِ فِي إِحْرَاقِهَا وَ أَحْرَقَ الْمُؤَفَّقُ كَثِيراً مِنَ الرُّوَاشِينِ (٣) الْمُظْلَهُ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ وَ شَعْنَهَا وَ عَلَا غِلْمَانُ أَبِي أَحْمَدَ عَلَى دَارِ النَّاجِمِ وَ وَلَجُوهَا وَ انْتَهَبُوهَا وَ أَضْرَمُوا النَّارَ فِيهَا وَ فَعَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِدَارِ الْكَرْتَبَائِيِّ مِثْلَ ذَلِكَ وَ جَرَحَ أَنْكَلَانِيُّ بْنُ النَّاجِمِ فِي بَطْنِهِ جِرَاحَةً شَدِيدَةً أَشْفَى مِنْهَا عَلَى التَّلْفِ وَ اتَّفَقَ مَعَ هَذَا الظَّفَرِ الْعَظِيمِ أَنْ غَرِقَ أَبُو حَمَزَةَ نُصَيْرٌ صَاحِبُ جَيْشِ الْمَاءِ عِنْدَ أَرْدِحَامِ الشَّدَوَاتِ وَ إِكْبَابِ الزُّنْجِ عَلَى الْحَرْبِ فَصَعَبَ ذَلِكَ عَلَى أَبِي أَحْمَدَ وَ قَوِيَ بَغْزُهُ أَمْرَ الزُّنْجِ وَ انْصَرَفَ أَبُو أَحْمَدَ

ص: ٢٠٢

١- (١) الطبري: «ظلال»؛ و هما اسم جمع؛ و احدهما ظله، بالضم.

٢- (٢) من الطبري.

٣- (٣) ؟؟؟؟: جمع روشن؛ و هو الكوه.

آخِرَ نَهَارِ هَذَا الْيَوْمِ وَ عَرَضَتْ لَهُ عِلَّةٌ أَقَامَ فِيهَا بَقِيَّةَ شَعْبَانَ وَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَ أَيَّامًا مِنْ شَوَّالٍ مُمَسِّكًا عَنْ حَرْبِ الزَّنْجِ إِلَى أَنْ اسْتَبَلَّ مِنْ عِلَّتِهِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا أُحْرِقَتْ دَارُ النَّاجِمِ وَ دُورُ أَصْحَابِهِ وَ شَارَفَ أَنْ يُؤْخَذَ وَ عَرَضَتْ لِأَبِي أَحْمَدَ هَذِهِ الْعِلَّةُ فَأَمْسَكَ فِيهَا عَنِ الْحَرْبِ انْتَقَلَ النَّاجِمُ مِنْ مَدِينَتِهِ الَّتِي بَنَاهَا بَعْزِيُّ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ إِلَى شَرْقِيَّةِ إِلَى مَنْزِلٍ وَعَرٍ لَّا- يَخْلُصُ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِاسْتِبَاكِ الْقَصَبِ وَ الْأَدْغَالِ وَ الْأَحْطَابِ فِيهِ وَ عَلَيْهِ خَنَادِقٌ مِنْ أَنْهَارٍ قَاطِعَةٍ مُعْتَرِضَةٍ فَقَطَنَ هُنَاكَ فِي خَوَاصِهِ وَ مَنْ تَخَلَّفَ مَعَهُ مِنْ جَلِهِ أَصْحَابِهِ وَ ثِقَاتِهِ وَ مَنْ بَقِيَ فِي نُصَيْرَتِهِ مِنَ الزَّنْجِ وَ هُمْ حُدُودُ عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ وَ انْقَطَعَتِ الْمِيرَةُ عَنْهُمْ وَ بَانَ لِلنَّاسِ ضَعْفُ أَمْرِهِمْ فَتَأَخَّرَ الْجَلْبُ الَّذِي كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ فَبَلَغَ الرَّطْلُ مِنْ خُبْرِ الْبُرِّ عِنْدَهُمْ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ فَأَكَلُوا الشَّعِيرَ ثُمَّ أَكَلُوا أَصْنَافَ الْجُبُوبِ ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ النَّاسَ فَبِإِذَا خَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ بِصَبِيٍّ أَوْ امْرَأَةٍ أَوْ رَجُلٍ ذَبْحُوهُ وَ أَكَلُوهُ ثُمَّ صَارَ قُوَى الزَّنْجِ يَعِيدُو عَلَى ضَعْفِهِمْ فَبِإِذَا خَلَا بِهِ ذَبْحَهُ وَ أَكَلَ لَحْمَهُ ثُمَّ ذَبَحُوا أَوْلَادَهُمْ فَأَكَلُوا لُحُومَهُمْ وَ كَانَ النَّاجِمُ لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا مِمَّنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَبْسِ وَ إِذَا تَطَاوَلَ حَبْسُهُ أَطْلَقَهُ.

وَ لَمَّا أَبَلَ الْمُؤَفَّقُ مِنْ عِلَّتِهِ وَ عَلِمَ انْتِقَالَ النَّاجِمِ إِلَى شَرْقِيَّةِ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ وَ اغْتِصَامِهِ بِهِ أَعْمَلَ فِكْرَهُ فِي تَخْرِيْبِ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ عَلَيْهِ كَمَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ لِيَتِمَّكَنَ مِنْ قَتْلِهِ أَوْ أُسْرِهِ فَكَانَتْ لَهُ آثَارٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَطْعِ الْأَدْغَالِ وَ الدُّحَالِ (١) وَ سَدِّ الْأَنْهَارِ وَ طَمِّ الْخَنَادِقِ وَ تَوْسِيعِ الْمَسَالِكِ وَ إِخْرَاقِ الْأَسْوَارِ الْمَبِيئَةِ وَ إِدْخَالِ الشَّدَا وَ فِيهَا الْمُقَاتِلَةُ إِلَى حَرِيمِ النَّاجِمِ وَ فِي كُلِّ ذَلِكَ يُدَافِعُ الزَّنْجُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِحَرْبٍ شَدِيدَةٍ وَ قِتَالٍ عَظِيمٍ تَذْهَبُ فِيهَا النُّفُوسُ وَ تُرَاقُ فِيهَا الدِّمَاءُ وَ كَانَ الظَّفَرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِأَبِي أَحْمَدَ وَ أَمْرُ الزَّنْجِ يَزْدَادُ ضَعْفًا

ص: ٢٠٣

(١- ١) الدحال: جمع دحل، وهو النقب الضيق الأعلى الواسع الأسفل؛ يمكن أن يمشى فيه.

وَطَالَتِ الْأَيَّامُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ اسْتَأْمَنَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى الشَّعْرَانِيُّ وَهُوَ مِنْ عَظَمَائِهِمْ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فَوَجَّهَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ مِنْ أَبِي أَحْمَدَ فَمَنَعَهُ ذَلِكَ لِمَا كَانَ سَيَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْعَيْثِ وَ سَيْفِكَ الدَّمَاءِ بِنَوَاحِي وَاسِطٍ. ثُمَّ اتَّصَلَ بِأَبِي أَحْمَدَ أَنَّ جَمَاعَهُ مِنْ رُؤَسَاءِ الزُّنُجِ قَدِ اسْتَوْحَشُوا لِمَنَعِهِ الشَّعْرَانِيَّ مِنَ الْأَمَانِ فَأَجَابَ إِلَى إِعْطَائِهِ الْأَمَانَ اسْتِصْخَارًا لِأَحَدٍ بِعَدْلِكَ غَيْرَهُ مِنْ رُؤَسَاءِ الزُّنُجِ وَ أَمَرَ بِتَوْجِيهِ الشَّدَا إِلَى مَوْضِعٍ وَقَعَ الْمَيْعَادُ عَلَيْهِ فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ الشَّعْرَانِيُّ وَ أَخُوهُ وَ جَمَاعَهُ مِنْ قُوَادِهِ فَتَزَلُّوا الشَّدَا فَصَارُوا إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَحَمَلَهُمْ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ فَخَلَعَ عَلَى سُلَيْمَانَ وَ مَنْ مَعَهُ وَ حَمَلَهُ عَلَى عِدَّةِ أَفْرَاسٍ بِسُرُوجِهَا وَ آلَتِهَا وَ أَنْزَلَ لَهُ وَ لِأَصْحَابِهِ أَنْزَالَ سَيْتَهُ وَ وَصَلَهُ بِمَالٍ جَلِيلٍ وَ وَصَلَ أَصْحَابَهُ وَ ضَمَّهُ وَ ضَمَّهُمْ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَ أَمَرَ بِإِظْهَارِهِ وَ إِظْهَارِهِمْ فِي الشَّدَا لِأَصْحَابِ النَّاجِمِ لِيَزِدَادُوا ثِقَةً بِأَمَانَتِهِ فَلَمْ تَبْرَحِ الشَّدَا ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ مَوْضِعِهَا حَتَّى اسْتَأْمَنَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنْ قُوَادِ الزُّنُجِ فَوَصَلُوا وَ أَلْحَقُوا بِأَخْوَانِهِمْ فِي الْحَبَاءِ وَ الْبَرِّ وَ الْخَلَعِ وَ الْجَوَائِزِ فَلَمَّا اسْتَأْمَنَ الشَّعْرَانِيُّ اخْتَلَّ مَا كَانَ النَّاجِمُ قَدْ ضَمَّ بِهِ مِنْ مُؤَخَّرِ عَسِ كَرِهِ وَ قَدْ كَانَ جَعَلَهُ عَلَى مُؤَخَّرِ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ فَوَهِيَ أُمُّهُ وَ ضَمُّهُ وَ قَلَدَ مَا كَانَ سُلَيْمَانُ يَتَوَلَّاهُ الْقَائِدَ الْمَعْرُوفَ بِشَيْبَلِ بْنِ سَالِمٍ وَ هُوَ مِنْ قُوَادِهِمُ الْمَشْهُورِينَ فَلَمْ يُمَسِّ أَبُو أَحْمَدَ حَتَّى وَافَاهُ رَسُولُ شَيْبَلِ بْنِ سَالِمٍ يَطْلُبُ الْأَمَانَ وَ يَسْأَلُ أَنْ يُوقَفَ لَهُ شَدَوَاتٌ عِنْدَ دَارِ ابْنِ سَمْعَانَ لِيَكُونَ قَصْدُهُ فِي اللَّيْلِ إِلَيْهَا وَ مَعَهُ مَنْ يَتَّقِي بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأُجِيبَ إِلَى سُؤَالِهِ وَ وَافَى آخِرَ اللَّيْلِ وَ مَعَهُ عِيَالُهُ وَ وُلْدُهُ وَ جَمَاعَهُ مِنْ قُوَادِهِ فَصَارُوا إِلَى أَبِي أَحْمَدَ فَوَصَلَهُ بِصِلَةٍ جَلِيلَةٍ وَ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا كَثِيرَةً وَ حَمَلَهُ عَلَى عِدَّةِ أَفْرَاسٍ بِسُرُوجِهَا وَ آلَتِهَا وَ وَصَلَ أَصْحَابَهُ وَ خَلَعَ عَلَيْهِمْ وَ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَ أَرْسَلَهُ فِي الشَّدَوَاتِ فَوَقَفُوا بِحَيْثُ يَرَاهُمُ النَّاجِمُ وَ أَصْحَابُهُ نَهَارًا فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَ أَخْلَصَ شَيْبَلُ فِي مُنَاصِحَتِهِ أَبُو أَحْمَدَ فَسَأَلَ أَنْ يُضَمَّ إِلَيْهِ عَسِ كَرِيْمِيَّتُ بِهِ عَسِ كَرِ النَّاجِمِ وَ يَسْأَلُكَ إِلَيْهِ مِنْ مَسَالِكَ يَعْرِفُهَا هُوَ وَ لَا يَعْرِفُهَا أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ فَفَعَلَ

وَ كَبَسَ عَسِيكَرَ النَّاجِمِ سِحْرًا فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَ هُمْ غَارُونَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَهُ عَظِيمَةً وَ أَسِيرَ جَمْعًا مِنْ قُوَادِ الزَّرْنِجِ وَ انصَرَفَ بِهِمْ إِلَى الْمَوْفِقِ وَ ذَعَرَ الزَّرْنِجُ مِنْ شِدْبَلٍ وَ مَا فَعَلَهُ فَاَمْتَنَعُوا مِنَ النَّوْمِ وَ خَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا فَكَانُوا يَتَحَارَسُونَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ وَ لَا تَزَالُ النَّفْرَةُ تَقَعُ فِي عَسِيكَرِهِمْ لَمَّا اسْتَشْعَرُوا مِنَ الْخَوْفِ وَ وَصَلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الْوَحْشَةِ حَتَّى لَقِدَ كَانَ ضَعِيجُهُمْ وَ تَحَارُسُهُمْ يُسْمَعُ بِالْمَوْفِقِيَّةِ. وَ صَيَّحَ عَزْمُ الْمَوْفِقِ عَلَى الْعُبُورِ لِمَحَارَبَةِ النَّاجِمِ فِي الْحَيَابِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيْبِ فَجَلَسَ مَجْلِسًا عَامِيًا وَ أَمَرَ بِإِحْضَارِ قُوَادِ الْمُسَدِّ تَأْمِنَهُ وَ وُجُوهُ فُرْسَانِهِمْ وَ رَجَالَتِهِمْ مِنَ الزَّرْنِجِ وَ الْبَيْضَانِ فَأَدْخَلُوا إِلَيْهِ فَخَطَبَهُمْ وَ عَرَّفَهُمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَ الْجَهْلِ وَ انْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ وَ مَا كَانَ صَاحِبُهُمْ زَيْنَهُ لَهُمْ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ أَحْلَلَهُ دِمَاءَهُمْ وَ أَنَّهُ قَدْ غَفَرَ الزَّلَّةَ وَ عَفَا عَنِ الْعُقُوبَةِ وَ بَيَّضَلَ الْأَمْيَانَ وَ عَادَ عَلَى مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ بِالْفَضْلِ وَ الْإِحْسَانِ فَأَجْزَلَ الصَّلَاتِ وَ أَسْنَى الْأَزْزَاقِ وَ أَحَقَّهُمْ بِالْأَوْلِيَاءِ وَ أَهْيَلِ الطَّاعَةِ وَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ يُوجِبُ عَلَيْهِمْ حَقَّهُ وَ طَاعَتَهُ وَ أَنَّهُمْ لَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ يَتَعَرَّضُونَ بِهِ لِطَاعَةِ رَبِّهِمْ وَ الْإِسْتِدْعَاءِ لِرِضَا سُلْطَانِهِمْ أَوْلَى بِهِمْ مِنَ الْجِدِّ فِي مُجَاهَدَةِ النَّاجِمِ وَ أَصْحَابِهِ وَ أَنَّهُمْ مِنَ الْخَيْرِ بِمَسَالِكِ عَسِيكَرِ النَّاجِمِ وَ مَضَائِقِ طُرُقِ مِدْيَنَتِهِ وَ الْمَعَاوِلِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِلْحَرْبِ عَلَى مَا لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِمْ فَهُمْ أَحْرَى أَنْ يَمَحْضُوهُ نُصَيْحَهُمْ وَ يَجْهَدُوا عَلَى الْوُلُوجِ إِلَى النَّاجِمِ وَ التَّوَعُّلِ إِلَيْهِ فِي حُصُونِهِ حَتَّى يُمَكِّنَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ مِنْ أَشْيَاعِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمُ الْإِحْسَانُ وَ الْمَزِيدُ وَ مَنْ قَصَرَ مِنْهُمْ اسْتَدْعَى مِنْ سُلْطَانِهِ إِسْقَاطَ حَالِهِ وَ تَصْغِيرَ مَنْزِلَتِهِ وَ وَضَعَ مَرْتَبَتَهُ.

فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ جَمِيعًا بِالِدُّعَاءِ لِلْمَوْفِقِ وَ الْإِقْرَارِ بِإِحْسَانِهِ وَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ صِدْقِهِ الصَّامِرِ مِنَ السَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ وَ الْجِدِّ فِي مُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ وَ بَيَّضَلَ دِمَائِهِمْ وَ مُهَجِّهِمْ فِي كُلِّ مَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْهُ وَ أَنَّ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ قَدْ قَوَّى مِنْهُمْ وَ دَلَّهُمْ عَلَى ثِقَتِهِ بِهِمْ وَ إِحْلَالِهِ إِيَّاهُمْ

مَحِلِّ أَوْلِيَائِهِ وَ سَيِّأَلُوهُ أَنْ يُفْرِدَهُمْ نَاحِيَةً وَلَا يَخْلَطَهُمْ بِعَسَاكِرِهِ لِيُظْهَرَ مِنْ حُسْنِ جِهَادِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ خُلُوصِ نِيَّتِهِمْ فِي الْحَرْبِ وَ نِكَائَتِهِمْ فِي الْعَدُوِّ وَ مَا يَعْرِفُ بِهِ طَاعَتَهُمْ وَ إِفْلَاحَهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ جَهْلِهِمْ.

فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَ عَرَّفَهُمْ حُسْنَ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ طَاعَتِهِمْ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ مُبْتَهَجِينَ بِمَا أُجِيبُوا بِهِ مِنْ حُسْنِ الْقَوْلِ وَ جَمِيلِ الْوَعْدِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ اسْتَعَدَّ أَبُو أَحْمَدَ وَ رَتَّبَ جَيْشَهُ وَ دَخَلَ إِلَى عَسَاكِرِ النَّاجِمِ بِشَرْقِيِّ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ فِي خَمْسِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ مِنَ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ فُزْسَانًا وَ رَجَالَهُ يُكَبِّرُونَ وَ يُهَلِّلُونَ وَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَ لَهُمْ ضَجِيجٌ وَ أَصْوَاتٌ هَائِلَةٌ فَرَأَى النَّاجِمُ مِنْهُمْ مَا هَالَهُ وَ تَلَقَّاهُمْ بِنَفْسِهِ وَ جَيْشِهِ وَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَ سِتِّينَ وَ مِائَتَيْنِ .

وَ اشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ وَ كَثُرَ الْقَتْلُ وَ الْجِرَاحُ وَ حِيَامَى الزَّنْجُ عَنْ صَاحِبِهِمْ وَ أَنْفَسَتِهِمْ أَشَدَّ مُحَامَاةً وَ اسْتِمَاتُوا وَ صَبَرَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ وَ صَدَقُوا الْقِتَالَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالنَّصْرِ وَ انْهَزَمَ الزَّنْجُ وَ قُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ عَظِيمٌ وَ أُسِرَ مِنْهُمْ أُسْرَى كَثِيرَةٌ فَضَرَبَ أَبُو أَحْمَدَ أَعْنَاقَ الْأَسَارَى فِي الْمَعْرَكَةِ وَ قَصَدَ بِنَفْسِهِ دَارَ النَّاجِمِ فَوَافَاها وَ قَدْ لَجَأَ النَّاجِمُ إِلَيْهَا وَ مَعَهُ أَنْجَادُ أَصْحَابِهِ لِلْمُدَافَعَةِ عَنْهُ.

فَلَمَّا لَمْ يُعْنُوا شَيْئًا اسْلَمُواها وَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا وَ دَخَلَهَا غِلْمَانُ الْمُؤَقَّقِ وَ بِهَا بَقَايَا مَا كَانَ سَلِمَ لَهُ مِنْ مَالٍ وَ أَثَاثٍ فَأَخَذُوهُ وَ انْتَهَبُوهُ وَ أَخَذُوا حَرَمَهُ وَ وُلْدَهُ الذُّكُورَ وَ الْإِنَاثَ وَ تَخَلَّصَ النَّاجِمُ بِنَفْسِهِ وَ مَضَى هَارِبًا نَحْوَ دَارِ عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيِّ لَا يَلْوِي عَلَى أَهْلٍ وَ لَا وَلَدٍ وَ لَا مَالٍ وَ أُحْرِقَتْ دَارُهُ وَ حُمِلَ أَوْلَادُهُ وَ نِسَاؤُهُ إِلَى الْمُؤَقَّقِيَّةِ فِي التَّوَكِيلِ وَ قَصَدَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ دَارَ الْمُهَلَّبِيِّ وَ قَدْ لَجَأَ إِلَيْهَا النَّاجِمُ وَ أَكْثَرَ الزَّنْجُ وَ تَشَاغَلَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ بِنَهَبِ

الْأَمْوَالِ مِنْ دُورِ الزَّنْجِ فَاعْتَنَمَ النَّاجِمُ تَشَاغُلَهُمْ بِالنَّهْبِ فَأَمَرَ قَوَادَهُ بِانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ وَالْإِكْبَابِ عَلَيْهِمْ فَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِنْ عِدَّةِ مَوَاضِعَ وَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ كُمْنَاءُ أَيْضًا قَدْ كَانُوا كَمَنُوهُمْ لَهُمْ فَكَشَفُوهُمْ وَ اتَّبَعُوهُمْ حَتَّى وَافَوْا بِهِمْ نَهَرَ أَبِي الْخَصِيبِ فَفَقَتَلُوا مِنْ فُرْسِيَانِهِمْ وَ رَجَالَتِهِمْ جَمَاعَةً وَ ارْتَجَعُوا بَعْضَ مَا كَانُوا أَخَذُوهُ مِنَ الْمَالِ وَ الْمَتَاعِ.

ثُمَّ تَرَاجَعَ النَّاسُ وَ دَامَتِ الْحَرْبُ إِلَى وَقْتِ الْعَصِيرِ فَرَأَى أَبُو أَحْمَدَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَصْرِفَ أَضِيحَابَهُ فَأَمَرَهُمْ بِالرُّجُوعِ فَرَجَعُوا عَلَى هُدُوءٍ وَ سُكُونٍ كَيْ لَا تَكُونَ هَزِيمَةً حَتَّى دَخَلُوا سُفُنَهُمْ وَ أَحْجَمَ الزَّنْجُ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ وَ عَادَ أَبُو أَحْمَدَ بِالْجَيْشِ إِلَى مَرَكَزِهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ وَافَى إِلَى أَبِي أَحْمَدَ فِي هَذَا الشَّهْرِ كَاتِبُهُ صَاعِدُ بْنُ مَخْلَدٍ مِنْ سَامَرَاءَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَ وَافَى إِلَيْهِ لَوْلُوُّ صَاحِبُ ابْنِ طُولُونَ وَ كَانَ إِلَيْهِ أَمْرُ الرُّقَّةِ وَ دِيَارِ مُضَرَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ نُخْبَةِ الْفُرْسِيَانِ وَ أَنْجَادِهِمْ فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ لَوْلُوًّا أَنْ يَخْرُجَ فِي عَشِيرَتِهِ فَيَحَارِبَ الزَّنْجَ فَخَرَجَ بِهِمْ وَ مَعَهُ مِنْ أَضِيحَابِ أَبِي أَحْمَدَ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ وَ الْمَضَائِقِ فَكَانَتْ بَيْنَ لَوْلُوِّ وَ بَيْنَ الزَّنْجِ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ اسْتِظْهَرَ فِيهَا لَوْلُوُّ عَلَيْهِمْ وَ بَانَ مِنْ نَجْدَتِهِ وَ شَجَاعَتِهِ وَ إِقْدَامِ أَضِيحَابِهِ وَ صَبْرِهِمْ عَلَى أَلَمِ الْجِرَاحِ وَ ثَبَاتِ قُلُوبِهِمْ مَا سَرَّ أَبَا أَحْمَدَ وَ مَلَأَ قَلْبَهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا دَخَلَتْ سِنُهُ سَبْعِينَ وَ مَائَتِينَ تَتَابَعَتِ الْأُمَيْدَادُ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ فَوَصَلَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ دِينَارٍ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الْمُطَوَّعَةِ مِنْ كُورِ الْأَهْوَازِ وَ نَوَاحِيهَا وَ قَدِمَ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُطَوَّعَةِ زُهَاءُ أَلْفِي رَجُلٍ يَقُودُهُمْ رَجُلٌ مِنْ عَبِيدِ الْقَيْسِ وَ وَرَدَ بَعْدَ ذَلِكَ زُهَاءُ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ فَارِسَ وَ رِئِيسُهُمْ شَيْخٌ مِنَ الْمُطَوَّعَةِ يُكْنَى أَبَا سَيْلَمَةَ وَ كَانَ أَبُو أَحْمَدَ يَجْلِسُ لِكُلِّ مَنْ يَرُدُّ وَ يَخْلَعُ عَلَيْهِ وَ يُقِيمُ لِأَصْحَابِهِ الْأَنْزَالَ الْكَثِيرَةَ وَ يَصِلُهُمْ بِالصَّلَاتِ فَعَظُمَ جَيْشُهُ جِدًّا وَ امْتَلَأَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ وَ صَحَّ

عَزَمَهُ عَلَى لِقَاءِ النَّاجِمِ بِجَمِيعِ عَسَاكِرِهِ فَرْتَبَ جُيُوشَهُ وَقَسَمَهُمْ عَلَى الْقَوَادِ وَأَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوَادِ أَنْ يَقْصِدَ جِهَهُ مِنْ جِهَاتِ
مُعَسِكِرِ النَّاجِمِ عَيْنَهَا لَهُ وَرَكِبَ بِنَفْسِهِ وَرَكِبَ جَيْشَهُ وَتَوَعَّلُوا فِي مَسَالِكِ شَرْقِي نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ وَلَقِيَهُمُ الزُّنْجُ وَقَدْ حَشَدُوا وَ
اسْتَقْبَلُوا فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَعُهُ شَدِيدَةً مَنَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا أَكْثِيافَ الزُّنْجِ فَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ فَاتَّبَعَهُمْ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ يَقْتُلُونَ وَ
يَأْسِرُونَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ وَغَرِقَ كَثِيرٌ وَحَوَى أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ مُعَسِكَرَ النَّاجِمِ وَ مَدِينَتَهُ وَظَفَرُوا بِعِيَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ الْمُهَلَّبِيِّ وَ
دَارِهِ وَ أَمْوَالِهِ فَاحْتَوَوْا عَلَيْهَا وَ عَبَّرَ أَهْلَهُ وَ أَوْلَادَهُ إِلَى الْمُؤَوَّقِيَّةِ مَعَ كِلَابِهِمْ وَ مَضَى النَّاجِمُ وَ مَعَهُ الْمُهَلَّبِيُّ وَ ابْنُهُ أَنْكَلَانِيُّ وَ سُلَيْمَانُ
بْنُ جَامِعٍ وَ الْهَمِيدَانِيُّ وَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَكْبَارِ الْقَوَادِ عَامِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ كَانَ النَّاجِمُ قَدْ أَعَدَّهُ لِنَفْسِهِ مَلْجَأً إِذَا غَلَبَ عَلَى مَدِينَتِهِ وَ دَارِهِ
فِي النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالسُّفْيَانِيِّ فَتَقَدَّمَ أَبُو أَحْمَدَ وَ مَعَهُ لُؤْلُؤُ قَاصِدِينَ هَذَا النَّهْرَ لِأَنَّ أَبَا أَحْمَدَ دَلَّ عَلَيْهِ فَأَوْغَلَ فِي الدُّخُولِ وَ فَقَدَهُ
أَصْحَابُهُ فَظَنُّوا أَنَّهُ رَجَعَ فَرَجَعُوا كُلُّهُمْ وَ عَبَّرُوا دِجْلَةَ فِي الشَّدَا ظَانِينَ أَنَّهُ عَبَّرَ رَاجِعًا وَ انْتَهَى أَبُو أَحْمَدَ وَ مَعَهُ لُؤْلُؤُ قَاصِدِينَ هَذَا النَّهْرَ
فَاقْتَحَمَهُ لُؤْلُؤُ بِفَرَسِهِ وَ عَبَّرَ أَصْحَابُ لُؤْلُؤٍ خَلْفَهُ.

وَ وَقَفَ أَبُو أَحْمَدَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عِنْدَ النَّهْرِ وَ مَضَى النَّاجِمُ هَارِبًا وَ لُؤْلُؤُ يَتَّبَعُهُ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ
بِالْقَرْبَرِيِّ فَوَصَلَ إِلَيْهِ لُؤْلُؤُ وَ أَصْحَابُهُ فَأَوْقَعُوا بِهِ وَ بَمَنْ مَعَهُ فَكَشَفُوهُمْ فَوَلَّوْا هَارِبِينَ حَتَّى عَبَّرُوا النَّهْرَ الْمَذْكُورَ وَ لُؤْلُؤُ وَ أَصْحَابُهُ
يَطْرُدُونَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ حَتَّى أَلْجَوْهُمْ إِلَى نَهْرِ آخَرَ فَعَبَّرُوهُ وَ اعْتَصَمُوا بِدِحَالٍ وَرَاءَهُ فَوَلَّجُوهَا وَ أَشْرَفَ لُؤْلُؤُ وَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهَا فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ الْمُؤَوَّقُ يَنْهَاهُ عَنِ اقْتِحَامِهَا وَ يَشْكُرُ سَعْيَهُ وَ يَأْمُرُهُ بِالْإِنْصِرَافِ فَاَنْفَرَدَ لُؤْلُؤُ هَذَا الْيَوْمَ وَ أَصْحَابُهُ بِهَذَا الْفِعْلِ دُونَ أَصْحَابِ الْمُؤَوَّقِ
فَانْصَرَفَ لُؤْلُؤُ مَحْمُودَ الْفِعْلِ فَحَمَلَهُ الْمُؤَوَّقُ مَعَهُ فِي شِدَاتِهِ وَ حِدَادَتِهِ مِنْ الْبِرِّ وَ الْكِرَامَةِ وَ رَفَعَ الْمَنْزِلَةَ لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِ النَّاجِمِ
حَسَبًا كَانَ مُسْتَحِقًّا لَهُ وَ لِهَذَا نَادَى

أَهْلَ بَعْدَادَ لَمَّا أُدْخِلَ إِلَيْهِمْ رَأْسُ النَّاجِمِ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي الْعَبَّاسِ مَا شِئْتُمْ قُولُوا كَانَ الْفَتْحُ لِلْوُلُوِّ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَجَمَعَ الْمَوْفِقُ فِي غَدِ هَذَا الْيَوْمِ قُوَادَهُ وَهُوَ حَقٌّ عَلَيْهِمْ لِأَنْصَةِ رَافِيهِمْ عَنْهُ وَإِفْرَادِهِمْ إِيَّاهُ وَكَانَ لُوْلُوٌ وَأَصِيحَابُهُ تَوَلَّوْا طَلَبَ النَّاجِمِ دُونَهُمْ فَعَنَقَهُمْ وَعَدَلَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ وَعَجَّزَهُمْ وَأَغْلَظَ لَهُمْ فَأَعْتَدُوا إِلَيْهِ بِمَا تَوَهَّمُوهُ مِنْ أَنْصِرَافِهِ وَأَنْهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ لَجَّجَ وَأَوْغَلَ فِي طَلَبِ النَّاجِمِ وَأَنْهُمْ لَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ لَأَسْرَعُوا نَحْوَهُ.

ثُمَّ تَحَالَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَعَاثَرُوا أَلَّا يَبْرَحُوا فِي غَدٍ مَوْضِعَهُمْ إِذَا تَوَجَّهُوا نَحْوَ الزَّنَجِ حَتَّى يُظْفِرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَإِنْ أَعْيَاهُمْ ذَلِكَ أَقَامُوا حَيْثُ انْتَهَى بِهِمُ النَّهَارُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَسَأَلُوا الْمَوْفِقَ أَنْ يَرُدَّ الشُّفْنَ إِلَى الْمَوْفِقِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يَطْمَعُ طَامِعٌ مِنَ الْعَسْكَرِ فِي الْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهَا وَالْعُبُورِ فِيهَا.

فَقَبِلَ أَبُو أَحْمَدَ عُدْرَهُمْ وَجَزَاهُمْ الْخَيْرَ عَنْ تَنْصُلِهِمْ وَعَيَّدَهُمْ بِالْإِحْسَانِ وَأَمَرَهُمُ بِالتَّأَهُبِ لِلْعُبُورِ ثُمَّ عَبَّرَ بِهِمْ عَلَى تَرْتِيبٍ وَنِظَامٍ قَدْ أَحْكَمَهُ وَقَرَّرَهُ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِلثَّلَاثِينَ خَلْتًا مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَقَدْ كَانَ النَّاجِمُ عَادَ مِنْ تِلْكَ الْأَنْهَارِ إِلَى مُعَسِّكَرِهِ بَعْدَ أَنْصَةِ رَافِ الْجَيْشِ عَنْهُ فَأَقَامَ بِهِ وَأَمَّلَ أَنْ تَتَطَاوَلَ بِهِ وَبِهِمُ الْأَيَّامُ (١) وَتَنْدَفِعَ عَنْهُ الْمُنَاجِزَةُ فَلَقِيَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ سِرْعَانُ (٢) الْعَسِكَرِ وَهُمْ مُعِيطُونَ مُخْتَفُونَ مِنَ التَّفْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ اللَّاحِقَيْنِ بِهِمْ بِالْأَمْسِ فَأَوْقَعُوا بِهِ وَبِأَصِيحَابِهِ وَقَعَهُ شَدِيدَةً أزالوهم عَنْ مَوَاقِفِهِمْ فَتَفَرَّقُوا لَا يَلْوِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَاتَّبَعَهُمُ الْجَيْشُ يَفْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ مَنْ لَحِقُوا مِنْهُمْ وَانْقَطَعَ

ص: ٢٠٩

١- (١) الطبري: «تتطاول بهم الأيام».

٢- (٢) سرعان الناس: أوائلهم. و في الطبري: «فوجد الموفق المتسرعين من فرسان غلمانه و رجالتهم».

النَّاجِمُ فِي جَمَاعِهِ مِنْ كُمَاتِهِ مِنْ قُوَادِ الزُّنْجِ مِنْهُمْ الْمَهْلَبِيُّ وَفَارَقَهُ ابْنُهُ أَنْكَلَانِيُّ وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ فَكَانَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مُجْتَمِعِينَ ثُمَّ افْتَرَقَا فِي الْهَزِيمَةِ فَصَادَفَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ قَوْمٌ مِنْ قُوَادِ الْمُؤَقِّقِ فَحَارَبُوهُ وَهُوَ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ مِنَ الزُّنْجِ فَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ كُمَاتِهِ وَظَفَرَ بِهِ فَأَسْرَ وَحُمِلَ إِلَى الْمُؤَقِّقِ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ فَاسْتَبَشَرَ النَّاسُ بِأَسِيرِ سُلَيْمَانَ وَكَثُرَ التَّكْبِيرُ وَالضَّجِيحُ وَاتَّقَنُوا بِالْفَتْحِ إِذْ كَانَ أَكْثَرَ أَضْيَاحِهِ غَنَاءً وَأَسْرَ بَعِيدَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرِ الْهَمْدَانِيِّ وَكَانَ مِنْ عَظَمَاءِ قُوَادِهِ وَأكَابِرِ أَمْرَاءِ جُيُوشِهِ وَأَسْرَ نَادِرُ الْأَسْوَدُ الْمَعْرُوفُ بِالْحَفَّارِ وَهُوَ مِنْ قُدَمَاءِ قُوَادِ النَّاجِمِ فَأَمَرَ الْمُؤَقِّقُ بِتَقْيِيدِهِم بِالْحَدِيدِ وَتَضْيِيرِهِمْ فِي شَدَاهِ لِأَبِي الْعَبَّاسِ وَمَعَهُمُ الرِّجَالُ بِالسَّلَاحِ وَجَدَ الْمُؤَقِّقُ فِي طَلَبِ النَّاجِمِ وَآمَنَ فِي نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ أَتَاهُ الْبَشِيرُ بِقِتْلِ النَّاجِمِ فَلَمْ يُصَدِّقْ فَوَافَاهُ بَشِيرٌ آخَرُ وَمَعَهُ كَفٌّ زَعَمَ أَنَّهَا كَفُّهُ فَقَوَى الْخَبْرَ عِنْدَهُ بَعْضَ الْقَوَّةِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَتَاهُ غُلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ لَوْلُو يَزْكُضُ وَمَعَهُ رَأْسُ النَّاجِمِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَرَضَهُ الْمُؤَقِّقُ عَلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا تِلْكَ الْحَالِ مَعَهُ مِنْ قُوَادِ الْمُسْلِمِينَ فَعَرَفُوهُ وَشَهِدُوا أَنَّهُ رَأْسُ صَاحِبِهِ فَخَرَّ سَاجِدًا (١) وَسَجَدَ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَسَجَدَ الْقُوَادُ كُلُّهُمْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَأَمَرَ بِرَفْعِ الرَّأْسِ عَلَى قَنَاهِ وَنَصْبِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَأَاهُ النَّاسُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَالضَّجِيحُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ لَمَّا أُحِيطَ بِالنَّاجِمِ لَمْ يَتَّقِ مَعَهُ مِنْ رُؤَسَاءِ أَضْيَاحِهِ إِلَّا الْمَهْلَبِيَّ فَلَمَّا عَلِمَا أَنَّهُمَا مَقْتُولَانِ افْتَرَقَا فَوَقَفَ النَّاجِمُ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ هَذَا الْغُلَامُ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ غِلْمَانِ لَوْلُو فَمَانَعَ عَنْ نَفْسِهِ بِسَيْفِهِ حَتَّى عَجَزَ عَنِ الْمَمَانَعَةِ فَأَحَاطُوا بِهِ وَضَرَبُوهُ بِسُيُوفِهِمْ حَتَّى سَقَطَ وَنَزَلَ هَذَا الْغُلَامُ فَاخْتَرَّ رَأْسَهُ وَأَمَّا الْمَهْلَبِيُّ فَإِنَّهُ قَصَدَ النَّهْرَ الْمَعْرُوفَ

ص ٢١٠

(١-١) بعدها في الطبري: «على ما أولاه و أبلاه».

بَنَهْرِ الْأَمِيرِ فَصَدَفَ بِنَفْسِهِ يَوْمَ النَّجَاهِ وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ النَّاجِمِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِأَنْكَلَانِيٍّ فَارَقَ أَبَاهُ وَ مَضَى يَوْمَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفَ بِالْدَيْنَارِيِّ مُتَّحِصِنًا فِيهِ بِالْأُدْغَالِ وَالْأَجَامِ فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِمَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَ دَلَّ الْمَوْفِقُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ ذَلِكَ.

وَقِيلَ لَهُ إِنَّ مَعَهُمَا جَمْعًا مِنَ الرُّنَجِ وَ جَمَاعَةً مِنْ جِلَّةِ قُوَادِهِمْ فَأَرْسَلَ غِلْمَانَهُ فِي طَلَبِهِمَا وَ أَمَرَهُمْ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمَا فَلَمَّا أَحَاطَتِ الْغِلْمَانُ بِهِمْ أَيْقَنُوا أَنَّ لَاهُ مَلَجًا لَهُمْ وَ أَعْطَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَظَفَرُوا بِهِمُ الْغِلْمَانُ وَ حَمَلُوهُمْ إِلَى الْمَوْفِقِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَ أَمَرَ بِالِاسْتِيقَاقِ مِنَ الْمُهَلَّبِيِّ وَ أَنْكَلَانِيٍّ بِالْحَدِيدِ وَ الرَّجَالِ الْمُوَكَّلِينَ بِهِمَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ انصَرَفَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَ هُوَ يَوْمُ السَّبْتِ لِلنَّيْلَتَيْنِ خَلْتَا مِنْ صَيْفِ أَبِي أَحْمَدَ مِنْ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ وَ رَأْسُ النَّاجِمِ مَنْصُوبٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَنَازِهِ فِي شَدَاهِ يَخْتَرِقُ بِهِ فِي النَّهْرِ وَ النَّاسُ مِنْ جَانِبِي النَّهْرِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى وَافَى دَجَلَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهَا وَ الرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ سَيْلِيمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَ الْهَمْدَانِيُّ مَضِي لُوبَانَ أَحْيَاءَ فِي شَدَاتَيْنِ عَنْ جَانِبَيْهِ حَتَّى وَافَى قَصْرَهُ بِالْمَوْفِقِيَّةِ هَذِهِ رِوَايَةُ أَبِي جَعْفَرٍ وَ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمَا.

١٧٦٩

وَ ذَكَرَ الْمَشْعُودِيُّ فِي كِتَابِ مَرْوَجِ الذَّهَبِ

(١)

أَنَّ النَّاجِمَ ارْتَثَ وَ حُمِلَ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ وَ هُوَ حَتَّى فَسَلِمَهُ إِلَى ابْنِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَ أَمَرَ بِتَعْدِيهِ فَجَعَلَهُ كَرْدَنَاجًا (٢) عَلَى النَّارِ وَ جِلْدُهُ يَنْتَفِخُ وَ يَنْفَرُ قَعُ حَتَّى هَلَكَ.

وَ الرِّوَايَةُ الْأُولَى هِيَ الصَّحِيحَةُ وَ الَّذِي جَعَلَ كَرْدَنَاجًا هُوَ قِرْطَاسُ الَّذِي رَمَى أَبُو أَحْمَدَ

ص: ٢١١

١-١) مروج الذهب ١٩٥:٤.

٢-٢) الكردناج، معناه الكباب، أو ما يشبهه (و انظر ديمزون).

ذَكَرَ ذَلِكَ التَّنُوخِيُّ فِي نَشْوَارِ الْمُحَاضَرَةِ قَالَ كَانَ الزُّنْجُ يَصْطِيحُونَ لَمَّا رُمِيَ أَبُو أَحْمَدَ بِالسَّهْمِ وَ تَأَخَّرَ لِإِعْلَاجِ جِرَاحَتِهِ عَنِ الْحَرْبِ مَلْحُوهُ مَلْحُوهُ أَيْ قَدْ مَاتَ وَ أَنْتُمْ تَكْتُمُونَ مَوْتَهُ فَاجْعَلُوهُ كَاللَّحْمِ الْمَكْسُودِ.

قَالَ وَ كَانَ قِرْطَاسُ الرَّامِي لِأَبِي أَحْمَدَ يَصِيحُ بِأَبِي الْعَبَّاسِ فِي الْحَرْبِ إِذَا أَخَذَتْنِي فَاجْعَلْنِي كَرَدَنَاجًا يَهْزَأُ بِهِ.

قَالَ فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ أَدْخَلَ فِي دُبُرِهِ سِيخًا مِنْ حَدِيدٍ فَأَخْرَجَهُ مِنْ فِيهِ وَ جَعَلَهُ عَلَى النَّارِ كَرَدَنَاجًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ تَبَاعَجَ مَجِيءُ الزُّنْجِ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ فِي الْأَمَانِ فَحَضَرَ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ نَحْوُ سَبْعَةِ آلَافٍ زِنْجِيٌّ لَمَّا عَرَفُوا قَتْلَ صِدَاحِبِهِمْ وَ رَأَى أَبُو أَحْمَدَ بَيْدَلَ الْأَمْرَانِ لَهُمْ كَيْ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ يُخَافُ مَعْرَتَهَا فِي الْأَسْرِيَّةِ وَ أَهْلِهِ وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ قِطْعَةٌ نَحْوُ أَلْفِ زِنْجِيٍّ مَالَتْ نَحْوَ الْبُرِّ فَمَاتَ أَكْثَرُهَا عَطْشًا وَ ظَفِرَ الْأَعْرَابُ بِمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ فَاسْتَرْقَوْهُمْ وَ أَقَامَ الْمُؤَفَّقُ بِالْمُؤَفَّقِيَّةِ بَعْدَ قَتْلِ النَّاجِمِ مُيَدَّةً لِيَزْدَادَ النَّاسُ بِمَقَامِهِ أُنْسًا وَ أَمَانًا وَ يَتَرَجَعَ أَهْلُ الْبِلَادِ إِلَيْهَا فَقَدْ كَانَ النَّاجِمُ أَجْلَاهُمْ عَنْهَا وَ قَدِمَ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى بَغْدَادَ وَ مَعَهُ رَأْسُ النَّاجِمِ فَدَخَلَهَا يَوْمَ السَّبْتِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَ رَأْسُ النَّاجِمِ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَنَاهِ وَ النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ يُشَاهِدُونَهُ.

وَ قَدْ رَوَى غَيْرُ أَبِي جَعْفَرٍ وَ ذَكَرَهُ الْأَمْبِيُّ (١) فِي مَجْمُوعِهِ الْمَسْمُومِي نَثْرَ الدَّرْرِ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ صَاعِدِ بْنِ مَخْلَدٍ قَالَ لَمَّا حُمِلَ رَأْسُ صَاحِبِ الزُّنْجِ وَ دَخَلَ بِهِ الْمَعْتَصِدُ إِلَى بَغْدَادَ دَخَلَ فِي جَيْشِ

١-١) هو الوزير زين الكفاه أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، وزير مجد الدولة رستم بن فخر الدولة ابن بويه. و كتابه نثر الدرر في المحاضرات؛ منه نسخ خطيه؛ و أجزاء متفرقة في دار الكتب المصرية.

لَمْ يَرِ مِثْلُهُ وَ اشْتَقَّ اسْوَاقَ بَعْدَادَ وَ الرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا صَرْنَا بِيَابِ الطَّاقِ صَاحَ قَوْمٌ مِنْ دَرْبٍ مِنْ تِلْكَ الدُّرُوبِ رَحِمَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ وَ زَادَ حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُ الْعِيَامَةِ بِمَذَلِكِ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ الْمُعْتَضِدِ وَقَالَ أَلَا تَسْمَعُ يَا أَبَا عَيْسَى مَا أَعْجَبَ هَذَا وَ مَا الَّذِي اقْتَضَى ذِكْرَ مُعَاوِيَةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَ اللَّهُ لَقَدْ بَلَغَ أَبِي إِلَى الْمَوْتِ وَ مَا أَفَلَتِ آنَا إِلَّا بَعِيدَ مُشَارَفَتِهِ وَ لَقِينَا كُلَّ جَهْدٍ وَ بَلَاءٍ حَتَّى أَنْجَيْنَا هَؤُلَاءِ الْكِلَابَ مِنْ عَيْدُوهِمْ وَ حَصَّنَا حَرَمَهُمْ وَ أَوْلَادَهُمْ فَتَرَكُوا أَنْ يَتَرَحَّمُوا عَلَى الْعَبَّاسِ وَ عَزِيدِ اللَّهِ ابْنِهِ وَ مَنْ وُلِدَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَ تَرَكُوا التَّرَحُّمَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ حَمْزَةَ وَ جَعْفَرَ وَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ وَ اللَّهُ لَا يَرْحَتُ أَوْ أُوتِرَ فِي تَأْدِيبِ هَؤُلَاءِ أَثَرًا لَا يُعَاوِدُونَ بَعْدَ هَذَا الْفِعْلِ مِثْلَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِجَمْعِ النَّفَّاطِينَ لِيُحْرَقَ النَّاحِيَةَ فَقُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ مِنْ أَشْرَفِ أَيَّامِ الْإِسْلَامِ فَلَا تُفْسِدُهُ بِجَهْلٍ عَامَّةٍ لَا أَخْلَاقَ لَهُمْ وَ لَمْ أَزَلْ أَدَارِيهِ وَ أَرْفُقُ بِهِ حَتَّى سَارَ.

فَأَمَّا الَّذِي يَزُويهِ النَّاسُ مِنْ أَنَّ صَاحِبَ الزُّنْجِ مَلَكَكَ سَيَّوَادَ بَعْدَادَ وَ نَزَلَ بِالْمِدَائِنِ وَ أَنَّ الْمَوْفِقَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدَادَ عَشْرًا وَ أَصِيحْبَهُمْ دِنَانَ النَّيِّدِ وَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْهَزُمُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْ الزُّنْجِ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَ يَتْرَكُوا خِيَامَهُمْ وَ أَثْقَالَهُمْ لِيَنْتَهَبَهَا الزُّنْجُ وَ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَظَفَرَ الزُّنْجُ فِيمَا ظَفَرُوا بِهِ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ بِتِلْمَكِ الدَّنَانِ وَ كَانَتْ كَثِيرَةً جِدًّا فَشَرِبُوا تِلْمَكِ اللَّيْلَةَ وَ سَكَرُوا وَ بَاتُوا عَلَى غَرِّهِ فَكَبَسَهُمُ الْمَوْفِقُ وَ بَيَّنَّهُمْ لَيْلًا وَ هُمْ سُكَارَى فَأَصَابَ مِنْهُمْ مَا أَرَادَ فَبَاطِلُ مَوْضُوعٌ لَا أَصِلُ لَهُ وَ الَّذِي بَيَّنَّهُمْ وَ هُمْ سُكَارَى فَنَالَ مِنْهُمْ نَيْلًا- تَكِينُ الْبُخَارِيِّ وَ كَانَ عَلَى الْأَهْوَازِ بَيْتٌ أَصِيحَابُ عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ فِي سِنَةِ خَمْسٍ وَ سِتِّينَ وَ مَائَتَيْنِ وَ قَدْ آتَاهُ الْخَبْرُ بِأَنَّهُمْ تِلْمَكِ اللَّيْلَةَ قَدْ عَمِلَ النَّيِّدُ فِيهِمْ وَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَنْجَاوِرْ نَهْبَهُمْ وَ دُخُولَهُمُ الْبِلَادِ النُّعْمَانِيَّةَ هَكَذَا رَوَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ.

١٧٧٣

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبَانَ وَ أَنْكَلَانِيُّ بْنُ النَّاجِمِ وَ مَنْ أَسْرَ مَعَهُمَا فَإِنَّهُمْ

ص: ٢١٣

حُمِلُوا إِلَى بَغْدَادَ فِي الْحَدِيدِ وَالْقَدِّ فَجُعِلُوا بِيَدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَمَعَهُمْ غُلَامٌ لِلْمَوْفِقِ يُقَالُ لَهُ فَتْحُ السَّعِيدِيِّ فَكَانُوا كَذَلِكَ إِلَى شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَكَانَتْ لِلزُّنْجِ حَرَكَهَ بِوَاسِطِهِ وَصَاحُوا أَنْكَلَانِيَّ يَا مَنْصُورُ وَكَانَ الْمَوْفِقُ يَوْمَئِذٍ بِوَاسِطِهِ فَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَإِلَى فَتْحِ السَّعِيدِيِّ يَأْمُرُهُمَا بِتَوْجِيهِ رُءُوسِ الزُّنْجِ الَّذِينَ فِي الْأَسِيرِ إِلَيْهِ فَدَخَلَ فَتْحُ السَّعِيدِيُّ إِلَيْهِمْ فَجَعَلَ يُخْرِجُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ فَيَذْبُحُهُ عَلَى الْبَالُوعَةِ كَمَا تُذْبِحُ الشَّاهُ وَكَانُوا خَمْسَةَ أَنْكَلَانِيَّ بْنِ النَّاجِمِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبَانَ الْمَهَلَبِيِّ وَسُلَيْمَانَ بْنَ حَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ جَعْفَرِ الْهَمْدَانِيِّ وَنَادِرَ الْأَسْوَدَ وَقَلَعَ رَأْسَ الْبَالُوعَةِ وَطَرَحَتْ فِيهَا أَيْدِيَهُمْ وَسَيِّدَ رَأْسِهَا وَوَجَّهَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْمَوْفِقِ فَنَصَبَهَا بِوَاسِطِهِ وَانْقَطَعَتْ حَرَكَهَ الزُّنْجِ وَيَسَسَ مِنْهُمْ.

ثُمَّ كَتَبَ الْمَوْفِقُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي جُثَّتِ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ فَأَمَرَ بِصِيْلِهِمْ بِحَضْرَةِ الْجِسْرِ فَأُخْرِجُوا مِنَ الْبَالُوعَةِ وَقَدْ انْتَفَخُوا وَتَغَيَّرَتْ رَوَائِحُهُمْ وَتَقَشَّرَتْ جُلُودُهُمْ فَصِلبَ اثْنَانِ مِنْهُمْ عَلَى جَانِبِ الْجِسْرِ الشَّرْقِيِّ وَثَلَاثَةٌ عَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَذَلِكَ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَرَكِبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ أَمِيرُ بَغْدَادَ يَوْمَئِذٍ بِنَفْسِهِ حَتَّى صِيْلَتُوا بِحَضْرَتِهِ. وَقَدْ قَالَ الشُّعْرَاءُ فِي وَقَائِعِ الزُّنْجِ فَأَكْثَرُوا كَالْبَحْتَرِيِّ وَابْنِ الرَّومِيِّ وَغَيْرِهِمَا فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَأْخُذْهُ مِنْ مِظَانِهِ

مِنْهُ فِي وَصْفِ الْأَتْرَاكِ كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ [الْمُطْرَقَةُ]

الْمُطْرَقَةُ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيْبَاجَ وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ وَ يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلِ حَيَّتِي يَمْشِي الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ وَ يَكُونُ الْمُفْلِتُ أَقْلَ مِنَ الْمَأْسُورِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ فَصَحَّكَ عَ وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ وَ إِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ وَ إِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ مَا عَدَدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ عَدَاً وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ الْآيَةَ فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ قَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وَ سَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وَ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ وَ مَنْ يَكُونُ [لِلنَّارِ]

فِي النَّارِ حَطْبًا أَوْ فِي الْجَنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمُ اللَّهِ نَبِيَّهُ ص فَعَلَّمْنِيهِ وَ دَعَا لِي بِأَنْ يَعْجِبَهُ صَدْرِي وَ تَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي .

جمع مجن بكسر الميم و هو الترس و إنما سمي مجنا لأنه يستتر به و الجنه الستره و الجمع جنن يقال استجن بجنه أى استتر بستره.

و المطرقة بسكون الطاء التى قد أطرق بعضها إلى بعض أى ضمت طبقاتها فجعل بعضها يتلو بعضها يقال جاءت الإبل مطاريق أى يتلو بعضها بعضها و النعل المطرقة المخصوفه و أطرقت بالجلد و العصب أى ألبست و ترس مطرق و طراق النعل ما أطرقت و خرزت به و ريش طراق إذا كان بعضه فوق بعض و طارق الرجل بين الثوبين إذا لبس أحدهما على الآخر و كل هذا يرجع إلى مفهوم واحد و هو مظاهره الشئء بعضه بعضا و يروى المجان المطرقة بتشديد الراء أى كالترسه المتخذة من حديد مطرق بالمطرقة .

و السرقة شقق الحرير و قيل لا تسمى سرقا إلا إذا كانت بيضا الواحده سرقة .

و يعتقبون الخيل

أى يجنبونها لينتقلوا من غيرها إليها و استحرار القتل شدته استحر و حر بمعنى قال ابن الزبيرى حيث ألفت بقاء بركها و استحر القتل فى عبد الأشل (١) و المفلت الهارب .

يقول ع إن الأمور المستقبلة على قسامين أحدهما ما تفرد الله تعالى بعلمه و لم يطلع عليه أحدا من خلقه و هى الأمور الخمسه المعدوده فى الآيه المذكوره إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (٢)

ص: ٢١٦

١-١) طبقات الشعراء لابن سلام ١٩٩.

٢-٢) سوره لقمان ٢٤.

و القسم الثاني ما يعلمه بعض البشر بإعلام الله تعالى إياه و هو ما عدا هذه الخمسه و الإخبار بملحمه الأتراك من جمله ذلك .

و تضطم عليه جوانحي

فتفعل من الضم و هو الجمع أى يجتمع عليه جوانح صدرى و يروى جوارحى و

١٧٧٤

٧- قَدْ رُوِيَ أَنَّ إِنْسَانًا قَالَ لِمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي مَنَامِي أَنِّي سَأَلْتُكَ كَمْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِي فَرَفَعْتَ يَدَكَ الِئْمَنَى وَ فَتَحْتَ أَصَابِعَهَا فِي وَجْهِ مُشْتَبِرًا إِلَيَّ فَلَمْ أَعْلَمْ خَمْسَ سِنِينَ أَمْ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ أَمْ خَمْسَةَ أَيَّامٍ فَقَالَ وَ لَا وَاحِدَةً مِنْهُنَّ بَلْ ذَاكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْغُيُوبِ الْخَمْسَةِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فِي قَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الْآيَةَ .

فإن قلت لم ضحك ع لما قال له الرجل لقد أوتيت علم الغيب و هل هذا إلا زهو فى النفس و عجب بالحال قلت

١٧٧٥

١٤- قَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص ضَحِكَ فِي مُنَاسِبٍ هَذِهِ الْحَالِ لَمَّا اسْتَشِيْقَى فَمِيقَى وَ أَشْرَفَ دُرُورُ الْمَطَرِ فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَشِيْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَخْبِسَهُ عَنْهُمْ فَدَعَا وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّحَابِ فَانْجَابَ حَوْلَ الْمَيْدِينَةِ كَالِإِكْلِيلِ وَ هُوَ عَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِئْبَرِ فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ وَ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

و سر هذا الأمر أن النبى أو الولي إذا تحدث عنده نعمه الله سبحانه أو عرف الناس وجاهته عند الله فلا بد أن يسر بذلك و قد يحدث الضحك من السرور و ليس ذلك بمذموم إذا خلا من التيه و العجب و كان محض السرور و الابتهاج و قد قال تعالى فى صفة أوليائه فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (١) .

فإن قلت فإن من جمله الخمسه و ما تدرى نفس ما ذا تكسب غداً و قد أعلم

ص: ٢١٧

(١-١) سورة آل عمران ١٧٠.

١٤- أَعْلَمَ نَبِيُّهُ وَصِيَّهُ عَ بِمَا يَكْسِبُهُ فِي غَدِهِ نَحْوُ قَوْلِهِ لَهُ سَتَقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ . الخبر.

قلت المراد بالآيه أنه لا تدرى نفس جميع ما تكسبه فى مستقبل زمانها و ذلك لا ينفى جواز أن يعلم الإنسان بعض ما يكسبه فى مستقبل زمانه

فصل فى ذكر جنكزخان و فتنه التتر

و اعلم أن هذا الغيب الذى أخبر عنه قد رأيناه نحن عيانا و وقع فى زماننا و كان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء و القدر إلى عصرنا و هم التتار الذين خرجوا من أقاصى المشرق حتى وردت خيلهم العراق و الشام و فعلوا بملوك الخطا و قفجاق و بلاد ما وراء النهر و بخراسان و ما والاها من بلاد العجم ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله آدم إلى عصرنا هذا على مثله فإن بابك الخرمى لم تكن نكايته و إن طالت مدته نحو عشرين سنه إلا فى إقليم واحد و هو أذربيجان و هؤلاء دوخوا المشرق كله و تعدت نكايتهم إلى بلاد أرمينية و إلى الشام و وردت خيلهم إلى العراق و بخت نصر الذى قتل اليهود إنما أخرج بيت المقدس و قتل من كان بالشام من بنى إسرائيل و أى نسبه بين من كان بالبيت المقدس من بنى إسرائيل إلى البلاد و الأمصار التى أخرجها هؤلاء و إلى الناس الذين قتلوهم من المسلمين و غيرهم

و نحن نذكر طرفا من أخبارهم و ابتداء ظهورهم على سبيل الاختصار فنقول إنا على كثره اشتغالنا بالتواريخ و بالكتب المتضمنه أصناف الأمم لم نجد ذكر هذه الأمه أصلا و لكننا وجدنا ذكر أصناف الترك من القفجاق و اليمك و البرلو و التفريه و اليتبه و الروس و الخطا و القرغز و التركمان و لم يمر بنا فى كتاب ذكر هذه الأمه سوى كتاب واحد و هو كتاب مروج الذهب للمسعودى فإنه ذكرهم هكذا بهذا اللفظ التتر و الناس اليوم يقولون التتار بألف و هذه الأمه كانت فى أقاصى بلاد المشرق فى جبال طمغاج من حدود الصين و بينهم و بين بلاد الإسلام التى ما وراء النهر ما يزيد على مسير سته أشهر و قد كان خوارزمشاه و هو محمد بن تكش استولى على بلاد ما وراء النهر و قتل ملوكها من الخطا الذين كانوا ببخارى و سمرقند و بلاد تركستان نحو كاشغر و بلاساغون و أفناهم و كانوا حجابا بينه و بين هذه الأمه و شحن هذه البلاد بقواده و جنوده و كان فى ذلك غالطا لأن ملوك الخطا كانوا وقايه له و مجنا من هؤلاء فلما أفناهم صار هو المتولى لحرب هؤلاء أو سلمهم فأساء قواده و أمراؤه الذين بتركستان السيره معهم و سدوا طرق التجاره عنهم فانتدبت منهم طائفه نحو عشرين ألفا مجتمعه كل بيت منها له رئيس مفرد فهم متساندون و خرجوا إلى بلاد تركستان فأوقعوا بقواد خوارزمشاه و عماله هناك و ملكوا البلاد و تراجع من بقى من عسكر خوارزمشاه و سلم من سيف التتار إلى خوارزمشاه فأغضى على ذلك و رأى أن سعه ملكه تمنعه عن مباشره حربهم بنفسه و أن غيره من قواده لا يقوم مقامه فى ذلك و ترك بلاد تركستان لهم و استقر الأمر على أن تركستان لهم و ما عداها من بلاد ما وراء النهر كسمرقند و بخارى و غيرهما لخوارزمشاه فمكثوا كذلك نحو أربع سنين.

ثم إن المعروف بجنكزخان و الناس يلفظونه بالراء و ذكر لى جماعه من أهل المعرفه بأحوال التتر أنه جنكز بالزاي المعجمه عن له رأى فى النهوض إلى بلاد تركستان و ذلك أن جنكزخان هذا هو رئيس التتار الأقصى فى المشرق و ابن رئيسهم و ما زال سلفه رؤساء تلك الجبهه و كان شجاعا عاقلا موفقا منصورا فى الحرب و إنما عن له هذا الرأى لأنه رأى أن طائفه من التتار لا ملك لهم و إنما يقوم بكل فرقه منهم مدبر لها من أنفسها قد نهضت فملكه بلاد تركستان على جلالتها غار من ذلك و أراد الرئاسه العامه لنفسه و أحب الملك و طمع فى البلاد فنهض بمن معه من أقصى الصين حتى صار إلى حدود أعمال تركستان فحاربه التتار الذين هناك و منعه عن تطرق البلاد فلم يكن لهم به طاقه و هزمهم و قتل كثيرا منهم و ملك بلاد تركستان بأجمعها و صار كالمجاور لبلاد خوارزمشاه و إن كان بينهما مسافه بعيده و صار بينه و بين خوارزمشاه سلم و مهاده إلا أنها هدنه على دخن.

فمكثت الحال على ذلك يسيرا ثم فسدت بما كان يصل إلى خوارزمشاه على ألسنه التجار من الأخبار و أن جنكزخان على عزم النهوض إلى سمرقند و ما يليها و أنه فى التأهب و الاستعداد فلو داراه لكان أولى له لكنه شرع فسد طرق التجار القاصدين إليهم فتعذرت عليهم الكسوات و منع عنهم الميره و الأقوات التى تجلب و تحمل من أعمال ما وراء النهر إلى تركستان فلو اقتنع بذلك لكان قريبا لكنه أنهى إليه نائبه بالمدينه المعروفه بأوتران و هى آخر ولايته بما وراء النهر أن جنكزخان قد سير جماعه من تجار التتار و معهم شىء عظيم من الفضه إلى سمرقند ليشتروا له و لأهله و بنى عمه كسوه و ثيابا و غير ذلك.

فبعث إليه خوارزمشاه يأمره بقتل أولئك التجار و أخذ ما معهم من الفضة و إنفاذها إليه فقتلهم و سير إليه الفضة و كان ذلك شيئاً كثيراً جدا-ففرقه خوارزمشاه على تجار سمرقند و بخارى و أخذ ثمنه منهم لنفسه ثم علم أنه قد أخطأ فأرسل إلى نائبه بأوتران يأمره أن ينفذ جواسيس من عنده إليهم ليخبروه بعدتهم فمضت الجواسيس و سلكت مفاوز و جبالا كثيرة و عادوا إليه بعد مده فأخبروه بكثرة عددهم و أنهم لا يبلغهم الإحصاء و لا يدركهم و أنهم من أصبر الناس على القتال لا يعرفون الفرار و يعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم و أن خيلهم لا- تحتاج إلى الشعير بل تأكل نبات الأرض و عروق المراعى و أن عندهم من الخيل و البقر ما لا- يحصى و أنهم يأكلون الميتة و الكلاب و الخنازير و هم أصبر خلق الله على الجوع و العطش و الشقاء و ثيابهم من أخشن الثياب مسا و منهم من يلبس جلود الكلاب و الدواب الميتة و أنهم أشبه شىء بالوحش و السباع.

فأنهى ذلك كله إلى خوارزمشاه فندم على قتل أصحابهم و على خرق الحجاب بينه و بينهم و أخذ أموالهم و غلب عليه الفكر و الوجل فأحضر الشهاب الخيوفى و هو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف ما يشير به فقال له قد حدث أمر عظيم لا بدّ من الفكر فيه و إجماله الرأى فيما نفع و ذلك أنه قد تحرك إلينا خصم من الترك فى عدد لا يحصى فقال له عساكرك كثيرة و تكاتب الأطراف و تجمع الجنود و يكون من ذلك نفي عام فإنه يجب على المسلمين كاهه مساعدتك بالأموال و الرجال ثم تذهب بجميع العساكر إلى جانب سيحون و هو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك و بين بلاد خوارزمشاه فتكون هناك فإذا جاء العدو و قد سار مسافه بعيدة لقيناه و نحن جامون مستريحون و قد مسه و عساكره النصب و اللغوب.

فجمع خوارزمشاه أمراءه و من عنده من أرباب المشوره فاستشارهم فقالوا لا بل الرأى أن نتركهم ليعبروا سيحون إلينا و يسلكوا هذه الجبال و المضائق فإنهم جاهلون بطرقها و نحن عارفون بها فنظهر عليهم و نهلكهم عن آخرهم.

فكانوا على ذلك حتى وصل رسول من جنكزخان و معه جماعه يتهدد خوارزمشاه و يقول تقتل أصحابى و تجارى و تأخذ مالى منهم استعداد للحرب فإنى واصل إليك بجمع لا قبل لك به.

فلما أدى هذه الرساله إلى خوارزمشاه أمر بقتل الرسول فقتل و حلق لحي الجماعه الذين كانوا معه و أعادهم إلى صاحبهم جنكزخان ليخبروه بما فعل بالرسول و يقولوا له إن خوارزمشاه يقول لك إننى سائر إليك فلا حاجه لك أن تسير إلى فلو كنت فى آخر الدنيا لطلبتك حتى أقتلك و أفعل بك و بأصحابك ما فعلت برسلك.

و تجهز خوارزمشاه و سار بعد نفوذ الرسول مبادرا لسبق خبره و يكبس التتار على غره فقطع مسيره أربعة أشهر فى شهر واحد و وصل إلى بيوتهم و خركاواتهم فلم ير فيها إلا النساء و الصبيان و الأثقال فأوقع بهم و غنم الجميع و سبى النساء و الذرية.

و كان سبب غيوبه التتار عن بيوتهم أنهم ساروا إلى محاربه ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه فهزموه و غنموا أمواله و عادوا فلقبهم الخبر فى طريقهم بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم فأغدوا السير فأدر كوه و هو على الخروج من بيوتهم

بعد فراغه من الغنيمه فواقعوه و تصافوا للحرب ثلاثه أيام بلياليها لا يفترون نهارا و لا ليلا فقتل من الفريقين ما لا يعد و لم ينهزم منهم أحد.

أما المسلمون فصبروا حميه للدين و علموا أنهم إن انهزموا لم يبق للإسلام باقيه ثم إنهم لا- ينجون بل يؤخذون و يؤسرون لبعدهم عن بلاد يمتنعون بها و أما التتار فصبروا لاستنقاذ أموالهم و أهلهم و اشتد الخطب بين الطائفتين حتى أن أحدهم كان ينزل عن فرسه و يقاتل قرنه راجلا مضاربه بالسكاكين و جرى الدم على الأرض حتى كانت الخيل تزلق فيه لكثرتة و لم يحضر جنكزخان بنفسه هذه الوقعه و إنما كان فيها قآن ولده فأحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين ألفا و لم يحص عدده من قتل من التتار .فلما جاءت الليله الرابعه افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض فلما أظلم الليل أوقد التتار نيرانهم و تركوها بحالها و ساروا راجعين إلى جنكزخان ملكهم و أما المسلمون فرجعوا و معهم محمد خوارزمشاه فلم يزلوا سائرين حتى وافوا بخارى و علم خوارزمشاه أنه لا- طاقه له بجنكزخان لأن طائفه من عسكره لم يلقوا خوارزمشاه بجميع عساكره بهم فكيف إذا حشدوا و جاءوا على بكره أبيهم و ملكهم جنكزخان بينهم.

فاستعد للحصار و أرسل إلى سمرقند يأمر قواده المقيمين بها بالاستعداد للحصار و جمع الذخائر للامتناع و المقام من وراء الأسوار و جعل فى بخارى عشرين ألف فارس يحمونها و فى سمرقند خمسين ألفا و تقدم إليهم بحفظ البلاد حتى يعبر هو إلى خوارزم و خراسان فيجمع العساكر و يستنجد بالمسلمين و الغزاه المطوعه و يعود إليهم.

ثم رحل إلى خراسان فعبّر جيحون و كانت هذه الوقعه فى سنه ست عشره و ستمائه فنزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك و استنفر الناس.

و أما التتار فإنهم رحلوا بعد أن استعدوا يطلبون بلاد ما وراء النهر فوصلوا إلى بخارى بعد خمسہ أشهر من رحيل خوارزمشاه عنها و حصروها فقاتلوا العسكر المرابط بها ثلاثه أيام قتالا متتابعاً فلم يكن للعسكر الخوارزمى بهم قوه ففتحوا أبواب المدينه ليلا و خرجوا بأجمعهم عائدين إلى خراسان فأصبح أهل بخارى و ليس عندهم من العسكر أحد أصلاً فضعفت نفوسهم فأرسلوا قاضى بخارى (١) ليطلب الأمان للرعيه فأعطاه التتار الأمان و قد كان بقى فى قلعه بخارى خاصه طائفه من عسكر خوارزمشاه معتصمون بها.

فلما رأى أهل بخارى بذلهم للأمان فتحوا أبواب المدينه و ذلك فى رابع ذى الحجه من سنه ست عشره و ستمائه فدخل التتار (٢) بخارى و لم يتعرضوا لأحد من الرعيه بل قالوا لهم كل ما لخوارزمشاه عندكم من وديعه أو ذخيره أخرجوه إلينا و ساعدونا على قتال من بالقلعه و لا بأس عليكم و أظهروا فيهم العدل و حسن السيره و دخل جنكزخان بنفسه إلى البلد و أحاط بالقلعه و نادى مناديه فى البلدان لا يتخلف أحد و من تخلف قتل فحضر الناس بأسرهم فأمرهم بطم الخندق فطموه بالأخشاب و الأحطاب و التراب ثم زحفوا نحو القلعه و كان عدده من بها من الجند الخوارزميه أربعمائه إنسان فبدلوا جهدهم و منعوا القلعه عشره أيام إلى أن وصل النقبون إلى سور القلعه فنقبوه و دخلوا القلعه فقتلوا كل من بها من الجند و غيرهم.

ص: ٢٢٤

١- ١) فى ابن الأثير: «و هو بدر الدين قاضى خان».

٢- ٢) ابن الأثير: «فدخل الكفار».

فلما فرغوا منها أمر جنكزخان أن يكتب له وجوه البلد و رؤسائهم ففعل ذلك فلما عرضوا عليه أمر بإحضارهم فأحضروا فقال لهم أريد منكم الفضة النقره (١) التي باعها إياكم خوارزمشاه فإنها لى و من أصحابى أخذت فكان كل من عنده شىء منها يحضره فلما فرغ من ذلك أمرهم بالخروج عن البلد بأنفسهم خاصه فخرجوا مجردين عن أموالهم ليس مع كل واحد منهم إلا ثيابه التى على جسده فأمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم و أمر حينئذ بنهب البلد فنهب كل ما فيه و سبيت النساء و الأطفال و عذبوا الناس بأنواع العذاب فى طلب المال ثم رحلوا عنه نحو سمرقند و قد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم و استصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى مشاه على أقبح صورته و كل من أعيأ و عجز عن المشى قتلوه.

فلما قاربوا سمرقند قدموا الخياله و تركوا الرجاله و الأسارى و الأثقال وراءهم حتى يلتحقوا بهم شيئا فشيئا ليرعبوا قلوب أهل البلد فلما رأى أهل سمرقند سوادهم استعظموهم فلما كان اليوم الثانى وصل الأسارى و الرجاله و الأثقال و مع كل عشره من الأسارى علم فظن أهل البلد أن الجميع عسكر مقاتله فأحاطوا بسمرقند و فيها خمسون ألفا من الخوارزميه و ما لا يحصى كثره من عوام البلد فأحجم العسكر الخوارزمى عن الخروج إليهم و خرجت العامه بالسلاح فأطمعهم التتار فى أنفسهم و قهقروا عنهم و قد كمنوا لهم كمناء فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم من ورائهم و شد عليهم من ورائهم جمهور التتار فقتلوه عن آخرهم.

فلما رأى من تخلف بالبلد ذلك ضعفت قلوبهم و خيلت للجنود الخوارزمى أنفسهم

ص: ٢٢٥

١- (١) النقره:القطعه المذابه من الفضة أو الذهب.

أنهم إن استأمنوا إلى التتار أبقوا عليهم للمشاركة في جنسيه التركيّه فخرجوا بأموالهم و أهليهم إليهم مستأمنين فأخذوا سلاحهم و خيلهم ثمّ وضعوا السيف فيهم فقتلوهم كلهم ثمّ نادوا في البلد برئت الذمّه ممن لم يخرج و من خرج فهو آمن فخرج الناس إليهم بأجمعهم فاختلفوا عليهم و وضعوا فيهم السيف و عذبوا الأغنياء منهم و استصفوا أموالهم و دخلوا سمرقند فأخربوها و نقضوا دورها و كانت هذه الوقعه في المحرم سنه سبع عشره و ستمائه .

و كان خوارزمشاه مقيما بمنزله الأول كلما اجتمع له جيش سيره إلى سمرقند فيرجع و لا يقدم على الوصول إليها فلما قضوا وطرا من سمرقند سير جنكزخان عشرين ألف فارس و قال لهم اطلبوا خوارزمشاه أين كان و لو تعلق بالسماه حتّى تدر كوه و تأخذوه و هذه الطائفه تسميها التتار المغربه لأنّها سارت نحو غرب خراسان و هم الذين أوغلوا في البلاد و مقدمهم جرماغون نسيب جنكزخان . و حكى أن جنكزخان كان قد أمر على هذا الجيش ابن عم له شديد الاختصاص به يقال له متكلى نويره و أمره بالجد و سرعه المسير فلما ودعه عطف متكلى نويره هذا فدخل إلى خرگاه فيها امرأه له كان يهواها ليودعها فاتصل ذلك بجنكزخان فصرفه في تلك الساعه عن إماره الجيش و قال من يثنى عزمه امرأه لا يصلح لقياده الجيوش و رتب مكانه جرماغون فساروا و قصدوا من جيحون موضعا يسمى بنج آب أى خمسه مياه و هو يمنع العبور فلم يجدوا به سفنا فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار و لبسوه جلود البقر و وضعوا فيه أسلحتهم و أقحموا خيولهم الماء و أمسكوا بأذناها

و تلك الأحواض مشدوده إليها فكان الفرس يجذب الرجل و الرجل يجذب الحوض فعبروا كلهم ذلك الماء دفعه واحده فلم يشعر خوارزمشاه بهم إلا و هم معه على أرض واحده و كان جيشه قد ملئ رعبا منهم فلم يقدرُوا على الثبات فتفرقوا أيدي سبأ و طلب كل فريق منهم جهه و رحل خوارزمشاه في نفر من خواصه لا يلوى على شىء و قصد نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض عسكره فلم يستقر حتى وصل جرماغون إليه و كان لا يتعرض في مسيره بنهب و لا قتل بل يطوى المنازل طيا يطلب خوارزمشاه و لا يمهلُه ليجمع عسكرا فلما عرف قرب التتار منه هرب من نيسابور إلى مازندران فدخلها و رحل جرماغون خلفه و لم يعرج على نيسابور بل قصد مازندران فخرج خوارزمشاه عنها فكان كلما رحل عن منزل نزله التتار حتى وصل إلى بحر طبرستان فنزل هو و أصحابه في سفن و وصل التتار فلما عرفوا نزوله البحر رجعوا و أيسوا منه.

و هؤلاء الذين ملكوا عراق العجم و أذربيجان فأقاموا بناحية تبريز إلى يومنا هذا.

ثم اختلف في أمر خوارزمشاه فقوم يحكون أنه أقام بقلعه له في بحر طبرستان منيعه فتوفى بها و قوم يحكون أنه غرق في البحر و قوم يحكون أنه غرق و نجا عريانا فصعد إلى قريه من قرى طبرستان فعرفه أهلها فجاءوا و قبلوا الأرض بين يديه و أعلموا عاملهم به فجاء إليه و خدمه فقال له خوارزمشاه احملني في مركب إلى الهند فحمله إلى شمس الدين أنليمش ملك الهند و هو نسيبه من جهه زوجته والده منكبوني بن خوارزمشاه الملك جلال الدين فإنها هندية من أهل بيت الملك فيقال إنه وصل إلى أنليمش و قد تغير

عقله ممّا اعتراه من خوف التتار أو لأمر سلطه الله تعالى عليه فكان يهذى بالتتار بكره و عشيّه و كل وقت و كل ساعه و يقول هو ذا هم قد خرجوا من هذا الباب قد هجموا من هذه الدرجه و يردد و يحول لونه و يختل كلامه و حرّكاته.

و حكى لى فقيه خراسانىّ وصل إلى بغداد يعرف بالبرهان قال كان أخى معه و كان ممن يثق خوارزمشاه به و يختصه قال لهج خوارزمشاه لما تغير عقله بكلمه كان يقولها قرا تتر كلدى يكررها و تفسيرها التتر السود قد جاءوا و فى التتر صنف سود يشبهون الزنج لهم سيوف عريضه جدا على غير صوره هذه السيوف يأكلون لحوم الناس فكان خوارزمشاه قد أهتر و أغرى بذكرهم.

و حدّثنى البرهان قال رقى به شمس الدين أنليمش إلى قلعه من قلاع الهند حصينه عاليه شاهقه لا يعلوها الغيم أبدا و إنّما تمطر السحب من تحتها و قال له هذه القلعه لك و ذخائرها أموالك فكن فيها وادعا آمنا إلى أن يستقيم طالعك فالملوك ما زالوا هكذا يدبر طالعهم ثم يقبل فقال له لا أقدر على الثبات فيها و المقام بها لأن التتر سوف يطلبوننى و يقدمون إلى هاهنا و لو شاءوا لوضعوا سروج خيلهم واحدا على واحد تحت القلعه فبلغت إلى ذروتها و صعّدوا عليها فأخذونى قبضا باليد فعلم أنليمش أن عقله قد تغير و أن الله تعالى قد بدل ما به من نعمه فقال فما الذى تريد قال أريد أن تحملنى فى البحر المعروف ببحر المعبر إلى كرمان فحمله فى نفر يسير من مماليكه إلى كرمان ثم خرج منها إلى أطراف بلاد فارس فمات هناك فى قريه من قرى فارس و أخفى موته لئلا يقصده التتر و تطلب جثته (١).

ص: ٢٢٨

١- ١) فى ابن الأثير ٩:٣٣٣ فصل واف عن خوارزم شاه و سيرته.

و جملة الأمر أن حاله مشتبهه ملتبسه لم يتحقق على يقين و بقى الناس بعد هلاكه نحو سبع سنين ينتظرونه.

و يذهب كثير منهم إلى أنه حتى مستتر إلى أن ثبت عند الناس كافه أنه هلك.

فأما جرماغون فإنه لما يئس من الظفر بخوارزمشاه عاد من ساحل البحر إلى مازندران فملكها فى أسرع وقت مع حصانتها و صعوبه الدخول إليها و امتناع قلاعها فإنها لم تزل ممتنعه على قديم الوقت حتى أن المسلمين لما ملكوا بلاد الأكرسه من العراق إلى أقصى خراسان بقيت أعمال مازندران بحالها تؤدي الخراج و لا يقدر المسلمون على دخولها إلى أيام سليمان بن عبد الملك. و لما ملكت التتار مازندران قتلوا فيها و نهبوا و سلبوا ثم سلكوا نحو الرى فصادفوا فى الطريق والده خوارزمشاه و نساءه و معهن أموال بيت خوارزمشاه و ذخائرهم التى ما لا يسمع بمثلها من الأغلاق النفيسه و هن قاصدات نحو الرى ليعتصمن ببعض القلاع المنيعه فاستولى التتار عليهن و على ما معهن بأسره و سيروه كله إلى جنكزخان بسمرقند و صمدوا صمد الرى و قد كان اتصل بهم أن محمدا خوارزمشاه قصدها كما يتسامع الناس بالأراجيف الصحيحه و الباطله فوصلوها على حين غفله من أهلها فلم يشعر بهم عسكر الرى إلا- و قد ملكوها و نهبوا و سبوا الحرم و استرقوا الغلمان و فعلوا كل قبيح منكر فيها و لم يقيموا بها و مضوا مسرعين فى طلب خوارزمشاه فنهبوا فى طريقهم ما مروا به من المدن و القرى و أحرقوا و خربوا و قتلوا الذكران و الإناث و لم يبقوا على شىء و قصدوا نحو همذان فخرج إليهم رئيسها و معه أموال جليله قد جمعها من أهل همذان عينا و عروضاً و خيلاً و طلب منهم الأمان لأهل البلد فأمنوهم و لم يعرضوا لهم

و ساروا إلى زنجان و استباحوها و إلى قزوین فاعتصم أهلها منهم بقصبة مدينتهم فدخلوها بالسيف عنوه و قاتلهم أهلها قتالا شديدا بالسكاكين و هم معتادون بقتال السكين من حروبهم مع الإسماعيلية فقتل من الفريقين ما لا يحصى و يقال إن القتلى بلغت أربعين ألفا من أهل قزوین خاصه.

ثم هجم على التتار البرد الشديد و الثلج المتراكم فساروا إلى أذربيجان فنهبوا القرى و قتلوا من وقف بين أيديهم و أخرجوا و أحرقوا حتى وصلوا إلى تبريز و بها صاحب أذربيجان أذربك بن البهلوان بن أيلدكر فلم يخرج إليهم و لا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما كان عليه من اللهو و إدمان الشرب ليلا و نهارا فأرسل إليهم و صالح لهم على مال و ثياب و دواب و حمل الجميع إليهم فساروا من عنده يطلبون ساحل البحر لأنه مشى صالح لهم و المراعى به كثيره فوصلوا إلى موقان و هى المنزل الذى نزلته الخرميه فى أيام المعتصم و قد ذكره الطائيان فى أشعارهما فى غير موضع و الناس اليوم يغولون بالغين المعجمه عوض القاف و قد كانوا تطرقوا فى طريقهم بعض أعمال الكرج فخرج إليهم منهم عشره آلاف مقاتل فحاربوهم و هزموهم و قتلوا أكثرهم.

فلما استقروا بموقان راسلت الكرج أذربك بن البهلوان فى الاتفاق على حربهم و راسلوا موسى بن أيوب المعروف بالأشرف و كان صاحب خلاط و إرمينيه بمثل ذلك و ظنوا أنهم يصبرون إلى أيام الربيع و انحسار الثلوج فلم يصبروا و صاروا من موقان فى صميم الشتاء نحو بلاد الكرج فخرجت إليهم الكرج و اقتتلوا قتالا شديدا فلم يثبتوا للتتار و انهزموا أقبح هزيمه و قتل منهم من لا يحصى فكانت هذه الوقعه فى ذى الحجه من سنه سبع عشره و ستمائه .

ثم توجهوا إلى المراغة في أول سنة ثمانى عشره فملكوها في صفر و كانت لامرأه من بقايا ملوك المراغه تدبرها هي و وزراؤها فنصبوا عليها المجانيق و قدموا أسارى المسلمين بين أيديهم و هذه عادتهم يتترسون بهم فى الحروب فيصيبهم حدها و يسلمون هم من مضرتها فملكوها عنوه و وضعوا السيف فى أهلها و نهبوا ما يصلح لهم و أحرقوا ما لا يصلح لهم و خذل الناس عنهم حتى كان الواحد منهم يقتل بيده مائه إنسان و السيوف فى أيديهم لا يقدر أحد منهم أن يحرك يده بسيفه نحو ذلك التترى خذلان صب على الناس و أمر سمائى اقتضاه.

ثم عادوا إلى همذان فطالبوا أهلها بمثل المال الذى بذلوه لهم فى الدفعه الأولى فلم يكن فى الناس فضل لذلك لأنه كان عظيما جدا فقام إلى رئيس همذان جماعه من أهلها و أسمعوه كلاما غليظا فقالوا أفقرتنا أولا و تريد أن تستصفينا دفعه ثانيه ثم لا بد للتتار أن يقتلونا فدعنا نجاهدهم بالسيف و نموت كراما ثم وثبوا على شحنة كان للتتار بهمذان فقتلوه و اعتصموا بالبلد فحصرهم التتار فيه فقلت عليهم الميره و عدمت الأقوات و أضر ذلك بأهل همذان و لم ينل التتار مضره من عدم القوت لأنهم لا يأكلون إلا اللحم و الخيل معهم كثيره و معهم غنم عظيمه يسوقونها حيث شاءوا و خيلهم لا تأكل الشعير و لا تأكل إلا نبات الأرض تحفر بحوافرها الأرض عن العروق فتأكلها.

فاضطر رئيس همذان و أهلها إلى الخروج إليهم فخرجوا و التحمت الحرب بينهم أياما و فقد رئيس همذان هرب فى سرب قد كان أعده إلى موضع اعتصم به ظاهر البلد و لم يعلم حقيقه حاله فتحير أهل همذان بعد فقدته و دخلوا المدينه و اجتمعت كلمتهم على القتال فى قصبه البلد إلى أن يموتوا و كان التتار قد عزموا على الرحيل عنهم لكثرتهم من قتل منهم فلما لم يروا أحدا يخرج إليهم من البلد طمعوا و استدلوا على ضعف أهله فقصدوهم و قاتلوهم

و ذلك فى شهر رجب من سنة ثمانى عشره و ستمائه و دخلوا المدينه بالسيف و قاتلهم الناس فى الدروب و بطل السلاح للازدحام و اقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى و ظهر التتار على المسلمين فأفنوهم قتلا و لم يسلم منهم إلا من كان له نفق فى الأرض يستخفى فيه ثم ألقوا النار فى البلد فأحرقوها و رحلوا إلى مدينه أردبيل و أعمال أذربيجان فملكوا أردبيل و قتلوا فيها فأكثروا.

ثم ساروا إلى تبريز و كان بها شمس الدين عثمان الطغرائى قد جمع كلمه أهلها بعد مفارقه صاحب أذربيجان أذربك بن البهلوان للبلاد خوفا من التتار و مقامه بنقجوان فقوى الطغرائى نفوس الناس على الامتناع و حذرهم عاقبه التخاذل و حصن البلد فلما وصل التتار و رأوا اجتماع كلمه المسلمين و حصانه البلد طلبوا منهم مالا و ثيابا فاستقر الأمر بينهم على شىء معلوم فسروه إليهم فلما أخذوه رحلوا إلى بيلقان فقاتلهم أهلها فملكها التتار فى شهر رمضان من هذه السنه و وضعوا فيهم السيف حتى أفنوهم أجمعين ثم ساروا إلى مدينه كنجه و هى أم بلاد أران و أهلها ذوو شجاعه و بأس و جلد لمقاومتهم الكرج و تدربهم بالحرب فلم يقدر التتار عليهم و أرسلوا إليهم يطلبون مالا و ثيابا فأرسلوه إليهم فساروا عنهم فقصدوا الكرج و قد أعدوا لهم فلما صافوهم هرب الكرج و أخذهم السيف فلم يسلم إلا الشريد و نهبت بلادهم و أخرجت و لم يوغل التتار فى بلاد الكرج لكثرة مضايقتها و دربنداتها (١) فقصدوا دربند شروان فحصروا مدينه شماخى و صعدوا سورها فى السلايم و ملكوا البلد بعد حرب شديده و قتلوا فيه فأكثروا (٢).

ص: ٢٣٢

١-١) الدربنند:الباب و انظر معجم البلدان.

٢-٢) ابن الأثير ٩:٣٤٠.

فلما فرغوا أرادوا عبور الدربند فلم يقدموا عليه فأرسلوا إلى شروانشاه ملك الدربند فطالبوه بإنفاذ رسول يسعى بينه وبينهم في الصلح فأرسل إليهم عشرة من ثقاته فلما وصلوا إليهم جمعوهم ثم قتلوا واحدا منهم بحضور الباقين وقالوا للتسعة إن أنتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلکم الأمان و إلا قتلناکم كما قتلنا صاحبکم فقالوا لهم لا طريق فی هذا الدربند و لكن نعرفکم موضعا هو أسهل المواضع لعبور الخيل.

و ساروا بين أيديهم إليه فعبروا الدربند و تركوه وراء ظهورهم و ساروا في تلك البلاد و هي مملوءة من طرائق مختلفه منهم اللان و اللكر و أصناف من الترك فنهبوا و قتلوا الكثير من ساكنيها و رحلوا إلى اللان و هم أمم كثيره و قد وصلهم خبرهم و جمعوا و حذروا و انضاف إليهم جموع من قفجاق فقالتوهم فلم يظفر أحد العسكرين بالآخر فأرسل التتار إلى قفجاق أنتم إخواننا و جنسنا واحد و اللان ليسوا من جنسکم لتنصروهم و لا دينهم دينکم و نحن نعاهدکم ألا نعرض لکم و نحمل إليکم من المال و الثياب ما يستقر بيننا و بينکم على أن تنصرفوا إلى بلادکم.

فاستقر الأمر بينهم على مال و ثياب حملها التتار إليهم و فارقت قفجاق اللان فأوقع التتار باللان فقتلوهم و نهبوا أموالهم و سبوا نساءهم فلما فرغوا منهم ساروا إلى بلاد قفجاق و هم آمنون متفرقون لما استقر بينهم و بين التتار من الصلح فلم يشعروا بهم إلا و قد طرقتهم و دخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الأول فالأول و أخذوا منهم أضعاف ما حملوا إليهم و سمع ما كان بعيد الدار من قفجاق بما جرى.

ففروا عن غير قتال فأبعدوا فبعضهم بالغياض و بعضهم بالجبال و بعضهم لحقوا ببلاد الروس و أقام التتار في بلاد قفجاق و هي أرض كثيره المراعى في الشتاء و فيها أيضا أماكن بارده في الصيف كثيره المراعى و هي غياض على ساحل البحر.

ثم سارت طائفه منهم إلى بلاد الروس و هي بلاد كثيره عظيمه و أهلها نصارى و ذلك فى سنه عشرين و ستمائه فاجتمع الروس و قفجاق عن منعهم عن البلاد فلما قاربهم التتار و عرفوا اجتماعهم رجعوا القهقرى إيهاما للروس أن ذلك عن خوف و حذر فجدوا فى اتباعهم و لم يزل التتار راجعين و أولئك يقفون آثارهم اثنى عشر يوما.

ثم رجعت التتار على الروس و قفجاق فأثخنوا فيهم قتلا و أسرا و لم يسلم منهم إلا القليل و من سلم نزل فى المراكب و خرج فى البحر إلى الساحل الشامى و غرق بعض المراكب.

و هذه الوقائع كلها تولها التتر المغربه الذين قادمهم جرماغون فأما ملكهم الأكبر جنكزخان فإنه كان فى هذه المده بسمرقند ما وراء النهر فقسم أصحابه أقساما فبعث قسما منهم إلى فرغانه و أعمالها فملكوها و بعث قسما آخر إلى ترمذ و ما يليها فملكوها و بعث قسما آخر إلى بلخ و ما يليها من أعمال خراسان فأما بلخ فإنهم أمنوا أهلها و لم يتعرضوا لها بنهب و لا قتل و جعلوا فيها شحنة (١) و كذلك فارياب و كثير من المدن إلا أنهم أخذوا أهلها يقاتلون بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا إلى الطالقان و هي عده بلاد و فيها قلعه حصينه و بها رجال أنجاد فأقاموا على حصارها شهورا فلم يفتحوها فأرسلوا إلى جنكزخان يعرفونه عجزهم عنها فسار بنفسه و عبر جيحون و معه من الخلائق ما لا يحصى فنزل على هذه القلعه و بنى حولها شبه قلعه أخرى من طين و تراب و خشب و حطب و نصب عليها المنجنيقات و رمى القلعه بها فلما رأى أهلها ذلك فتحوها و خرجوا و حملوا حملة واحده فقتل منهم من قتل و سلم من سلم و خرج السالمون فسلكوا تلك الجبال و الشعاب ناجين بأنفسهم و دخل التتار القلعه فنهبوا الأموال و الأمتعه و سبوا النساء و الأطفال.

ص: ٢٣٤

(١-١) الشحنة فى البلد: من يقوم فيها بالكفايه لضبطها من جهه السلطان.

ثم سیر جنکزخان جيشا عظيما مع أحد أولاده إلى مدينة مرو و بها مائتا ألف من المسلمين فكانت بين التتار و بينهم حروب عظيمة شديده صبر فيها المسلمون ثم انهزموا و دخلوا البلد و أغلقوا أبوابه فحاصره التتار حصارا طويلا ثم أمنوا متقدم البلد فلما خرج إليهم فى الأمان خلع عليه ابن جنکزخان و أكرمه و عاهده ألا يتعرض لأحد من أهل مرو ففتح الناس الأبواب فلما تمكنوا منهم استعرضوهم بالسيف عن آخرهم فلم يبقوا منهم باقيه بعد أن استصفوا أرباب الأموال عقيب عذاب شديد عذبوهم به.

ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا به ما فعلوا بمرو من القتل و الاستئصال ثم عمدوا إلى طوس فنهبوا و قتلوا أهلها و أخرجوا المشهد الذى به على بن موسى الرضاع و الرشيد هارون بن المهديّ و ساروا إلى هراه فحاصروها ثم أمنوا أهلها فلما فتحوها قتلوا بعضهم و جعلوا على الباقيين شحنة فلما بعدوا و ثب أهل هراه على الشحنة فقتلوه فعاد عليهم عسكر من التتار فاستعرضوهم بالسيف فقتلوهم عن آخرهم.

ثم عادوا إلى طالقان و بها ملكهم الأكبر جنکزخان فسير طائفه منهم إلى خوارزم و جعل فيها مقدم أصحابه و كبراءهم لأن خوارزم حينئذ كانت مدينة الملك و بها عسكر كثير من الخوارزميه و عوام البلد معروفون بالبأس و الشجاعه فساروا و وصلوا إليها فالتقى الفتان و اقتتلوا أشدّ قتال سمع به و دخل المسلمون البلد و حصرتهم التتار خمس شهر و أرسل التتار إلى جنکزخان يطلبون المدد فأمدهم بجيش من جيوشه فلما وصل قويت منتهم به و زحفوا إلى البلد زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه و ولجوا المدينة فقاتلهم المسلمون داخل البلد فلم يكن لهم به طاقه فملكوه و قتلوا كل من فيه فلما فرغوا منه و قضوا و طرهم من القتل و النهب فتحوا السكر (١) الذى يمنع

ص: ٢٣٥

ماء جيحون عن خوارزم فدخل الماء البلد فغرق كله و انهدمت الأبنيه فبقى بحرا و لم يسلم من أهل خوارزم أحد البته فإن غيره من البلاد كان يسلم نفر يسير من أهلها و أما خوارزم فمن وقف للسيف قتل و من استخفى غرقه الماء أو أهلكه الهدم فأصبحت خوارزم يبابا.

فلما فرغ التتر من هذه البلاد سيروا جيشا إلى غزنه و بها حينئذ جلال الدين منكبرى بن محمد خوارزمشاه مالکها و قد اجتمع إليه من سلم من عسكر أبيه و غيرهم فكانوا نحو ستين ألفا و كان الجيش الذى سار إليهم التتار اثنى عشر ألفا فالتقوا فى حدود غزنه و اقتتلوا قتالا شديدا ثلاثه أيام ثم أنزل الله النصر على المسلمين فانهمز التتر و قتلهم المسلمون كيف شاءوا و تحيز الناجون منهم إلى الطالقان و بها جنكزخان و أرسل جلال الدين إليه رسولا يطلب منه أن يعين موضعا للحرب فاتفقوا على أن يكون الحرب بكابل فأرسل جنكزخان إليها جيشا و سار جلال الدين إليها بنفسه و تصافوا هناك فكان الظفر للمسلمين و هرب التتار فالتجئوا إلى الطالقان و جنكزخان مقيم بها أيضا و غنم المسلمون منهم غنائم عظيمه فجرت بينهم فتنه عظيمه فى الغنائم و ذلك لأن أميرا من أمرائهم اسمه بغراق كان قد أبلى فى حرب التتر هذه جرت بينه و بين أمير يعرف بملك خان نسيب خوارزمشاه مقاوله أفضت إلى أن قتل أخ لبغراق فغضب و فارق جلال الدين فى ثلاثين ألفا فتبعه جلال الدين و استرضاه و استعطفه فلم يرجع فضعف جانب جلال الدين بذلك فبينما هو كذلك وصله الخبر أن جنكزخان قد سار إليه من الطالقان بنفسه و جيوشه فعجز عن مقاومته و علم أنه لا طاقة له به فسار نحو بلاد الهند و عبر نهر السند و ترك غزنه شاغره كالفريسه للأسد فوصل إليها

جنكزخان فملكها و قتل أهلها و سبى نساءها و أخرب القصور و تركها كأمس الغابر.

ثم كانت لهم بعد ملك غزنه و استباحتها وقائع كثيره مع ملوك الروم بنى قلعج أرسلان لم يوغلوا فيها فى البلاد و إنما كانوا يتطرقونها و ينهبون ما تاخمهم منها و أذعن لهم ملوك فارس و كرمان و التيز و مكران بالطاعه و حملوا إليهم الإتاوه و لم يبق فى البلاد الناطقه باللسان الأعجمى بلد إلا حكم فيه سيفهم أو كتابهم فأكثر البلاد قتلوا أهلها و سبق السيف فيهم العذل و الباقى أدى الإتاوه إليهم رغما و أعطى الطاعه صاغرا و رجع جنكزخان إلى ما وراء النهر و توفى هناك.

و قام بعده ابنه قاآن مقامه و ثبت جرماغون فى مكانه بأذربيجان و لم يبق لهم إلا أصبهان فإنهم نزلوا عليها مرارا فى سنه سبع و عشرين و ستمائه و حاربهم أهلها و قتل من الفريقين مقتله عظيمه و لم يبلغوا منها غرضا حتى اختلف أهل أصبهان فى سنه ثلاث و ثلاثين و ستمائه و هم طائفتان حنفيه و شافعيه و بينهم حروب متصله و عصبية ظاهره فخرج قوم من أصحاب الشافعى إلى من يجاورهم و يتاخمهم من ممالك التتار فقالوا لهم اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم فنقل ذلك إلى قاآن بن جنكزخان بعد وفاه أبيه و الملك يومئذ منوط بتدييره فأرسل جيوشا من المدينه المستجده التى بنوها و سموها قرا حرم فعبرت جيحون مغربه و انضم إليها قوم ممن أرسله جرماغون على هيئه المدد لهم فنزلوا على أصفهان فى سنه ثلاث و ثلاثين المذكوره و حصروها فاختلف سيفا الشافعيه و الحنفيه فى المدينه حتى قتل كثير منهم و فتحت أبواب المدينه و فتحها الشافعيه على عهد بينهم و بين التتار أن يقتلوا الحنفيه و يعفوا عن الشافعيه فلما دخلوا البلد بدءوا بالشافعيه فقتلوهم قتلا ذريعا و لم يقفوا مع العهد الذى عهدوه لهم ثم قتلوا الحنفيه ثم قتلوا سائر الناس

و سبوا النساء و شقوا بطون الحبالى و نهبوا الأموال و صادروا الأغنياء ثم أضرموا النار فأحرقوا أصبهان حتى صارت تلولا من الرماد.

فلما لم يبق لهم بلد من بلاد العجم إلا و قد دوخوه صمدوا نحو إربل فى سنة أربع و ثلاثين و ستمائه و قد كانوا طرقوها مرارا و تحيفوا بعض نواحيها فلم يوغلوا فيها و الأمير المرتب بها يومئذ باتكين الرومى فنزل عليها فى ذى القعدة من هذه السنه منهم نحو ثلاثين ألف فارس أرسلهم جرماغون و عليهم مقدم كبير من رؤسائهم يعرف بجكتاي فغادها القتال و رواحها و بها عسكر جم من عساكر الإسلام فقتل من الفريقين خلق كثير و استظهر التتار و دخلوا المدينة و هرب الناس إلى القلعه فاعتصموا بها و حصرهم التتار و طال الحصار حتى هلك الناس فى القلعه عطشا و طلب باتكين منهم أن يصالحوه عن المسلمين بمال يؤديه إليهم فأظهروا الإجابة فلما أرسل إليهم ما تقرر بينهم و بينه أخذوا المال و غدروا به و حملوا على القلعه بعد ذلك حملات عظيمة و زحفوا إليها زحفا متتابعا و علقوا عليها المنجنيقات الكثيره و سير المستنصر بالله الخليفه جيوشه مع مملوكه و خادم حضرته و أخص مماليكه به شرف الدين إقبال الشرامى فساروا إلى تكريت فلما عرف التتر شخوصهم رحلوا عن إربل بعد أن قتلوا منها ما لا يحصى و أخرجوها و تركوها كجوف حمار و عادوا إلى تبريز و بها مقام جرماغون و قد جعلها دار ملكه.

فلما رحلوا عن إربل عاد العسكر البغدادى إلى بغداد و كانت للتتار بعد ذلك نهضات و سرايا كثيره إلى بلاد الشام قتلوا و نهبوا و سبوا فيها حتى انتهت خيولهم إلى حلب فأوقعوا بها و صانعهم عنها أهلها و سلطانها ثم عمدوا إلى بلاد كيخسرو صاحب الروم و ذلك بعد أن هلك جرماغون و قام عوضه المعروف ببابايسىجو و كان

قد جمع لهم ملك الروم قرضه و قضيضه و جيشه و لفيقه و استكثر من الأكراد العتمريه و من عساكر الشام و جند حلب فيقال إنه جمع مائه ألف فارس و راجل فلقية التتار في عشرين ألفا فجرت بينه و بينهم حروب شديده قتلوا فيها مقدمته و كانت المقدمه كلها أو أكثرها من رجال حلب و هم أنجاد أبطال فقتلوا عن آخرهم و انكسر العسكر الرومي و هرب صاحب الروم حتى انتهى إلى قلعه له على البحر تعرف بأنطاكيه فاعتصم بها و تمزقت جموعه و قتل منهم عدد لا يحصى و دخلت التتار إلى المدينه المعروفه بقيساريه ففعلوا فيها أفاعيل منكره من القتل و النهب و التحريق و كذلك بالمدينه المعروفه بسيواس و غيرها من كبار المدن الروميه و بخرع لهم صاحب الروم بالطاعه و أرسل إليهم يسألهم قبول المال و المصانعه فضربوا عليه ضربه يؤديها إليهم كل سنه و رجعوا عن بلاده.

و أقاموا على جملة السكون و الموادعه للبلاد الإسلاميه كلها إلى أن دخلت سنه ثلاث و أربعين و ستمائه فاتفق أن بعض أمراء بغداد و هو سليمان بن برجم و هو مقدم الطائفه المعروفه بالإيواء و هي من التركمان قتل شحنه من شحنه في بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر فأثار قتله أن سار من تبريز عشره آلاف غلام منهم يطوون المنازل و يسبقون خبرهم و مقدمهم المعروف بجكتاي الصغير فلم يشعر الناس ببغداد إلا و هم على البلد و ذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنه في فصل الخريف و قد كان الخليفه المستعصم بالله أخرج عسكره إلى ظاهر سور بغداد على سبيل الاحتياط و كان التتر قد بلغهم ذلك إلا أن جواسيسهم غرتهم و أوقعت في أذهانهم أنه ليس خارج السور إلا خيام مضروبه و فساطيط مضروبه لا رجال تحتها و أنكم متى أشرفتم عليهم ملكتم سوادهم و ثقلهم و يكون قصارى أمر قوم قليلين تحتها أن ينهزموا إلى البلد و يعتصموا بجدرانها فأقبلت

التتر على هذا الظنّ و سارت على هذا الوهم فلما قربوا من بغداد و شارفوا الوصول إلى المعسكر أخرج المستعصم بالله الخليفة مملوكه و قائد جيوشه شرف الدين إقبالا الشرابي إلى ظاهر السور و كان خروجه في ذلك اليوم من لطف الله تعالى بالمسلمين فإن التتار لو وصلوا و هو بعد لم يخرج لاضطرب العسكر لأنهم كانوا يكونون بغير قائد و لا زعيم بل كل واحد منهم أمير نفسه و آراؤهم مختلفه لا يجمعهم رأى واحد و لا يحكم عليها حاكم واحد فكانوا في مظنه الاختلاف و التفرق و الاضطراب و التشتت فكان خروج شرف الدين إقبال الشرابي في اليوم السادس عشر من هذا الشهر المذكور و وصلت التتر إلى سور البلد في اليوم السابع عشر فوقفوا بإزاء عساكر بغداد صفا واحدا و ترتب العسكر البغداديّ ترتيبا منتظما و رأى التتر من كثرتهم و جوده سلاحهم و عددهم و خيولهم ما لم يكونوا يظنونهم و لا يحسبونه و انكشف ذلك الوهم الذي أوهمهم جواسيسهم عن الفساد و البطلان.

و كان مدبر أمر الدوله و الوزاره في هذا الوقت هو الوزير مؤيد الدين محمّد بن أحمد بن العلقمي و لم يحضر الحرب بل كان ملازما ديوان الخلفه بالحضره لكنه كان يمد العسكر الإسلامى من آرائه و تدبيراته بما ينتهون إليه و يقفون عنده فحملت التتار على عسكر بغداد حملات متتابعه ظنوا أن واحده منها تهزمهم لأنهم قد اعتادوا أنه لا يقف عسكر من العساكر بين أيديهم و أن الرعب و الخوف منهم يكفى و يغنى عن مباشرتهم الحرب بأنفسهم فثبت لهم عسكر بغداد أحسن ثبوت و رشقوهم بالسهام و رشقت التتار أيضا بسهامها و أنزل الله سكينته على عسكر بغداد و أنزل بعد السكينه نصره فما زال العسكر البغداديّ تظهر عليه أمارات القوّه و تظهر على التتار أمارات الضعف و الخذلان إلى أن حجز الليل بين الفريقين و لم يصطدم الفيلقان و إنّما

كانت مناوشات و حملات خفيفه لا تقتضى الاتصال و الممازجه و رشق بالنشاب شديد.

فلما أظلم الليل أوقد التتار نيرانا عظيمه و أوهموا أنهم مقيمون عندها و ارتحلوا فى الليل راجعين إلى جهه بلادهم فأصبح العسكر البغدادى فلم ير منهم عينا و لا- أثرا و ما زالوا يطوون المنازل و يقطعون القرى عائدين حتى دخلوا الدربند و لحقوا ببلادهم.

و كان ما جرى من دلائل النبوه لأن الرسول ص وعد هذه المله بالظهور و البقاء إلى يوم القيامه و لو حدث على بغداد منهم حادثه كما جرى على غيرها من البلاد لانقرضت مله الإسلام و لم يبق لها باقيه.

و إلى أن بلغنا من هذا الشرح إلى هذا الموضوع لم يذعر العراق منهم ذاعر بعد تلك النوبه التى قدمنا ذكرها.

قلت و قد لاح لى من فحوى كلام أمير المؤمنين ع أنه لا- بأس على بغداد و العراق منهم و أن الله تعالى يكفى هذه المملكه شرهم و يرد عنها كيدهم و ذلك من قوله ع و يكون هناك استحرار قتل فأتى بالكاف و هى إذا وقعت عقيب الإشاره أفادت البعد تقول للقريب هنا و للبعيد هناك و هذا منصوص عليه فى العربيه و لو كان لهم استحرار قتل فى العراق لما قال هناك بل كان يقول هنا لأنه ع خطب بهذه الخطبه فى البصره و معلوم أن البصره و بغداد شىء واحد و بلد واحد لأنهما جميعا من إقليم العراق و ملكهما ملك واحد فيلمح هذا الموضوع فإنه لطيف.

ص: ٢٤١

و كتبت إلى مؤيد الدين الوزير عقيب هذه الوقعه التي نصر فيها الإسلام و رجع التتر مخذولين ناكسين على أعقابهم أبياتا أنسب إليه الفتح و أشير إلى أنه هو الذى قام بذلك و إن لم يكن حاضرا له بنفسه و أعتذر إليه عن الإغياب بمديحه فقد كانت الشواغل و القواطع تصد عن الانتصاب لذلك أبقى لنا الله الوزير و حاطه

ص: ٢٤٢

إن القريض و إن أعب متيم

و هي طويله و إنما ذكرنا منها ما اقتضته الحال

ص: ٢٤٣

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ وَ مَدِينُونَ مُقْتَضُونَ أَجَلَ مَنْقُوصٍ وَ عَمَلٌ مَحْفُوظٌ قَرِيبٌ دَائِبٌ مُضَيِّعٌ وَ رَبٌّ كَادِحٌ خَاسِرٌ وَ قَدْ أَصَابَتْكُمْ فِي زَمَنِ لَّا يَزِدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا- إِذْيَارًا وَ لَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا وَ لَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاقِكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَةٌ عُدَّتُهُ وَ عَمَّتْ مَكِيدَتُهُ وَ أَمَكَّتْ فَرِيَسَتُهُ اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتُمْ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا أَوْ غَنِيًّا يَدُلُّ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًّا أَوْ مَتَمَرِّدًا كَانَ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَفَرًّا أَيْنَ أَخْيَارِكُمْ وَ صُلَحَاءِكُمْ وَ أَيْنَ أَخْرَارِكُمْ وَ سَمَحَاءِكُمْ وَ أَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ وَ الْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ أَلَيْسَ قَدْ طَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ وَ الْعَاجِلَةِ الْمُنْغَصَّةِ وَ هَلْ [خُلِفْتُمْ]

خُلِفْتُمْ إِلَّا- فِي حُثَالِهِ لَا تَلْتَقِي إِلَّا بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ اسْتِصْبَحَارًا لِقَدْرِهِمْ وَ ذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ فِإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرٌ مُعَيَّرٌ وَ لَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ وَ تَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ هَيْهَاتَ لَا يُخَدِّعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ وَ لَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ

لَعَنَ اللَّهُ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ وَ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ .

أثوياء

جمع ثوى و هو الضيف كقوى و أقوياء و مؤجلون مؤخرون إلى أجل أى وقت معلوم .

و مدينون مقرضون دنت الرجل أقرضته فهو مدين و مديون و دنت أيضا إذا استقرضت و صارت على دين فأنا دائن و أنشد ندين و يقضى الله عنا و قد نرى مصارع قوم لا يدينون ضيعا (١) .

و مقتضون جمع مقتضى أى مطالب بأداء الدين كمرتضون جمع مرتضى و مصطفون جمع مصطفى.

و قوله أجل منقوص أى عمر و قد جاء عنهم أطال الله أهلك أى عمرك و بقاءك و الدائب المجتهد ذو الجد و التعب و الكادح الساعى.

و مثل قوله فرب دائب مضيع و رب كادح خاسر قول الشاعر إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده.

و مثله إذا لم يكن عون من الله للفتى أته الرزايا من وجوه الفوائد.

و هو كثير و الأصل فيه قوله تعالى وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٢) و يروى فرب دائب مضيع بغير تشديد.

ص: ٢٤٥

١-١ (١) اللسان ١٧:٣٦؛ و نسبه للعجير السلولى.

٢-٢ (٢) سورة الغاشية ٢-٤.

و قوله و أمكنت فريسته أى و أمكنته فحذف المفعول .

و قوله فاضرب بطرفك لفظه فصيح و قد أخذها الشاعر فقال فاضرب بطرفك حيث شئت فلن ترى إلا بخيلا .. و الوفر المال الكثير أى بخل و لم يؤد حقَّ الله سبحانه فكثير ماله .

و الوقر بفتح الواو الثقل فى الأذن و روى المنغصه بفتح الغين .

الحتاله الساقط الردىء من كل شىء .

و قوله لا تلتقى بدمهم الشفتان أى يأنف الإنسان أن يذمهم لأنه لا بدّ فى الدم من إطباق أحد الشفتين على الأخرى و كذلك فى كل الكلام .

و ذهابا عن ذكرهم

أى ترفعا يقال فلان يذهب بنفسه عن كذا أى يرفعها .

و لا زاجر مزدجر

أى ليس فى الناس من يزجر عن القبيح و ينزجر هو عنه .

و دار القدس هى الجنة و لا يخدع الله عنها لأنه لا تخفى عليه خافيه و لا يجوز عليه النفاق و التمويه ثم لعن الأمر بالمعروف و لا يفعله و الناهى عن المنكر و يرتكبه و هذا من قوله تعالى أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ .

و لست أرى فى هذه الخطبه ذكرا للموازين و المكايل التى أشار إليها الرضى رحمه الله اللهم إلا أن يكون قوله ع و أين المتورعون فى مكاسبهم أو قوله ظهر الفساد و دلالتهما على الموازين و المكايل بعيدة

نبذ من أقوال الحكماء و الصالحين

و اعلم أن هذه الخطبه قد اشتملت على كلام فصيح و موعظه بالغه من ذكر الدنيا

و ذكر أهلها و نحن نذكر كلمات وردت عن الحكماء و الصالحين تناسبها على عادتنا فى إيراد الأشباه و النظائر.

١٧٧٧

قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ مَا أَذْرَى كَيْفَ أَعْجَبَ مِنَ الدُّنْيَا أَمِنْ حُسْنِ مَنْظَرِهَا وَ قُبْحِ مَحَبَرِهَا أَمْ مِنْ ذَمِّ النَّاسِ لَهَا وَ تَنَاخُرِهِمْ عَلَيْهَا.

١٧٧٨

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ كَيْفَ أَصْبَحْتَ قَالَ آسِفًا عَلَى أَمْسِي كَارِهًا لِيَوْمِي مُتَّهِمًا لِعَدِي.

١٧٧٩

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ خَدُوعًا خَلُوبًا وَ ثُوبًا غَلُوبًا.

١٧٨٠

قِيلَ لِصُوفِيٍّ لِمَ تَرَكْتَ الدُّنْيَا قَالَ لِأَنِّي مُنِعْتُ صَفْوَهَا وَ اِمْتَنَعْتُ مِنْ كَدِرِهَا.

١٧٨١

وَ قِيلَ لِآخَرَ لِمَ تَرَكْتَ الدُّنْيَا قَالَ لِأَنِّي عُدِمْتُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهَا إِلَّا بِعَشْقِهَا وَ أَعَشَقْتُ مَا أَكُونُ لَهَا أَغْدَرُ مَا تَكُونُ بِي.

١٧٨٢

وَ أَنْشَدَ لِبِشْرِ الْحَافِي قَرِيرَ الْعَيْنِ لَا وَلَدٌ يَمُوتُ

١٧٨٣

قَالَ أَبُو حَيَّانَ سَمِعْتُ ابْنَ الْقَصَّابِ الصُّوفِيَّ يَقُولُ اسْمَعْ وَ اسْكُتْ وَ انْظُرْ وَ اعْجَبْ.

١٧٨٤

قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ

مَلَّ سَقَامِي عُوْدَهُ

ص: ٢٤٧

وَمِنَ الشُّعْرِ الْقَدِيمِ الْمُخْتَلَفِ فِي قَائِلِهِ

قَصْرُ الْجَدِيدِ إِلَى بَلَى

قِيلَ لِصُوفِيٍّ كَيْفَ تَرَى الدُّنْيَا قَالَ وَ مَا الدُّنْيَا لَا أَعْرِفُ لَهَا وَجُوداً قِيلَ لَهُ فَأَيْنَ قَلْبِكَ قَالَ عِنْدَ رَبِّي قِيلَ فَأَيْنَ رَبُّكَ قَالَ وَ أَيْنَ لَيْسَ هُوَ.

قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ كَانَ يُقَالُ مُجَالَسُهُ أَهْلَ الدِّيَانَةِ تَجَلُّو عَنِ الْقُلُوبِ صَدَأَ الذُّنُوبِ وَ مُجَالَسُهُ ذَوِي الْمُرُوءَاتِ تَدُلُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَ مُجَالَسُهُ الْعُلَمَاءِ تُزَكِّي النُّفُوسَ.

وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ الْفُضَيْحَاءِ كُنْ لِنَفْسِكَ نَصِيحاً وَ اسْتَقْبِلْ تَوْبَةَ نَصُوحاً وَ ازْهَدْ فِي دَارِ سَمِّهَا نَافِعٌ وَ طَائِرُهَا وَاقِعٌ وَ ازْغَبْ فِي دَارِ طَالِبِهَا مُنْجِحٌ وَ صَاحِبُهَا مُفْلِحٌ وَ مَتَى حَقَّقْتَ وَ آثَرْتَ الصَّدَقَ بَانَ لَكَ أَنَّهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ وَ أَنَّهُمَا كَالضُّدَّيْنِ لَا يَصِيءُ طَلِحَانِ فَجَرِّدْ هَمَّكَ فِي تَخَصُّبِ الْبَاقِيَةِ فَإِنَّ الْأُخْرَى أَنْتَ فَاِنْ عَنَّا وَ هِيَ فَانِيَةٌ عَنكَ وَ قَدْ عَرَفْتَ آثَارَهَا فِي أَصِيحَابِهَا وَ رُفَقَائِهَا وَ صِيْنَعِهَا بِطَلَابِهَا وَ عُشَقَائِهَا مَعْرِفَهُ عِيَانٍ فَأَيُّ حُجَّةٍ تَبْقَى لَكَ وَ أَيُّ حُجَّةٍ لَا تَثْبُتُ عَلَيْكَ.

وَ مِنْ كَلَامِ هَذَا الْحَكِيمِ فَإِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَارِ رَابِحِهَا خَاسِرٌ وَ نَائِلِهَا قَاصِرٌ وَ عَزِيْزُهَا ذَلِيلٌ وَ صَاحِبِهَا عَلِيلٌ وَ الدَّاخِلُ إِلَيْهَا مُخْرَجٌ وَ الْمُطْمَئِنُّ فِيهَا مُزْعَجٌ وَ الدَّاثِقُ مِنْ شَرَابِهَا سَكْرَانٌ وَ الْوَائِقُ بِسَرَابِهَا ظَمْآنٌ ظَاهِرُهَا غُرُورٌ وَ بَاطِنُهَا شُرُورٌ وَ طَالِبِهَا

مَكْدُودٌ وَعَاشَتْهَا مَجْهُودٌ وَتَارَكَهَا مَحْمُودُ الْعَاقِلُ مَنْ فَلَاهِيَا وَسَيَّلا عَنْهَا وَالظَّرِيفُ مَنْ عَافَهَا وَأَنْفَ مِنْهَا وَالسَّعِيدُ مَنْ غَمَضَ
بَصِيرَهُ عَنْ زَهْرَتِهَا وَصَيَّرَهُ عَنْ نَضْرَتِهَا وَلَيْسَ لَهَا فَضِيلَةٌ إِلَّا دَلَّاهَا عَلَى نَفْسِهَا وَإِشَارَتُهَا إِلَى نَقْصِهَا وَلَعْمَرِي إِنَّهَا لَفَضِيلَةٌ لَوْ
صَادَفَتْ قَلْبًا عَقُولًا لَا لِسَانَ قَوْلًا وَعَمَلًا مَقْبُولًا لَا لَفْظًا مَنُفُوعًا فَالِي اللَّهِ الشُّكُورَى مِنْ هَوَى مُطَاعٍ وَعُمُرٍ مُضَاعٍ فِيهِ الدَّاءُ وَالذَّوَاءُ
وَالْمَرَضُ وَالشِّفَاءُ.

١٧٩٠

قَالَ أَبُو حُرَّةٍ أَتَيْنَا بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرِّيَّ نَعُودُهُ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَفَدَّ قَامَ لِحَاجَتِهِ فَجَلَسْنَا نَنْتَظِرُهُ فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا يَتَهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَلَمَّا نَظَرَ
إِلَيْنَا سَلَّمَ عَلَيْنَا ثُمَّ قَالَ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أُعْطِيَ قُوَّةَ فَعْمَلٍ بِهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ قُضِرَ بِهِ ضَعْفٌ فَكَفَّ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ.

١٧٩١

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَثَلُ الرَّجُلِ فِي الدُّنْيَا مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ خُلَّانٍ قَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ أَنَا خَازِنُكَ خُذْ مِنِّي مَا شِئْتَ فَاعْمَلْ بِهِ مَا
شِئْتَ وَقَالَ الْآخَرُ أَنَا مَعَكَ أَحْمِلُكَ وَاضْعُكَ فَإِذَا مِتَّ تَرَكْتُكَ وَقَالَ الْآخَرُ أَنَا أَصْحَبُكَ أَبَدًا حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَمَالُهُ
وَأَمَّا الثَّانِي فَعَشِيرَتُهُ وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَعَمَلُهُ.

١٧٩٢

قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ مِنَ الزَّاهِدِ فِي الدُّنْيَا قَالَ مَنْ لَمْ يَمْنَعْ الْحَلَالَ شُكْرَهُ وَمَنْ لَمْ يَمْنَعْ الْحَرَامَ صَبْرَهُ.

١٧٩٣

وَقَالَ سَيْفِيَانُ الثَّوْرِيُّ مَا عُبِدَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْعَقْلِ وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ يَكُونُ الْكِبْرُ مِنْهُ مَأْمُونًا وَالْخَيْرُ
مِنْهُ مَأْمُولًا- يَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَهُ وَيَكُونُ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ وَحَتَّى يَكُونَ الدُّلُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَحَتَّى
يَكُونَ الْفَقْرُ فِي الْحَلَالِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى فِي الْحَرَامِ وَحَتَّى يَكُونَ عَيْشُهُ الْقَوْتِ وَحَتَّى يَسْتَقِيلَ الْكَثِيرَ مِنَ عَمَلِهِ وَيَسْتَكْتِرُ الْقَلِيلَ
مِنْ عَمَلٍ غَيْرِهِ وَحَتَّى لَا يَتَّبِرَمَ بِطَلَبِ الْحَوَائِجِ

ص: ٢٤٩

قَبْلَهُ وَالْعَاشِرَةَ وَمَا الْعَاشِرَةَ بِهَا شَادَ مَجْدُهُ وَعَلَا ذِكْرُهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَسْتَقْبِلُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَأَى أَنَّهُ دُونَهُ.

١٧٩٤

قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ كَانَ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ جُنْدِيُّ عَابِدٍ فَأَحَبَّ الْعَزْوُ فَلَمَّا خَرَجَ شَيْعَتُهُ فَقُلْتُ أَوْصِيَنِي فَقَالَ أَوْصِيَنِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَوْصِيَنِيكَ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَهُدَى النَّهَارِ الْمُشْرِقِ فَاعْمَلْ بِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جَهْدٍ وَفَاقِهِ فَإِنْ عَرَضَ بَلَاءٌ فَقَدِّمَ مَالَكَ دُونَ نَفْسِكَ فَإِنْ تَجَاوَزَ الْبَلَاءُ فَقَدِّمَ مَالَكَ وَنَفْسَكَ دُونَ دِينِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَخْرُوبَ مَنْ حُرِبَ دِينُهُ وَالْمَسْلُوبَ مَنْ سُلِبَ يَقِينُهُ إِنَّهُ لَا غِنَى مَعَ النَّارِ وَلَا فَقْرَ مَعَ الْجَنَّةِ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَا يُفَكُّ أَسِيرَهَا وَلَا يَسْتَعْنِي فَقِيرَهَا.

١٧٩٥

ابْنُ الْمُبَارَكِ

كَانَ فِيهَا مَضَى جَبَّارٌ يَقْتُلُ النَّاسَ عَلَى أَكْمَلِ لُحُومِ الْخَنَازِيرِ فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ يَتَرَفَّى حَتَّى بَلَغَ إِلَى عَابِدِ مَشْهُورٍ فَأَرَادَهُ عَلَى أَكْلِهَا وَ هَدَّدَهُ بِالْقَتْلِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ شُرْطَتِهِ إِنِّي ذَابِحٌ لَكَ غَدًا جَدِيًّا فَإِذَا دَعَاكَ هَذَا الْجَبَّارُ لِتَأْكُلَ فَكُلْ فَإِنَّمَا هُوَ حَيْدِي فَلَمَّا دَعَاهُ لِأَكْمَلِ أَبِي أَنْ يَأْكُلَ فَقَالَ أَخْرِجُوهُ وَاضْرِبُوا عُنُقَهُ فَقَالَ لَهُ الشُّرْطِيُّ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ لَحْمِ حَيْدِي قَالَ إِنِّي رَجُلٌ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يَتَأَسَى بِي النَّاسُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ فَقَدَّمَهُ فَقَتَلَهُ.

١٧٩٦

سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ

كَانَ رَجُلٌ يَبْكِي كَثِيرًا فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ لَوْ قَتَلْتَ قَتِيلًا ثُمَّ أَتَيْتَ وَلِيَّهُ فَرَآكَ تَبْكِي هَذَا الْبُكَاءَ لَعَفَا عَنْكَ فَقَالَ قَدْ قَتَلْتُ نَفْسِي فَلَعَلَّ وَلِيِّهَا يَغْفُو عَنِّي.

١٧٩٧

وَكَانَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ كَثِيرَ الْبُكَاءِ وَكَانَ يُغَالِطُ النَّاسَ عَنْ بُكَائِهِ يَبْكِي مَرَّةً فَيَأْخُذُ أَنْفَهُ وَيَقُولُ الزَّكَمَةُ رُبَّمَا عَرَضَتْ لِي وَ يَبْكِي مَرَّةً فَإِذَا اسْتَبَانَ مِنْ حَوْلِهِ بُكَاءَهُ قَالَ إِنَّ الشَّيْخَ إِذَا كَبِرَ مَجَّ (١).

ص: ٢٥٠

وَمِنْ كَلَامِ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ فِي الْبَصَائِرِ مَا أَقُولُ فِي عَالَمِ السَّاكِنِ فِيهِ وَجِلُّ وَ الصَّاحِي بَيْنَ أَهْلِهِ تَمَلُّ وَ الْمُقِيمِ عَلَى ذُنُوبِهِ
 خَجَلٌ وَ الرَّاحِلُ عَنْهُ مَعَ تَمَادِيهِ عَجَلٌ وَ إِنَّ دَاراً هَدَاهُ مِنْ آفَاتِهَا وَ صِدْرُوفِهَا لَمَحْقُوقَةٌ بِهَجْرَانِهَا وَ تَزْكِيهَا وَ الصُّدُوفِ مِنْهَا خَاصَّةً وَ لَا
 سَبِيلَ لِسَاكِنِهَا إِلَى دَارِ الْقَرَارِ إِلَّا بِالزُّهْدِ فِيهَا وَ الرِّضَا بِالطَّيْفِ مِنْهَا كَبَلْعَةِ الثَّأْوِي وَ زَادِ الْمُنْطَلِقِ.

إشاره

يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَخَفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ فَاتْرُكْ فِي أَيِّدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ وَاهْرَبْ مِنْهُمْ بِمَا خَفْتَهُمْ عَلَيْهِ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَيَّ مَا مَنَعْتَهُمْ وَ مَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ وَ سَتَعَلَّمَ مِنَ الرَّابِحِ غَدًّا وَ الْأَكْثَرَ حَسَدًا وَ لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بَيْنَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا لَا يُؤْنَسُ نِكَ إِلَّا الْحَقُّ وَ لَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ وَ لَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ .

أخبار أبي ذر الغفاري حين خروجه إلى الربذه

واقعه أبي ذر رحمه الله و إخراجه إلى الربذه أحد الأحداث التي نقت على عثمان

١٧٩٩

١,٢,٣- وَ قَدْ رَوَى هَذَا الْكَلَامَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ فِي كِتَابِ السَّقِيفَةِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا أُخْرِجَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبِذَةِ أَمَرَ عُثْمَانُ فَنُودِيَ فِي النَّاسِ أَلَّا يُكَلِّمَ أَحَدًا أَبَا ذَرٍّ وَ لَا يُشِيعَهُ وَ أَمَرَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ أَنْ يَخْرِجَ بِهِ فَخَرَجَ بِهِ وَ تَحَامَاهُ النَّاسُ إِلَّا عَلِيًّا

ص: ٢٥٢

وَ عَقِيلًا أَخَاهُ وَ حَسِينًا وَ حُسَيْنًا ع وَ عَمَّارًا فَإِنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَهُ يُشِيعُونَهُ فَجَعَلَ الْحَسَنُ ع يُكَلِّمُ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ إِيهَا يَا حَسَنُ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَهَى عَنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ فَأَعْلَمُ ذَلِكَ فَحَمَلَ عَلِيٌّ ع عَلَى مَرْوَانَ فَضَرَبَ بِالسُّوْطِ بَيْنَ أُذُنَيْ رَاحِلَتِهِ وَ قَالَ تَنَحَّ لِحَاكِ اللَّهِ إِلَى النَّارِ .

فَرَجَعَ مَرْوَانُ مُغْضَبًا إِلَى عُثْمَانَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ فَتَلَطَّى عَلَى عَلِيٍّ ع وَ وَقَفَ أَبُو ذَرٍّ فَوَدَّعَهُ الْقَوْمُ وَ مَعَهُ ذُكْوَانُ مَوْلَى أُمِّ هَانِيَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ . قَالَ ذُكْوَانُ فَحَفِظْتُ كَلَامَ الْقَوْمِ وَ كَانَ حَافِظًا فَقَالَ عَلِيٌّ ع يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَ خِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ فَأَمْتَحَنُوكَ بِالْقَلْبِ وَ نَفُوكَ إِلَى الْفَلَا وَ اللَّهُ لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ لَهُ مِنْهَا مَخْرَجًا يَا أَبَا ذَرٍّ لَا يُؤْنِسُنَا إِلَّا الْحَقُّ وَ لَا يُوحِشُنَا إِلَّا الْبَاطِلُ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ وَدَّعُوا عَمَّكُمْ وَ قَالَ لِعَقِيلٍ وَدَّعْ أَحَاكَ .

فَتَكَلَّمَ عَقِيلٌ فَقَالَ مَا عَسَى أَنْ نَقُولَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَا نُحِبُّكَ وَ أَنْتَ تُحِبُّنَا فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ التَّقْوَى نَجَاةٌ وَ اصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ كَرَمٌ وَ اعْلَمْ أَنَّ اسْتِثْقَالَكَ الصَّبْرَ مِنَ الْجَزَعِ وَ اسْتِثْقَاكَ الْعَافِيَةَ مِنَ الْيَأْسِ فَدَعْ الْيَأْسَ وَ الْجَزَعَ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ الْحَسَنُ فَقَالَ يَا عَمَّاهُ لَوْ لَا أَنَّهُ لَا يَتَّبِعِي لِلْمُودِّعِ أَنْ يَشْكُتَ وَ لِلْمُسْتَبِيعِ أَنْ يَنْصَرِفَ لَقَصُرَ الْكَلَامُ وَ إِنْ طَالَ الْأَسْفُ وَ قَدْ أَتَى الْقَوْمُ إِلَيْكَ مَا تَرَى فَضَعَّ عَنْكَ الدُّنْيَا بِتَذَكُّرِ فِرَاعِهَا وَ شِدَّةِ مَا اشْتَدَّ مِنْهَا بِرَجَاءِ مَا بَعْدَهَا وَ اصْبِرْ حَتَّى تَلْقَى نَبِيَّكَ ص وَ هُوَ عَنْكَ رَاضٍ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ الْحُسَيْنُ ع فَقَالَ يَا عَمَّاهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَا قَدْ تَرَى

وَاللَّهُ كُفْلٌ يَوْمَ هُوَ فِي شَأْنٍ وَقَدْ مَنَعَكَ الْقَوْمَ دُنْيَاهُمْ وَمَنَعْتَهُمْ دِينَكَ فَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ وَأَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ فَاسْأَلِ
اللَّهُ الصَّبْرَ وَالنَّصْرَ وَاسْتَعِذْ بِهِ مِنَ الْجَشَعِ وَالْجَزَعِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الدِّينِ وَالْكَرَمِ وَإِنَّ الْجَشَعَ لَا يُقَدِّمُ رِزْقًا وَالْجَزَعَ لَا يُؤَخِّرُ أَجَلًا.

ثُمَّ تَكَلَّمَ عَمَّارٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مُغْضَبًا فَقَالَ لَا- آتَسَّ اللَّهُ مِنْ أَوْحَشِكَ وَلَا آمَنَ مِنْ أَخَافِكَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَرَدْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَمْنُوكَ وَ لَوْ
رَضِيَتْ أَعْمَالُهُمْ لَأَحْبَبُوكَ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا بِقَوْلِكَ إِلَّا الرِّضَا بِالدُّنْيَا وَالْجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ مَالُوا إِلَى مَا سَيَلَطَانُ جَمَاعَتِهِمْ
عَلَيْهِ وَالْمُلْكُ لِمَنْ غَلَبَ فَوَهَبُوا لَهُمْ دِينَهُمْ وَمَنَحَهُمُ الْقَوْمَ دُنْيَاهُمْ فَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

فَبَكَى أَبُو ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا وَقَالَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ يَا أَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ إِذَا رَأَيْتُكُمْ ذَكَرْتُ بِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ص مَا لِي
بِالْمَدِينَةِ سَيِّئًا وَلَا شَجْنٌ غَيْرِكُمْ إِنِّي ثَقُلْتُ عَلَى عُثْمَانَ بِالْحِجَازِ كَمَا ثَقُلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ وَكَرِهَ أَنْ أُجَاوِرَ أَخَاهُ وَابْنَ خَالِهِ
بِالْمِصْرَيْنِ فَأَفْسَدَ النَّاسَ عَلَيْهِمَا فَسَيَّرَنِي إِلَى بَلَدٍ لَيْسَ لِي بِهِ نَاصِرٌ وَلَا دَافِعٌ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ إِلَّا اللَّهَ صَاحِبًا وَمَا أَخْشَى مَعَ اللَّهِ
وَوَحْشَةً.

وَ رَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَ عَلِيٌّ ع إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى رَدِّ رَسُولِي وَ تَصْيِيرِ أَمْرِي فَقَالَ عَلِيٌّ ع أَمَا رَسُولُكَ
فَأَرَادَ أَنْ يُرَدَّ وَجْهِي فَرَدَدْتُهُ وَ أَمَا أَمْرُكَ فَلَمْ أَصْعُرْهُ .

قَالَ أَمَّا بَلَعَكَ نَهْيِي عَنْ كَلَامِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَوْ كَلَّمَا أَمَرْتَ بِأَمْرِ مَعْصِيَةٍ أَطَعْنَاكَ فِيهِ قَالَ عُثْمَانُ أَقْسَدَ مَرْوَانَ مِنْ نَفْسِكَ قَالَ مِمَّ ذَا
قَالَ مِنْ سَتْمِهِ وَ حَيْذُ رَاحِلَتِهِ قَالَ أَمَا رَاحِلَتُهُ فَرَاحِلَتِي بِهَا وَ أَمَا سَتْمُهُ إِيَّايَ فَوَاللَّهِ لَا يَسْتَمِنِي سَتْمُهُ إِلَّا سَتَمْتُكَ مِثْلَهَا لَا أَكْذِبُ
عَلَيْكَ .

أبا ذر أولاً إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما شكاه منه معاوية ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. أصل هذه الواقعة

١٨٠٠

أَنَّ عُمَانَ لَمَّا أُعْطِيَ مَرَّانَ بَنِ الْحَكَمِ وَغَيْرَهُ ثُبُوتَ الْأَمْوَالِ وَ اخْتَصَّ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا جَعَلَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَ الشُّوَارِعِ بَشِيرَ الْكُافِرِينَ بِعَذَابِ أَلِيمٍ وَ يَزْفَعُ بِمِثْلِكَ صِدْقَهُ وَ يَتَّبِعُو قَوْلَهُ تَعَالَى وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَرَفِعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَانَ مِرَارًا وَ هُوَ سَاكِتٌ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَوْلَى مِنْ مَوَالِيهِ أَنْ آتِهِ عَمَّا بَلَغَنِي عَنْكَ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ أَوْ يَنْهَانِي عُمَانَ عَنْ قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَ عَيْبِ مَنْ تَرَكَ أَمَرَ اللَّهِ تَعَالَى فَوَاللَّهِ لَمَّا نَ أَرْضَى اللَّهُ بِسَخَطِ عُمَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ أُسِيخَطَ اللَّهُ بِرِضَا عُمَانَ. فَأَغْضَبَ عُمَانَ ذَلِكَ وَ أَحْفَظَهُ فَتَصَيَّبَ وَ تَمَاسَكَ إِلَيَّ أَنْ قَالَ عُمَانُ يَوْمًا وَ النَّاسُ حَوْلَهُ أَيْجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا قَرْضًا فَإِذَا أَيْسَرَ قَضَى فَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ لَا يَأْسَ بِمِثْلِكَ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ يَا ابْنَ الْيَهُودِيِّينَ أَتُعَلِّمُنَا دِينَنَا فَقَالَ عُمَانُ قَدْ كَثُرَ أَذَاكَ لِي وَ تَوَلَّعَكَ بِأَصْحَابِي الْحَقُّ بِالشَّامِ فَأَخْرَجَهُ إِلَيْهَا.

فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يُنْكِرُ عَلَى مَعَاوِيَةَ أَشْيَاءَ يَفْعَلُهَا فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ يَوْمًا ثَلَاثِمِائَةَ دِينَارٍ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِرَسُولِهِ إِنْ كَانَتْ مِنْ عَطَائِي الَّذِي حَرَّمْتُمُونِيهِ عَامِي هَذَا أَقْبَلُهَا وَ إِنْ كَانَتْ صَلَةً فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا وَ رَدَّهَا عَلَيْهِ.

ثُمَّ بَنَى مَعَاوِيَةَ الْخَضِرَاءَ بِجَدْمَشَقٍ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ يَا مَعَاوِيَةَ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهِيَ الْحَيَانَةُ وَ إِنْ كَانَتْ مِنْ مَالِكَ فَهِيَ الْإِسْرَافُ وَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ بِالشَّامِ وَ اللَّهُ لَقَدْ حَدَّثَتْ أَعْمَالُ مَا أَعْرِفُهَا وَ اللَّهُ مَا هِيَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ لَا سُنَّةِ نَبِيِّهِ ص

ص: ٢٥٦

وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرَى حَقًّا يُطْفَأُ وَبَاطِلًا يُحْيَا وَصَادِقًا مُكَذَّبًا وَآثَرَهُ بَغَيْرِ تَقَى وَصَالِحًا مُسْتَأْثَرًا عَلَيْهِ.

قَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ لِمُعَاوِيَةَ إِنَّ أَبَا ذَرٍّ لَمُفْسِدٌ عَلَيْكُمْ الشَّامَ فَتَدَارِكُ أَهْلَهُ إِنْ كَانَ لَكَ فِيهِ حَاجَةٌ.

١٨٠١

١٤- وَرَوَى شَيْخُنَا أَبُو عُمَيْرَانَ الْجَاحِظُ فِي كِتَابِ السُّفْيَانِيَّةِ عَنْ جُلَامِ بْنِ جُنْدَلٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ كُنْتُ غُلَامًا لِمُعَاوِيَةَ عَلَى قَنْسِرِينَ وَ الْعَوَاصِمِ فِي خِلَافِهِ عُثْمَانَ فَجِئْتُ إِلَيْهِ يَوْمًا أَسْأَلُهُ عَنْ حَالِ عَمَلِي إِذْ سَجَعْتُ صَارِحًا عَلَى بَابِ دَارِهِ يَقُولُ أَتَتَّكُمُ الْقِطَارُ تَحْمِلُ النَّارَ اللَّهُمَّ الْعَنِ الْمَآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ النَّارِكِينَ لَهُ اللَّهُمَّ الْعَنِ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْمُرْتَكِبِينَ لَهُ فَازِيَّارًا مُعَاوِيَةَ وَتَغْيِيرًا لُونَهُ وَقَالَ يَا جُلَامُ أ تَعْرِفُ الصَّارِحَ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ لَا- قَالَتْ مِنْ عَيْدِيرِي مِنْ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ يَأْتِينَا كُلَّ يَوْمٍ فَيَصْرِخُ عَلَى بَابِ قَصِيرِنَا بِمَا سَجَعْتَ ثُمَّ قَالَ أَدْخَلُوهُ عَلَيَّ فَجِيءَ بِأَبِي ذَرٍّ بَيْنَ قَوْمٍ يَقُودُونَهُ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ يَا عَيْدُوَ اللَّهُ وَ عَيْدُوَ رَسُولِهِ تَأْتِينَا فِي كُلِّ يَوْمٍ فَتَصْبِغُ مَا تَصْبِغُ أَمَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ قَاتِلَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ لَقَتَلْتُكَ وَ لَكِنِّي أَسْتَأْذِنُ فِيكَ قَالَ جُلَامٌ وَ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَى أَبَا ذَرٍّ لِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَجُلٌ أَسْمَرٌ ضَرْبُ (١) مِنَ الرِّجَالِ خَفِيفِ الْعَارِضِينَ فِي ظَهْرِهِ جَنًّا (٢) فَاقْبَلْ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَالَ مَا أَنَا بِعَيْدُوَ لِلَّهِ وَ لَا لِرَسُولِهِ بَلْ أَنْتَ وَ أَبُوكَ عَيْدُوَانِ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ أَظْهَرْتُمَا الْإِسْلَامَ وَ أَبْطَلْتُمَا الْكُفْرَ وَ لَقَدْ لَعَنَكَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ دَعَا عَلَيْكَ مَرَّاتٍ أَلَّا تَشْبِعَ سَجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِذَا وَلِيَ الْأُمَّةَ الْأَعْيُنُ الْوَاسِعُ الْبُلْعُومِ الَّذِي يَأْكُلُ وَ لَا يَشْبَعُ فَلتَأْخُذِ الْأُمَّةُ حِذْرَهَا مِنْهُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَا أَنَا ذَاكَ

ص: ٢٥٧

١-١) الضرب: الخفيف اللحم.

٢-٢) يقال جنى جنأ؛ إذا أشرف كاهله على ظهره حدبا.

الرَّجُلُ قَالَ أَبُو ذَرٍّ بَلْ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ مَرَرْتُ بِهِ اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ وَلَا تُشْبِعْهُ إِلَّا
بِالتُّرَابِ وَ سَمِعْتُهُ ص يَقُولُ اسْتُ مُعَاوِيَةَ فِي النَّارِ فَضَحِكَ مُعَاوِيَةَ وَ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَ كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ فِيهِ.

فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ أَحْمِلْ جُنْدًا بِي إِلَيَّ عَلَى أَغْلَظِ مَرْكَبٍ وَ أَوْعِرِهِ فَوَجَّهَ بِهِ مَعَ مَنْ سَارَ بِهِ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ حَمَلَهُ عَلَى
شَارِفٍ (١) لَيْسَ عَلَيْهَا إِلَّا قَتَبٌ حَتَّى قَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ وَ قَدْ سَقَطَ لَحْمٌ فَاخَذَهُ مِنْ الْجَهْدِ.

فَلَمَّا قَدِمَ بَعَثَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ الْحَقَّ بِأَيِّ أَرْضٍ شِئْتُمْ قَالَ بِمَكَّةَ قَالَ لَا قَالَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ قَالَ لَا قَالَ بِأَحْيَدِ الْمِصْرَيْنِ قَالَ لَا وَ لَكِنِّي
مُسِيرٌ إِلَى رَبِّدَةَ فَسَيَّرَهُ إِلَيْهَا فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ .

١٨٠٢

١٤٠١- وَ فِي رِوَايَةِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ لَمَّا دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ قَالَ لَهُ لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِعَيْنَيْ عَيْنًا نَعَمَ وَ لَا لِقَاءَهُ يَوْمًا زَيْنًا تَحِيَّةَ السُّخْطِ إِذَا
التَّقِينَا فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ مَا عَرَفْتُ اسْمِي قَيْنًا قَطُّ وَ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا يَا جُنَيْدُ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ أَنَا جُنَيْدُ وَ سَمَانِي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَرْتُ اسْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي سَمَانِي بِهِ عَلَى اسْمِي فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَا نَقُولُ يَدُ اللَّهِ
مَغْلُولَةٌ وَ إِنَّ اللَّهَ فَصِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْيَاءٌ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لَوْ كُنْتُمْ لَا تَقُولُونَ هَذَا لَمَا نَفَقْتُمْ مَالَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ لَكِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا جَعَلُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَ عِبَادَهُ حَوْلًا وَ دِينَهُ دَحْلًا.

فَقَالَ عُثْمَانُ لِمَنْ حَضَرَ أَسَمِعْتُمُوهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قَالَوا لَا قَالَ عُثْمَانُ وَيْلَكَ يَا أَبَا ذَرٍّ أَ تَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِمَنْ
حَضَرَ أَمَا تَدْرُونَ أَنِّي صَدَقْتُ قَالُوا لَا وَ اللَّهُ

ص: ٢٥٨

مِا نَدْرِي فَقَالَ عُثْمَانُ اذْعُوا لِي عَلِيًّا فَلَمَّا جَاءَ قَالَ عُثْمَانُ لِأَبِي ذَرٍّ اقْضِ صَ عَلَيْهِ حَيْدِيكَ فِي بَيْتِي أَبِي الْعَاصِ فَأَعَادَهُ فَقَالَ عُثْمَانُ لِعَلِيٍّ عَ أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ لَا وَقَدْ صَدَقَ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ كَيْفَ عَرَفْتَ صِدْقَهُ قَالَ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ مَا أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجِهِ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ مَنْ حَضَرَ أَمَّا هَذَا فَسَمِعْنَاهُ كُلُّنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ أَحَدْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فَتَتَّهِمُونِي مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي أَعِيشُ حَتَّى أَسْمَعَ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ص

١٨٠٣

١- وَ رَوَى الْوَأَقِدِيُّ فِي خَبَرِ آخَرَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ صَهْبَانَ مَوْلَى الْأَسْلَمِيِّينَ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ يَوْمَ دُخِلَ بِهِ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ وَ فَعَلْتَ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ نَصَيْتُكَ فَاسْتَعَشَشْتَنِي وَ نَصَحْتُ صَاحِبَكَ فَاسْتَعَشَشَنِي قَالَ عُثْمَانُ كَذَبْتَ وَ لَكِنَّكَ تُرِيدُ الْفِتْنَةَ وَ تُجَبِّهَهَا قَدْ أَنْغَلَتْ (١) الشَّامَ عَلَيْنَا فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ اتَّبِعْ سُنَّةَ صَاحِبَيْكَ لَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ كَلَامٌ فَقَالَ عُثْمَانُ مَا لَكَ وَ ذَلِكَ لَا أُمَّ لَكَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ وَ اللَّهُ مَا وَجَدْتُ لِي عُذْرًا إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَغَضِبَ عُثْمَانُ وَ قَالَ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي هَذَا الشَّيْخِ الْكَذَّابِ إِمَّا أَنْ أَضْرِبَهُ أَوْ أَحْبِسَهُ أَوْ أَقْتَلَهُ فَإِنَّهُ قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَنْفَيْهِ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ فَتَكَلَّمَ عَلِيٌّ عَ وَ كَانَ حَاضِرًا فَقَالَ أَشِيرْ عَلَيْكَ بِمَا قَالَ مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَ إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢) فَأَجَابَهُ عُثْمَانُ بِجَوَابٍ غَلِيظٍ وَ أَجَابَهُ عَلِيٌّ عَ بِمِثْلِهِ وَ لَمْ نَذْكُرِ الْجَوَابَيْنِ تَدْمِيمًا مِنْهُمَا.

قَالَ الْوَأَقِدِيُّ ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ حَظَرَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُقَاعِدُوا أَبَا ذَرٍّ أَوْ يُكَلِّمُوهُ فَمَكَثَ

ص: ٢٥٩

١- (١) النغل: الإفساد بين القوم.

٢- (٢) سورة غافر ٢٨.

كَذَلِكَ أَيَّاماً ثُمَّ أَتَى بِهِ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ وَيْحَكَ يَا عُثْمَانُ أَمَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَ وَرَأَيْتَ أَيَّاماً بَكَرَ وَعَمَرَ هَلْ هَدَيْتَكَ كَهَدْيِهِمْ أَمَا إِنَّكَ لَتَبْطِشُ بِي بَطْشَ جَبَّارٍ فَقَالَ عُثْمَانُ أَخْرُجْ عَنَّا مِنْ بِلَادِنَا فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ مَا أَبْغَضَ إِلَيَّ جِوَارِكَ فَإِلَى أَيْنَ أَخْرُجُ قَالَ حَيْثُ شِئْتُمْ قَالَ أَخْرُجْ إِلَى الشَّامِ أَرْضَ الْجِهَادِ قَالَ إِنَّمَا جَلَبْتِكَ مِنَ الشَّامِ لَمَّا قَدْ أَفْسَدْتَهَا فَأَرُدُّكَ إِلَيْهَا قَالَ أَمْ أَخْرُجُ إِلَى الْعِرَاقِ قَالَ لَا- إِنَّكَ إِنْ تَخْرُجَ إِلَيْهَا تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَوْلَى شَبِيهِ وَطَعْنِ عَلَى الْأَيْمَةِ وَالْوَلَاهِ قَالَ أَمْ أَخْرُجُ إِلَى مِصْرَ قَالَ لَا قَالَ فَإِلَى أَيْنَ أَخْرُجُ قَالَ إِلَى الْبَادِيَةِ قَالَ أَبُو ذَرٍّ، أَصِيرُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابِيًّا قَالَ نَعَمْ قَالَ أَبُو ذَرٍّ فَأَخْرُجُ إِلَى بَادِيَةِ نَجْدٍ قَالَ عُثْمَانُ بَلْ إِلَى الشَّرْقِ الْأَبْعَدِ أَقْصَى أَقْصَى امْضِ عَلَى وَجْهِكَ هَذَا فَلَا تَعْدُونَ الرَّبْدَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهَا

١٨٠٤

١٤- وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ أَيْضاً عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي الرَّجَالِ عَنْ مُوسَى بْنِ مَيْسِرَةَ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ قَالَ كُنْتُ أَحِبُّ لِقَاءَ أَبِي ذَرٍّ لِأَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ خُرُوجِهِ إِلَى الرَّبْدَةِ فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ أَلَا تُخْبِرُنِي أَخْرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ طَائِعاً أَمْ أَخْرَجْتَ كَرْهاً فَقَالَ كُنْتُ فِي ثَغْرِ مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ أُغْنِي عَنْهُمْ فَأَخْرَجْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقُلْتُ دَارُ هِجْرَتِي وَأَصِيحَابِي فَأَخْرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَا تَرَى ثُمَّ قَالَ بَيْنَنَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَ إِذْ مَرَّ بِي فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَا أَرَاكَ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ فِيهِ قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أَخْرَجُوكَ مِنْهُ قُلْتُ إِذَا أَحَقُّ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ وَ أَرْضُ الْجِهَادِ قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أَخْرَجْتَ مِنْهَا قُلْتُ أَرْجِعُ إِلَى الْمَسْجِدِ قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ

ص: ٢٦٠

إِذَا أَخْرَجُوكَ مِنْهُ قُلْتُ أَخَذْتُ سَيْفِي فَأَضْرِبُهُمْ بِهِ فَقَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ انْسِقْ مَعَهُمْ حَيْثُ سَاقُوكَ وَ تَسْمِعْ وَ تُطِيعَ
فَسَمِعْتُ وَ أَطَعْتُ وَ أَنَا أَسْمَعُ وَ أَطِيعُ وَ اللَّهُ لِيَلْقَيْنَ اللَّهَ عُثْمَانُ وَ هُوَ آثِمٌ فِي جَنبِي

و اعلم أن أصحابنا رحمهم الله قد رووا أخبارا كثيرة معناها أنه أخرج إلى الربذه باختياره.

١٨٠٥

وَ حَكَى قَاضِي الفُضَاةِ رَحِمَهُ اللهُ فِي المَعْنَى عَن شَيْخِنَا أَبِي عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ أَبِي ذَرٍّ وَ أَنَّ الرِّوَايَةَ وَرَدَتْ
بِأَنَّهُ قِيلَ لَهُ أَعُثْمَانُ أَنْزَلَكَ الرَّبْذَةَ فَقَالَ لَا بَلْ أَنَا اخْتَرْتُ لِنَفْسِي ذَلِكَ.

١٨٠٦

١٤- وَ رَوَى أَبُو عَلِيٍّ أَيْضاً أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ يَشْكُوهُ وَ هُوَ بِالشَّامِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ أَنْ صِرْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا قَالَ لَهُ مَا
أَخْرَجَكَ إِلَى الشَّامِ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِذَا بَلَغَتْ عِمَارَةُ الْمَدِينَةَ مَوْضِعَ كَذَا فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَلَدَلِكَ خَرَجْتُ فَقَالَ
أَيُّ الْبِلَادِ أَحَبُّ إِلَيْكَ بَعْدَ الشَّامِ قَالَ الرَّبْذَةُ فَقَالَ صِرْ إِلَيْهَا .

١٨٠٧

وَ رَوَى الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ أَيْضاً عَن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ وَ هُوَ بِالرَّبْذَةِ مَا أَنْزَلَكَ هَذَا الْمَنْزِلَ قَالَ أَخْبِرَكَ أَنِّي كُنْتُ بِالشَّامِ
فَدَكَرْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا (١) فَقَالَ لِي مُعَاوِيَةُ هَيْدِهِ نَزَلْتُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُلْتُ فِيهِمْ وَ
فِينَا فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عُثْمَانَ فِي ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدِمَ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَاتَّأَلَّ النَّاسُ إِلَيَّ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُونِي فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى
عُثْمَانَ فَخَيَّرَنِي وَ قَالَ أَنْزِلْ حَيْثُ شِئْتَ فَنَزَلْتُ الرَّبْذَةَ .

و نحن نقول هذه الأخبار و إن كانت قد رويت لكنها ليست في الاشتهار

ص: ٢٤١

و الكثره كتلك الأخبار و الوجه أن يقال فى الاعتذار عن عثمان و حسن الظنّ بفعله أنه خاف الفتنة و اختلاف كلمه المسلمين فغلب على ظنه أن إخراج أبى ذر إلى الربذه أحسم للشغب و أقطع لأطماع من يشرئب إلى شق العصا فأخرجه مراعاة للمصلحه و مثل ذلك يجوز للإمام هكذا يقول أصحابنا المعتزله و هو الأليق بمكارم الأخلاق فقد قال الشاعر إذا ما أتت من صاحب لك زله فكن أنت محتالا لزلته عذرا و إنّما يتأول أصابنا لمن يحتمل حاله التأويل كعثمان فأما من لم يحتمل حاله التأويل و إن كانت له صحبه سالفه كمعاويه و أضرابه فإنهم لا يتأولون لهم إذا كانت أفعالهم و أحوالهم لا وجه لتأويلها و لا تقبل العلاج و الإصلاح

ص: ٢٤٢

أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ أَظَارُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَ أَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ
 الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعِهِ الْأَسِيدِ هَيْهَاتَ أَنْ أُطْلِعَ بِكُمْ سِرَّارَ الْعِدْلِ أَوْ أُقِيمَ اغْوِجَاجَ الْحَقِّ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا
 مُنَافِسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا تِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَ لَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِيَّتِكَ وَ نُظْهِرِ الْإِضْيَاحَ فِي بِلَادِكَ فِي أَمْنِ
 الْمَظْلُومِينَ مِنْ عِبَادِكَ وَ تَقَامَ الْمُعْطَلُ مِنْ حُدُودِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنْابَ وَ سَمِعَ وَ أَحْيَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ص
 بِالصَّلَاةِ وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَ الدَّمَاءِ وَ الْمَغَانِمِ وَ الْأَحْكَامِ وَ إِمَامِهِ الْمُسَيَّبِيِّ الْبَخِيلِ فَتَكُونَ فِي
 أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتَهُ وَ لَا الْجَاهِلُ فَيُضِئَهُمْ بِجَهْلِهِ وَ لَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ وَ لَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذُ قَوْمًا دُونَ قَوْمِ وَ لَا الْمُرْتَشِي فِي
 الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَ يَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاتِعِ وَ لَا الْمُعْطَلُ لِلسُّنَنِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ .

أظاركم

أعطفكم ظارت الناقه ظأرا و هي ناقه مظلوره إذا عطفتها على ولد غيرها

و فى المثل الطعن يظأر أى يعطف على الصلح (١) و ظأرت الناقه أيضا إذا عطفت على البو يتعدى و لا يتعدى فهى ظثور.

و الوعوعه الصوت و الوعواع مثله .

و قوله هيهات أن أطلع بكم سرار العدل يفسره الناس بمعنى هيهات أن أطلعكم مضيئين و منورين لسرار العدل و السرار آخر ليله فى الشهر و تكون مظلمه و يمكن عندى أن يفسر على وجه آخر و هو أن يكون السرار هاهنا بمعنى السرور و هى خطوط مضيئه فى الجبهه و قد نص أهل اللغه على أنه يجوز سرر و سرار و قالوا و يجمع سرار على أسره مثل حمار و أحمره قال عنتره بزجاجه صفراء ذات أسره قرنت بأزهر فى الشمال مقدم (٢) يصف الكأس و يقول إن فيها خطوطا بيضا و هى زجاج أصفر و يقولون برقت أسره وجهه و أسارير وجهه فيكون معنى كلامه ع هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل و تنجلي أوضاحه و يبرق وجهه و يمكن فيه أيضا وجه آخر و هو أن ينصب سرار هاهنا على الظرفيه و يكون التقدير هيهات أن أطلع بكم الحق زمان استسرار العدل و استخفائه فيكون قد حذف المفعول و حذفه كثير .

ثم ذكر أن الحروب التى كانت منه لم تكن طلبا للملك و لا منافسه على الدنيا و لكن لتقام حدود الله على وجهها و يجرى أمر الشريعه و الرعيه على ما كان يجرى عليه أيام النبوه .

ثم ذكر أنه سبق المسلمين كلهم إلى التوحيد و المعرفه و لم يسبقه بالصلاه أحد إلا-رسول الله ص و هكذا روى جمهور المحدثين و قد تقدم ذكر ذلك.

ص: ٢٦٤

١-١) فى اللسان: «الطعن يظأر، أى يعطف على الصلح، تقول: إذا خافك أن تطعنه فتقتله: عطفه ذلك عليك، فجاد. بماله للخوف».

٢-٢) من المعلقه-بشرح التبريزى ١٩١. و ذات أسره؛ ذات طراقت و خطوط.

فإن قلت أى وجه لإدخال هذا الكلام فى غضون مقصده فى هذه الخطبه فإنها مبنيه على ذم أصحابه و تقرير قاعده الإمامه و أنه لا يجوز أن يليها الفاسق و أنه لا بد للإمام من صفات مخصوصه عددها ع و كل هذا لا تعلق لسبقه إلى الإسلام قلت بل الكلام متعلق ببعضه ببعض من وجهين أحدهما أنه لما قال اللهم إنك تعلم أنى ما سللت السيف طلبا للملك أراد أن يؤكد هذا القول فى نفوس السامعين فقال أنا أول من أسلم و لم يكن الإسلام حينئذ معروفا أصلا و من يكون إسلامه هكذا لا يكون قد قصد بإسلامه إلا وجه الله تعالى و القربه إليه فمن تكون هذه حاله فى مبدأ أمره كيف يخطر ببال عاقل أنه يطلب الدنيا و حطامها و يجرد عليها السيف فى آخر عمره و وقت انقضاء مده عمره.

و الوجه الثانى أنه إذا كان أول السابقين و جب أن يكون أقرب المقربين لأنه تعالى قال وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١) ألا ترى أنه إذا قال الملك العالمون العاملون هم المختصون بنا و جب أن يكون أعلمهم أشدهم به اختصاصا و إذا كان ع أقرب المقربين و جب أن تتنفي عنه الموانع الستة التى جعل كل واحد منها صاددا عن الإمامه و قاطعا عن استحقاقها و هى البخل و الجهل و الجفاء أى الغلظه العصبية فى دولته أى تقديم قوم على قوم و الارتشاء فى الحكم و التعطيل للسنه و إذا انتفت عنه هذه الموانع الستة تعين أن يكون هو الإمام لأن شروط الإمامه موجوده فيه بالاتفاق فإذا كانت موانعها عنه منتفيه و لم يحصل لغيره اجتماع الشروط و ارتفاع الموانع و جب أن يكون هو الإمام لأنه لا يجوز خلو العصر من إمام سواء كانت هذه القضية عقليه أو سمعيه.

ص: ٢٦٥

فإن قلت أفتراه عنى بهذا قوما بأعيانهم قلت الإمامية تزعم أنه رمز فى الجفاء و العصبية لقوم دون قوم إلى عمر و رمز بالجهل إلى من كان قبله و رمز بتعطيل السنه إلى عثمان و معاويه و أميا نحن فنقول إنه ع لم يعن ذلك و إنما قال قولا- كليا غير مخصوص و هذا هو اللائق بشرفه ع و قول الإمامية دعوى لا دليل عليها و لا يعدم كل أحد أن يستنبط من كل كلام ما يوافق غرضه و إن غمض و لا يجوز أن تبنى العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدقيقة .

و النهمة الهمة الشديده بالأمر قد نهم بكذا بالضم فهو منهوم أى مولع به حريص عليه يقول إذا كان الإمام بخيلا كان حرصه و جشعه على أموال رعيته و من رواها نهمته بالتحريك فهي إفراط الشهوه فى الطعام و الماضى نهم بالكسر .

قوله ع فيقطعهم بجفائه أى يقطعهم عن حاجاتهم لغلظته عليهم لأن الوالى إذا كان غليظا جافيا أتعب الرعيه و قطعهم عن مراجعته فى حاجاتهم خوفا من بادرته و معرفته .

قوله و لا الحائف للدول أى الظالم لها و الجائر عليها و الدول جمع دوله بالضم و هى اسم المال المتداول به و يقال هذا الفىء دوله بينهم أى يتداولونه و المعنى أنه يجب أن يكون الإمام يقسم بالسويه و لا يخص قوما دون قوم على وجه العصبية لقبيله دون قبيله أو لإنسان من المسلمين دون غيره فيتخذ بذلك بطانه .

قوله فيقف بها دون المقاطع المقاطع جمع مقطع و هو ما ينتهى الحق إليه أى لا- تصل الحقوق إلى أربابها لأجل ما أخذ من الرشوه عليها.

فإن قلت فما باله قال في المانع السادس فيهلك الأمه و كل واحد من الموانع قبله يفضى إلى هلاك الأمه.

قلت كل واحد من الموانع الخمسه يفضى إلى هلاك بعض الأمه و أمّا من يعطل السنه أصلا فإنه لا محاله مهلك للأمه كلها لأنه إذا عطل السنه مطلقا عادت الجاهليه الجهلاء كما كانت.

و قد روى و لا-الخائف الدول بالخاء المعجمه و نصب الدول أى من يخاف دول الأيام و تقلبات الدهر فيتخذ قوما دون قوم ظهريا و هذا معنى لا بأس به

ص: ٢٦٧

نَحْمِدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَ أَعْطَى وَ عَلَى مَا أَبْلَى وَ ابْتَلَى الْبَاطِنَ لِكُلِّ خَفِيٍّ وَ الْخَاصِرَ لِكُلِّ سِرِيرَةٍ الْعَالِمِ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَ مَا تَخُونُ الْعُيُونُ وَ نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا ص نَجِيُّهُ وَ بَعِيْثُهُ شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ وَ الْقَلْبُ اللُّسَانُ .

على ما أبلى

أى ما أعطى يقال قد أبلاه الله بلاء حسنا أى أعطاه قال زهير جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم و أبلاهما خير البلاء الذى يبلو (١) و أميا قوله و ابتلى فالابتلاء إنزال مضره بالإنسان على سبيل الاختبار كالمرض و الفقر و المصيبة و قد يكون الابتلاء بمعنى الاختبار فى الخير إلا أنه أكثر ما يستعمل فى الشر .

و الباطن العالم يقال بطنت الأمر أى خبرته و تكن الصدور تستر و ما تخون العيون ما تسترق من اللحظات و الرموزات على غير الوجه الشرعى .

و النجيب المنجب و البعث المبعوث

ص: ٢٦٨

(١- ١) ديوانه ١٠٩، و روايته: «رأى الله بالإحسان».

وَمِنْهَا فَيَأْتِيهِ وَاللَّهُ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمِعْ دَاعِيَهُ وَأَعْجَلْ حَادِيَهُ فَلَا يُعْرَنُكَ سِوَاكَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَدَرَ الْإِقْلَالَ وَآمَنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتَبْعَادَ أَجَلٍ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزَعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَائِيَا يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكًا بِاللَّنَامِلِ أَمْيَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً وَيَبْنُونَ مَشِيداً وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً كَيْفَ أَصَابَتْ بُيُوتَهُمْ قُبُوراً وَمَا جَمَعُوا بُوراً وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَا فِي حَسَنِهِ يَزِيدُونَ وَلَا مِنْ سَيِّئِهِ يَسْتَعْتَبُونَ [يُسْتَعْتَبُونَ]

فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبُهُ بَرَزَ مَهْلُهُ وَفَازَ عَمَلُهُ فَاهْتَبَلُوا هَبْلَهَا وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَرْوُدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ .

قوله ع فيانه و الله الجد الضمير للأمر و الشأن الذي خاض معهم في ذكره و وعظهم بنزوله ثم أوضحه بعد إجماله فقال إنه الموت الذي دعا فاسمع و حدا فأعجل .

و سواد الناس عامتهم.

و من هاهنا إمّا بمعنى الباء أى لا- يغرنك الناس بنفسك و صحتك و شبابك فتستبعد الموت اغترارا بذلك فتكون متعلقه بالظاهر و إمّا أن تكون متعلقه بمحذوف تقديره متمكنا من نفسك و راكنا إليها .

و الإقلال الفقر و طول أمل منصوب على أنه مفعول.

فإن قلت المفعول له ينبغى أن يكون الفعل عله فى المصدر و هاهنا ليس الأيمن عله طول الأمل بل طول الأمل عله الأيمن قلت كما يجوز أن يكون طول الأمل عله الأيمن يجوز أن يكون الأيمن عله طول الأمل أ لا ترى أن الإنسان قد يأمن المصائب فيطول أمله فى البقاء و وجوه المكاسب لأجل ما عنده من الأيمن و يجوز أن ينصب طول أمل على البدل من المفعول المنصوب برأيت و هو من و يكون التقدير قد رأيت طول أمل من كان و هذا بدل الاشتمال و قد حذف منه الضمير العائد كما حذف من قوله تعالى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ... (١).

و أعواد المنايا النعش و يتعاطى به الرجال الرجال يتداولونه تاره على أكتاف هؤلاء و تاره على أكتاف هؤلاء و قد فسر ذلك بقوله حملا على المناكب و إمساكا بالأنامل .

و المشيد المبني بالشيء و هو الجص .

البور الفاسد الهالك و قوم بور أى هلكى قال سبحانه وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (٢) و هو جمع واحده بائر كحائل و حول.

ص : ٢٧٠

١-١) سورة البروج ٤،٥.

٢-٢) سورة الفتح-١١.

و يستعقبون هاهنا يفسر بتفسيرين على اختلاف الروايتين فمن رواه بالضم على فعل ما لم يسم فاعله فمعناه لا يعاتبون على فعل سيئه صدرت منهم كما كانوا فى أيام حياتهم أى لا يعاتبهم الناس أو لا يستطيعون و هم موتى أن يسيئوا إلى أحد إساءه عليها و من رواه يستعقبون بفتح حرف المضارعه فهو من استعقب فلان أى طلب أن يعتب أى يرضى تقول استعقبته فأعقبته أى استرضيته فأرضانى .

و أشعر فلان التقوى قلبه جعله كالشعار له أى يلازمه ملازمه شعار الجسد.

و برز مهله و يروى بالرفع و النصب فمن رواه بالرفع جعله فاعل برز أى من فاق شوطه برز الرجل على أقرانه أى فاقهم و المهل شوط الفرس و من رواه بالنصب جعل برز بمعنى أبرز أى أظهر و أبان فنصب حينئذ على المفعوليه .

و اهتبلت غره زيد أى اغتتمتها و الهبال الصياد الذى يهتبل الصيد أن يغره و ذئب هبل أى محتال هبلها منصوب على المصدر كأنه من هبل مثل غضب غضبا أى اغتتموا و انتهزوا الفرصه الانتهاز الذى يصلح لهذه الحال أى ليكن هذا الاهتبال بجد و همه عظيمه فإن هذه الحال حال عظيمه لا يليق بها إلا الاجتهاد العظيم .

و كذا قوله و اعملوا للجنه عملها أى العمل الذى يصلح أن يكون ثمرته الجنه .

و دار مقام أى دار إقامه و المجاز الطريق يجاز عليه إلى المقصد .

و الأوفاز جمع وفز بسكون الفاء و هو العجله و الظهور الركاب جمع ظهر و بنو فلان مظهرون أى لهم ظهور ينقلون عليها الأثقال كما يقال منجبون إذا كانوا أصحاب نجائب و الزيال المفارقة زايله مزايلا أى فارقه

وَ انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْمَتَيْهَا وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا وَسَيَّجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ وَ قَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيْرَانَ الْمُضِيئَةَ وَ آتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَانِعَةَ .

الضمير فى له يرجع إلى الله تعالى و قد كان تقدم ذكر سبحانه فى أول الخطبه و إن لم يذكره الرضى رحمه الله و معنى انقياد الدنيا و الآخرة له نفوذ حكمه فيهما و شياع قدرته و عمومها.

و أزمته لفظه مستعاره من انقياد الإبل بأزمته مع قائدتها و المقاليد المفاتيح .

و معنى سجود الأشجار الناضره له تصرفها حسب إرادته و كونها مسخره له محكوما عليها بنفوذ قدرته فيها فجعل ع ذلك خضوعا منها لمشيئته و استعار لها ما هو أدل على خضوع الإنسان من جمع أفعاله و هو السجود و منه قوله تعالى أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ (١) .

ص: ٢٧٢

قوله و قدحت له من قضبانها بالضم جمع قضيب و هو الغصن و المعنى أنه بقدرته أخرج من الشجر الأخضر نارا و النار ضد هذا الجسم المخصوص و هذا هو قوله تعالى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (١) بعينه .

و آتت أكلها أعطت ما يؤكل منها و هو أيضا من الألفاظ القرآنيه (٢) .

و اليانعه الناضجه و بكلماته أى بقدرته و مشيئته و هذه اللفظه من الألفاظ المنقوله على أحد الأقسام الأربعة المذكوره فى كتبنا فى أصول الفقه و هو استعمال لفظه متعارفه فى اللغة العربيه فى معنى لم يستعملها أهل اللغة فيه كتنقل لفظه الصلاه الذى هو فى أصل اللغة للدعاء إلى هيئات و أوضاع مخصوصه و لم تستعمل العرب تلك اللفظه فيها و لا يصحّ قول من قال المراد بذلك قوله كن لأنه تعالى لا يجوز أن يخاطب المعدوم و قوله تعالى إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣) من باب التوسع و الاستعاره المملوء منهما القرآن و المراد سرعه المؤتاه و عجله الإيجاد و أنه إذا أراد من أفعاله أمرا كان مِنْهَا وَ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيًا لِسَانُهُ وَ بَيَّتْ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَ عِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

ص: ٢٧٣

١-١) سورة يس ٨٠.

٢-٢) و هو قوله تعالى فى سورة البقره ٢٦٥: كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ .

٣-٣) سورة النحل ٤٠.

يقال هو نازل بين أظهرهم و بين ظهريهم و بين ظهراينهم بفتح النون أى نازل بينهم فإن قلت لما ذا قالت العرب بين أظهرهم و لم تقل بين صدورهم قلت أرادت بذلك الإشعار بشده المحاماه عنه و المراماه من دونه لأن النزيل إذا حامى القوم عنه استقبلوا شبا الأسنه و أطراف السيوف عنه بصدورهم و كان هو محروسا مصونا عن مباشره ذلك وراء ظهورهم .

و لا- يعيا لسانه لا- يكل عييت بالمنطق فأنا عيي على فعيل و يجوز عى الرجل فى منطقه بالتشديد فهو عى على فعل مِنْهَا أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ وَ تَنَازُعِ مِنَ الأَلْسُنِ فَقَقَى بِهِ الرُّسُلَ وَ خَتَمَ بِهِ الوَحَى فَجَاهَدَ فى اللّهِ المُدْبِرِينَ عَنْهُ وَ العَادِلِينَ بِهِ .

الضمير فى أرسله راجع إلى النبى ص و هو مذكور فى كلام لم يحكه جامع الكتاب.

و الفتره زمان انقطاع الوحى و التنازع من الألسن أن قوما فى الجاهليه كانوا يعبدون

الصنم و قوما يعبدون الشمس و قوما يعبدون الشيطان و قوما يعبدون المسيح فكل طائفه تجادل مخالفيها بألسنتها لتقودها إلى معتقدها .

و قفى به الرسل أتبعها به قال سبحانه ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا (١) و منه الكلام المقفى و سميت قوافى الشعر لأن بعضها يتبع بعضا .

و العادلين به الجاعلين له عديلا أى مثلا و هو من الألفاظ القرآنيه أيضا قال الله تعالى بَرِّهِمْ يَعْدِلُونَ (٢) مِنْهَا وَ إِنَّمَا الدُّنْيَا مُتَنَهَىٰ بَصِيرِ الْأَعْمَىٰ لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا وَ الْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصْرُهُ وَ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ وَ الْأَعْمَىٰ إِلَيْهَا شَاخِصٌ وَ الْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَرَوِّدٌ وَ الْأَعْمَىٰ لَهَا مُتَرَوِّدٌ .

شبه الدنيا و ما بعدها بما يتصوره الأعمى من الظلمه التى يتخيلها و كأنها محسوسه له و ليست بمحسوسه على الحقيقه و إنما هى عدم الضوء كمن يطلع فى جب ضيق فيتخيل ظلاما فإنه لم ير شيئا و لكن لما عدم الضوء فلم ينفذ البصر تخيل أنه يرى الظلمه فأما من يرى المبصرات فى الضياء فإن بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات يقينا و هذه حال

ص: ٢٧٥

١-١ (١) المائدة ٤٦.

٢-٢ (٢) سورة الأنعام ١.

الدنيا والآخرة أهل الدنيا منتهى بصرهم دنياهم و يظنون أنهم يبصرون شيئاً و ليسوا بمبصرين على الحقيقة و لا حواسهم نافذه فى شىء و أهل الآخرة قد نفذت أبصارهم فأوا الآخرة و لم يقف إحساسهم على الدنيا خاصه فأولئك هم أصحاب الأبصار على الحقيقة و هذا معنى شريف من معانى أصحاب الطريقه و الحقيقة و إليه الإشاره بقوله سبحانه أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا (١) فأما قوله فالبصير منها شاخص و الأعمى إليها شاخص فمن مستحسن التجنيس و هذا هو الذى يسميه أرباب الصناعه الجناس التام فالشاخص الأول الراحل و الشاخص الثانى من شخص بصره بالفتح إذا فتح عينه نحو الشىء مقابلا له و جعل لا يطرف

فصل فى الجناس و أنواعه

و اعلم أن الجناس على سبعة أضرب (٢) أولها الجناس التام كهذا اللفظ و حده أن تتساوى حروف ألفاظ الكلمتين فى تركيبها و فى وزنها قالوا و لم يرد فى القرآن العزيز منه إلا- موضع واحد و هو قوله وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ (٣) .

و عندى أن هذا ليس بتجنيس أصلا و قد ذكرته فى كتابى المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر و قلت إن الساعه فى الموضوعين بمعنى واحد و التجنيس أن يتفق اللفظ و يختلف المعنى و لا- يكون أحدهما حقيقه و الآخر مجازا بل يكونان حقيقتين و إن

ص: ٢٧٦

١- ١) سورة الأعراف ١٩٥.

٢- ٢) هذا التقسيم؛ مع معظم الشواهد أورده ابن الأثير فى المثل السائر ١: ٢٤٦ و ما بعدها.

٣- ٣) سورة الروم ٥٥.

زمان القيامة و إن طال لكنه عند الله في حكم الساعه الواحده لأن قدرته لا يعجزها أمر و لا يطول عندها زمان فيكون إطلاق لفظ الساعه على أحد الموضوعين حقيقه و على الآخر مجازا و ذلك يخرج الكلام عن حدّ التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا و لقيت حمارا و أردت بالثاني البليد.

و أيضا فلم لا- يجوز أن يكون أراد بقوله وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ الأولى خاصّه من زمان البعث فيكون لفظ الساعه مستعملا في الموضوعين حقيقه بمعنى واحد فيخرج عن التجنيس و عن مشابهه التجنيس بالكلية.

قالوا و ورد في السنه من التجنيس التام خير واحد و

١٨٠٨

١٤- هُوَ قَوْلُهُ ص لِقَوْمٍ مِّنَ الصَّحَابَةِ كَانُوا يَتَنَازَعُونَ جَرِيرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فِي زِمَامِ نَاقَتِهِ خَلَّوْا بَيْنَ جَرِيرٍ وَ الْجَرِيرِ .

فالجريير الثاني الحبل.

و جاء من ذلك في الشعر لأبي تمام قوله فأصبحت غرر الإسلام مشرقه بالنصر تضحك عن أيامك الغرر (١) فالغرر الأولى مستعاره من غره الوجه و الغرر الثانيه من غره الشيء و هى أكرمه و كذلك قوله من القوم جعد أبيض الوجه و الندى و ليس بنان يجتدى منه بالجعد (٢) فالجعد الأول السيد و الثاني ضد السبط و هو من صفات البخيل.

و كذلك قوله بكل فتى ضرب يعرض للقنا محيا محلي حليه الطعن و الضرب (٣)

ص: ٢٧٧

١- (١) المثل السائر ٢٤٧:١، و ليس في ديوانه.

٢- (٢) ديوانه ١٢١:٢.

٣- (٣) ديوانه ١٩٩:١.

فالضرب الأول الرجل الخفيف و الثاني مصدر ضرب.

و كذلك قوله عداك حر الثغور المستضامه عن برد الثغور و عن سلسالها الحصب (١) فأحدهما جمع ثغر و هو ما يتأخم العدو من بلاد الحرب و الثاني للأسنان.

و من هذه القصيده كم أحرزت قضب الهندي مصلته

و قد أكثر الناس فى استحسان هذا التجنيس و أطنبوا و عندى أنه ليس بتجنيس أصلا لأن تسميه السيوف قضا و تسميه الأغصان قضا كله بمعنى واحد و هو القطع فلا- تجنيس إذا و كذلك البيض للسيوف و البيض للنساء كله بمعنى البياض فبطل معنى التجنيس و أظننى ذكرت هذا أيضا فى كتاب الفلك الدائر (٢). قالوا و من هذا القسم قوله أيضا إذا الخيل جابت قسطل الخيل صدعوا صدور العوالى فى صدور الكتائب (٣) و هذا عندى أيضا ليس بتجنيس لأن الصدور فى الموضعين بمعنى واحد و هو جزء الشىء المتقدم البارز عن سائره فأما قوله أيضا عامى و عام العيس بين و ديقه مسجوره و تنوفه صيخود (٤)

ص: ٢٧٨

١- ١) ديوانه ٧٨، ٧٧، ٦٨: ١. و الحصب: الذى فيه صغار الحصى.

٢- ٢) أبدانا، من صفات نساء الروم، و روايه الديوان: «أحق بالبيض أترابا».

٣- ٣) الفلك الدائر ٩١.

٤- ٤) ديوانه ٢١٥: ١، و قال فى شرحه: يقول: «إذا شقت الخيل غبار الحرب؛ فإنهم يطعنون الأبطال بالرماح حتى يكسروها فى صدورهم».

حتى أغادر كل يوم بالفلا

للطير عيداً من بنات العيد (١)

فإنه من التجنيس التام لا- شبهه في ذلك لاختلاف المعنى فالعيد الأول هو اليوم المعروف من الأعياد و العيد الثاني فحل من فحول الإبل.

و نحو هذا قول أبي نواس عباس عباس إذا احتدم الوغى و الفضل فضل و الربيع ربيع (٢) و قول البحتري إذا العين راحت و هي عين على الهوى فليس بسر ما تسر الأضالع (٣) فالعين الثانية الجاسوس و الأولى العين المبصره و للغزى المتأخر قصيده أكثر من التجنيس التام فيها أولها لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا و نحن في حفر الأجداث أحيانا و قال في أثنائها تقول أنت امرؤ جاف مغالطه فقلت لا- هومت أجفان أجفانا و قال في مديحها لم يبق غيرك إنسان يلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنسانا و قد ذكر الغانمي في كتابه من صناعه الشعر بابا سماه ردّ الأعجاز على الصدور ذكر أنه خارج عن باب التجنيس قال مثل قول الشاعر و نشرى بجميل الصنع

ص: ٢٧٩

١-١) العيد هنا: ما يعتاد.

٢-٢) ديوانه ١:٩٦، و المثل السائر ١:٢٥١.

٣-٣) ؟؟؟.

و هذا من التجنيس و ليس بخارج عنه و لكنه تجنيس مخصوص و هو الإتيان به فى طرفى البيت.

و عد ابن الأثير الموصلى فى كتابه من التجنيس قول الشاعر فى الشيب يا بياضا أذرى دموعى حتى عاد منها سواد عيني بياضا و كذلك قول البحترى و أغر فى الزمن البهيم محجل قد رحى منه على أغر محجل (١).

و هذا عندى ليس بتجنيس لاتفاق المعنى و العجب منه أنه بعد إيراد هذا أنكر على من قال إن قول أبى تمام أظن الدمع فى خدى سيقى رسوما من بكائى فى الرسوم (٢) من التجنيس و قال أى تجنيس هاهنا و المعنى متفق و لو أمعن النظر لرأى هذا مثل البيتين السابقين.

قالوا فأما الأجناس الستة الباقية فإنها خارجه عن التجنيس التام و مشبهه به.

فمنها أن تكون الحروف متساويه فى تركيبها مختلفه فى وزنها فمن ذلك

١٨٠٩

قَوْلُ النَّبِيِّ ص

اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي .

١٨١٠

و قَوْلُ بَعْضِهِمْ لَنْ تَنَالُوا غُرَرَ الْمَعَالِي إِلَّا بِرُكُوبِ الْغُرْرِ وَ اهْتِبَالِ الْغُرْرِ. و قول البحترى و فر الحائن المغرور يرجو أمانا أى ساعه ما أمان (٣)

ص: ٢٨٠

١- ١) المثل السائر ٢٥٢:١، و ذكر بعده: كالهيكلى المبني إلا أنه فى الحسن جاء كصوره فى هيكلى و لم أجدهما فى ديوانه.

٢- ٢) ديوانه ١٦٠:٣.

٣- ٣) ديوانه ٢٧٩:٢ و الخائن: الذى قرب حينه.

و قال آخر قد ذبت بين حشاشه و ذماء ما بين حر هوى و حر هواء و منها أن تكون الألفاظ متساويه فى الوزن مختلفه فى التركيب بحرف واحد لا- غير فإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس و ذلك نحو قوله تعالى **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (١)** و كذلك قوله سبحانه **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ (٢)** و قوله تعالى **ذِكُّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٣)** و نحو هذا

١٨١١

مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ص مِنْ قَوْلِهِ الْخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

١٨١٢

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ لَا تُنَالُ الْمَكَارِمُ إِلَّا بِالْمَكَارِهِ.

و قال أبو تمام يمدون من أيد عواصم عواصم تصول بأسياف قواض قواضب (٤) .

و قال البحترى من كل ساجى الطرف أعيد أجيد و مهفهف الكشجين أحوى أهور (٥) .

و قال أيضا شواجر أرماع تقطع بينهم شواجن أرحام ملوم قطوعها (٦) .

ص: ٢٨١

١-١) سورة القيامة ٢٣، ٢٢.

٢-٢) سورة الأنعام ٢٦.

٣-٣) سورة غافر ٧٥.

٤-٤) ديوانه ٢١٣:١.

٥-٥) ديوانه ٣١٩:٢.

٦-٦) ديوانه ٢١٢:١.

و هذا البيت حسن الصنعه لأنه قد جمع بين التجنيس الناقص و بين المقلوب و هو أرماح و أرحام.

و منها أن تكون الألفاظ مختلفه فى الوزن و التركيب بحرف واحد كقوله تعالى وَ التَّتَّ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (١) و كقوله تعالى وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (٢) و

١٨١٣

كَقَوْلِ النَّبِيِّ ص

الْمُشْلِمِ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَ يَدِهِ.

١٨١٤

وَ قَوْلِ بَعْضِهِمُ الصَّادِقُ لَا يُحَاسَبُ وَ الْعَدُوُّ لَا يُحْتَسَبُ لَهُ. هكذا ذكر ابن الأثير هذه الأمثله.

قال و من هذا القسم قول أبى تمام أيام تدمى عينه تلك الدمى و كذلك قوله أيضا بدر أطاعت فيك بادره النوى ولعا و شمس أولعت بشماس (٣) .

و قوله أيضا جهلوا فلم يستكثروا من طاعه معروفه بعمار الأعمار (٤) .

و قوله أيضا إن الرماح إذا غرسن بمشهد فجنى العوالى فى ذراه معال (٥) .

ص: ٢٨٢

١-١) سورة القيامة ٢٩،٣٠.

٢-٢) سورة الكهف ١٠٤.

٣-٣) ديوانه ١٦٦:٢، و روايته: فيها و تقمر، و يقمرن لبه: يذهبن به.

٤-٤) و هن إذا رمقن صوار؛ أى تشبه عيون بقر الوحش إذا نظرت.

٥-٥) ديوانه ٢٤٤:٢.

و قوله أيضا إذا أحسن الأقسام أن يتناولوا بلا نعمه أحسنت أن تتطولا (١).

و قوله أيضا شد ما استترلتك عن دمعك الأظعان

فالبيت الثالث و الخامس هما المقصودان بالتمثيل.

و من ذلك قول على بن جبلة و كم لك من يوم رفعت عماده بذات جفون أو بذات جفان (٢).

و كقول البحترى نسيم الروض فى ربح شمال و صوب المزن فى راح شمول (٣).

و كقوله أيضا جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه ضبابه نقع تحتها الموت ناقع (٤).

ص: ٢٨٣

١-١) ديوانه ١٠٠:٣.

٢-٢) لم أجدها فى ديوانه.

٣-٣) المثل الثائر ١:٢٥٩؛ و روايته: «رفعت عماده».

٤-٤) ديوانه ٢:١٦٠؛ و قبله: و ذكر نيك و الذكري عناء مشابه فيك بينه الشكول.

واعلم أن هذه الأمثلة لهذا القسم ذكرها ابن الأثير في كتابه و هو عندى مستدرک لأنه حدّ هذا القسم بما يختلف تركيبه يعنى حروفه الأصلية و يختلف أيضا وزنه و يكون اختلاف تركيبه بحرف واحد هكذا قال فى تحديده لهذا القسم و ليس بقمر و الأعمار تختلف بحرف واحد و كذلك عماره و الأعمار و كذلك العوالى و المعالى و أميا قوله تعالى وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِينًا فخارج عن هذا بالكلية لأن جميع أمثله هذا القسم يختلف فيه الكلمات بالحروف الزائده و هذه الآيه اختلاف كلمتها بحروف أصلية فليست من التجنيس الذى نحن بصدده بل هى من باب تجنيس التصحيف كقول البحرى و لم يكن المعتر بالله إذ سرى ليعجز و المعتر بالله طالبه (١).

ثم قال ابن الأثير فى هذا القسم أيضا و من ذلك قول محمّد بن وهيب الحميرى قسمت صروف الدهر بأسا و نائلا فمالك مотор و سيفك و اتر.

و هذا أيضا عندى مستدرک لأن اللفظتين كلاهما من الوتر و يرجعان إلى أصل واحد إلا أن أحد اللفظتين مفعول و الآخر فاعل و ليس أحد يقول إن شاعرا لو قال فى شعره ضارب و مضروب لكان قد جانس.

و منها القسم الممكنى بالمعكوس و هو على ضربين عكس لفظ و عكس حرف فالأول كقولهم عادات السادات عادات السادات و كقولهم شيم الأحرار أحرار الشيم.

و من ذلك قول الأصبط بن قريع قد يجمع المال غير آكله و يأكل المال غير من جمعه

ص: ٢٨٤

و يقطع الثوب غير لابسه

و يلبس الثوب غير من قطعه.

و مثله قول المتنبي فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله و لا مال في الدنيا لمن قل مجده (١) و مثله قول الرضى رحمه الله من أبيات يذم فيها الزمان أسف بمن يطير إلى المعالي و طار بمن يسف إلى الدنيا (٢) و مثله قول آخر إن الليالي للأنام مناهل و لبعض شعراء الأندلس يذكر غلامه (٣) غيرتنا يد الزمان و يسمى هذا الضرب التبديل و قد مثله قدامه بن جعفر الكاتب بقولهم اشكر لمن أنعم عليك و أنعم على من شكرك.

و مثله

١٨١٥

قَوْلُ النَّبِيِّ ص جَارُ الدَّارِ أَحَقُّ بِدَارِ الجَارِ.

قالوا و منه قوله تعالى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَ يُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ (٤) و لا أراه منه بل هو من باب الموازنة و مثلوه أيضا

١٨١٦

بِقَوْلِ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ ع

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَسْرُهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَ يَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ .

و بقول أبي تمام لأبي العميثل

ص: ٢٨٥

١- (١) ديوانه ٢:٢٣.

٢- (٢) ديوانه....

٣- (٣) ابن الأثير من غير نسبه.

٤- (٤) نسبه ابن الأثير إلى ابن الزقاق الأندلسي.

و أبى سعيد الضرير فإنهما قالوا لما امتدح عبد الله بن طاهر بقصيده و فى افتتاحها تكلف و تعجرف لم لا تقول ما يفهم فقال لهما لم لا تفهما ما يقال.

و الضرب الثانى من هذا القسم عكس الحروف و هو كقول بعضهم و قد أهدى لصديق له كرسيا أهديت شيئا يقل لو لا و كقول الآخر كيف السرور بإقبال و آخره إذا تأملته مقلوب إقبال أى لا بقاء (١) و كقول الآخر جاذبتها و الريح تجذب عقربا

يريد برقعا (٢) و منها النوع المسمى المجنب و هو أن يجمع بين كلمتين إحداهما كالجنيبه التابعه للأخرى مثل قول بعضهم أبا الفياض لا- تحسب بأنى و هذا فى التحقيق هو الباب المسمى لزوم ما لا يلزم و ليس من باب التجنيس و منها المقلوب و هو ما يتساوى وزنه و تركيبه إلا أن حروفه تتقدم و تتأخر مثل قول أبى تمام

ص: ٢٨٦

١-١) و هو مقلوب «إقبال».

٢-٢) و هو مقلوب لفظ «العقرب».

مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَقْرَأُ وَ ارْقُ.

و قد تكلمت في كتابي المسمى بالعبرى الحسان على أقسام الصنائه البديعه نثرا و نظما و بينت أن كثيرا منها يتداخل و يقوم البعض من ذلك مقام بعض فليلمح من هناك منها و اعلموا أنه ليس من شئ إلا و يكاد صاحبه يشبع منه و يملئه إلا الحياه فإنه لا يجد في الموت راحة و إنما ذلك بمنزله الحكمة التي هي حياه للقلب الميت و بصير للعين العمياء و سماع للأذن الصماء و رى للظمآن و فيها الغنى كله و السلامه كتاب الله تبصرون به و تنطقون به و تسامعون به و ينطق بعضهم ببعض و يشهد بعضهم على بعض و لا يختلف في الله و لا يخالف بصاحبه عن الله قد اضطلحتم على الغل فيما بينكم و نبت المرعى على دمنكم و تصافيتهم على حب الأمال و تعاديتهم في كسب الأموال لقد استهام بكم الخبيث و تاه بكم الغرور و الله المستعان على نفسي و أنفسكم.

هذا الفصل ليس بمنتظم من أوله إلى آخره بل هو فصول متفرقة التقطها الرضى من خطبه طويله على عادته فى التقاط ما يستفصحه من كلامه ع و إن كان كل كلامه فصيحاً و لكن كل واحد له هوى و محبه لشيء مخصوص و ضروب الناس عشاق ضروباً .

أما قوله كل شيء مملول إلا الحياه فهو معنى قد طرقه الناس قديماً و حديثاً قال أبو الطيب و لذيد الحياه أنفس فى النفس و قال أيضاً أرى كلنا يبغى الحياه لنفسه و قال أبو العلاء فما رغبت فى الموت كدر مسيرها

ص: ٢٨٨

ضربن مليعا بالسنايك أربعا

و لى من قصيده أخطب رجلين فرا فى حرب عذرتكما إن الحمام لمبغض

و قال أبو الطيب أيضا طيب هذا النسيم أوقر فى الأنفس

البحترى

ما أطيب الأيام إلا أنّها

يا صاحبي إذا مضت لم ترجع (١).

و قال آخر أوفى يصفق بالجنح مغلّسا

و قال آخر أرى الناس يهوون البقاء سفاهه

ص: ٢٨٩

١-١) المليح: الأرض الخالية. و المعن: الشىء القليل.

و قال محمد بن وهيب الحميرى و نحن بنو الدنيا خلقنا غيرها و ما كنت منه فهو شىء محبب و هذا مأخوذ من

١٨١٨

١- قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ وَ قَدْ قِيلَ لَهُ مَا أَكْثَرَ حُبِّ النَّاسِ لِلدُّنْيَا فَقَالَ هُمْ أَبْتَاؤُهَا أَيْلَامُ الْإِنْسَانِ عَلَى حُبِّ أُمَّهِ .

و قال آخر يا موت ما أفجأك من نازل أبو الطيب و هى معشوقه على الغدر لا تحفظ

فإن قلت كيف يقول إنه لا يجد فى الموت راحة و أين هذا من

١٨١٩

قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَ جَنَّةُ الْكَافِرِ .

و من

١٨٢٠

قَوْلِهِ ع وَ اللَّهُ مَا أَرْجُو الرِّاحَةَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ .

و ما ذا يعمل بالصالحين الذين آثروا فراق هذه العاجله و اختاروا الآخره و هو ع سيدهم و أميرهم قلت لا منافاه فإن الصالحين إنما طلبوا أيضا الحياه المستمره بعد الموت و

١٨٢١

رَسُولُ اللَّهِ ص

إِنَّمَا قَالَ إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ لِأَنَّ الْمَوْتَ غَيْرُ مَطْلُوبٍ لِلْمُؤْمِنِ لِذَاتِهِ إِنَّمَا يَطْلُبُهُ لِلْحَيَاةِ الْمُتَعَقِّبِهِ لَهُ .

و كذلك

١٨٢٢

قَوْلُهُ ع وَ اللَّهُ مَا أَرْجُو الرِّاحَةَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ .

تصريح بأن الراحة فى الحياه التى تتعقب الموت و هى حياه الأبد فلا منافاه إذا بين هذه الوجوه و بين ما قاله ع لأنه ما نفى إلا الراحة فى الموت نفسه لا فى الحياه الحاصله بعده.

ص : ٢٩٠

فإن قلت فقد تطرأ على الإنسان حاله يستصعبها قيود الموت لنفسه و لا يفكر فيما يتعقبه من الحياه التي تشير إليها و لا يخطر بباله قلت ذاك شاذ نادر فلا يلتفت إليه و إنما الحكم للأعم الأغلب و أيضا فإن ذاك لا يلتذ بالموت و إنما يتخلص به من الألم و

١٨٢٣

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

قَالَ

مَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمُلْدَاتِ إِلَّا وَهُوَ مَمْلُولٌ إِلَّا الْحَيَاءَ .

و بين الملد و المخلص من الألم فرق واضح فلا يكون نقضا على كلامه.

فإن قلت قد ذكرت ما قيل في حب الحياه و كراهيه الموت فهل قيل في عكس ذلك و نقيضه شيء قلت نعم فمن ذلك قول أبي الطيب كفى بك داء أن ترى الموت شافيا و قال آخر قد قلت إذ مدحوا الحياه فأسرفوا

١٨٢٤

وَ قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ وَ قَدْ اخْتَضَرَ إِنَّكَ مَيِّتٌ قَالَ إِلَى أَيْنَ يُذْهَبُ بِي قِيلَ إِلَى اللَّهِ قَالَ مَا أَكْرَهُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَنْ لَمْ أَرَ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ.

إبراهيم بن مهدي

و إنى و إن قدمت قبلى لعالم

١٨٢٥

وَ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَ الْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْحَيَاءِ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا

ص: ٢٩١

فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا (١) وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَاَللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُ لَهُمْ لِيُرْدَادُوا إِنَّمَا (٢).

١٨٢٦

وَ قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ بَتُّ لَيْلَهُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَرَأَيْتُهُ يَبْكِي وَ يُكْثِرُ مِنْ تَمَنَّى الْمَوْتِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّكَ أَحْيَيْتَ سِنِنًا وَ أَمَتَّ بَدْعًا وَ فِي بَقَائِكَ خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ فَمَا بِالكَ تَمَنَّى الْمَوْتِ فَقَالَ أَلَا أَكُونُ كَالْعَبْدِ الصَّالِحِ حِينَ أَقَرَّ اللَّهُ لَهُ عَيْنَهُ وَ جَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ قَالَ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَ لِي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ تَوْفَنِي مُسْلِمًا وَ الْخَيْرِي بِالصَّالِحِينَ (٣). وَ قَالَتِ الْفَلَّاسِفَةُ لَا يَسْتَكْمَلُ الْإِنْسَانُ حَدَّ الْإِنْسَانِيَةِ إِلَّا بِالْمَوْتِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الْحَيُّ النَّاطِقُ الْمَيِّتُ.

١٨٢٧

وَ قَالَ بَعْضُهُمُ الصَّالِحِ إِذَا مَاتَ اسْتَرَّاحَ وَ الطَّالِحِ إِذَا مَاتَ اسْتُرِّيحَ مِنْهُ.

وَ قَالَ الشَّاعِرُ جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ

وَ قَالَ آخِرُ مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي

وَ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ جَسْمِي وَ نَفْسِي لَمَّا اسْتَجْمَعَا صَنَعَا شِرَا إِلَى فِجْلِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

ص: ٢٩٢

١-١) سورة القصص ٦٠.

٢-٢) سورة آل عمران ١٧٨.

٣-٣) سورة يوسف ١٠١.

فالجسم يعذل فيه النفس مجتهدا

وقال أبو العتاهيه المرء يأمل أن يعيش

وقال ابن المعتز أ لست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا

فأما قوله ع و إنما ذلك بمنزله الحكمة إلى قوله و فيها الغنى كله و السلامه ففصل آخر غير ملتئم بما قبله و هو إشاره إلى كلام من كلام رسول الله ص رواه لهم ثم حضهم على التمسك به و الانتفاع بمواعظه و قال إنه بمنزله الحكمة التي هي حياه القلوب و نور الأبصار و سمع الآذان الصم و رى الأكباد الحرى و فيها الغنى كله و السلامه و الحكمة المشبهه كلام الرسول ص بها هي المذكوره فى قوله تعالى وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا (١) و فى قوله وَ لَقَدْ آتَيْنَا

ص: ٢٩٣

١-١ ديوانه ١٢٠.

و فى قوله وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (٢) و هى عبارته عن المعرفه بالله تعالى و بما فى مبدعاته من الأحكام الداله على علمه كتركيب الأفلاك و وضع العناصر مواضعها و لطائف صنعه الإنسان و غيره من الحيوان و كيفية إنشاء النبات و المعادن و ما فى العالم من القوى المختلفه و التأثيرات المتنوعه الراجع ذلك كله إلى حكمه الصانع و قدرته و علمه تبارك اسمه .

فأما قوله و كتاب الله إلى قوله و لا يخالف بصاحبه عن الله ففصل آخر مقطوع عما قبله و متصل بما لم يذكره جامع نهج البلاغه فإن قلت ما معنى قوله و لا- يختلف فى الله و لا- يخالف بصاحبه عن الله و هل بين هاتين الجملتين فرق قلت نعم أما قوله و لا يختلف فى الله فهو أنه لا يختلف فى الدلاله على الله و صفاته أى لا يتناقض أى ليس فى القرآن آيات مختلفه يدل بعضها على أنه يعلم كل المعلومات مثلا و تدل الأخرى على أنه لا يعلم كل المعلومات أو يدل بعضها على أنه لا يرى و بعضها على أنه يرى و ليس وجودنا للآيات المشتبهه بقادح فى هذا القول لأن آيات الجبر و التشبيه لا تدل و إنما توهم و نحن إنما نفينا أن يكون فيه ما يدل على الشىء و نقيضه.

و أمّا قوله و لا- يخالف بصاحبه عن الله فهو أنه لا- يأخذ بالإنسان المعتمد عليه إلى غير الله أى لا يهديه إلا إلى جناب الحق سبحانه و لا يعرج به إلى جناب الشيطان يقال خالفت بفلان عن فلان إذا أخذت به غير نحوه و سلكت به غير جهته.

فأما قوله قد اصطلحتم على الغل إلى آخر الفصل فكلام مقطوع أيضا عما قبله و الغل الحقد .

و الدمن جمع دمنه و هى الحقد أيضا و قد دمنت قلوبهم بالكسر أى ضغنت و نبت المرعى عليها أى دامت و طال الزمان عليها حتى صارت بمنزلة الأرض الجامده الثابته التى تنبت النبات و يجوز أن يريد بالدمن هاهنا جمع دمن و هو البعر المجتمع كالمزبله أو جمع دمنه و هى آثار الناس و ما سودوا من الأرض يقال قد دمن الشاء الماء و قد دمن القوم الأرض فشبّه ما فى قلوبهم من الغل و الحقد و الضغائن بالمزبله المجتمعه من البعر و غيره من سقاطه الديار التى قد طال مكثها حتى نبت عليها المرعى قال الشاعر و قد ينبت المرعى على دمن الثرى و تبقى حزازات النفوس كما هيا (١).

قوله ع لقد استهّام بكم الخبيث يعنى الشيطان و استهّام بكم جعلكم هائمين أى استهّامكم فعدها بحرف الجر كما تقول فى استنفرت القوم إلى الحرب استنفرت بهم أى جعلتهم نافرين و يمكن أن يكون بمعنى الطلب و الاستدعاء كقولك استعلمت منه حال كذا أى استدعيت أن يعلمنى و استمنحت فلانا أى طلبت و استدعيت أن يعطينى فيكون قوله و استهّام بكم الخبيث أى استدعى منكم أن تهيموا و تقعوا فى التيه و الضلال و الحيره.

قوله و تاه بكم الغرور هو الشيطان أيضا قال سبحانه وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٢) و تاه بكم جعلكم تائهيين حائرين ثم سأل الله أن يعينه على نفسه و عليهم

١٨٢٨

وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ

اللَّهُمَّ انصُرْنِي عَلَى أَقْرَبِ الْأَعْدَاءِ إِلَيَّ دَارًا وَ أَدْنَاهُمْ مِنِّي جَوَارًا وَ هِيَ نَفْسِي .

ص: ٢٩٥

١- (١) البيت لزفر بن الحارث. اللسان ١٧!١٥.

٢- (٢) سورة الحديد ١٤.

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحُوزَةِ وَ سِتْرِ الْعُورَةِ وَ الَّذِي نَصَرَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ وَ مَنْعَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ حَتَّى لَا يَمُوتَ إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتَنْكَبَ لَا [يَكُنْ]

تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ [كَهْفٌ]

كَانِفَهُ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِخْرَبًا وَ اخْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَ النَّصِيحَةِ يَحِهِ فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ وَ إِنْ تَكُنِ الْآخِرَى كُنْتَ رِذَاءً لِلنَّاسِ وَ مَتَابَهُ لِلْمُسْلِمِينَ .

توكل لهم

صار وكيلا و يروى و قد تكفل أى صار كفيلا.

و الحوزه الناحيه و حوزه الملك بيضته و يقول إنما الذى نصرهم فى الابتداء على ضعفهم هو الله تعالى و هو حى لا يموت فأجدر به أن ينصرهم ثانيا كما نصرهم أولا و قوله فتنكب مجزوم لأنه عطف على تسر .

و كهف أى و كهف يلجأ إليه و يروى كانفه أى جهه عاصمه من قولك كنف الإبل جعلت لها كنيفا من الشجر تستتر به و تعتصم .

و رجل محرب أى صاحب حروب .

و حفزت الرجل أحفزه دفعته من خلفه و سقته سوقا شديدا .

و كنت رداء أى عوننا قال سبحانه فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي (١) .

و مشابه أى مرجعا و منه قوله تعالى مَثَابَهُ لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا (٢) أشارع ألا يشخص بنفسه حذرا أن يصاب فيذهب المسلمون كلهم لذهاب الرأس بل يبعث أميرا من جانبه على الناس و يقيم هو بالمدينه فإن هزموا كان مرجعهم إليه.

فإن قلت فما بال رسول الله ص كان يشاهد الحروب بنفسه و يباشرها بشخصه قلت إن رسول الله ص كان موعودا بالنصر و أمنا على نفسه بالوعد الإلهي فى قوله سبحانه وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (٣) و ليس عمر كذلك.

فإن قلت فما بال أمير المؤمنين ع شهد حرب الجمل و صفين و النهروان بنفسه فهلا بعث أميرا محربا و أقام بالمدينه رداء و مثابه.

قلت عن هذا جوابان أحدهما أنه كان عالما من جهة النبى ص أنه لا يقتل فى هذه الحروب و يشهد لذلك

١٨٢٩

الْخَيْرُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّاسِ كَأَنَّهُ يُقَاتِلُ بَعْدَى النَّاكِثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْأَمَارِقِينَ .

و ثانيهما يجوز أن يكون غلب على ظنه أن غيره لا يقوم مقامه فى حرب هذه الفرق الخارجه عليه و لم يجد أميرا محربا من أهل البلاء و النصيحة لأنه ع هكذا قال لعمر و اعتبر هذه القيود و الشروط فمن كان من

ص: ٢٩٧

١-١) سورة القصص ٣٤.

٢-٢) سورة البقره ١٢٥.

٣-٣) سورة المائده ٦٧.

أصحابه ع محربا لم يكن من أهل النصيحة له و من كان من أهل النصيحة له لم يكن محربا فدعته الضروره إلى مباشره الحرب بنفسه

غزوه فلسطين و فتح بيت المقدس

و اعلم أن هذه الغزاه هي غزاه فلسطين التي فتح فيها بيت المقدس و

١٨٣٠

١- قَدْ ذَكَرَهَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ (١) وَ قَالَ إِنَّ عَلِيًّا ع هُوَ كَانَ الْمُشْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ لَمَّا شَخَّصَ عُمَرُ إِلَى الشَّامِ وَ إِنَّ عَلِيًّا ع قَالَ لَهُ لَا- تَخْرُجْ بِنَفْسِكَ إِنَّكَ تُرِيدُ عِدْوًا كَلِبًا فَقَالَ عُمَرُ إِنَّي أَبَادِرُ بِجِهَادِ الْعِدِّ وَ مَوْتَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّكُمْ لَوْ فَقَدْتُمْ الْعَبَّاسَ لَأَنْتَقَضَ بِكُمْ الشَّرُّ كَمَا يَنْتَقِضُ (٢) الْحَبْلُ فَمَيَاتِ الْعَبَّاسِ لَسَتْ سِنِينَ خَلَّتْ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ وَ انْتَقَضَ بِالنَّاسِ الشَّرُّ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَدْ كَانَ الرُّومُ عَرَفُوا مِنْ كُتُبِهِمْ أَنَّ صَاحِبَ فَتْحِ مَدِينَةِ إِبِلِيَاءَ وَ هِيَ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ رَجُلٌ اسْمُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ فَكَانَ مَنْ حَضَرَ مِنْ أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَ عَنِ اسْمِهِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِصَاحِبِهِمْ فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ فِي حَرْبِ الرُّومِ اسْتَمَدُوا عُمَرَ وَ قَالُوا إِنَّ لَمْ تَحْضُرْ بِنَفْسِكَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْنَا فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَلْقَوْهُ بِرَأْسِ الْجَابِيَةِ لِيَوْمِ سَمَاءَ لَهُمْ فَلَقَوْهُ وَ هُوَ رَاكِبٌ حِمَارًا وَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ثُمَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى الْخَيُْولِ وَ عَلَيْهِمُ الدِّبَاجُ وَ الْحَرِيرُ فَنَزَلَ عُمَرُ عَنِ حِمَارِهِ وَ أَخَذَ الْحِجَارَةَ وَ رَمَاهُمْ بِهَا وَ قَالَ سَرَعَانَ مَا لَفْتُمْ عَن رَأْيِكُمْ إِيَّايَ

ص: ٢٩٨

١-١) تاريخ الطبري ٣:٦٠٧ و ما بعدها (طبع دار المعارف).

٢-٢) الطبري: «كما ينتقض أول الحبل».

تَسْتَقْبِلُونَ فِي هَذَا الزَّيِّ وَ إِنَّمَا شَبِعْتُمْ مُنْذُ سَيِّئَتَيْنِ سَرَعَ مَا تَرَّتْ بِكُمْ (١) الْبِطْنَةُ وَ تَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتُمُوهَا عَلَى رَأْسِ الْمَائَتَيْنِ لَأَسْتَبَدَلْتُ بِكُمْ غَيْرَكُمْ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هِيَ يَلَامِقَةٌ وَ تَحْتَهَا السَّلَاحُ (٢) فَقَالَ فَنَعَمْ إِذَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا عَلِمَ الرُّومُ مَقْدَمَ عَمَرَ نَفْسِهِ سَأَلُوهُ الصُّلْحَ فَصَدَّحَهُمْ وَ كَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا عَلَى أَنْ يُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ ثُمَّ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَصَرَ فَرَسُهُ عَنِ الْمَشْيِ فَأُتِيَ بِبِرْدُونَ فَرَكِبَهُ فَهَزَّهٗ وَ هَمَلَجَ تَحْتَهُ فَنَزَلَ عَنْهُ وَ ضَرَبَ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ وَ قَالَ قَبَّحَ اللَّهُ مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا رُدُّوا عَلَيَّ فَرَسِي فَرَكِبَهُ وَ سَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ وَ لَمْ يَزَكَبْ بِرِدُونًا قَبْلَهُ وَ لَا بَعْدَهُ وَ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِيَلَاءِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ لَقِيَهُ مُعَاوِيَةُ وَ عَلَيْهِ ثِيَابُ دِيبَاجٍ وَ حَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعِلْمَانِ وَ الْخَوَلِ فَدَنَا مِنْهُ فَقَبَّلَ يَدَهُ فَقَالَ مَا هَذَا يَا ابْنَ هُنْدٍ وَ إِنَّكَ لَعَلَى هَيْدِهِ الْحَالِ مُتْرَفٌ صَاحِبُ لُبُوسٍ وَ تَنَعْمٌ وَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ يَقْفُونَ بِبَابِكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّا اللَّبَاسُ فَأَنَا بِيَلَادِ عَيْدُوٍّ وَ نُحْبُ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ أَمَّا الْحُجَابُ فَإِنَّا نَخَافُ مِنَ الْبُهْدَلِ جُزْأَهُ الرَّعِيَّةِ فَقَالَ مَا سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا تَرَكْتَنِي مِنْهُ فِي أَضْيَقِ مِنَ الرُّوَاجِبِ (٣) إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَهَائِنَهُ رَأَى لَيْبٍ وَ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَإِنَّهَا خُدَعَهُ أَرِيْبٌ. وَ قَدْ رَوَى النَّاسُ كَلَامَ مُعَاوِيَةَ لِعَمَرَ عَلَى وَجْهِ آخَرَ قِيلَ لَمَّا قَدِمَ عَمْرُ الشَّامَ قَدِمَهَا وَ هُوَ رَاكِبٌ حِمَارًا قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ وَ مَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَاكِبٌ حِمَارٍ قَرِيبٍ أَيْضًا فَتَلَقَّاهُمَا مُعَاوِيَةُ فِي كَوْكَبِهِ خَشْنَاءَ (٤) فَتَنَّى وَرِكَهٗ وَ نَزَلَ وَ سَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ.

ص: ٢٩٩

١- ١) التار: الممتلى البدن، و في الطبري: «ندت».

٢- ٢) اليلمق: القباء المحشو و في الطبري: «و إن علينا السلاح».

٣- ٣) الرواجب: ما بين عقد الأصابع.

٤- ٤) خشناء، أي كثيره السلاح.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَحْصِي رِزْتَ الْفَتَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَوْ كَلَّمْتَهُ قَالَ إِنَّكَ لَصَاحِبُ الْجَيْشِ الَّذِي أَرَى قَالَ نَعَمْ قَالَ مَعَ شِدَّةِ
 اِخْتِجَابِكَ وَوُقُوفِ ذَوِي الْحَاجَاتِ بِبَابِكَ قَالَ أَجَلٌ قَالَ لِمَ وَيُحَكُّ قَالَ لِأَنَا بِيْلَادٍ عَدُوٌّ كَثِيرٌ فِيهَا جَوَاسِيسٌ هُمْ فَإِنْ لَمْ نَتَّخِذِ الْعُدَّةَ وَ
 الْعُدَّةَ اسْتُخِفَّ بِنَا وَهُجِمَ عَلَيَّ عَوْرَاتِنَا وَ أَنَا بَعْدَ عَامِلِكَ فَإِنْ اسْتَنْقَضْتَنِي نَقِضْتُ وَ إِنْ اسْتَرَدْتَنِي زِدْتُ وَ إِنْ اسْتَوْقَفْتَنِي وَقَفْتُ فَقَالَ
 إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا إِنَّهُ لَرَأَى أَرِيْبٌ وَ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا إِنَّهُ لَتَدْبِيرٌ لَيْبٌ مَا سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا تَرَكَتَنِي مِنْهُ فِي أَضْيَقٍ مِنْ رَوَاجِبِ
 الضَّرْسِ لَا- أَمْرُكَ وَلَا- أَنْهَاكَ فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَقَدْ أَحْسَنَ الْفَتَى فِي إِصْدَارِ مَا أَرَدْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِحُسْنِ إِبْرَادِهِ وَ
 إِصْدَارِهِ جَشْمَانَهُ مَا جَشْمَانَهُ

١٨٣١

١٤- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ شَخَصَ عُمَرُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ وَ دَخَلَهَا مَرَّةً رَاكِبَ فَرْسٍ وَ مَرَّةً رَاكِبَ بَعِيرٍ وَ مَرَّةً رَاكِبَ بَعْلِ وَ
 مَرَّةً رَاكِبَ حِمَارٍ وَ كَانَ لَا يُعْرَفُ وَ رُبَّمَا اسْتَخْبَرَهُ الْوَاحِدُ أَيْنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَسْأَلُهُ أَوْ يَقُولُ سَلِ النَّاسَ وَ كَانَ يَدْخُلُ الشَّامَ وَ
 عَلَيْهِ سَحْقٌ (١) فَرَوْ مَقْلُوبٍ وَ إِذَا حَضَرَ النَّاسَ طَعَامَهُ رَأَوْا أَحْسَنَ الطَّعَامِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَدِمَ الشَّامَ فِي إِحْدَى هَذِهِ الْمَرَّاتِ الْأَرْبَعِ فَصَادَفَ الطَّاعُونَ بِهَا فَاشْتَبَاهَا فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فَكُلُّ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ وَ الْأَ
 يُدْخِلُهَا إِلَّا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَإِنَّهُ قَالَ أَ تَفِرُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ أَفَرُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ بِقَدْرِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا
 عُبَيْدَةَ فَمَا لَبِثَ أَنْ حَيَّاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَرَوَى لَهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِذَا كُنْتُمْ بِيْلَادِ الطَّاعُونَ فَلَا- تَخْرُجُوا مِنْهَا وَ إِذَا
 قَدِمْتُمْ إِلَى بِلَادِ الطَّاعُونَ فَلَا- تَدْخُلُوهَا فَحَمَدَ اللَّهُ عَلَى مُوَافَقِهِ الْحَبْرَ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ وَ مَا أَشَارَ بِهِ النَّاسُ وَ انصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى
 الْمَدِينَةِ وَ مَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي ذَلِكَ الطَّاعُونَ وَ هُوَ الطَّاعُونَ الْمَعْرُوفُ بِطَّاعُونَ عَمَّوَسَ وَ كَانَ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ .

(٢)

ص: ٣٠٠

١- (١) السحق: الثوب البالي.

٢- (٢) تاريخ الطبري ٣: ٦٠٦.

فَقَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ لِعُثْمَانَ أَنَا أَكْفِيكَه فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع لِلْمَغِيرَةِ :

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْمَأْبُوتِ وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصِيلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ أَنْتَ تَكْفِينِي فَوَ اللَّهُ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ وَلَا قَامَ مِنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ
اُخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكِ ثُمَّ أَبْلُغْ جَهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ .

١٨٣٢

١٤١- هُوَ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ وَهْبِ بْنِ عَلَاجِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الثَّقَفِيُّ حَلِيفُ بِنِي زُهْرَةَ وَ إِنَّمَا قَالَ لَهُ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ ع يَا ابْنَ اللَّعِينِ لِأَنَّ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقِ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْمُنَافِقِينَ ذَكَرَهُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ كُلُّهُمْ فِي الْمَوْلَفَةِ قُلُوبُهُمُ الَّذِينَ
أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ بِالسِّنْتِهِمْ دُونَ قُلُوبِهِمْ وَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ يَتَأَلَّفُ بِهَا قَلْبُهُ وَ ابْنُهُ أَبُو الْحَكَمِ بْنُ
الْأَخْنَسِ قَتَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع يَوْمَ أُحُدٍ كَافِرًا فِي الْحَرْبِ

. و هو أخو المغيرة هذا و الحقد الذي في قلب المغيرة عليه من هذه الجهة و إنما قال له يا ابن الأبترا لأن من كان عقبه ضالا خبيثا
فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه و يروى و لا أقام من أنت منهضه بالهمزه .

و يروى أبعد الله نوءك من أنواء النجوم التي كانت العرب تنسب المطر إليها و كانوا إذا دعوا على إنسان قالوا أبعد الله نوءك
أى خيرك .

ص : ٣٠١

و الجهد بالفتح الغايه و يقال قد جهد فلان جهده بالفتح لا يجوز غير ذلك أى انتهى إلى غايته و قد روى أن رسول الله ص
لعن ثقيفا .

و

١٨٣٣

رَوَى أَنَّهُ ع قَالَ لَوْ لَا عُرُؤُهُ بُنُ مَسْعُودٍ لَلَعَنْتُ ثَقِيفًا .

١٨٣٤

١٤- وَ رَوَى الْحَسَنُ الْبُضَيْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَعَنَ ثَلَاثَ بِيُوتٍ بَيْتَانِ مِنْ مَكَّةَ وَ هُمَا بَنُو أُمَيَّةَ وَ بَنُو الْمُغِيرَةَ وَ بَيْتٌ مِنَ الطَّائِفِ وَ
هُمُ ثَقِيفٌ .

و

١٨٣٥

فِي الْخَبْرِ الْمَشْهُورِ الْمَرْفُوعِ وَ قَدْ ذَكَرَ ثَقِيفًا بَنَسَتْ الْقَبِيلَةَ يَخْرُجُ مِنْهَا كَذَابٌ وَ مُبِيرٌ (١) .

فكان كما قال ص الكذاب المختار و المبير الحجاج .

و اعلم أن هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان و لكن

١٨٣٦

١- عَوَانُهُ رَوَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا كَثُرَتْ شِكَايَتُهُ مِنْ عَلِيٍّ ع أَقْبَلَ لَا يَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ ص أَحَدٌ إِلَّا شَكَأَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ فَصَالَ لَهُ زَيْدٌ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ وَ كَانَ مِنْ شِعْبِ يَعْتَبَةَ وَ خِصَامَتِهِ أَفْلَاحٌ أُمَيَّةٌ إِلَى اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ
بِمُوجَدَتِكَ فِيمَا يَأْتِي إِلَيْكَ قَالَ بَلَى فَأَتَاهُ زَيْدٌ وَ مَعَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقِ الثَّقَفِيُّ وَ عِدَادُهُ فِي بَنِي زُهْرَةَ وَ أُمُّهُ عَمَّةُ عُثْمَانَ
بْنِ عَفَّانٍ فِي جَمَاعِهِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَحَمِدَ زَيْدٌ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدَّمَ لَكَ سِلْفًا صَالِحًا فِي الْإِسْلَامِ وَ جَعَلَكَ
مِنَ الرَّسُولِ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ فَأَنْتَ لِلْخَيْرِ كُلِّ الْخَيْرِ أَهْلٌ وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ ابْنُ عَمِّكَ وَ وَالِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَهُ عَلَيْكَ حَقَّانِ
حَقُّ الْوَلَايَةِ وَ حَقُّ الْقُرَابَةِ وَ قَدْ شَكَأَ إِلَيْنَا أَنَّ عَلِيًّا يَعْرِضُ لِي وَ يَرُدُّ أَمْرِي عَلَيَّ وَ قَدْ مَشِينَا إِلَيْكَ نَصِيحَةً لَكَ وَ كَرَاهِيَةً أَنْ يَقَعَ
بَيْنَكَ وَ بَيْنَ ابْنِ عَمِّكَ أَمْرٌ نَكْرَهُهُ لَكُمْ .

قَالَ فَحَمِدَ عَلِيٌّ ع اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَوَ اللَّهُ مَا أَحْبُّ الْإِعْتِرَاضَ وَ لَا الرَّدَّ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَأْبَى حَقًّا لِلَّهِ
لَا يَسْعُنِي أَنْ أَقُولَ فِيهِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ وَ اللَّهِ لَأَكْفَنَّ عَنْهُ مَا وَسِعَنِي الْكُفُّ .

فَقَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ وَكَانَ رَجُلًا وَقَاحًا (١) وَكَانَ مِنْ شَيْعَةِ عُثْمَانَ وَخُلَصَائِهِ إِنَّكَ وَاللَّهِ لَتَكْفَنَنَّ عَنْهُ أَوْ لَتَكْفَنَنَّ فَإِنَّهُ أَقْسَدُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أُرْسِلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِعْرَازًا لِتَكُونَ لَهُ الْحُجَّةُ عِنْدَهُمْ عَلَيْكَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ ع يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ وَالشَّجْرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ أَنْتَ تَكْفُنِي فَوَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ أَمْرًا أَنْتَ نَاصِرُهُ أَخْرُجْ أَبْعِدِ اللَّهُ نَوَاكٍ ثُمَّ اجْهَدْ جُهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَيَّ أَصْحَابِكَ إِنْ أُبْقِيْتُمْ .

فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ إِنَّا وَاللَّهِ مَا جِئْنَاكَ لِتَكُونَ عَلَيْكَ شُهُودًا وَلَا لِيَكُونَ مَمَّشَانَا إِلَيْكَ حُجَّةً وَ لَكِنْ مَشَيْنَا فِيمَا بَيْنَكُمَا التَّمَّاسَ الْأَجْرَ أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ ذَاتَ بَيْنِكُمَا وَيَجْمَعَ كَلِمَتِكُمَا ثُمَّ دَعَا لَهُ وَ لِعُثْمَانَ وَ قَامَ فَقَامُوا مَعَهُ

و هذا الخبر يدل على أن اللفظه أنت تكفني و ليست كما ذكره الرضى رحمه الله أنت تكفيني لكن الرضا طبق هذه اللفظه على ما قبلها و هو قوله أنا أكفيكه و لا شبهه أنها روايه أخرى

فصل فى نسب ثقيف و طرف من أخبارهم

و إنما قال له و الشجره التى لا أصل لها و لا فرع لأن ثقيفا فى نسبها طعن فقال قوم من النسابين إنهم من هوازن و هو القول الذى تزعمه الثقيفون قالوا هو ثقيف و اسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمه بن خصفه بن قيس بن عيلان بن مضر و على هذا القول جمهور الناس .

و يزعم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار بن معد بن عدنان و أن النخع أخوه لأبيه

ص: ٣٠٣

و أمه ثم افترقا فصار أحدهما فى عداد هوازن و الآخر فى عداد مذحج بن مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سيب بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

١٨٣٧

وَ قَدْ رَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ لِأُخْتِ الْأَشْتَرِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ النَّخَعِيِّ تَبَكِّيهِ أَوْ بَعْدَ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ نَزْجُو

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ هَجَا (١) يَحْيَى بْنَ نُوفَلٍ وَ كَانَ هَجَاءَ خَيْثِ اللُّسَانِ الْعُرْيَانَ بْنَ الْهَيْثَمِ بْنِ الْأَسْوَدِ النَّخَعِيِّ وَ قَدْ كَانَ الْعُرْيَانُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً اسْمُهَا زَبَادٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْكَسِيرِ وَ الزَّأَى مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مَنْقُوطَةٌ بِوَاحِدِهِ وَ هِيَ مِنْ وُلْدِ هَانِيٍّ بْنِ قَبِيصَةَ الشَّيْبَانِيِّ وَ كَانَتْ قَبْلَهُ تَحْتَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَطَلَّقَهَا فَأَنْكَحَهَا إِيَّاهُ أَخٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ زِيَادٌ فَقَالَ يَحْيَى بْنُ نُوفَلٍ أَوْ عُرْيَانُ مَا يَدْرِي امْرُؤٌ سَبِيلَ عَنُكُم

ص: ٣٠٤

١ - ١) الكامل ٢:٦٦،٦٧ (طبعه نهضة مصر).

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَهُوَ وَالِي الْكُوفَةِ صَارَ إِلَى دَيْرِ هِنْدِ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ وَهِيَ فِيهِ عَمِيَاءُ مُيَرَهَبَةٌ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا فَعِيلَ لَهَا أَمِيرُ هَيْدَةَ الْمِدْرَةَ بِالْبَابِ قَالَتْ قَوْلُوا لَهُ مِنْ وُلْدِ جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَمِ أَنْتَ قَالَ لَا قَالَتْ أَفَمِنْ وُلْدِ الْمُنْدِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ أَنْتَ قَالَ لَا قَالَتْ فَمَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ الثَّقَفِيُّ قَالَتْ فَمَا حَاجَتُكَ قَالَ جِئْتُ خَاطِبًا قَالَتْ لَوْ كُنْتُ جِئْتَنِي لِجَمَالٍ أَوْ حَالٍ لَأَطْلُبَنَّكَ وَ لَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَشْرَفَ بِي فِي مَحَافِلِ الْعَرَبِ فَتَقُولَ نَكَحْتُ ابْنَةَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ وَ إِلَّا فَأَيُّ خَيْرٍ فِي اجْتِمَاعِ أَعْوَرَ وَ عَمِيَاءَ فَبَعَثَ إِلَيْهَا كَيْفَ كَانَ أَمْرُكُمْ قَالَتْ سَأَخْتَصِرُ لَكَ الْجَوَابَ أَمْسَيْنَا وَ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَرَبِيٌّ إِلَّا وَهُوَ يَزْهَبُنَا أَوْ يَزْعَبُ إِلَيْنَا وَ أَصِيبَحْنَا وَ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَرَبِيٌّ إِلَّا- وَ نَحْنُ نَزْهَبُهُ وَ نَزْعُبُ إِلَيْهِ قَالَتْ فَمَا كَانَ أَبُوكَ يَقُولُ فِي تَقِيْفٍ قَالَتْ أَدُكْرُ وَ قَدْ اخْتَصَمَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْهُمُ أَحَدُهُمَا يَنْتَهِي إِلَى إِيَادٍ وَ الْآخَرُ إِلَى هَوَازِنَ فَفَضِلِي لِلإِيَادِي وَ قَالَ إِنَّ تَقِيْفًا لَمْ تَكُنْ هَوَازِنًا وَ لَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا أَوْ مَازِنًا فَقَالَ الْمُغِيرَةُ أَمَّا نَحْنُ فَمِنْ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ فَلْيَقُلْ أَبُوكَ مَا شَاءَ ثُمَّ انصَرَفَ (١).

وَ قَالَ قَوْمٌ آخَرُونَ إِنَّ تَقِيْفًا مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ مِنَ الْعَرَبِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي بَادَتْ وَ انْفَرَصَتْ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَقَدْ قَالَ الْحَجَّاجُ عَلَى الْمُنْبَرِ يَزْعُمُونَ أَنَّا مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ فَقَدْ كَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ وَثَمُودَ فَمَا أُبْقِيَ (١).

وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى وَ لَيْسَ كُنَّا مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ لَمَّا نَجَا مَعَ صَالِحٍ إِلَّا خِيَارُهُمْ.

وَقَالَ الْحَجَّاجُ يَوْمًا لِأَبِي الْعَسُوسِ الطَّائِي أَيْ أَقْدَمَ أُنْزُولُ ثَقِيفِ الطَّائِفِ أَمْ نُزُولُ طَيْبِ الْجَبَلَيْنِ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَسُوسِ إِنْ كَانَتْ ثَقِيفٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ فَنُزُولُ طَيْبِ الْجَبَلَيْنِ قَبْلَهَا وَإِنْ كَانَتْ مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ فَهِيَ أَقْدَمُ فَقَالَ الْحَجَّاجُ اتَّقِنِي فَإِنِّي سَرِيعُ الْخَطْفَةِ لِلْمَأْخَمَةِ الْمُتَهَوَّرِ فَقَالَ أَبُو الْعَسُوسِ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَكَانَ أَعْرَابِيًّا فَحَا إِلَّا أَنَّهُ لَطِيفُ الطَّبَعِ وَكَانَ الْحَجَّاجُ يُمَارِضُهُ يُؤَدِّبُنِي الْحَجَّاجُ تَأْدِيبَ أَهْلِهِ وَقَتَلَ الْمَغِيرَةَ بْنَ الْأَخْنَسِ مَعَ عَثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ وَقَدْ ذَكَرْنَا مَقْتَلَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ تَمَّ الْجُزْءُ الثَّامِنُ مِنْ شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَ يَلِيهِ الْجُزْءُ التَّاسِعُ

ص: ٣٠٦

- ١٢٤- من كلام له عليه السلام فى حث أصحابه على القتال ٣-٧
- ١٢٥- من كلام له عليه السلام فى الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال، و يذم فيه أصحابه فى التحكيم ١٠٣، ١٠٤
- ١٢٦- من كلام له عليه السلام لما عوتب على النسويه فى العطاء من غير تفضيل أولى السابقات و الشرف ١٠٩
- ١٢٧- من كلام له عليه السلام فى الاحتجاج على الخوارج و النهى عن الفرقة ١١٣، ١١٢
- ١٢٨- من كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصره ١٢٥
- ١٢٩- من خطبه له فى ذكر المكاييل و الموازين ٢٤٤، ٢٤٥
- ١٣٠- من كلام له عليه السلام لأبى ذر رحمه الله لما أخرج إلى الزبده ٢٥٢-٢٦٢
- ١٣١- من كلام له عليه السلام فى حال نفسه و أوصاف الإمام
- ١٣٢- من خطبه له عليه السلام فى تمجيد الله سبحانه ٢٦٩، ٢٦٨
- ١٣٣- من خطبه له عليه السلام فى صفه القرآن و صفه النبى و أوصاف الدنيا ٢٧٢-٢٨٧
- ١٣٤- من كلام له عليه السلام و قد شاوره عمر بن الخطاب فى الخروج إلى غزو الروم ٢٩٦
- ١٣٥- من كلام له عليه السلام و قد وقع بينه و بين عثمان مشاجره ٣٠١

عود إلى أخبار صفين ٩-١٠٢

مذهب الخوارج في تكفير أهل الكبائر ١١٣-١١٩

فصل في ذكر الغلاة من الشيعة و النصيريه و غيرهم ١١٩-١٢٢

أخبار صاحب الزنج و فتنته و ما انتحله من عقائد ١٢٦-٢١٤

فصل في ذكر جنكزخان و فتنة التتر ٢١٨-٢٤٣

نبذ من أقوال الصالحين و الحكماء ٢٤٦-٢٥١

فصل في الجناس و ذكر أنواعه ٢٧٦-٢٨٧

غزوه فلسطين و فتح بيت المقدس ٢٩٨-٣٠٠

فصل في نسب ثقيف و طرف من أخبارهم ٣٠٣-٣٠٦

ص: ٣٠٨

١-*) و هي الموضوعات الواردة في كتاب شرح نهج البلاغه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩